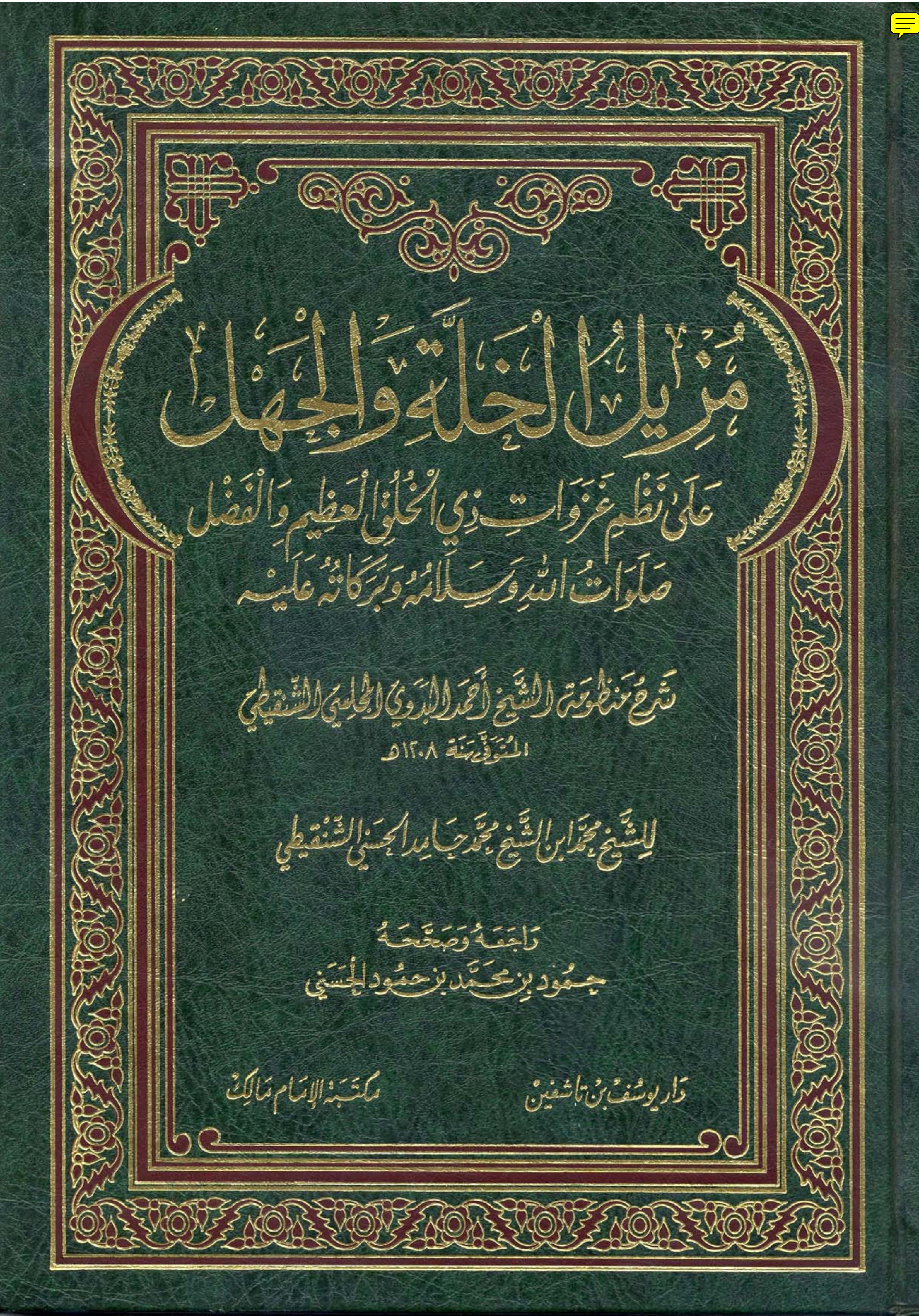
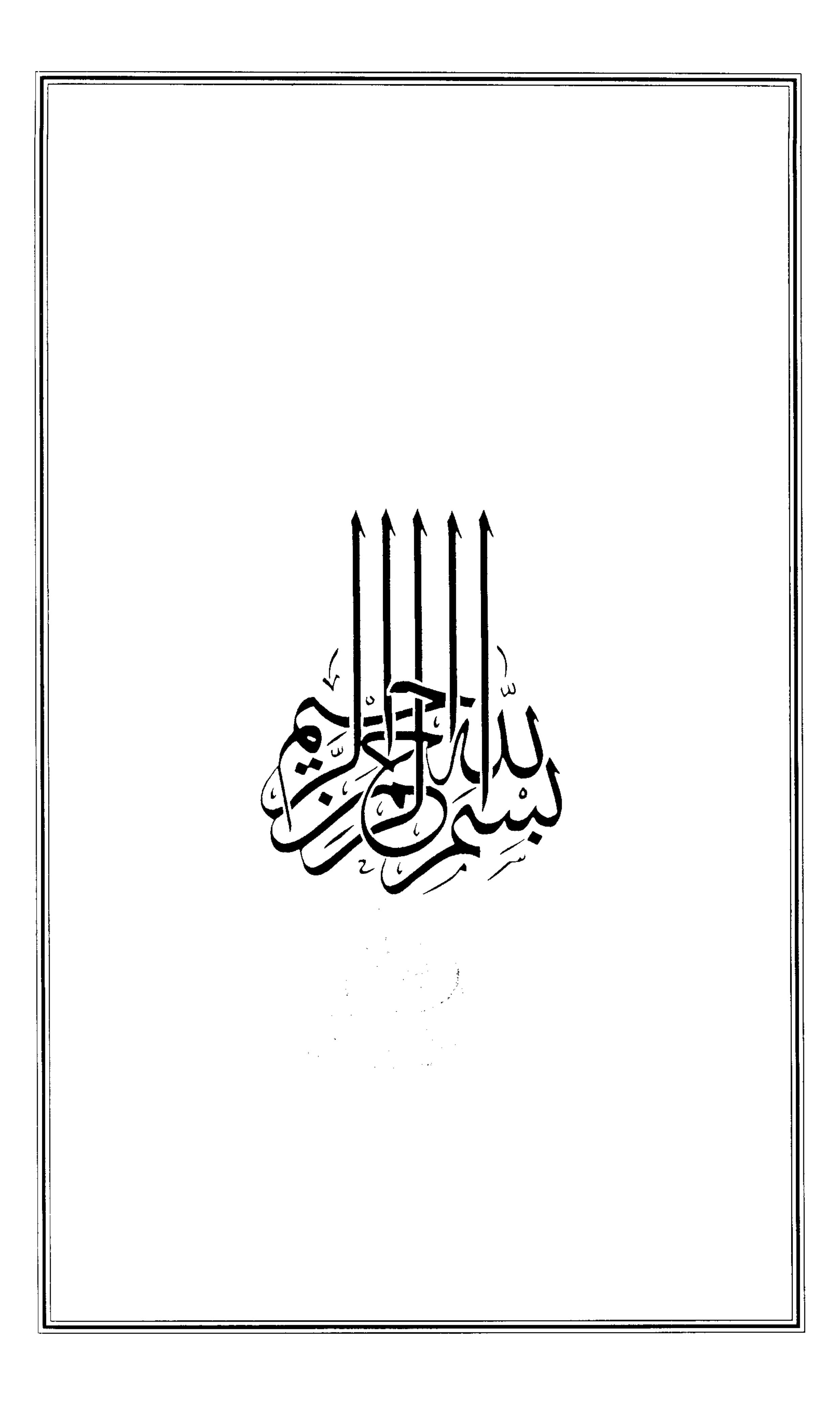

مُزِيلُ الْخَلَّةِ وَالْجَهْلِ
عَلَى نَظْمِ غَزَوَاتِ ذِي الْخُلُقِ الْعَظِيمِ وَالْفَضْلِ
صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْهِ
شَرْحُ مَنْظُومَةِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ الْبَدَوِيِّ الْمَجْلِسِيِّ الشَّنْقِيطِيِّ
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٢٠٨هـ
لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ ابْنِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ حَامِدٍ الْحَسَنِيِّ الشَّنْقِيطِيِّ
رَاجَعَهُ وَصَحَّحَهُ
حَمُّودُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَمُّودٍ الْحَسَنِيُّ
دَارُ يُوسُفَ بْنِ تَاشِفِينَ
مَكْتَبَةُ الْإِمَامِ مَالِكٍ



مُزِيلُ الْخَلَّةِ وَالْجَهْلِ

عَلَى نَظْمِ غَزَوَاتِ ذِي الْخُلُقِ الْعَظِيمِ وَالْفَضْلِ
صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْهِ


بسم الله الرحمن الرحيم

مُزِيلُ الْخَلَّةِ وَالْجَهْلِ

عَلَى نَظْمِ غَزَوَاتِ ذِي الْخُلُقِ الْعَظِيمِ وَالْفَضْلِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْهِ

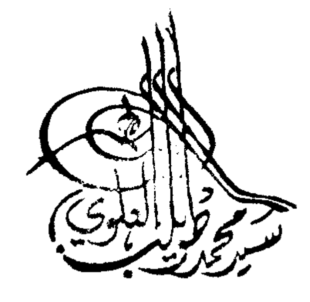
شَرْحُ مَنْظُومَةِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ الْبَدَوِيِّ الْمَجْلِسِيِّ الشَّنْقِيطِيِّ

الْمُتَوَفَّى سَنَة ١٢٠٨هـ

لِلشَّيْخِ مُحَمَّدٍ ابْنِ الشَّيْخِ مُحَمَّد حَامِد الْحَسَنِيِّ الشَّنْقِيطِيِّ

رَاجَعَهُ وَصَحَّحَهُ

حمُود بِن مُحَمَّد بن حمُود الْحَسَنِي



دار يوسف بن تاشفين — مكتبة الإمام مالك

الطَّبْعَةُ الأُولَىٰ

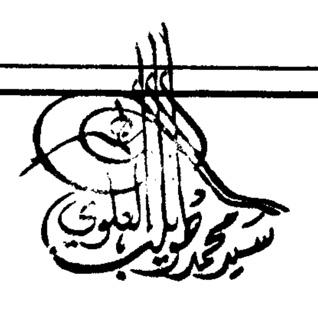
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

الناشر

دار يوسف بن تاشفين ومكتبة الإمام مالك (رضى الله عنهما)

الجمهورية الإسلامية الموريتانية
«كيفة»
تليفون: 002226331035
002226883398
002226732543
002226751255

الإمــارات العربيــة المتحــدة
«العين»
تليفون: 0097137657742
00971506735298
00971503343782
فاكس: 0097137655764



الإهداء

أهدي هذا الجهد الكبير إلى كل مَن يرفع يديه إلى الله ويقول: اللّهم إني أدعوك وأتوجه إليك بنبيك محمد، ﷺ، نَبِي الرحمة ﷺ، يا محمدُ إني أتوجه بك إلى ربي في حوائجي كلها لتقضى، اللّهم فشفعه فِيَّ. وأخص بالذكر المؤلفَ شيخي وجدي جزاه الله خيراً، وأمي ووالدي تغمده الله برحمته، وجزاهم الله عني خير ما جازى به والدين عن ولدهم.

❊ ❊ ❊



الْحمد لله الذي هدانا لِهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، الْحمد لله الذي لا تراه العيون، ولا تخالطه الظنون، ولا يصفه الواصفون، أحمده - سبحانه وتعالى - وأستعينه، وأستهديه، وأستغفره، وأومن به، ولا أشرك به شيئاً، وأعوذ به من شرور نفسي، ومن سيئات عملي، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا وشفيعنا وحبيبنا ووسيلتنا إلى الله محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، فبلَّغ الرسالة، وأدى الأمانةَ، ونصح الأمَّة، وجاهد في الله حق الجهاد حتى أتاه اليقين، اللّهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته وأصحابه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ فإن أصدقَ الْحديث كتابُ الله، وخيرَ الْهدي هديُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار.

هذا وإنه لَمن المعلوم أن أفضل ما يشغل به المسلم وقته كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وسنته ﷺ تشمل القول والفعل والتقرير، ولقد اعتنى العلماء قديماً وحديثاً بكل ما يتعلق بالجناب النبوي ﷺ، فمنهم مَن اعتنى بالأحكام الشرعية، ومنهم مَن اعتنى بِمغازيه ﷺ، ومنهم من اعتنى بصفته وبِهَديه ﷺ، ومنهم مَن اعتنى بنسبه ﷺ، فلم يتركوا - جزاهم الله خيراً - شيئاً يتعلق به ﷺ إلا اعتنوا به، حتى أنَّهم اعتنوا بنعله الشريفة، وألفوا فيها،

وفي نجاة أبويه ﷺ، فدته نفسي وأمي وأبي، ومدحوه نظما ونثرا، وذكروا الكثير من فضله، وبقي الأكثر، ويرحم الله البصيري حيث يقول:

فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم

ومن أعجب العجاب أنك تجد من يدعي محبته ﷺ ولا يعرف نسبه، ولا صفته ﷺ، وإن تعجب فعجب من ذلك من يُبدِّع ويُكفِّر كلَّ مَن يتوسل به ﷺ إلى الله عزَّ وجلَّ، اللّهم إني أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إلٰه إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك، وأني أتوسل إليك برسولك ﷺ، وبشسع نعله الشريفة.

ومِمن اعتنى بسيرته وبِمغازيه ﷺ، صاحب هذه المنظومة، العالم العلامة الشيخ أحمد البدوي المجلسي، المتوفى سنة ١٢٠٨هـ، وكذلك الشيخ محمد بن الشيخ محمد حامد بن آلاَّ الْحسني، صاحب هذا الشرح الذي بين أيدينا، وكنت قرأته عليه سنة ١٩٨٢م ولله الحمد والمنة على ذلك.

ولَمَّا يسر الله لي بفضله وكرمه أن سافرت إلى دولة الإمارات العربية المتحدة يوم الأربعاء ٢٠٠١/٢/٢٨ جعلت من أولوياتي البحث عن طباعة هذا الكتاب الثمين، الذي يتكلم عن غزوات سيد الأولين والآخرين ﷺ، وعن طباعة الكتابين الآخَرَيْن، اللذين يتعلقان بكتاب رب العالمين، قراءةً ورسماً، للمؤلف نفسه.

فبقراءة كتاب الله عزَّ وجلَّ مجودا مرتلا يكون القارئ مع السفرة الكرام البررة، وبقراءة سيرته ﷺ يكون دائما كأنه معه، ويصلي عليه في كل لحظة عند ذكره، وهذا أفضل ما يشتغل به الْمسلم، فطبعتُ الكتبَ الثلاثةَ طباعة أولية، ثُم منَّ الله عزَّ وجلَّ عليَّ أن قابلت الأخ الفاضل الشيخ محمد محمود ولد محمد الأمين الْمسومي - صاحب دار يوسف بن تاشفين، ومكتبة الإمام مالك - فعرضت عليه طباعة هذه الكتب فوافق، جزاه الله

خيراً، فللّه الحمد والشكر، وله المنة والفضل والثناء الْحسن، على نعمها كلها ما ظهر منها وما بطن، ما مضى منها وما حضر، وما يأتي، ما علمت منها، وما لم أعلم.

عملي في هذا الكتاب:

أولاً: طبعته على جهازي الذي أهدانيه بعض الإخوة مشكوراً، وقد أعانِنِي الله سبحانه وتعالى على ذلك، ولم أكن أعرف الطباعة من قبلُ، ولم آخذ دورة فيها، وما كنت أعرف التعامل مع الكمبيوتر، ولكنَّ الله عزَّ وجلَّ فتح علي فيه، ولا أنسى أن أشكر كل مَن ساعدني على طباعة هذه الكتب.

ثانياً: جعلت لِهذه الكتب عناوين، وفهارس، ليسهل على القارئ الرجوع إلى الموضوع الذي يريد، وكذلك جعلت لها علامات الترقيم، وكلها لم تكن معهودة في كتب الأقدمين.

ثالثاً: قمت بكتابة النص مفرداً، ثم في أثناء الشرح آتي به بين قوسين، ليسهل حفظ النظم وقراءته على من أراد مجرد النص، وسأقوم بتحقيقه تحقيقا شاملا، مع ترجمة للمؤلفين، إن شاء الله تعالى.

رابعاً: قمت بتصحيحه عدة مرات، ووضعت بعض الشكلات على كلمات قد يقع فيها اللبس، وكذلك صححت بعض المعلومات التي وردت في هذا الكتاب على سبيل الخطإ.

فالكتاب لم أجد منه إلا نسخة واحدة بخط المؤلف، وأخبرني أنه لم يراجعه منذ مدة طويلة وأمرني بتصحيح كل ما فيه من الأخطاء، أسأل الله أن يطيل عمرَه في نعمة وعافية - ومنها على سبيل المثال قوله في ترجمة أبي عزيز بن عمير شقيق مصعب عند قول الناظم: وابن عمير مصعب مرَّ على شقيقه. . . (وليس بشيء قول من قال: إن أبا عزيز قُتل يوم أحد كافراً) وعندما ذكر قتلى المشركين يوم أحد قال: (وأصاب المسلمون يوم أحد من قريش أربعة وعشرين، أو ثلاثة وعشرين: أصحاب اللواء - وقد ذكروا - وأبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب. . .).

وكذلك في ترجمة عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (إن عمر زَوَّجه صفيةَ بنتَ أبي عبيد. . .)، وبعد صفحتين أو ثلاث قال: (. . .وأم هؤلاء من ولد عبدالله بن عمر صفيةُ بنتُ أبي عبيدة)، والمؤلف تبع في هذا كله الشيخ حماد بن الأمين، رحمه الله تعالى، ومن العجيب أن محقق كتاب روض النهاة لم ينتبه لهذا التناقض ولا لغيره!!

والحقيقة أن أبا عزيز لم يقتل يوم أحد كافراً، بل أسلم وصحب، وأنَّ صفية بنت أبي عبيد ـ بدون هاء ـ الثقفي صاحب الجسر، رضي الله عنه، وهو والد المختار الكذاب.

خامساً: أضفتُ إليه أربعة أبيات مع شرحها ـ حسب طاقتي ـ سقطت من هذه النسخة التي بين يديَّ، أو لعل المؤلف تركها تبعا للشيخ حماد، فإنه ليست موجودة في النسخ التي وقفت عليها من روض النهاة، وقد أورد صاحب إنارة الدجى. . . ثلاثة منها، والأبيات هي:

وحين حل بإزاء الحرم ... أمر أن يوقد كل مسلم
نارا فأبصر أبو سفيانا ... وكان يرتقبه النيرانا
فارتاع فانسل إذن عمُّ النبي ... فالتقيا فجا به عن كثب
وهددته إذ رأته الحنفا ... قبل وصوله لنادي المصطفى

❀ ❀ ❀

دعاء

اللّهم إنك قلت ـ وقولك الحق ـ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾

اللّهم إني أدعوك، وأتوجه وأتوسل إليك، وأسألك، وأستشفع عندك بحق أسمائك الحسنى، وصفاتك العلى، وبحق كل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في

علم الغيب عندك، وبحق نور وجهك الذي أشرقت له السماوات والأرض، وبالكرسي، والعرش، والقلم، واللوح المحفوظ، وبكتبك، ورسلك، وأنبيائك، وملائكتك، وبحق ما أحاط به علمك من عظمتك، وبكل معظم عندك أن تصلي وأن تسلم وأن تبارك على شفيعنا، وحبيبنا، وقرة عيوننا، ووسيلتنا إليك محمد ﷺ وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وذريته وأهل بيته، كما صليت وسلمت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

وأسألك يا الله يا قريب يا مجيب أن تجعل القرآن العظيم نور أبصارنا وربيع قلوبنا، وجلاء حزننا وذهاب همنا وغمنا، وأن تجعل هذا العملَ وكلَّ أعمالنا، وأقوالنا، وتروكنا، ونِيَّاتِنا، خالصة ومُخلَصة لجلال وجهك الكريم، مستقيمة على سُنة محمد ﷺ، وأن تبلغ ثواب هذا العمل إلى أرواح والدِينا إلى منتهى الإسلام، وإلى كل مَن له حق علينا، أو على والدِينا، وأن تجعله لهم نوراً، وأن تؤنسهم به في مضاجعهم، وأن توسعها عليهم به، وأن تريهم مقاعدهم في الجنة غدواً وعشياً، وأن تسقيهم به شراباً طهوراً، ورحيقاً مختوماً ختامه مسك، وأن تلبسهم به ثياباً خضراً من سندس وإستبرق.

وأسألك يا أرحم الراحمين أن ترزقنا به شفاعة الْحبيب المصطفى ﷺ، وجواره، ومرافقته، والقرب منه في الحياة الدنيا، وفي البرزخ، وفي الآخرة.

وأسألك ـ يا أكرم الأكرمين ـ أن ترزقنا به من الخير كله عاجله وآجله، ما علمنا منه وما لم نعلم، وأن تجيرنا به من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، وأن ترزقنا به الْجنة وما قرب إليها من قول وعمل، وأن تُجيرنا به من النار وما قرب إليها من قول وعمل، وأن ترزقنا به من كل خير سألك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ، وأن تُجيرنا به من كل ما استعاذ بك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ، وأن لا تقضي لنا قضاء إلا جعلت عاقبته رشداً، وأسألك أن تثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا

وفي الآخرة، اللّهم هذا الدعاء وعليك الإجابة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه العبد الفقير إلى ربه تعالى
حمود بن محمد بن حمود الحسني
أبو ظبي: مساء الاثنين ٢٠ صفر ١٤٢٧هـ
الموافق: ٢٠ مارس ٢٠٠٦م



مقدمة الشارح

بسم الله الرحمٰن الرحيم، حمداً لمن جعل العلم نوراً يهتدى به، واللعنةَ جزاء كاتمه في محكم كتابه، وجعل لِمَن سعى فيه بصحة نيته جزيلَ الثواب، وجعل من أهَمِّه وأفضله سيرةَ صاحب العقاب، عليه وعلى آله وأصحابه الأعلام، شموس الهدى وبدور الإسلام، الذين هم للخلق مصابيح الظلام، أزكى صلاة وأسنى سلام.

وبعدُ: فهذا تعليق لطيف غير قصير مُخِلٍّ، ولا طويلٍ مُمِلٍّ، وضعه الراجي من ربه غفران مساويه محمدُ بنُ محمد حامد بن عبدالله بن آلاَّ، الْحَسَنِيُّ، على نظم الغزوات للعالِم العلامة، الحبر الفهامة، أحمد البدوي بن محمدا (بدال مهملة بعدها ألف) بن أبي أحْمد بن مُحمد بن إبراهيم بن عبدالله بن بادل الْمجلسي، مَحط رحال العلم، ولاسيما علوم النحو واللغة، والأدب، والتفسير، والحديث، والفقه، تغمده الله برحمته، وأسكنه فسيح جناته آمين، متطفلاً فيه على فضل الله وكرمه وعلى بركة رسوله سيد الوجود ﷺ، مستنبطاً من مشاهير الكتب: كالعقد المنضد، وطرة الشيخ عبدالله بن حَمَّيْنْ، ـ رحمه الله تعالى ـ، وحماد ـ وهو الأكثر ـ لأنه بحر زاخر لا يبارى، وجواد سابح لا يجارى، ولذلك أحذف العزو في الشرح اكتفاء عنه بهذه الترجمة، وسميته: «**مزيل الخَلَّةِ والجهل، على نظم غزوات ذي الخلق العظيم والفضل**».

اللَّهم اجعله لِي لا عليَّ، وسببا في رضاك عني وعن والدِيَّ، وعن

أصدقائي وعن المسلمين جميعاً، آمين يا رب العالمين، بجاه المصطفى صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً.





مقدمة الناظم

حَـمْـداً لِـمَـنْ أرسـل خَـيـرَ مـرسَـل   لِـخـيـر أمـة بِـخـيـر الْـمِـلَـلِ

❖ **الشرح**: (**حَمْداً**): أي أحمد حمدا، وإنَّما أعرضت عن الكلام على البسملة والحمد لطول الكلام عليهما عما نحن في صدده، (**لمن**) الله الذي (**أرسل**): بعث للأنس والجن وغيرهما، على خلاف فيه (**خير**) أفضل، أصله أخير؛ فنقلت حركة الياء لِما قبلها بعد سلب شكلته، وحُذِفَتْ الْهمزةُ لكثرة الاستعمال، فصار خير، قال:

وغـالـبـا أغـنـاهـم خـيـر وشـر   عـن قـولِـهـم أَخْـيَـرُ مـنـه وأشـر

(**مرسل**): محمد ﷺ.

قال بعض العلماء:

كـون الـمـلائـك مـن الـرسـالـه   مُـخَـرَّجُـونَ الـبـيـهـقـيُ قـالـه

وقال بعضهم:

أرسـل ربـنـا الـعـظـيـم جـلا   نـبـيَّـنـا إلـى الأنـاسِ كـلا
والـجـنّ بـالإجـمـاع والْـمـلائـك   أيـضـاً عـلـى خـلاف فـي أولـئـك
وكـونـه أرسـل أيـضـاً لـلـجـمـا   دات قـد ادعـاه بـعـض الـعـلـمـا

وتوقفوا عن غيرهم من مخلوقات الله هل بعث له أم لا؟ (**لخير أمة**):

وهي أمته ﷺ، وقيل الصحابة خصوصاً، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

قال:

لِمِلَّة وزمن والقامة والرجل الصالِح والْجماعة
وتبع الرسل لِمَن كان انفرد بدينه والأم الامةُ ورد

(بخير الملل): جمع ملَّة، وهي طريق الإسلام التي هي الحنفية ملة أبينا إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، قال ﷺ في محاورته لأبي عامر الفاسق: «**بل جئتُ بِهَا نقيةً بيضاء**».

وأفضل الصلاة والسلام على لباب صفوة الأنام
وآله أفنان دوحة الشرف وصحبه والتابعي نعم السلف

❖ **الشرح**: **(الصلاة)**: من الله إنشاء الرحمة أي؛ إنشاء المضمون، ومن العباد طلب إنشاء المضمون، وهي ثلاثة أنواع: من الله الرحمةُ، ومن الملائكة استغفارٌ، ومن الآدميين عبادةٌ، أوهي من الله على الأنبياء تشريف، وعلى من دونهم رحمة **(والسلام)** التأمين **(على لباب)**: الشيء خالصه **(صِفوة)**: ـ بالتثليث، وكل فعلة واوية اللام كذلك في الغالب ـ وهي خيار كل شيء **(الأنام)**: ـ كسحاب، وساباط، وأمير ـ الْخَلْقُ.

تعريف الآل:

(وآله): أقاربه المؤمنين من بني هاشم، عند مالك رضي الله عنه، مستدلاً بتخصيص تَحريم الزكاة عليهم، لخبر: «**الصدقة لا تَحل لِمحمد ولا لآل محمد**»، وبني المطلب، عند الشافعي رضي الله عنه، مستدلاً بحديث: «**كنا وبني المطلب كركبتي البعير يرفعهما ويضعهما معا**»، وبحديث: «**كُنَّا وبني المطلب كهاتين** ـ فشبك بين أصابعه ـ **ما افترقنا في جاهلية ولا إسلام**».

قال بعض العلماء:

الآلُ مَن لِهاشم ينتسب لمالكٍ، والشافعي المطلب

(أفنان): أغصان جمع فنن **(دوحة)**: واحدة الدوح، وهو الشجر العظيم **(الشرف)**:

العلو والْمجد، كنى عنه ﷺ بالدوح، وعن الآل بالأفنان، والْمُشَبَّهُ بالشيء قد لا يبلغ الْعُشْرَ من الْمُشَبَّهِ به، فتشبيهُهُ ﷺ بغيره من المخلوقات مطلقُ تشبيهٍ.

فقد امتدحه البلغاء قديماً، وما بلغوا قدراً يسمى من أوصافه ﷺ، بل هو كما قال الشاعر:

لسنا نسميك إجلالا و تكرمة فقدرك المعتلي عن ذاك يكفينا
إذِ انفردت وما شوركت في صفة فحسبنا الوصف إيضاحا وتبيينا

ولو عكست وشبَّهْتَ به غيرَه لكان كما قال الشاعر:

قد يبعد الشيء من شيء يشابهه إن السماء نظير الْماء في الزرق

وكما قال:

يا مصطفى من قبل نشأة آدم والكون لَم يُفتح له إغلاق
أيروم مخلوق ثناءك بعدما أثنى على أوصافك الْخلاق؟

تعريف الصحابي:

(وصحبه): مَنْ آمن به، واجتمع معه أوان حمل الدعوة، ولو مرة اتفاقاً، ومَن وُلدَ على عهده، وأمكن أن يراه ـ على المشهور ـ ولو لَمْ يروعنه شيئاً.

قال: حَدُّ الصحابِ مَن بأحمد اجتمع ...

(والتابعي): أي: التابعين، بحذف نون الجمع، لأنَّها قد تحذف اختياراً، كما في قراءة: ﴿**والمقيمي الصلاةَ**﴾ بنصب الصلاة **(نعم السلف)**

فعم المدحُ الصحابةَ وغيرَهم من التابعين وفي نسخة: **(وتابعي)** بحذف أداة التعريف، وإضافة تابعي إلى لفظ **(نعم السلف)**، وعليها فالمدح خاص بالصحابة.

❋ ❋ ❋

ما أرهفت وأرعفت يراعه ... في مهرق ينابع البراعه
وجلجل الرعد وسح مزنه ... وهب شمأل وماس غصنه

❖ **الشرح**: **(ما أرهفت)**: رقَّقت، **(وأرعفت)**: كتبت، **(يراعة)**: واحدة اليراع، وهو قصب تُبرى منه الأقلام، **(في مهرق)**: كمكرم الصحيفة، **(ينابع)**: جمع ينبوع للكثير من الماء، تنازع فيه أرهفت وأرعفت بالفاعلية، كما تنازعا في يراعة بالمفعولية، عَبَّرَ به عن كثرة العلم، **(البراعة)**: البلاغة في العلم والفهم وغيرهما **(وجلجل)**: صوَّت الرعدُ **(وسح)**: صب **(مزنه)** سحابه **(وهب)**: حرك **(شمأل)**: ما قابل الجنوب وفيها عشر لغات، عرضت عليها الجنوب نصرَه ﷺ، ليلة الأحزاب، فقالت: إن الحرة لا تسري بالليل، فنصره الله بالصبا، والشمألُ لا تكاد تهب إلا بالليل، ومهبُّها مابين مطلع النعش، ومسقط النسر الطائر، **(وماس)**: تحرك وتبختر **(غصنه)**: أي: غصن الشمأل، لتحركه عند هبوبه، أي: أحمد الله تعالى، وأصلي على نبيه، وآله، وصحبه، وتابعيهم، مادام هذا كله أبداً.

❋ ❋ ❋

وبعدُ فالعلم أهم ما الْهِمَمْ ... تنافست فيه وخير مغتنم
وخيرُه ـ والعلم تسمو رتبته ... من فضل ما دل عليه ـ سيرته

أهمية العلم:

❖ **الشرح**: **(وبعدُ)**: كلمة تُكسب الاقتضابَ شبهاً بالتخلص، والكلامُ عليها طويل، يخرجنا عما نحن بصدده، **(فالعلم)**: تصور الشيء على ما هو به، أي: وبعد الحمد لله والصلاة على نبيه وآله وصحبه فالعلم **(أهم)** أعظم

شأنا (**ما**): شيئاً (**الهمم**) جمع همة تنافست أي: رغبت وتفاخرت، قال تعالى ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ (**وخير مغتنم**): أي: مكتسب، لأنه مع فضيلته على غيره يبقى لصاحبه، ثم إذا كان لله ـ وقل أن يكون لغيره ـ يدخل معه قبرَه، ويشفع له يوم القيامة. قال علي ﷺ، بعد كلام طويل في الثناء على العلم وأهله:

ما الفضل إلا لأهل العلم إنَّهُمُ　　على الهدى لمن استهدى أدلاء
فاظفرْ بعلم ولا تجهلْ به أبدا　　الناس موتى و أهل العلم أحياء

والآثار الواردة في فضلِه على العبادة أشهر من أن تجهل، (**وخيره**):

أي: العلم (**والعلم تسمو**): ترتفع (**رتبته**): منزلته ودرجته (**من فضل ما دل عليه سيرته**)، والدليلُ على فضل سيرته أنها تدل عليه ﷺ، وعلى معرفة أصحابه ﷺ، وعلى مناقبهم، وأنسابهم، ووقائعهم المستلذة الذكر، لأنها ـ مع بركتها ـ تهدي مُتقنَها إلى العلوم الخطيرة، وتفيد صاحبَها حبَّ النبيّ ﷺ، وحبَّ أصحابه، وأَيُّ عمل ـ بعد الإيمان بالله والدعائم ـ أفضلُ من حبهم، وكيف يحب المرء من لا يعرف؟.

❋ ❋ ❋

فهاك منها نُبْذَةَ ليست تُمِلْ　　ولَم تكن بِمعظم القصد تُخل
أرجوزةَ على عيون الأثر　　جُلُّ اعتمادِ نظمها فِي السير

❖ **الشرح**: (**فهاك**): اسم فعل بمعنى خذ، والكاف فيه حرف خطاب تتصرف تصرف الكاف الاسمية، وقد تبدل همزة ومنه: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ أي: خذ أيها الطالب للعلم (**منها**)

أي: السيرة (**نبذة**): قطعة، وأصلُها ما ينبذ في فم الرحى، والمراد بِها ـ هنا ـ أبياتٌ قليلةٌ، (**ليست تُمِلْ**) طالبها (**ولم تكن بِمعظم القصد تُخل**): تترك وتنقص، أي: لا تترك معظمَ قصده من السيرة، وهي:

(**أرجوزة**): بحرها الرجز (**على عيون الأثر جل اعتماد**) مأخذ (**نظمها**

في السير): جمع سيرة أي: مأخوذة الجل من كتاب عيون الأثر للإمام العالم العلامة الحافظ أبي الفتح محمد بن محمد بن يحيى بن سيد الناس اليعمري، على الغزوات، ويدل قوله: **(جلُّ اعتماد... إلخ)** على أنه يأخذ من غيره من كتب التفسير والحديث والسير، كما فعل.

❋ ❋ ❋

وشد ما اجترأت في ذا الهدف إذ لم أكن أهلا لصوغ النتف
فكيف بالعقد لِما كان انتشر عن كثرة وفي المهارق ابذعر

تواضع الناظم رحمه الله:

❖ **الشرح**: **(وشد)**: أي: ما أشد **(ما)** الذي **(اجترأت)**: تجاسرتُ، افتعل من الجراءة **(في ذا الهدف)**: الغرض.

يقال: استهدف الشيء ارتفع وانتصب، قال عبدالرحمٰن بن أبي بكر لأبيه - بعد أن أسلم، رضي الله عنهما -: استهدفتَ لي يوم بدر، فأعرضتُ عنك، فقال له أبو بكر: أما إنك يا بني لو استهدفت لي لقتلتك، **(إذ لم أكن أهلا)** لكذا أي: مستوجباً له، يأتي للواحد والجمع، قال تعالى ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ **(لصوغ)**: أي: بناء الشيء وفعله على تحسين **(النتف)**: جمع نُتْفَةٍ - بالضم - وهو ما تنتفه بأصابعك.

(فكيف) أي: وأحرى **(بالعقد)**: نظم الخرز، واستعاره لنظم النثر: أي: جمعه **(لِما كان انتشر)**: أي: كان نثرا مفرقا **(عن)** مع **(كثرة وفي المهارق)**: جمع مهرق للصحيفة، كما تقدم **(ابذعر)**: تفرق، وهذا تواضع منه - رحمه الله - وهي عادة المؤلفين قبله، وفي حماد: أنه محط رحال العلم، لاسيما علم النحو والعربية، والأدب، والكتاب، والحديث، والفقه.

❋ ❋ ❋

لكن تطفلتُ على بركته وجاهه في نظم بعض سيرته
لعلها بالنظم هلهلا على مَن رامها نثرا تكون أسهلا

تطفل الناظم على بركته ﷺ:

❖ **الشرح**: **(لكن تطفلت)**: تطفل فلان إذا أتى بلا دعوة، وأصله طفيل بن زلال الكوفي، كان يأتي الولائم بلا دعوة، فسُمِّيَ طفيلَ العرائس، ونُسِبَ إليه كلُّ مَن يأتي بلا دعوة، **(على بركته)** ﷺ **(وجاهه في نظم بعض سيرته لعلها بالنظم)** حال كونها **(هلهلا)**: رقيقا، وشعر هلهل رقيق، ومنه مهلهل بن ربيعة ـ واسمه عدي ـ لأنه أول من هلهل الشعر: أي: رققه **(على من رامها)**: قصدها **(نثرا تكون أسهلا)** لأن النظم أيسر حفظاً من النثر.

❊ ❊ ❊

ولِـحـضـوره بـكـل ذهـن	**عـن ذكـره بِـمـضـمـر أسـتـغـنِـي**
وأسأل الـلَّـهَ سـدادَ الـنـظـر	**وعـصـمـةَ الْـخـاطـر مـن ذا الْـخـطـر**

حضوره في ذهن كل مسلم:

❖ **الشرح**: **(ولحضوره)** ﷺ **(بكل ذهن)**: أي: بذهن أي قلب كل أحد **(عن ذكره)**: أي: ذكر اسمه في كلام لم يذكر فيه قبلُ للاختصار كقوله: **(عن قتل آله نهى...)** و**(وإذ نهى عن قتل عمه.)** وهو سائغ في الحضور الحسي قال تعالى: ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِيۚ﴾، وحضورُه ﷺ بأذهاننا أعظم من الحضور الحسي، وهذا تنبيه منه على صنيعه **(بِمُضمر)**: أي: ضمير يعود عليه ﷺ **(أستغني)**.

سؤال الناظم العصمةَ من الرياء:

(وأسأل الله سداد النظر): أي: أن يسدد نظري في جميع الأمور الدنيوية والأخروية، **(وعصمة)**: أي: حفظ ومنع **(الخاطر)**: أي: خاطر قلبي **(من ذا الخطر)**: أي: الغرر، وهو هذا النظم، من أن يُوَسْوَسَ لي فيه بالرياء والعجب.

❊ ❊ ❊

وأن يـكـون لِـي ولا عـلـيـا   وعـنـد كـل أحـد مـرضـيـا
وأن يـكـون لـلـثـواب قـانـصـا   لـوجـهـه جـل وعـز خـالـصـا
مِـمَّـا يُـلَـبِّـس بـه إبـلـيـس   ولـلـهـوى فِـي طـيـه تـدلـيـس
بِـجـاه أفـضـل الـورى مـحـمـد   صـلـى عـلـيـه الله طـول الأبـد

❖ **الشرح**: (**وأن يكون**) هذا التأليف (**لي**) ثوابه (**ولا عليا**): أي: وأن لا يكون علي يقال دعا لفلان إذا كان خيراً ودعا عليه إذا كان شراً قال الله ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ (**وعند كل أحد مرضيا**): أي: مرضياً عند مَن سمعه، أو رآه، لأنه إن رضي به انتفع، وإلا فلا. (وأن يكون للثواب قانصاً): أي: صائداً (**لوجهه جل وعز خالصاً**): أي: صافياً (**مِمَّا يلبس به**): يخلط (**إبليس و**) صافياً مما (**للهوى في طيه تدليس**): غش الجيد بالرديء، أي وخالصاً أيضاً مما يدلس فيه الهوى أي يغش، ويتوجه بالنبي ﷺ في سؤال هذا كله فيقول:

(**بِـجـاه أفـضـل الـورى مـحـمـد   صـلـى عـلـيـه الله طـول الأبـد**)

❊ ❊ ❊

غزوة وَدَّان:

أول غـزوة غـزاهـا الـمـصـطـفـى   ودَّان فـالأبـواء أو تـرادفـا

❖ **الشرح**: (**الترادف**): أن يكون اللفظان مختلفين، ومعناهما واحد، أي أوهما غزوة واحدة، يقال لها: غزوة ودان وغزوة الأبواء، وهما موضعان بينهما ستة أميال، والأبواءُ بها قبر آمنة بنت وهب أمه ﷺ، خرج على رأس اثني عشر شهراً من الهجرة، يريد قريشاً وبني ضمرة، واستعمل على المدينة سعد بن عبادة، وحمل اللواء حمزة بن عبد المطلب.

قال محمد حامد:

في غـزوة الأبـواء خـلـف الـنـبـيّ   عـلـى الْـمـديـنـة شـفـيعُ الـمـذنـب

نجلَ عبادة وحمزةُ حمل   فيها اللواءَ الْماجدُ البدءُ البطل

فكانت فيها الموادعة بينه وبني ضمرة على أنهم لا يغزونه، ولا يكثرون عليه جمعا، ولا يعينون عليه عدوا، فرجع ﷺ ـ ولم يلق كيداً إلى المدينة، وكانت غيبته خمسَ عشرة ليلة.

❋ ❋ ❋

غزوة بُوَاطِ:

ثم بُوَاطٌ خرجوا لعير   أمية بنِ خلف السفسير

❖ **الشرح**: **(ثم بواط)**: كغراب: ماء، أو جبل على خمسة فراسخ من المدينة **(خرجوا)**: أي: خرج رسول الله ﷺ في مائتين من أصحابه، في شهر ربيع الأول حتى بلغ بواطاً من ناحية رضوى، واستعمل على المدينة السائبَ بنَ عثمان بن مظعون، وحمل اللواء سعدُ بن معاذ. قال محمد حامد أيضاً:

وفي بواط النبي استعملا   نجلَ ابن مظعون بها وحملا
فيها اللوا نجلُ معاذ، وأبا   سلمة لطيبة قد رتبا
وذاك في عشيرة وحملا   فيها اللوا حمزةُ فيما نقلا

خرج يريد عير قريش، فيها أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح أمه من ثقيف، قُتِلَ هو وابنه عَلِيٌّ يوم بدر، وصحب ابنه صفوان. وهذه العير مائة رجل من قريش، وألفان وخمسمائة بعير، ففاتته، فرجع، ولم يلق كيدا، وذلك هو معنى قوله: **(لعير أمية بن خلف السفسير)**: بالكسر السمسارُ والخادم والبائع والقائم بالأمر المصلح له، وهو الأنسب هنا.

❋ ❋ ❋

غزوة العشيرة:

ثُم العشيرة إلى عير أبي سفيان في ذهابِها للأرب

❖ **الشرح**: (**ثم العشيرة**): ماء لبني مدلج، ويقال فيها العشيراء، وبالسين المهملة فيهما، وهي التي يذكرها جعفر بن الزبير بن العوام - شقيق عبيدة، أمهما زينب بنت بشر من بني قيس بن ثعلبة - في شعره حيث قال:

مررنا على ماء العشيرة والهوى ... على ملل يا لهف نفسي على ملل
وقالوا صخيرات الثمام وقدموا ... أوائلهم من آخر الليل فالثقل

وملل اسم موضع وسُمِّيَ مللا، لأن الْماشي إليه من الْمدينة لا يبلغه إلا بعد جهد وملل، وهو على عشرين ميلا من المدينة، والعشيرةُ على ستة فراسخ منها.

واستعمل عليها أبا سلمة بن عبد الأسد، وحمل اللواء - وكان أبيض - حمزة بن عبد المطلب، (**إلى عير أبى سفيان**) بن حرب (**في ذهابها للأرب**): أي: الحاجة، يعنى أنه ﷺ خرج في جمادى الأولى من السنة الثانية في مائة وخمسين، وقيل مائتين من المهاجرين - ولم يُكره أحداً على الخروج - على ثلاثين بعيراً يعتقبونها، يتعرضون عير قريش، حين ابتدأت إلى الشام، فوجدوها فاتت بأيام.

وهي التي خرج إليها حين رجعت من الشام، فكانت سببا في الوقعة الكبرى، فأقام بالعشيرة بقية جمادى الأولى، وليالِيَ من جمادى الأخيرة، ووادع بني مدلج وحلفاءَهم من بني ضمرة في هذه الغزوة، ونسخة الموادعة: بسم الله الرحمٰن الرحيم، هذا كتاب من محمد ﷺ لبني ضمرة، فإنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم، وأن لهم النصرَ على من رامهم، وأن لا يحاربوا في دين الله مابل بحر صوفة، وأن النبيّ ﷺ إذا دعاهم لنصره أجابوه، عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله.

أول ما كنى ﷺ علياً أبا تراب:

وفي هذه الغزوة - من حديث ابن إسحاق - عن عمارة كنى رسول الله ﷺ علياً أبا تراب، حين وجده نائماً هو وعمار بن ياسر، وقد علق به التراب، فأيقظه عليه السلام برجله، وقال: «**ما لك يا أبا تراب؟**» لِما يرى عليه من التراب، ثم قال: «**ألا أخبركم بأشقى الناس رَجلين؟**» قلنا: بلى يا رسول الله قال: «**أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذه** - فوضع يده على قرنه - **حتى يبل هذه منها، وأخذ بلحيته**» وأحيمرُ ثَمود اسْمُه: قدار بن سالف، وأمه قديرة، وهو من التسعة الرهط المذكورين في سورة النمل.

وأصح من حديث بن إسحاق ما رواه البخاري في جامعه وهو: أن رسول الله ﷺ، وجده في المسجد، وهو نائم، وقد ترب جنبه، فجعل يحت التراب عن جنبه، ويقول: «**قم يا أبا تراب**» وكان قد خرج مغاضباً لفاطمة، رضي الله عنهما . اللَّهم إلا أن يكون رسول الله ﷺ كناه بها مرتين: مرةً في المسجد، ومرةً في الغزوة.

❋ ❋ ❋

بدر الأولى:

فبدر الأولى بإثر ناهب	**سرح المدينة مغذ هارب**
كرزِ بنِ جابرٍ وبعدُ استنقذا	**لقاحه مِمَّن عليها استحوذا**

❖ **الشرح**: (**فبدر الأولى بإثر ناهب**): غاصب (**سرح**): ما رعوا من أنعامهم أي: المال الراعي (**المدينة مغذ**): مسرع في سيره (**هارب**): مسرع خوفا، عطف بالفاء لأنه ﷺ لما رجع من العشيرة لم يقم بالمدينة إلا ليالِيَ قلائل، لا تبلغ العشرة، حتى أغار كرز بن جابر على سرح المدينة، فخرج ﷺ في طلبه، حتى بلغ واديا يقال له سفوان من ناحية بدر، فلم يدركه، واستعمل على المدينة زيد بن حارثة، وحمل اللواء علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قال:

في بدر الأولى النبيُ المصطفى زيدَ بن حارث الكريمَ خلفا
وفيه أيضا اللوا بلا خفا حمله علي خير الخلفا

(كرز بن جابر): بدل من ناهب، وجابرُ بن حسل بن لاحب بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر **(وبعد)** نَهْبه سرحَ المدينة أسلم، وصحب النبيَّ ﷺ، وهاجر.

وجعله النبيّ ﷺ على طلب العرنيين، فاستنقذ منهم لقاحه ﷺ، وجاء بهم أسارى، وسيأتي خبرهم إن شاء الله تعالى، ثم قُتل كرزٌ شهيداً مع رسول الله ﷺ يوم فتح مكة، وكان هو وخنيس بن خالد الخزاعي في خيل خالد بن الوليد فشذا عنه، فأخذا طريقاً غير طريقه، فقُتلا، رضي الله عنهما، وذلك معنى قوله: **(استنقذا لقاحه ممن عليها استحوذا)**: على الشيء استولى عليه، قال تعالى ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾.

تتمة: سرية عبدالله بن جحش:

جرت عادة المؤلفين أن يذيلوا بها هذه الغزوةَ لأنها أول عز الإسلام، ولِمَا فيها من العلم، فقد بعث رسول الله ﷺ عبدَالله بن جحش مُنقلبَه من بدر الأولى، ومعه ثمانية رهط، مِن المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد، وكتب له كتاباً، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين، ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره به، ولا يستكره أحداً من أصحابه **(ومن هذا الكتاب أخذ العلماء جواز المناولة)**.

وأصحابُ عبدالله: أبو حذيفة بن عتبة، وعكاشةُ بن محصن ـ ابن عم عبدالله، وهما حليفا بني عبد شمس ـ وعتبةُ بن غزوان المازني ـ حليف بني نوفل بن عبد مناف ـ وسعدُ بن أبي وقاص، وخالدُ بن البكير، وسهلُ بن بيضاء، وواقدُ بن عبدالله التميمي، ثم اليربوعي، حليف بني عدي، وعامرُ بن ربيعة العنزي.

وعامر هذا هاجر إلى الحبشة والمدينة مع امرأته ليلى بنت حنتمة بن غانم، وهي أول ظعينة قدمت المدينة، ومن أول المهاجرات إلى الحبشة، وشهد هذه السرية وبدراً وما بعدهما، واستشهد بالطائف هو وابنه عبدالله الأكبر.

فلما سار عبدالله يومين فتح الكتاب، فنظر فيه فإذا فيه: «**إذا نظرت في كتابي، فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم**».

فلما نظر في الكتاب قال: سمعا وطاعة، ثم قال ذلك لأصحابه، وقال: قد نهاني أن أستكره أحدا منكم، فمضوا، ولم يتخلف منهم أحد، وسلك على الحجاز، حتى إذا كان بمعدن فوق الفُرع الذي يقال له بحران، أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يتعاقبانه، فتخلفا عليه في طلبه، ومضى عبدالله بن جحش وأصحابه حتى نزل بنخلة.

مرور عير قريش بِهم:

فمرت بهم عير لقريش فيها عمرو بن الحضرمي، وعثمان بن عبدالله بن المغيرة، وأخوه نوفل المخزوميان، والحكم بن كيسان، مولى هشام بن المغيرة، فلما رآهم القوم هابوهم، وقد نزلوا قريبا منهم، فأشرف عليهم عكاشة بن محصن ـ وكان قد حلق رأسه ـ فلما رأوه أمنوا، وقالوا: عُمَّارٌ، لا بأس عليكم منهم، فتشاور القوم فيهم، وذلك في آخر يوم من رجب، فقال القوم: والله لئن تركتم القوم في هذه الليلة ليدخلن الحرم، فيَمْتَنِعُوا منكم به، ولئن قتلتموهم لتقتلنَّهم في الشهر الحرام، فتردد القوم، وهابوا الإقدام عليهم، ثم شجعوا أنفسهم عليهم، وأجمعوا على قتل من قدروا على قتله منهم، وأخذِ ما معه، فرمى واقد بن عبدالله التميمي عمرَو بن الْحضرمي فقتله، واستأسر عثمان بن عبدالله، والْحكم بن كيسان، وأفلت من القوم نوفل بن عبدالله فأعجزهم.

رجوع السرية بالعير والأسيرين:

وأقبل عبدالله بن جحش وأصحابه بالعير والأسيرين، حتى قدموا على رسول الله ﷺ، المدينة، وقد ذكر بعضهم أن عبدالله قال لأصحابه: إن لرسول الله ﷺ الخمسَ مِما غنمنا ـ وذلك قبل فرض الخمس من الغنائم ـ فَعَزَلَه لرسول الله ﷺ، وقسم سائر العير بين أصحابه، فلما قدموا عليه ﷺ، قال: «**ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام**» فوقف العير والأسيرين، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً، فلما قال ذلك رسول الله ﷺ سُقِطَ في أيدي القوم، وظنوا أنهم هلكوا، وأنبهم إخوانهم من المسلمين على ما صنعوا، وقالت قريش: قد استحل محمد وأصحابُه الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدماء، وأخذوا الأموال، وأسروا الرجال، فقال مَن يرد عليهم ـ من المسلمين مِمَّن بمكة ـ: إنما أصابوا ما أصابوا بشعبان.

وقالت اليهود تتفاءل على رسول الله ﷺ: عمرو بن الحضرمي، قتله واقد بن عبدالله، عمرو: عُمِّرَت الحرب، والحضرمي: حَضَرَت الحرب، وواقد: وقدت الحرب، فجعل الله ذلك عليهم، لا لَهم.

فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله تعالى ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ ففرَّج الله عن المسلمين ما كانوا فيه، فأخذ رسول الله ﷺ العير والأسيرين، فبعثت إليه قريش في فداء عثمان بن عبدالله، والحكم بن كيسان، فقال ﷺ: «**لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا ـ** يعني سعد بن أبي وقاص، وعتبة بن غزوان ـ **فإنا نخشاكم عليهما، فإن تقتلوهما نقتل صاحبيكم**» فقدم سعد وعتبة، ففداهما رسول الله ﷺ منهم.

فأما الحكم بن كيسان فأسلم وحسن إسلامه، وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً، وأما عثمان بن عبدالله فلحق بمكة، فمات بها، أو قتل يوم أحد كافراً.

فلما تجلى عن عبدالله وأصحابه ما كانوا فيه عند نزول القرآن طمعوا في الأجر فقالوا: يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطى فيها أجر المجاهدين؟ فأنزل الله فيهم:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ...﴾ فوضعهم الله في ذلك على أعظم الرجاء.

وهي أول غنيمة غنمها المسلمون، وعمرو بن الحضرمي أول من قتله المسلمون، وعثمان والحكم أول أسيرين للمسلمين، وفي هذه السرية يقول أبو بكر الصديق ﷺ - ويقال لعبدالله بن جحش ﷺ -:

تعدون قتلا في الحرام عظيمة	وأعظم منها لو يرى الرشد راشد
صدودكُم عما يقول محمد	وكفر به والله راء وشاهد
فإنا وإن عيَّرتُمونا بقتله	وأرجف بالإسلام باغ وحاسد
سقينا من ابن الحضرمي رماحنا	بنخلة لما أوقد الحرب واقد
دماً وابنُ عبدالله عثمانُ بيننا	ينازعه غِلٌّ من القد عاند

وفي هذه السرية سمي عبدالله بن جحش أمير المؤمنين.

❊ ❊ ❊

غزوة بدر الكبرى:

فبدر الكبرى لعير صخر آئبةً من شامها بالكثر

❖ **الشرح**: **(فبدر الكبرى)**: بدر اسم بئر حفرها رجل من غفار اسمه بدر، وقيل: سميت ببدر بن قريش بن يخلد بن النضر بن كنانة الذي سميت قريش به **(لعير)**: الإبل التي تحمل الطعام وهذه العير ألف بعير، وخمسون ألف دينار، فيها ثلاثون رجلا منهم: مخرمة بن نوفل، وعمرو بن العاص، ولم يكن لحويطب بن عبد العزى فيها شيء، ولذلك لم يخرج مع النفير **(صخر)** هو أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، ويكنى أبا حنظلة، بابنه الذي قتل يوم بدر كافراً، شقيق أمنا أم حبيبة، أمهما صفية بنت أبي العاص بن أمية، وأم أبي سفيان صفية بنت حزن، عمة أمنا ميمونة وأم الفضل **(آئبة)**: راجعة، والإيابُ الرجوع، **(من شامها بالكثر)**

أي: بالكثير، وتقدم عددها قريباً، وكانت هذه الوقعة يوم الجمعة سبعة عشر رمضان، في العام الثاني من الهجرة.

خرج رسول الله ﷺ حتى عسكر على بئر أبي عتبة، وهي على ميل من المدينة، فرد مَن استصغر، وخرج في ثلاثمائة وخمسة عشر رجلاً: أربعة وستون من المهاجرين، وسائر الجيش من الأنصار.

ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير، وكان أبيض، وقيل لواء الخزرج بيد الحباب، ولواء الأوس بيد سعد بن معاذ. قال بعضهم:

ومصعب نجل عمير حملا ... في بدر الكبرى اللواء فاعقلا
وقال بعضهم لواء الخزرج ... حبابُهم، وأوسهم سعد يجي

خرج ﷺ يعترض عير أبي سفيان التي خرج إليها حتى بلغ العشيرة، ثم نزل يتحراها، حتى سمع بإقبالها من الشام، فندب الناس إليها قال: «**هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها**» فبعث سعيد بن زيد، وطلحة بن عبيدالله يتحسسان خبرها.

❋ ❋ ❋

واعتقبوا في ذلك المسير ... كل ثلاثة على بعير
ولَم يكونوا أوعبوا للحرب ... إذ ما غزوا لغير نَهب الركب
وليس عندهم من السيوف ... غير ثَمان للعدى حتوف
ولا من الْخيل سوى اثنتين ... وقد كفتهم أهبة التمكين

عدد الظهر والسلاح عند المسلمين:

❖ **الشرح**: **(واعتقبوا)**: أي: المسلمون، وعدة إبلهم سبعون بعيراً **(في ذلك المسير)** ومنهم مشاة لا ظهر لهم **(كل ثلاثة على بعير)** وكان ﷺ وعلي ومرثد بن أبي مرثد ـ واسم مرثد كناز بن الحصين الغنوي، حليف حمزة بن عبد المطلب، شهد هو وابنه مرثد بدراً ـ على بعير، وإذا كانت عقبته ﷺ قالا: اركب حتى نمشيَ عنك، فيقول: «**ما أنتما بأقوى مني على**

المشي ولا أنا بأغنى منكما عن الأجر» وأبو بكر وعمر وعبدالرحمٰن بن عوف على بعير.

(ولم يكونوا أوعبوا): تهيأوا **(للحرب)**: أي: لم يخرجوا جميعهم، بل خرج بعض، وثقل بعض، ولو علموا أنه ﷺ يلقى الحرب لأوعبوا، لكن **(إذ ما غزوا لغير نهب)**: أخذ وغصب **(الركب)**: أي: العير، قال تعالى ﴿وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ﴾.

(وليس عندهم): أي: الصحابة ﷺ **(من السيوف غير ثمان للعدى)**: جمع عدو **(حتوف)**: أي: كثيرة الإهلاك للأعداء إذا كانت بأيدي الصحابة **(ولا من الخيل سوى اثنتين)**: بعزجة فرس المقداد بن عمرو، والنيل فرس مرثد بن أبي مرثد، واختُلف في فرس الزبير اليعبوب، هل عنده ذلك اليوم أم لا؟ وأما خيل النبيّ ﷺ إنما كانت بعد ذلك **(وقد كفتهم)**: أي: كفاهم الله مؤنة **(أهبة)**: عدة **(التمكين)**: وهو المنزلة عند الله ـ والإعداد له بالإيمان والإخلاص ـ عن الإعداد للحرب بالسلاح ونحوه.

❊ ❊ ❊

واستنفر النفيرَ صخرٌ لَهم وجاء خيرَ مرسل ألْبُهم

استنفار أبي سفيان قريشاً لإنقاذ العير:

(واستنفر): طلب نفيرا **(النفير)**: الجيش **(صخر لهم)** وصخر هو أبو سفيان **(وجاء)**: بلغ **(خير مرسل ألبهم)** اجتماعهم، يقال: هم عليه أَلْبٌ واحد أي مجتمعون. قال حسان ﷺ:

والناس ألب علينا فيك ليس لنا إلا السيوفَ وأطرافَ القنا وزرُ

وكتب إليه العباس بذلك، وكان أبو سفيان يتحسس الأخبار حين دنا من الحجاز، حتى أصاب خبرا عن بعض الركبان أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري، وبعثه إلى قريش، فأسرع ضمضم إلى مكة، حتى إذا كان ببطن الوادي وقف

على بعيره، وقد جدعه، وحوَّل رحله وشق قميصه، وهو يصرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة، أموالكم مع أبي سفيان قد اعترضها محمد وأصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوثَ الغوث، فتجهز الناس سراعا وهم يقولون: يظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي! كلا، والله ليعلمن غير ذلك، وأوعبت قريش، ولم يتخلف من أشرافهم إلا أبو لهب، تخلف، وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة، وكان قد لاط له بأربعة آلاف درهم كانت له عليه أفلس بها.

مَجيء إبليس في صورة سراقة بن مالك:

فلما فرغوا من جهازهم قالوا: إنا نخاف من بني بكر بن كنانة أن يأتونا من خلفنا، فتبدَّى لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك المدلجي - وكان من أشراف كنانة - فقال: أنا لكم جار أن تأتيكم كنانة بشيء تكرهونه، فاخرجوا، وإنه لا غالب لكم اليوم من الناس، وإني جار لكم، ورآه عمير بن وهب والحارث بن هشام حين نكص على عقبيه عند نزول الملائكة، وهو يقول: إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله رب العالمين، فلم يزل بهم حتى أوردهم وأسلمهم. وفي ذلك يقول حسان بن ثابت ﷺ:

سرنا فساروا إلى بدر لِحَيْنهم ... لو يعلمون يقين الأمر ما ساروا
دلاهمُ بغرور ثم أسلمهم ... إن الخبيث لمن والاه غرار

ويروي أنهم رأوا سراقة بمكة بعد ذلك فقالوا له: يا سراقة أخرقت الصف وأوقعت فينا الهزيمة؟ فقال: والله ما علمت بشيء من أمركم حتى كانت هزيمتكم، وما شهدت، وما علمت، فما صدقوه حتى أسلموا، وسمعوا ما أنزل الله فيه، فعلموا أنه إبليس تَمثَّل لهم.

قول اللعين: إني أخاف الله:

وقول اللعين: إني أخاف الله رب العالمين، لأهل التأويل فيه أقوال:

١ ـ **أحدها**: أنه كاذب في قوله: إني أخاف الله رب العالمين، لأن الكافر لا يخاف الله.

٢ ـ **الثاني**: أنه رأى جنود الله تنزل من السماء فخاف أن يكون اليوم الموعود الذي قال الله تعالى فيه ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾.

٣ ـ **الثالث**: أنه خاف أن تدركه الملائكة لِما رأى من فعلهم بحزبه الكافرين.

❊ ❊ ❊

فأخبر الناسَ بِهم مُمتحنا ... فقال سعد ما رأى وأحسنا

وكان من روية الْمقداد ... أن رضي السير إلى الغِماد

إخباره ﷺ أصحابَه بِخبر الْجيش:

❖ **الشرح**: **(فأخبر)** ﷺ **(الناس)**: أي: الصحابة **(بهم)**: أي: بقدوم جيش قريش **(ممتحنا)**:

أي: مختبرا لهم، لأنه ﷺ، كان يتخوف أن تكون الأنصار لا ترى أن عليهم نصرتَه إلا لمن دهمهم بالمدينة، لكونهم ليلة بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذاً نمنعك بما نمنع به أُزُرَنا.

(وقال سعد) بن معاذ (ما رأى وأحسنا): وأبوه معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبدالأشهل، الأوسي ثم الأشهلي، أمه كبشة بنت أبي رافع، وسيأتي بعض مناقبه في غزوة بني قريظة، إن شاء الله تعالى.

وسبب قول سعد أنه ﷺ قال: «**أشيروا عليَّ**»، فقال سعد: لعلك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «**أجل**»، فقال سعد: قد آمنا بك، وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض، يا رسول الله، لِما تريد، فنحن معك، والذي

بعثك بالحق بشيراً ونذيراً لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنَّا لَصُبُرٌ في الحرب، صُدُقٌ عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقرّبه عينك، فسر بنا على بركة الله.

رأي المقداد بن عمرو رضي الله عنه:

(وكان من روية) من رويت الأمرَ إذا نظرت فيه **(المقداد)**: هو ابن عمرو، من بني بهراء، حليف بني زهرة، وكان تبناه الأسود بن عبد يغوث ويقال له المقداد بن الأسود حتى نزلت ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾ فلم يقبل المقداد ذلك التبني، بل انتسب إلى أبيه وقبيلته.

وتزوج ضباعةَ بنتَ الزبير بن عبد المطلب، فولدت له فاطمة بنت المقداد، رضي الله عنها، **(أن رضي السير إلى الغُماد)**: بالتثليث موضع هو أقصى معمور الأرض، وقال: والله لو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك ولا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا معكم مقاتلون، فقال له ﷺ خيراً، ودعا له بخير.

❊ ❊ ❊

وعمر استقل جيش الحنفا	**واستكثر الذي إليه زحفا**
وسبقوا صخرا لبدر وانتحى	**وأخذوا واردة وزحا**
عنها النبيُّ الضربَ إذ قالا: هما	**واردة النفير فاستفتاهما**

❖ **الشرح**: **(وعمر)** هو أمير المؤمنين أبو عبدالله سيدنا ابن الخطاب رضي الله عنه، أمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة المخزومية، ومناقبه أشهر وأكثر من أن تحصى **(استقل جيش الحنفا)**: جمع حنيف، يعني بهم الصحابة رضي الله عنهم لأنهم على الحنفية، وهي دين إبراهيم، على نبينا وعليه أفضل الصلاة

والسلام، إذ هم ثلاثمائة رجل وثلاثة عشر **(واستكثر الذي إليه زحفا)**: مشى، والزحف الجيش، إذ هم ألف.

يعني أن عمر استقل جيش المسلمين شفقة عليهم، لِمَا رأى من كثرة المشركين، واستكثرهم غيظا بهم، قال: يا رسول الله إنها لقريش وعزها، والله ما ذلت منذ عزت ولا آمنت منذ كفرت، والله لتقاتلنك، فتأهب لذلك أهبته، واعدد لذلك عدته.

نزوله ﷺ بدراً:

(وسبقوا) أي: المسلمون **(صخرا)**: بن حرب وهو أبو سفيان **(لبدر وانتحى)**: مال عن الطريق ـ وسيأتي سبب ذلك إن شاء الله تعالى ـ يعني أن النبيّ ﷺ لَمَّا قال له سعد ما قال سُرَّ به ونشط له، وارتحل من ذفران ـ واد كان نازلاً به ـ حين بلغه خروج قريش يريدونه، حتى نزل قريباً من بدر، فركب هو وأبو بكر الصديق ﷺ حتى وقفا على شيخ من العرب، فسألاه عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم؟ فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني مِمَّن أنتما؟ فقال ﷺ: «**إذا أخبرتنا أخبرناك**»، فقال الشيخ: ذاك بذاك؟ قال: «**نعم**»، قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا ـ للمكان الذي به النبيّ ﷺ ـ وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا، فإن كان الذي أخبرني صدق فهم اليوم بمكان كذا ـ للمكان الذي به قريش ـ فلما فرغ من خبره قال: مِمن أنتما؟ فقال النبيّ ﷺ: «**نَحن من ماء**»، ثم انصرفا عنه وهو يقول: ما مِنْ ماءٍ؟ من ماء العراق؟. ثم رجع ﷺ إلى أصحابه.

أخذُ المسلمين واردةَ الجيش:

(وأخذوا واردة): يعني أنه ﷺ لَما أمسى من رجوعه هو وأبو بكر، بعث عليا والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون الخبر له ﷺ، فأصابوا واردة قريش، فيها أسلم غلام بني

الحجاج وعُريض أبو يسار غلام بني العاص بن سعيد، فأتوا بهما وسألوهما ـ ورسول الله ﷺ قائم يصلي ـ فقالا: نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء، فكره القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لأبي سفيان فضربوهما، فلما آذوهما قالا: نحن لأبي سفيان فتركوهما. وركع رسول الله ﷺ وسجد سجدتين، ثم سلم وقال: «**إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا كذباكم تركتموهما، صدقا والله إنَّهما لِقريش أخبراني عن قريش؟**» قالا: هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى.

سؤاله ﷺ الواردةَ:

قال: «**كم هم؟**» قالا: كثير، قال: «**ما عدتُهم؟**» قالا: لا ندري، قال: «**كم ينحرون كل يوم؟**» قالا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً، قال ﷺ: «**القوم ما بين التسعمائة والألف**»، ثم قال لهما: «**فمن فيهم من أشراف قريش؟**» قالا: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، وطعيمة بن عدي، والنضر الحارث، وزمعة بن الأسود، وأبو جهل، وأمية بن خلف، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وسهيل بن عمرو ـ وقُتل هؤلاء كلهم على الكفر ذلك اليوم إلا حكيمَ بن حزام، وسهيل بن عمرو أسلما يوم الفتح ـ فقال ﷺ: «**هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها**» وذلك معنى قوله:

(وزحزحا): أي: دفع **(عنها النبيّ الضرب إذ)**: حين **(قالا هما واردة النفير فاستفتاهما)**: أي: يسألهم عن الكلام المتقدم.

أول وآخر من نَحر للمشركين في الطريق:

وأول من نحر لهم أبو جهل، نحر لهم عشراً يوم خروجهم وآخرهم مقيس الجمحي، نحر لهم على ماء بدر تسعاً، ثم شغلتهم الحرب، وبعث لهم إيماء بن رخصة الغفاري جزائر مع ابنه خفافا أهداها لهم، وقال: إن أحببتم أن نُمدكم بسلاح ورجال فعلنا، فأرسلوا إليه مع ابنه: أن وصلت

رحمك، وقد قضيت الذي عليك: فإن كنا إنما نقاتل الناس فما بنا من ضعف، وإن كنا إنما نقاتل الله ـ كما زعم محمد ـ فما لأحد بالله من طاقة، وأسلم إيماء و ابنه خفاف ورخصة أبوه.

❋ ❋ ❋

وعـنـد مـا أمـن صـخـر أرسـلا إلـى الـنـفـيـر أن يـؤوب قُـفَّـلا
ورد الاخـنـسُ الْـمـسـوَّد عـلـى حـلـفِ بـنـي زهـرة وازداد عـلا

إرسال أبي سفيان إلى قريش بالرجوع:

❖ **الشرح**: (**وعندما أمن صخر**) من النبيّ ﷺ وأصحابه، وسببُ أَمْنِهِ أنه خرج بسبسُ بنُ عمرو، وعديُّ بنُ أبي الزغباء حتى نزلا قريباً من بدر، فأناخا على تل قريب من الماء، فاستقيا بشن لهما، ومجدي بن عمرو الجهني على الماء، فسمع بسبسٌ وعديٌّ جاريتين ـ من جواري الحاضر ـ تلازمتا، فقالت الملزومة لصاحبتها: إنما تأتي العير غداً أو بعده فأعمل لهم فأقضيك مالَك، فقال مجدي: صدقتْكِ، فخلص بينهما، فسمع ذلك بسبس وعدي فأخبرا به النبيَّ ﷺ.

وأقبل أبو سفيان يتقدم عيره حَذِراً حتى ورد الماء، فقال لمجدي: هل أحسست شيئاً؟ قال: ما رأيت شيئاً أنكره إلا راكبين أناخا إلى هذا التل ثم استسقيا بشن لهما فانطلقا، فأتى أبو سفيان مُناخَهما فأخذ من أبعار بعيريْهما ففتته وشمه، فإذا فيه النوى، فقال: هذه والله علائف يثرب، فرجع إلى أصحابه سريعاً فضرب وجه عيره عن الطريق، فساحل بها وترك بدراً بيساره حتى نجا. ولم يذكر لمجدي هذا إسلام، وفي الصحابة اثنان اسم كل منهما مجدي بالضم، وليس منهما (**أرسلا إلى النفير**): الجيش (**أن يؤوب**): يرجع (**قفلا**): جمع قافل بمعنى راجع، يعني أن أبا سفيان لما أحرز نفسه وعيره أرسل إلى قريش إنما خرجتم لتمنعوا أموالكم وعيركم وقد نجاها الله فارجعوا.

رجوع الأخنس ببني زهرة:

(ورد الاخنس): بن شريق الثقفي حليف بني زهرة وسيدهم - ويقال: إنه ما ساد حليف غيره - **(المسود)**: المجعول سيدا **(على)** مع **(حلف)**: محالفة **(بني زهرة وازداد علا)**: في الجاهلية، إلا أنه نافق في إسلامه - نسأل الله العافية - ونزلت فيه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾ قال لبني زهرة: قد نجى الله لكم أموالكم، وأخلص لكم صاحبكم، وإنما نفرتم لتمنعوه وماله، فاجعلوا لي جبنها وارجعوا، فإنه لا حاجة لكم بمحمد وأصحابه، لا ما يقول هذا - يريد أبا جهل - فرجعوا، ولم يشهدها زهري ولا عدوي.

وقيل: سبب رده لهم أنه خلا بأبي جهل حين تراءى الجمعان فقال له: أترى أن محمدا يكذب؟ فقال: كيف يكذب على الله، وقد كنا نسميه الأمين لأنه ما كذب قط؟ ولكن إذا اجتمعت في بني عبد مناف السقاية والرفادة والمشورة، ثم تكون فيهم النبوة فأي شَيْءٍ يبقي لنا؟ فحينئذ خنس الأخنس ببني زهرة، وكان اسمه أُبَيّاً، فسمي الأخنس لذلك.

❊ ❊ ❊

وابن هشام قال: لا، أو يردا	**بدرا فينحر ويرهب العدى**
فطاوعوه ومضوا وباتوا	**بشر ما بات به بغاة**
عن كثب وأصبحوا بوحل	**ثبطهم.............**

إصرار أبي جهل على عدم الرجوع:

❖ **الشرح**: **(وابن هشام)** هو الخبيث عمرو أبوجهل، تقول له العرب: أبو الحكم، فغيَّره ﷺ بأبي جهل، وأبوه هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم، وأمه أسماء بنت مخرمة بن جندل من بني دارم، وهي أيضاً أم أخيه الحارث رضي الله عنه، وأم عبدالله وعياش ابني ربيعة، **(قال)** لما أرسل إليهم أبو سفيان أن يرجعوا فأرادوا الرجوع (: **لا**) يرجع **(أو)** أي: حتى **(يردا)** يأتي **(بدرا فينحر)** جزره، ويشرب الخمر، وتعزف

عليه القينات **(ويرهب)**: يخوف ويفزع **(العدى)**: أي: أعداءه، وتسمع به العرب، وكانت بدر من مواسم العرب، يجتمع لهم بها سوقٌ في كل عام.

مطاوعة قريش لأبي جهل:

(فطاوعوه): أي: طاوعت قريش أبا جهل في عدم الرجوع **(ومضوا وباتوا)** يعني قريشاً **(بشر ما بات به بغاة)**: جمع باغ وهو الظالم، وصفهم بالبغي وهم أهله **(عن كثب)**: قُرْبٍ **(وأصبحوا بوحل)**: الطين الرقيق ترتطم فيه الدواب أي لا تكاد تخرج منه **(ثبطهم)** يعني أن قريشاً لما أتوا بدرا ونزلوا بالعدوة القصوى، باتوا بها بشر ليلة من السهر والريح والبرد والجزع، لا يقدر أحدهم أن يذهب لحاجته، وإن صهل لهم فرس ضربوه، وأرسل الله عليهم السماء فآذتهم، ووحلت أرضهم حتى لا يقدرون على المشي عليها.

❊ ❊ ❊

....	.........وبات خير مرسل
بِخير ليلة وأصبح على	**أثبت أرض للخطى وارتَحلا**
فنَزلوا أدنَى الْمياه للعدى	**وغوروا جميعَهُنَّ ما عدا**
قليبِهم وجعلوا الأوانِي	**في جدول فهْي لَهم دوان**

❖ **الشرح**: **(وبات خير مرسل)** ﷺ على خلاف ذلك كله **(بخير ليلة)** آمنة في عافية وكل خير، حتى احتلم أصحابه ليلتئذ **(وأصبح على أثبت أرض للخطى)** وأرسل الله عليهم السحاب فلبدت لهم الأرض ـ وكانت دهساً ـ وتطهروا بها **(وارتحلا)** وبادرهم النبيّ ﷺ، حتى نزل أدنى ماء من بدر.

رأي الحباب رضي الله عنه:

(فنزلوا أدنى): أي: أقرب **(المياه)**: جمع ماء **(للعدى)**: وهم هنا

قريش، برأي الحباب بن المنذر، لأنه لما نزل ﷺ أدنى ماء من بدر قال: يا رسول الله ﷺ أرأيت هذا المنزل أَمَنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم عنه ولا نتأخر، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال: «**بل هو الرأي والحرب والمكيدة**» قال: يا رسول الله إن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فتنزله، ثم تغور ما وراءه من القلب، ثم تبني عليه حوضاً فتملأه ماء، فتشرب ولا يشربون، فقال ﷺ: «**لقد أشرت بالرأي**» وهذا هو قوله: (**وغوروا**): هدموا (**جميعهن**): أي: الْقُلُب (**ماعدا قليبِهم وجعلوا الأواني**): جمع آنية (**في جدول**): حوض (**فهي**): أي: الأواني (**لهم دوان**): جمع دانية أي: قريبة.

وقيل نزل جبريل على رسول الله ﷺ فقال: «**الرأي ما أشار به الحباب**» **قوله**: (**وغوروا**) روي بالإعجام وتشديد الواو، وبالإهمال وسكون الواو. فارتحل رسول الله ﷺ، ففعل ما أشار به الحباب، حتى نزل أدنى ماء من القوم، فغور الْقُلُبَ وبنى الحوض وملأه ماءً وقذف فيه الآنية.

❊ ❊ ❊

وأقبلت بالْخيلا والكبريا	**إلى الْمصارع الزحوف الأشقيا**
لو طاوعوا عتبةَ أو حكيمَا	**أو ابنَ وهب ما رأوا أليما**
لكونِهم إلى القفول أرشدوا	**من بعد ما أشفوا على ما وردوا**

❖ **الشرح**: (**وأقبلت بالخيلا**): الكبر (**والكبريا**): الكبر أيضاً (**إلى المصارع**): جمع مصرع: وهو حيث يصرع أحدهم: أي يقتل (**الزحوف**): الجيوش، جمع زحف (**الأشقيا**).

يقول: أقبلت قريش بخيلائها وكبريائها إلى مصارعهم التي ذكر النبيّ ﷺ لأصحابه، حين سُرَّ ونشط لقول سعد والمقداد فقال: «**إن الله وعدني إحدى الطائفتين** ـ يعني العيرَ والنفيرَ ـ **والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم**»، فلما رأى النبيّ ﷺ قريشاً تصوب من الكثيب قال: «**اللّهم هذه**

قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك ـ أو تجادلك ـ وتكذب رسولك، اللّهم فنصرك الذي وعدتني، اللّهم أحنهم الغداة».

مقال عتبة وحكيم وابن وهب لقريش:

(لو طاوعوا) أي: قريش **(عتبة)** بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمه وأم أخيه شيبة هند بنت الظرب بن وهب العامرية، عامر بن لؤي، وهما أهل البراز يوم بدر **(أو حكيما)**: هو ابن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، أمه فاختة بنت زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى، ولدته في جوف الكعبة، وطرحت الثياب التي ولدته فيها في الحطيم، وذلك شرع الجاهلية، وتسمى تلك الثياب اللقى، نجا حكيم بن حزام يوم بدر، وأسلم يوم الفتح، ومناقبه كثيرة **(أو ابن وهب)** هو عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح، وكان يقال لعمير: شيطان العرب، وهو الذي حزر أصحابه ﷺ، وقال: ثلاثمائة، يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا، ولكن أمهلوني حتى أنظر أَلَهم كمين أو مدد أم لا؟ فاستجال فرسه في الوادي حتى أبعد، فقال: ما رأيت شيئاً، ولكن رأيت يا معشر قريش أن لا تعرضوا وجوهكم، التي كأنها المصابيح لوجوه كأنها الحيات، رأيتُ البلايا تحمل المنايا نواضح يثرب تحمل الموت الناقع، قوم ليس لهم منعة إلا سيوفهم، والله لا يُقتل رجلٌ منهم حتى يَقتل رجلاً منكم، فإذا أصابوا منكم عددهم، فلا خير في العيش بعد ذلك، فرَوا رأيكم، فقالوا: دع هذا عنك، وحرش بين القوم، فهو أول من رمى بنفسه وفرسه أصحابَ رسول الله ﷺ.

مُحاولة عمير بن وهب قتله ﷺ:

وأسر يومئذ ابنه وهب، وجلس يوما مع صفوان بن أمية بعد وقعة بدر بيسير في الحجر ـ وكان ممن يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه ـ فقال لصفوان: أما والله لولا دين عليَّ، ليس عندي قضاؤه، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لي فيهم عِلَّة: ابني أسير

عندهم، فقال صفوان: دينك علي وعيالك مع عيالي يصيبهم ما أصابهم، فقال عمير: اكتم شأني وشأنك فقال: أفعل، وشحذ له سيفه وسمه، ثم انطلق حتى قدم على رسول الله ﷺ، وهو على نيته التي خرج بها عن صفوان، فأناخ بالمسجد، وهو متوشح السيف، وعمر في ناد من الأنصار يتحدثون بوقعة بدر، فقال: هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب، ما جاء إلا لغدر، فقوموا فاجلسوا مع رسول الله ﷺ.

فقام إليه فلَبَّبَه إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، هذا عدو الله عمير بن وهب الذي حزرنا يوم بدر، فسأله النبيّ ﷺ عن خبره، فقال: جئت في أسير عندكم، فقال: «**ما بال السيف؟**» فقال: قبحها الله من سيوف، وهل أغنت عنا يوم بدر؟ فقص عليه النبيّ ﷺ، ما سار به عن صفوان وسارَّه به، فقال: أشهد أنك رسول الله ﷺ، كنا نكذبك بما تأتي به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لَمْ يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق، فأسلم وأسلم ابنه، فقال ﷺ: «**فقهوا أخاكم في دينه وأقرؤوه القرآن وأطلقوا له أسيره**» ففعلوا ذلك، ولم يرجع إلى مكة إلى أن سار مع رسول الله ﷺ غازيا يوم الفتح، فشهدها وما بعدها، وعاش إلى صدر خلافة عثمان، رضي الله عنهما، وأمه سخيلة بنت هاشم بن سعيد بن سهم، السهمية، (**ما رأوا أليما**) يقول: لو طاوعت هؤلاء النفرَ الثلاثةَ قريش لم يَلْقَوْا مؤلِماً (**لكونهم إلى القفول**): أي: الرجوع (**أرشدوا**): دلُّوا عليه، وأمروا به (**من بعد ما أشفوا**): دنوا وقربوا (**على**): أي: من (**ما**) الذي (**وردوا**): وهو بدر. أما عتبة فقال فيه النبيّ ﷺ وقد رآه على جمل أحمر «**إن يك فيهم خير ففي صاحب الجمل الأحمر إن يطيعوه يرشدوا**» وقيل: إن الجملَ أبيضُ، وكانت العرب تتفاءل بالحمرة عن البياض كراهة البرص.

❊ ❊ ❊

وقال عمرو وبأنفه شَمخ	**ثانية: سحر عتبة انتفخ**
واستنشد ابنَ الحضرمي الثأرا	**فحش حربا بينهم وشرا**

إصرار أبي جهل على الحرب:

❖ **الشرح**: **(وقال عمرو)**: هو أبو جهل **(وبأنفه شمخ)**: تكبر **(ثانية)** لقوله لا يرجع حتى يرد بدرا **(سحر)**: بالتحريك والضم والفتح ـ وهو القياس في كل اسم ثلاثي حلقي العين، كالدهن واللحم ـ أي: رئة **(عتبة)** هو ابن ربيعة **(انتفخ)** من الجبن، يعني أن أبا جهل لَمَّا أرشد النفرُ الثلاثةُ إلى القفول، وجاء حكيم بن حزام إلى عتبة فقال: يا أبا الوليد أنت سيد قريش، فهل لك فيما يرفع نفسك ويصلحها آخر الدهر؟ قال: ما ذاك يا حكيم؟ قال: ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي، قال: قد فعلت، إنَّما هو حليفي، وعلي عقله وما أصيب من ماله، فإيت ابنَ الحنظلية بذلك ـ يعني أبا جهل ـ ثم قام عتبة خطيبا بذلك، قال حكيم: فأتيت أبا جهل بذلك، فوجدته ينثر درعاً له من جرابها، فقال: انتفخ والله سحر عتبة، والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، وما بعتبة ما قال، ولكنه رأى محمداً وأصحابه أكلة جزور، وفيهم ابنه، فتخوفكم عليه، فقال عتبة: سيعلم مصفر استه من انتفخ سحره، أنا أم هو؟ ثم التمس في الجيش بيضة يدخلها رأسه فلم يجد بيضة تسع رأسه لعظم هامته، ثم اعتجر بثوب.

قوله: مصفر استه لَم يخترعها وليس هو بأبي عذرها، فقد قيلت قبله لقابوس بن النعمان، أو لقابوس بن المنذر، لأنه كان مترفهاً لا يغزو في الحرب، فقيل له مصفر استه، يريدون صفرة الخلوق والطيب، وقالها أيضاً قيس بن زهير في حذيفة بن بدر يوم الهباءة. وسادة العرب لا تستعمل الطيب إلا في الدعة، وتعيبه في الحرب أشد العيب، وذُكِرَ أن أبا جهل لَمَّا سلمت العير، وأراد أن ينحر جزره، ويشرب الخمر، وأن تعزف عليه القيان استعمل الطيب، أو هَمَّ به فلذلك قال عتبة هذه المقالة، والمراد بالأست هنا البدن فعبر بالأست عنه قاصداً إساءة أبي جهل. **(واستنشد)** أبو جهل **(ابنَ الحضرمي)**: هو عامر **(الثأر)**: أي: ثأر أخيه عمرو بن الحضرمي الذي قتل في سرية عبدالله بن جحش، وهو أول قتيل للمسلمين.

يعني أن أبا جهل بعث إلى عامر بن الحضرمي: هذا حليفك عتبة بن ربيعة يريد أن يرجع بالناس، وقد رأيت ثأرك، فقم وانشد خُفرتَك ومقتلَ أخيك عمرو، فقام عامر واكتشف فقال: واعمراه (**فحش**): أوقد (**حربا بينهم وشراً**): فحميت الحرب، وحقب أمر الناس، واستوسقوا على ما هم عليه من الشر، فقام الأسود بن عبدالأسد فقال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم، أو لأهدمنه، أو لأموتن دونه، فقام له حمزة، فلما التقيا ضربه حمزة فأطن قدمه بنصف ساقه، وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تشخب رجله دما نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه، فتبعه حمزة فقتله في الحوض.

❋ ❋ ❋

فقام للوليد نَجل عتبه	**حيدرةٌ وحَمزةٌ لشيبه**
نَجلِ ربيعة وعتبةُ أخوه	**قام له عبيدةٌ إذ رشحوه**
وقُطِعَتْ قَدمُه واحتملوه	**وهو أسن الْجيش فيما نقلوه**
وهو إذا أخذت في نعم النسب	**عبيدة بن الْحارث بن الْمطلب**
وشهد الْمشهد هذا أخواه	**أعني الْحصينَ والطفيلَ مشبهاه**

أهل المبارزة:

❖ **الشرح: (فقام للوليد نجل عتبة حيدرة وحمزة لشيبه نجل ربيعة)** تقدم نسب الوليد وشيبة في نسب عتبة، أما الوليد فأمه صفية بنت أمية بن حارثة بن الأوقص بن مرة بن هلال، حلفاء بني عبد مناف من بني سليم فهي من بني هلال. وأما سيدنا علي بن أبي طالب، فأمه فاطمة بنت أسد أمها قيلة بنت عامر بن مالك ـ وتسمى الجزور لعظم خلقها ـ من بني المصطلق، وهي أول هاشمية ولدت هاشميا. وأما سيدنا حمزة، فأمه هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة، تزوجها عبد المطلب حين زَوَّجَ عبدالله آمنة. **(وعتبة أخوه قام له)**.

عبيدة بن الحارث وأخواه رضي الله عنهم:

(عبيدة إذ رشحوه وقطعت قدمه واحتملوه وهو أسن الجيش فيما نقلوه وهو إذا أخذت في نعم النسب عبيدة بن الحارث بن المطلب).

وأما عبيدة رضي الله عنه فأمه ثقفية، واسمها سُخيلة، أسلم قبل دخول النبيّ ﷺ، دار الأرقم، ولواؤه أول لواء عقده رسول الله ﷺ بعد لواء حمزة، وقيل لواؤه قبل لواء حمزة، رضي الله عنهما ، ونفعنا بحبهما **(ورشحوه)**: قدموه أي: عبيدة لمبارزة عتبة، إذ عتبة هو المقدم عند قريش.

(وشهد المشهد هذا أخواه أعني الحصين والطفيل) وهما شقيقا عبيدة و**(مشبهاه)** في شهود بدر، وفي قدم الإسلام والهجرة، وشهدا المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وماتا في خلافة عثمان في سنة واحدة، رضي الله عنهما .

خروج الأنصار للمبارزة:

يعني أنه لَما حش أبو جهل الحرب بينهم، وقتل حمزةُ رضي الله عنه الأسودَ بنَ عبد الأسد خرج عتبة بين أخيه وابنه فدعا إلى المبارزة، فخرج إليه عبدالله بن رواحة، وعوف ومعوذ ابنا الحارث بن أبي رافع ـ وهما ابنا عفراء ـ رضي الله عنهم، ونفعنا بحبهم، فقال عتبة: مَنْ أنتم؟ قالوا: رهط من الأنصار، قال: لا حاجة لنا بكم، أو قال: أكفاء كرام، إنَّما نريد قومنا.

وقيل: بل استحيى رسول الله ﷺ أن تكون الشوكة بغير بني عمه، لأنه أول قتال التقى فيه المسلمون والمشركون، ورسول الله ﷺ شاهد معهم، فناداهم: «**أن ارجعوا إلى مصافكم، وليقم إليهم بنو عمهم**» ثم نادى مناديهم: يا محمد أَخرجْ إلينا أكفاءنا، فقال رسول الله ﷺ: «**قم يا عبيدة وقم يا حمزة وقم يا علي**» فلما دنوا منهم قالوا: من أنتم؟ فقال كل: أنا فلان.

فأما حمزة وعلي فلم يُمهلا صاحبيْهما، وأما عبيدة فاختلف مع عتبة ضربتين، فأثبت كل منهما صاحبه، فكرَّ حمزة وعلي على عتبة فأجهزا

عليه، وحملا صاحبَهما إلى النبيّ ﷺ، فلما أتاه قال: يا رسول الله ليت أبا طالب حيٌّ، حتى يرى مصداق قوله: كذبتم وبيت الله . . . فمات، ودفن بالصفراء، وهو ابن ثلاث وستين سنة، وهو القائل:

فإن تقطعوا رجلي فإني مسلم | أرجي بها عيدا من الله عاليا
ويلبسني الرحمٰن أفضل منة | لباسا من الإسلام غطى المساويا

❊ ❊ ❊

تقبيلُ سوادِ بنِ غزيّة بطنه ﷺ:

وابن غزية سواد استنتلا | عن صفه فرام أن يعتدلا
نبيُّنا فمسه في كشحه | وقال إذ آلَمَ مَسُّ قدحه
أوجعتنِي نَخسا فأعطنِي القود | وجَدَّ في أن كان باشر الْجسد

❖ **الشرح**: **(وابن غزية سواد استنتلا عن صفه)** سواد بفتح السين، وتخفيف الواو ـ وكذا كل سواد في العرب إلا عمرو بن سوَّاد بتشديد الواو أحد بني عامر بن لؤي من شيوخ الحديث، **(وسُوَاد بن مري بن أراشة البلوي حليف الأنصار)** ـ والمستنتل هو ابن غزية بن وهب البلوي حليف بني عدي بن النجار، وهو عامل النبيّ ﷺ على خيبر وشهد بدراً وما بعدها، ويقال: استنتل واستنصل إذا تقدم **(فرام أن يعتدلا نبينا)** ﷺ **(فمسه في كشحه)**: والكشح ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف **(وقال إذ آلم)**: وآلم الشيءُ، وُجِدَ له أَلَمٌ، **(مس قدحه)** القِدح: بالكسر السهم قبل أن يراش وينصل.

(أوجعتني نخسا فأعطني القود..): النخس غرز الجنب بعود ونحوه، و**(القود)**: القصاص، والمعنى أن رسول الله ﷺ عدل صفوفه يوم بدر، فمر بسواد بن غزية، وهو مستنتل، فطعن في بطنه بقدح في يده فقال: «**استو يا سواد**» فقال: يا رسول الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه فقال: «**استقد منّي**» فاعتنقه وقبَّلَ بطنه،

فقال: «**ما حملك على هذا يا سواد؟**» قال: يا رسول الله، حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدك جلدي، فدعا له رسول الله ﷺ بخير.

❊ ❊ ❊

وخفق النبي حين المعركه	**وفي عريشه رأى الملائكه**
على ثنايا جبرئيل النقع	**ولم يقاتل في سواها الجمع**

الإمداد بالملائكة:

❖ **الشرح**: **(وخفق النبيّ)**: حرك رأسه كالطائر، وهو ناعس **(حين المعركة)**: بفتح الراء وضمها، موضع القتال، أو القتال **(وفي عريشه)**: وهو ما يستظل به من خشب وحشيش، و**(النقع)**: الغبار، يعني أن النبيَّ ﷺ لما سوى صفوفه، رجع إلى عريشه، وليس معه فيه غير أبي بكر ﷺ، ورسول الله ﷺ يناشد ربه ما وعده من النصر، وهو يقول ـ فيما يقول ـ: «**اللّهم إن تهلك هذه العصابة فلا تعبد**» فقال أبو بكر ﷺ: يا نبي الله بعضَ مناشدتك ربَّك فإنه منجز لك ما وعدك، فخفق رسول الله ﷺ، خفقة ثم انتبه فقال: «**أبشر يا أبا بكر أتانا نصر الله، هذا جبريل آخذاً بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع**» فهبت ريح لم يُر مثلُها شدة ثم ذهبت، فجاءت ريح أخرى ثم ذهبت، فجاءت ريح أخرى، فكانت الأولى جبريل في ألف من الملائكة مع رسول الله ﷺ، والثانية ميكائيل في ألف من الملائكة عن ميمنة رسول الله ﷺ، والثالثة إسرافيل في ألف من الملائكة عن ميسرة رسول الله ﷺ، وفي دعائه ﷺ، أنزل الله ﷻ ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ وكان أبو جهل يومئذ يقول: اللّهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا يعلم فأحنه الغداة، فكان هو المستفتحَ، وفيه نزلت: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾.

رميه ﷺ الجيشَ بالتراب:

وأخذ رسول الله ﷺ حفنة من تراب فرمى بها قريشاً وقال: «**شاهت**

الوجوه»، وقال لأصحابه: «**شدوا**» فكانت الهزيمة، وكانت تلك الحصيات عظيما شأنُها، لم تترك من المشركين أحدا إلا ملأت عينيه. وجعل المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم، وبادر النفر كل رجل منهم منكباً على وجهه، يعالج التراب ينزعه من عينيه، وذلك قوله سبحانه وتعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾: أي: عم جَميعهم، وما في قبضتك إلا ما يبلغ بعضهم، فالله هو الذي رمى سائرهم.

وكان الرجل يومئذ يرى الرجل على صورة رجل يعرفه وهو يثبته ويقول: ما هم بشيء وذلك معنى قوله تعالى: ﴿فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾. . الآية.

❋ ❋ ❋

وقيل: لَم تقاتل الملائكه	**إذ ريشة منهم لقوم مهلكه**
لكنهم لعدد ومدد	**وطبلهم هناك طولَ الأبد**
وجاء أن جبرئيل يَحضر	**من مات مؤمنا وقوم أنكروا**
مَجيئَه بعد رسول الله	**والحق أن ليس له تناه**

الخلاف في قتال الملائكة:

❖ **الشرح**: (**وقيل لَمْ تقاتل الملائكة...**) ولم تقاتل الملائكة في غيرها، وقيل: بل لم تقاتل فيها، لأن ريشة من جناح أحدهم تهلك كثيرا من الناس، لِمَا ورد أن سيدنا جبريل عليه السلام حمل قرى قوم لوط على ريشة واحدة من ريش جناحه، لكن إنما حضروا يوم بدر لتكثير عدد المسلمين، ومددهم في أعين المشركين وإبليس، وفيه يقول حسان بن ثابت:

ميكال معك وجبريل كلاهما   مدد لنصرك من عزيز قادر

وهذا معنى قوله: (**لكنهم لعدد ومدد وطبلهم هناك طول الأبد**) يسمعه الآن مَن مَرَّ ببدر. (**وجاء أن جبرئيل يحضر من مات مؤمناً وقوم أنكروا مجيئه بعد رسول الله والحق أن ليس له تناه**) حتى يرد الدجال عن الحرمين.

وراقب الْجمعين شخصان لكي ينتهبا من مدبر الْجمعين شي
فرأيا الْملك وهو منطلق فانْقَدَّ واحد والاخر صعق

قصة الغفاريين:

❖ **الشرح**: **(وراقب الجمعين)**: جمعَ المسلمين وجمعَ الكفار **(شخصان)** غفاريان **(لكي ينتهبا من مدبر الجمعين..)**: المراقبة المطالعة، قال ابن عباس: حدثني رجل من بني غفار قال: أقبلت أنا وابن عم لي حتى صعدنا على جبل يشرف بنا على بدر ـ ونحن مشركان ـ ننتظر الواقعة على من تكون الدابرة، فننتهب مع من ينتهب، فبينما نحن في الجبل إذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل، فسمعت قائلاً يقول: أقدم حيزوم، فأما ابن عمي فشق قناع قلبه فمات مكانَه، وأما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت، وحيزوم اسم فرس لجبريل.

وقال ابن عباس: كانت سيما الْملائكة يوم بدر عمائمَ بيضاً، قد أرسلوها في أكتافهم، ويوم حنين عمائمَ حُمْراً، وكان شعارهم يوم بدر أحد أَحد.

❊ ❊ ❊

وابن معاذ مبتني العريش وحارس النبِي من قريش
يكره إبقاءَ الأسارى ويرى إهلاكَهم أول قتل أجدرا

رأي سعد بن معاذ وعمر في الأسرى:

❖ **الشرح**: **(وابن معاذ)** هو سيدنا سعد وقد تقدم نسبه **(مبتني العريش)** يوم بدر **(وحارس النبيّ)**، ﷺ، يوم بدر أيضاً **(من قريش)** وقال صاحب قرة الأبصار:

حرسه في يوم بدر سعد فتى معاذ وامرآن بعد

وكان ﷺ أول الأمر يحرسه أصحابه حتى نزل ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ فترك الحراس، قال صاحب قرة الأبصار:

وترك الحراس لما أخبرا   بعصمة الله له خيرُ الورى

(**يكره إبقاء الأسارى**...) والأسارى جمع أسير، وإبقاؤهم إحياؤهم في الأسر، و(**أول قتل**) يعني أوَّلَ قتال بين المسلمين والمشركين، وهي هذه الوقعة (**وأجدر**): أحق، يعني أنه لَمَّا وضع القوم أيديهم يأسرون، ورسول الله ﷺ، في العريش، وسعد قائم على باب العريش متوشح السيف في نفر من الأنصار يحرسونه ﷺ يخافون عليه كرة العدو، ورأى رسول الله ﷺ في وجه سعد الكراهةَ لِمَا يصنع الناس فقال: «**والله لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم**»؟ فقال: أجل، والله يا رسول الله، كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك، فكان الإثخان ـ التمكن في القتل ـ أحبَّ إلَيَّ من استبقاء الرجال.

❊ ❊ ❊

وهكذا عمر كان وهي من   موافقاته التي بعدُ تعن

❖ **الشرح**: (**وهكذا عمر كان وهي من موافقاته**..) هو سيدنا أبو عبدالله رضي الله عنه أمير المؤمنين ابن الخطاب بن رياح بن عبدالله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب، أمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة المخزومية، وهو أكرم، وأفضل، وأشهر، من أن يُترجم له بغير هذا، وموافقاتُه؛ كلماته التي توافق القضاء، وهي كثيرة، يُخْرِجُ ذكرُها عما نحن فيه.

❊ ❊ ❊

بعض موافقات عمر رضي الله عنه:

وكان يقول: وافقني ربي في ثلاث: أسرى بدر، ونزول الحجاب، وخبره ﷺ مع نسائه، (**وتعن**): تعرض.

يعني أنه لَمَّا أخذ رسول الله ﷺ الأسارى يوم بدر قال: «**ما ذا ترون؟**» فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله كذبوك وأخرجوك اضرب أعناقهم، وقال عبدالله بن رواحة: يا رسول الله إنك بواد كثير الحطب فأضرمه نارا ثم ألقهم فيه، فقال العباس: قطع الله رحمك، فقال أبو بكر: يا رسول الله عترتك وأصلك وقومك تجاوز عنهم يستنقذهم الله بك من النار.

تشبيهُهُ ﷺ أبا بكر وعمرَ بالأنبياء:

ثم دخل رسول الله ﷺ فَمِنْ قائل يقول: القول ما قاله أبو بكر ومن قائل يقول: القول ما قاله عمر، فخرج رسول الله ﷺ فقال: «**ما قولكم في هذين الرجلين إن مثلهم كمثل إخوةٍ لكم قبلكم** ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ وقال موسى ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ وقال عيسى ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ وقال إبراهيم ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ **وإن الله يشد قلوب رجال حتى تكون كالحجر، ويلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن** - ويروى من اللين - **وإن بكم عيلةً فلا ينقلب أحد منهم إلا بفداء أو ضربة عنق**».

قال عبدالله بن مسعود: فقلت: إلا سهلَ ابن بيضاء، وقد كنت سَمِعتُه يذكر الإسلام، فجعلت أنظر إلى السماء متى تقع عليَّ الحجارةُ، فقلت: أُقَدِّمُ القول بين يدي رسول الله ﷺ؟ فقال النبيّ ﷺ: «**إلا سهلَ ابن بيضاء**» ففرحت بذلك.

❋ ❋ ❋

عن قتل آله نَهى إذ خرجوا	**وفي خروجهم عليهم حرج**
وعن أبي البختري إذ لَم يؤذه	**وصك نبذهم سعى في نبذه**
وجاءه الْمجذر بن ذِياد	**فقال: عنك قد نَهى خير العباد**
فقال: والزميلِ؟ قال: الْمصطفى	**لَم ينه عن قتل الزميل الْحنفا**
فقال: والنخوة تأبى والإبا	**عن تركه جبنا وحَكَّمَا الظُّبَا**

لا يُسلم ابنُ حرة زميلَه حتى يَموت أو يرى سبيله

نَهيُه ﷺ عن قتل بني هاشم وأبي البختري:

❖ **الشرح**: (**حرج**): أي: ضيق، وآلُه بنو هاشم، وقوله: (**إذ خرجوا**): أي: آلُه، وفاعل نَهى ضميره ﷺ، قال ﷺ: «**قد علمت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد خرجوا كرهاً لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي منكم أحدا من بني هاشم فلا يقتلنه ومن لقي أبا البختري بن هشام فلا يقتلنه ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتلنه...**» وذكر فيهم عقيل بن أبي طالب ونوفلَ بنَ الحارث.

(**وعن أبي البختري إذلم يؤذه**) أبو البختري: ضبطه النووي بفتح الباء وإعجام الخاء وكسر التاء، وضبطه غيره بضم الباء، وإهمال الخاء، وهو العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى، وأمه أروى بنت الحارث بن عبد العزى بن عثمان بن عبدالدار، بنت خال آمنة أمه ﷺ، ومن ولده الأسود بن أبي البختري اصطلح عليه أهل المدينة يصلي بهم زمان علي ومعاوية، وابنه سعيد بن الأسود الذي تقول فيه امرأة:

ألا ليتني أشري وشاحي ودملجي   بنظرة عين من سعيد بن أسود

وكان في غاية الجمال وسجيته التبختر في مشيته، وقتل مع ابن الزبير، ورآه يوم قتل يتبختر بين الصفوف، فقال: سبحان الله ما كنت أحسب أن هذه المشية سجية في هذا الفتى، (**والصك**): الكتاب (**والنبذ**): الإلقاء، والضمير في نبذهم يعود على آل النبيّ ﷺ، وفي (**نبذه**) يعود على الصك.

والمعنى أنه ﷺ إنما نهى عن قتل أبي البختري لأجل أنه لم يؤذه قط بمكة، بل كان يذب عنه، وكان كثير الإكرام لبني هاشم ماداموا في الشعب، يبعث إليهم بالأطعمة الكثيرة، فلامه أبو جهل، فقال أبو سفيان: دعوه، كريم وصل رحما.

نقض الصحيفة:

وقوله: **(وصك نبذهم)**: يعني بالصك صحيفة قريش التي كتب بغيض بن عامر بن هشام العبدرى بإملاء من قريش، فشلت يده، وخبرها مشهور، وأول من قام في نقضها هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب العامري ـ وله خؤولة في بني هاشم ـ فأتى زهير بن أبي أمية فقال له: هذا الذي فعلت قريش بأخوالك بني هاشم بغي وغدر، فهل لك في نقضه وتسود قريشاً ما بقيتَ فيهم؟ قال: نعم، ولكن ابغ لي من يقوم معي في هذا الأمر، فأتى المطعم بن عدي، فقال له مثلَ ما قال لزهير فقال: نعم، ولكن ابغ لي من يقوم معي فقال: وجدته لك، زهير بن أبي أمية وأنا معكما، فقال: ابغ لنا رابعا، فأتى أبا البختري فقال له مثلَ ما قال لصاحبيه قبله، فقال: ابغ لنا خامسا، فأتى زمعة بن الأسود، فاجتمعوا على نقض ما في الصحيفة، وتآمروا على ذلك ليلا، فلما جلست قريش جعل أبو جهل يذكر قطيعة بني هاشم، فقال له أحد القوم: كذبتَ، فتتابع الرهط على قول صاحبهم، فقال أبو جهل: هذا أمر قُضي بليل. وأبو البختري مع ما فعل في أمر الصحيفة وإطعام بني هاشم ـ نسأل الله العافية واليقين بالله تعالى ـ سبقت شقاوته في الأزل.

قتلُ المجذر لأبي البختري:

(وجاءه المجذر بن ذَيَّاد): بكسر الذال، وتخفيف الياء، وفتح الذال، وتشديد الياء ـ وهو أشهر من الأول ـ ابن عمرو بن مرة البلوي، حليف القوا قلة، بنو عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، شهد بدرا، وقتله الحارثُ بن سويد بن الصامت يوم أحد بأبيه سويد، وكان المجذر قتله في الجاهلية، في حرب الأوس والخزرج، فلما اشتبك القتال بين المسلمين والمشركين يوم أحد عدا الحارث على المجذر فقتله غِيلة، فأخبر جبريلُ النبيَّ ﷺ، ولحق الحارث بمكة، ثم جاء تائبا، فقتله النبيّ ﷺ بالمجذر، قدم على أهل قباء في وقت ما كان يأتيهم فيه، فتلقاه رجال فيهم الحارث،

وعليه ثوب مورس، فأمر النبيّ ﷺ عويمَ بنَ ساعدة بضرب عنقه، ففعل، فرجع ولَم ينزل عندهم، **(فقال عنك قد نهى خير العباد)**.

يعني أنه جاءه المجذر ﷺ، سامعا لأمر النبيّ ﷺ، مطيعا له، فقال: يا أبا البختري نَهى رسول الله ﷺ، عن قتلك **(فقال: والزميلِ؟ قال: المصطفى لم ينه عن قتل الزميل الحنفا)** والزميل الرديف، وفاعل قال الأولى ضمير يعود على أبي البختري أي فقال أبو البختري: وزميلي؟ فقال المجذر: ما نَهانا عنه، **(فقال: والنخوة تأبى والإبا عن تركه جبنا)**: والنخوة التكبر **(والإبا)**: الامتناع عن الضيم **(والظبا)**: جمع ظبة وهي حِدَّةُ السيف، أي قال أبو البختري: والله لا تتحدث نساء مكة أني تركت زميلي حرصا على الحياة، فحمل على المجذر بالسيف وهو ينشد:

لا يسلم ابن حرة زميله	حتى يَموت أو يرى سبيله

فطعنه المجذر فقتله، وفي ذلك يقول:

أبشر بيتم إن لقيت البختري	وأبشرن بمثلها مني بني
أنا الذي يقال أصلي من بلي	أضرب بالحربة حتى تنثني

فأتى النبيّ ﷺ فقال: والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن أستأسره فآتيك به، فأبى إلا أن يقاتلني، وقيل: إن الذي قتل أبا البختري أبو داوود المازني ـ وكان عنده سيفه إلى أن باعه بعضُ ولده من ولد أبي البختري ـ وزميله الذي قُتِل دونه جنادة بن مليحة الليثي، **(وحكَّما الظبا)**: أي: تحاكما إليها.

❊ ❊ ❊

وإذ نَهَى عن قتل عمه هفا	**أبو حذيفة وقال سخفا**
وكفَّرت هفوتَه الشهاده	**يومَ اليمامة لَها أراده**
وإذ رآه الْمصطفى تضجرا	**من جر عتبة أبيه اعتذرا**
بأنه كان يرى أن أباه	**يَحْجُزُهُ عن ميتة السوء حِجَاهْ**

مقالة أبي حذيفة ﷺ:

❖ **الشرح**: **(وإذ نهى)** رسول الله ﷺ **(عن قتل عمه)**: وهو العباس بن عبد المطلب، أمه نتلة أو نتيلة بنت جناب من بني كلب ثم من بني عليم وشقيقه ضرار **(هفا)**: زلَّ **(أبو حذيفة)**: هو قيس بن عتبة بن ربيعة بن أمية، وأمه أم صفوان بنت صفوان بن أمية بن محدث الكنانية، وهي أيضاً زوج عمرو بن سعيد بن العاص التي هاجر بِها إلى الحبشة، وأبو حذيفة ﷺ، من المهاجرين الأولين إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، وشهد بدراً وما بعدها، واستشهد يوم اليمامة هو ومولاه سالِمٌ، وجد أحدهما عند رجلي الآخر، ﷺ.

والمعنى أن النبيّ ﷺ لما نهى عن قتل آله، وذَكَرَ العباسَ قال سيدنا أبو حذيفة ﷺ: أَنَقْتُلُ آباءنا، وأبناءنا، وإخواننا، وعشيرتنا، ونترك العباس؟! والله لئن لقيته لألْجمنه السيف، فبلغت النبيَّ ﷺ مقالتُه فقال: «**يا أبا حفص**» ـ قال عمر: والله لأول يوم كنانِي فيه أبا حفص (والحفص ولد الأسد، وأراد به ﷺ شدة سيدنا عمر) ـ **أيُضرب وجه عم رسول الله ﷺ، بالسيف**»؟، فقال عمر: يا رسول الله دعني فلأضربن عنقه، فوالله لقد نافق.

فكان أبو حذيفة يقول: ما أنا بآمن من تلك الكلمة، ولا أزال خائفا منها إلا أن تكفرها عني الشهادة **(وقال سخفا)**: والسخف من القول والفعل وغيرهما الرقيق، **(وكفرت هفوته الشهاده..)** وليس معنى قوله: يوم اليمامة لها أراده أنه لَم يقصدها الأيام التي قبلها، بل كلُّ وقعة يقصدها للشهادة، لكن لَم تقدر لامتداد أجله إلى ذلك اليوم.

(وإذ رآه المصطفى تضجرا...): ضجر منه وبه ـ كفَرِحَ ـ وتضجر تبرم وملل، واعتذاره من تضجره من جر أبيه للقليب قوله للنبيّ ﷺ: يا رسول الله، والله ما نافقت، ولا أحببت إبقاءَ كافر، ولكن كنت أعرف في أبي من العقل، ويُمْنِ الرأي ما أضمرت في قلبي أنه لا يموت كافرا **(بأنه كان يرى أن أباه يحجزه..)**: يَمنعه ويكفه، و**(حجاه)** عقله.

❋ ❋ ❋

وإذ معاذ بن عمرو بن الْجموح أطن ساق ابن هشام الطموح
فطرح ابنه الْهِزَبْرُ عكرمه عاتقَه فجره في الْملحمه
ألصق خَيرُ مرسل فالتصقا عاتقُه لَمَّا عليه بصقا

مقتل أبي جهل لعنه الله:

❖ **الشرح**: **(وإذ معاذ بن عمرو بن الجموح أطن)** الشيءَ أسرع قطعه فطار **(ساق ابن هشام)** و**(الطموح)** و**(الجموح)** فيهما جناس حسن، لأنه جمح عن الإسلام، نسأل الله العافية.

ومعاذ شهد بدراً هو وأخواه معوِّذٌ وخالد، وابن أخيهم خراش بن الصمة.

وأبوهم عمرو بن الجموح بن حرام بن كعب بن غنم بن سَلِمَةَ - بكسر اللام - وليس في العرب غيره.

(فطرح ابنه الهزبر) - كسِبَحْلٍ ودِرْهَم - الأسد **(عكرمة عاتقه فجره في الملحمة)**: الوقعة العظيمة القتال، وعكرمةُ أسلم عام الفتح، كان خرج فاراً من النبيّ ﷺ فأخذت له امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام الأمن من النبيّ ﷺ، فلما رآه النبيُّ ﷺ قام إليه فَرَحاً به فقال: «**مرحبا بالمهاجر واعتنقه**» وقيل: إن سبب فرحه به أنه ﷺ رأى عذقاً مذللاً في الجنة فسأل عنه فقيل لأبي جهل، فساءه ذلك فقال: «**ما لأبي جهل والجنة؟ والله لا يدخلها أبداً**» فلما أتاه عكرمة مسلما سُرَّ به، وتأول به العذق. وهاجر عكرمة إلى المدينة منصرفَ النبيّ ﷺ من مكة، فجعل كلما مر بمجلس من الأنصار يقولون: هذا ابن أبي جهل، وسبوا أبا جهل، فشكا عكرمة رضي الله عنه ذلك إلى النبيّ ﷺ، فقال ﷺ: «**لا تؤذوا الأحياءَ بسب الأموات**» ولما ندب أبو بكر الناس لغزو الروم خرج عكرمة بثمانية أفراس من المدينة وسلاح كثير، وعرض عليه أبو بكر المعونةَ، فقال: أنا في غنى عنها فاصرفها إلى غيري، ودعا له أبو بكر رضي الله عنه، واستشهد باجنادين، ولم يترك ولداً، وأمه أم مجدل من بني هلال.

(ألصق خير مرسل فالتصقا عاتقه لما عليه بصقا) وتنازع ألصق والتصق في عاتقه و(**ما**) في قوله: (**لِما عليه بصقا**) مصدرية أي: التصق عاتقه لبصق النبيّ ﷺ.

يعني أن معاذ بن عمرو بن الجموح رضي الله عنه، قال سمعت الناس ـ وأبو جهل في مثل الْحَرَجَة أي: الغيضة، لكثرة الناس حوله ـ يقولون: أبو الحكم لا يخلص إليه، فلما سمعتها جعلته من شأني، فعمدت نحوه، فلما أمكنني حملت عليه فضربتُه ضربةً أطنَّتْ قدمه بنصف ساقه، فوالله ما أشبهها حين طاحت إلا بالنواة، تطيح من تحت مِرْضَخَةِ النوى ـ بالمهملة والمعجمة ـ حين يضرب بها، قال: وضربني ابنه عكرمة على عاتقي، فطرح يدي، فتعلقتْ بجلدة من جنبي، وأجهضَنِي القتال عنها فلقد قاتلت يومي، وإني لأسحبها خلفي فلما آذتني وضعت عليها قدمي ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها. فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله ﷺ فلصقت، وحين أطن ساقه قال أبو جهل: الفحل يحمي شوله معقولا، وقال:

ما تنقم الحرب العوان مني بازل عامين حديث السن لِمثل هذا ولتدني أمي.

ثم عاش معاذ بن عمرو بعد ذلك حتى كان زمن عثمان رضي الله عنهما .

وحدَّث أيضاً صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمٰن بن عوف عن جده أنه قال: إني لواقف يوم بدر في الصف نظرت عن يَميني وعن يساري، فإذا أنا بغلامين حديثة أسنانُهما، تَمنَّيْتُ لو كنتُ بين أَضْلَعَ منهما، فغمزني أحدهما فقال: يا عم هل تعرف أبا جهل بن هشام؟ قال: فقلت: نعم، وما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: بلغني أنه كان يسب رسول الله ﷺ، فوالذي نفسي بيده لئن رأيته لَم يفارق سوادي سواده حتى يَموت الأعجل منا، قال: فغمزني الآخر فقال مثلها، فلم ألبث أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس فقلتُ لَهما: ألا تريان؟ صاحبكم الذي تسالان عنه، فابتدراه بسيفيهما، فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ، فأخبراه فقال:

«أيكما قتله»؟، فقال كل منهما: أنا قتلته، فقال: «هل مسحتما سيفيكما»؟ قالا: لا، فنظر في السيفين فقال: «كلاكما قتله»، وفيه قيل: قتله الله شرَّ قتلة، وقتلته الملائكة، وقتله ابنا عفراء ودَافَّه ابن مسعود أي: أجهز عليه - وقضى بسلبه لِمعاذ بن عمرو بن الجموح - ومعاذ بن عفراء.

❋ ❋ ❋

فـرعـونَ الامـة الـنَّـبِـيُّ عـرَّفـا	**بِـجـحـشـه ركـبـتـه إِذِ اخـتـفـى**
بـيـن الْـهـوالـك وكـلـم الـنـبِـي	**جـثـثَـهـم مـوبِـخـا لـلـخـشـب**

تسمية أبي جهل فرعونَ الأمة:

❖ **الشرح: (فرعون الأمة)** هو أبو جهل، لخبر **«لكل أمة فرعون وفرعون هذه الأمة أبو جهل» (والجحش)** الجرح والخدش **(واختفى)**: التبس **(والهوالك)**: جمع هالك شاذ، وجمعهم رَحِمَهُ اللهُ على هذا الوزن - ولم يجمع عليه المذكر العاقل إلا ما شذ في الفوارس - لفقدان العقول فيهم أحياءً، وأولى أمواتاً، قال تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾﴾ يعني أحياء الكفار، فلو كانت لهم عقول لعقلتهم عن عطب الدنيا والآخرة.

يعني أنه ﷺ قال لأصحابه: **«انظروا إن خفي عليكم في القتلى إلى أثر جرح في ركبته فإني ازدحمت يوماً أنا وهو على مائدة لعبدالله بن جُدعان، ونحن غلامان، وكنت أسن منه بيسير فدفعته فوقع على ركبته فجُحش على إحداهما جحشا لَم يزل أثره فيه»**.

فقال عبدالله بن مسعود: فوجدته بآخر رمق، فوضعت رجلي على عنقه، قال: وكان ضبث بي مرة بمكة فآذاني ولكزني، ثم قلت له: هل أخزاك الله يا عدو الله؟ قال: وبما ذا أخزاني؟ أَعْمَدُ من رجل قتلتموه أخبرني لِمن الدابرة اليوم؟ قال: قلت لله ولرسوله - وقيل: إن ابن مسعود كان يقول: قال لي: لقد ارتقيت يا رويعي الغنم مرتقى صعباً - ثم احتززت رأسه، وأتيت به النبيَّ ﷺ، فقلت: يا رسول الله هذا رأس عدو الله أبي

جهل، فقال ﷺ: «**آلله الذي لا إله غيره؟**» فقلت: نعم والله، ثم ألقيت رأسه بين يديه، فحمد الله.

تكليم النبيّ ﷺ جثث الكفار:

(**وكلم النبيّ جثثهم موبخا للخشب**): أي: خاطب جثثهم، جمع جثة، وهي الشخص، والتوبيخ اللوم والتأنيب والتهديد، والخشب جمع خشبة وهي هنا جيف الكفار، أشار بهذا إلى ما روي عن أبي طلحة أنه كان ﷺ إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاثا، فلما كان يوم بدر أقام ثلاثاً، وألقى بضعة وعشرين من صناديد قريش في طوي من أطواء بدر، ثم أمر براحلته فَرُحِّلَتْ، فقلنا: إنه منطلق لحاجته، فانطلق حتى وقف على شفى الركي فجعل يقول: «**يا عتبة بن ربيعة، ويا أبا جهل بن هشام، ويا فلان ابن فلان، هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا؟ فإني وجدت ما وعدني الله حقا**»، فقال عمر: يا رسول الله ﷺ تكلم أجسادا لا أرواح فيها، فقال: «**ما أنتم بأسمع لِمَا أقول منهم، غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا شيئاً**».

و أنكرت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن يكون عليه الصلاة والسلام قال: «**لقد سمعوا ما قلت لهم**» قال السهيلي: وعائشة لم تحضر وغيرها ممن حضر أحفظ للفظه عليه الصلاة والسلام، ثم قال: وإذا جاز أن يكونوا في تلك الحال عالمين جاز أن يكونوا سامعين، إما بآذان رؤوسهم ـ إذا قلنا: الروح تعاد إلى الجسد، أو إلى بعضه عند المسألة، وهو قول الأكثر من أهل السنة ـ وإما بآذان قلوبهم وأرواحهم على مذهب من يقول: يتوجه السؤال إلى الروح من غير رجوع منه إلى الجسد أو إلى بعضه، وقد روي أن عائشة احتجت بقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ﴾: أي: إن الله تعالى هو الذي يهدي، ويوفق، ويوصل الموعظة إلى آذان القلوب، لا أنت، وجعل الكفار أمواتاً وصماً على جهة التشبيه بالأموات وبالصم.

❊ ❊ ❊

وعـايـن الـنـاسُ الـمـصـارعَ الـتـي	أخـبـرهـم بِـهـا مـقـيـم الـمـلـة
فـحـقَّـق الله لـه مـا وعـدا	فـأوهـن الـكـفـر وأيـدَ الـهـدى
لَـهـم مـن الله كـتـاب سـابـق	لـذاك مـا شـهـدهـا مـنـافـق

إخباره ﷺ بمصارع المشركين:

❖ **الشرح**: (**المصارع**): جمع مصرع كمقعد، وهو موضع الصرع: أي: الطرح على الأرض، (**والملة**): الإسلام (**ومقيمها**) النبيّ ﷺ، يعني أن النبيّ ﷺ، كان - بالأمس - يُريهم مصارعَ الكفار يقول: «**هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله**». فلما انهزم المشركون، وأقام المسلمون بعرصاتهم، شاهدوا المصارع التي أراهم النبيّ ﷺ، بالأمس على ما أراهم، فقال عمر ﷺ: ما أخطأ حَدّاً من تلك الحدود التي حدها لهم.

نصر الله الموعود للمؤمنين:

(**فحقق الله له ما وعدا**) ﷺ من النصر عليهم، حين أذن لهم في القتال بقوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ وما وعده من إظهار ديننا على الأديان كلها بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ (**فأوهن**): أي: أضعف (**الكفر وأيد**): قوى (**الهدى**).

فضل أهل بدر ﷺ:

(**لهم من الله كتاب سابق**): الكتاب القدر، يقول: للصحابة الذين شهدوا بدرا قَدَرٌ قدَّرَه الله لهم في سابق عنايته لهم بالسعادة بسبب شهودهم هذا اليوم الذي شهوده لا درجة ولا مزية ولا فخر دون النبوءة يدانيه، حتى قال ﷺ لعمر حين كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابا إلى قريش وبعثه مع سارة - قينة صيفي بن أبي صيفي بن هاشم - يخبرهم بأن النبيّ ﷺ يريد غزوهم، فبعث النبيّ ﷺ إلى حاطب فاعتذر إليه، فقال عمر: دعني يا

رسول الله أضرب عنقه فقد نافق، فقال رسول الله ﷺ: «**يا عمر إنه شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فيقول لهم: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**» أو كما قال ﷺ (**لذاك ما شهدها**): أي: حضرها أي وقعة بدر (**منافق**) مظهرُ الإيمان مُسِرٌّ للكفر، والنفاقُ مأخوذ من النافقاء: وهي إحدى حُجْرتَي اليربوع، يكتمها ويظهر القاصعاء. ولهذا الكتاب الذي كتبه الله لهم لَمْ يشهد هذا اليومَ منافق، واعتذر من ثعلبة بن حاطب، ومعتب بن قشير، والحارث بن سويد، بأنهم شهدوا بدرا. وخرج معهم يومئذ رجلان من الأنصار هما: خبيب بن عدي، وآخر لَم يُسَمَّ - لَم يسلما قبلُ - فقال لهما النبيّ ﷺ: «**أأسلمتما؟**» فقالا: لا، قال: «**فأين تريدان؟**» قالا: نقاتل مع قومنا، قال: «**إنا لا نستعين بمشرك، فإما أن تسلما وإما أن ترجعا إلى بلادكما**» فأسلما وشهدا بدراً.

❊ ❊ ❊

يومٌ له ما بعده في الكفر	**وقد أتى منوها في الذكر**
بأنه العذاب واللزام	**وأنه البطش والانتقام**
وأنه الفرقان بين الكفر	**والحقِّ والنصرُ سجيسَ الدهر**

فضل يوم بدر:

❖ **الشرح**: (**يوم له ما بعده في الكفر**) والمعنى أن يوم بدر كائن له كل ما وقع بعده في الكفر يقال: أمر له ما بعده أي تبع له، وكذلك يوم بدر كل ما وقع في الكفر بعده تبع له (**وقد أتى منوها في الذكر**): التنويه رفع الذكر، يقال: نوَّه به ونوَّهه رفع ذكره، والذكر القرآن أي: وهذا اليوم أتى مرفوع الذكر في القرآن (**بأنه العذاب**) قال تعالى ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾ والعذاب الأدنى القتل والأسر، وأول ما كثر فيه يوم بدر (**واللزام**): أي: الدوام أي: ملازماً، قال تعالى ﴿فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا﴾ وأكثر العلماء على أنه يوم بدر (**وأنه البطش**): أي: الأخذ بشدة (**والانتقام**): أي: العقاب، قال تعالى: ﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا

مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ **(وأنه الفرقان بين الكفر والحق)** والفرقان الفارق **(والنصرُ)** قال تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ وقال: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ وأعظمها يوم بدر.

أثنى - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - على هذا اليوم، ويستحق أكثر، إذ هو يوم نُصِرْنَا فيه على أعدائنا، وأُظْهِرَ فيه على كل الأديان دِينُنَا، واستنبطت فيه أسلافنا العلوم الدينية، ونزلت فيه سورة الأنفال لما تنازع المسلمون في المغنم، قال الذين حووه: نحن أولى به، وقال الذين شغلوا بالقتال: نحن أولى به، وقال الذين حرسوا رسول الله ﷺ: ما بنا جبن عن القتال ولا عن أخذ المغنم، ولكن رأينا رسول الله ﷺ، بضيعة، فخفنا عليه كرة العدو، فنزعه الله منهم، فجعله في يد رسول الله ﷺ، وقسمه بينهم على سواء. والنفل الفضل، والْمَنُّ مِنَ الْمُنْعِمِ، لأن الله تعالى مَنَّ عليهم بإحلال الغنيمة، ولَم تَحِلَّ لأحد قبلهم، وإنما كانت تنزل نار من السماء فتأكلها **(وسجيس الدهر)**: أي: أبداً، يقال: سجيس الليالي، وسجيس الأزلم، قال الزبير بن عبد المطلب ؟يرقص؟ النبيّ ﷺ:

محمد بن عبدم عشت بعيش أنعم
ودولة ومغنم داما سجيس الازلم.

❋ ❋ ❋

في الأجر والْمغنم قسم النبِي لنفر عن الزحاف غُيَّبِ
لطلحة ولسعيد أُرْسِلا للركب ينظران أين نزلا

الذين قُسِمَ لَهم في الأجر والْمغنم:

❖ **الشرح**: **(في الأجر)**: أي: الثواب، والمراد به هنا ثواب شهود بدر **(والْمغنم)**: والغنيمة ما يؤخذ من الأعداء **(قسم النبيّ)** ﷺ **(لنفر)** وهو ما دون العشرة من الرجال **(عن الزحاف)**: الدنو من القتال، أو القتال **(غُيَّبِ)**: جمع غائب.

طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه:

(لطلحة): هو سيدنا طلحة بن عبيدالله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الرهط الذين أسلموا على يد أبي بكر رضي الله عنه، وهم عثمان، والزبير، وعبدالرحمٰن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيدالله. ونظمهم البدوي بقوله:

أول الناس بالنبي اقتداء	أم أبنائه الكرام الجدود
فعلي ثم ابن حارثة الكلـ	ـبي زيد مولى النبيّ المجيد
ثم إذ آمن العتيق دعا النا	س فجاءت عصابة كالفريد
وهم عثمان الزبير وسعد	وابن عوف وطلحة بن عبيد

وأمه الصعبة بنت الحضرمي، وكانت قبل أبيه عند أبي سفيان بن حرب فطلقها، وإخوتُها بنو الحضرمي حلفاء بني عبد شمس: العلاء، من كبار الصحابة، أرسله النبيّ ﷺ، إلى المنذر بن ساوى بالبحرين، فأسلم المنذر، وعامر من المؤلفة قلوبهم، وعمرو، هو الذي قتلته سرية عبدالله بن جحش ـ وهو أول قتيل من المشركين ـ وتُوفي طلحةُ رضي الله عنه يوم الجمل شهيداً.

سعيد بن زيد رضي الله عنه:

(ولسعيد): هو ابن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبدالله بن قرط بن رزاح بن عدي، وأمه فاطمة بنت بعجة بن خلف خزاعية، ويكنى أبا الأعور، قديم الإسلام توفي رضي الله عنه، في خلافة معاوية سنة خمسين أو إحدى وخمسين، وهو ابن بضع وسبعين سنة في أرضه بالبقيع، **(أرسلا)**: أي: طلحة وسعيد **(للركب)**: عير أبي سفيان **(ينظران أين نزلا)** وقيل كانا غائبين إلى الشام وقدما بعد ما قدم رسول الله ﷺ من بدر.

❋ ❋ ❋

عثمان بن عفان رضي الله عنه:

❖ **الشرح**: **(ولابن عفان)**: هو سيدنا عثمان رضي الله عنه ابن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، يكنى أبا عبدالله ـ بابنه من رقيةَ بنتِ النبيّ ﷺ، (ومات صغيراً من نقرة الديك في عينه رضي الله عنه، وهو ابن ست سنين) ـ ثم وُلد له عمرو فكني به.

وله تقول زوجته نائلة بنت الفرافصة تبكيه، (وقيل الوليد بن عقبة):

ألا إن خـيـر الـنـاس بـعـد ثـلاثـة قتيل التبيجي الذي جاء من مصر
ومـا لـي لا أبـكـي وتـبـكـي قـرابـتـي وقد حجبت عنا فضول أبي عمرو

وأمه رضي الله عنها أروى بنت كُرَيْزٍ ـ بالتصغير ـ ابن حبيب بن عبد شمس، وأخوه لأمه الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وأمها أم حكيم البيضاء، توأمة عبدِالله أبي رسول الله ﷺ، ومناقبه أشهر وأكثر من أن تحصى. وكان سبب تخلفه تَمريض زوجته رقية بنت النبيّ ﷺ، فقدم زيد بن حارثة مبشراً بخبر بدر، فوجد الناس قد سووا عليها التراب، فلما قدم رسول الله ﷺ، قال: «**نعم الصهر**».

الحارث بن الصمة رضي الله عنه:

(ولابن الصمة): هو سيدنا الحارث بن الصمة بن عمرو بن عتيك الأنصاري، ثم النجاري ثم المبذولي، يكنى أبا سعيد، وهو قاتل عثمان بن عبدالله بن المغيرة يوم أحد، وكان جاء على حصان له من أجود خيل قريش يقول: أين محمد؟ لا نجوت إن نجا، فقالوا: هو هذا، فأقبل نحوه، فلما دنا منه عثر به الفرس، في حفرة من الحفر التي حفر المشركون خديعةً للمسلمين، فابتدره أبو دجانة فعرقب جواده، فضربه الحارث بن الصمة فقتله، وقيل: إن عثمان مات بمكة مريضا بعدما فُدي من سرية عبدالله بن

جحش ﷺ، وقُتِلَ الحارث يوم بئر معونة، وكان مع عمرو بن أمية الضمري في السرح، فوجدوا قومهم صرعى، فقال الحارث: ما ترى؟ فقال عمرو: نلحق برسول الله ﷺ، ونخبره الخبر، فقال الحارث: أما أنا فلا أرغب بنفسي عن مكان قتل فيه المنذر بن عمرو، فأخذ سلاحه، فناجز القوم حتى قُتل ﷺ، وكان آخى النبيّ ﷺ بينه وبين صهيب بن سنان ﷺ، وفيه يقول:

يـا رب إن الـحـارث بـن الـصـمـه   أصـــل وفـــاء صـــادق وذمـــه

خوات بن جبير ﷺ:

(وابن جبير): هو سيدنا خوات بن جبير بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس، الأوسي الْبُرَكَيُّ، أخو عبدالله بن جبير القيم على الرماة يوم أحد.

وخوات هذا هو صاحب ذات النحيين في الجاهلية، وهي امرأة من بني تيم الله بن ثعلبة، اسمها خولة، ويروى أن النبيّ ﷺ سأله عنها وتبسم، فقال: يا رسول الله قد رزق الله خيرا وأعوذ بالله من الحور بعد الكور، ويروى أنه قال له: «**ما فعل بعيرك الشارد؟**» فقال له: قيده الإسلام يا رسول الله.

قصة بعيره الشارد:

وقيل: إن معنى قوله: بعيرك الشارد أنه مَرَّ في الجاهلية بنسوة فأعجبه حسنهن، فسألهن أن يفتلن له قيدا لبعير له زعم أنه شارد فجلس إليهن بهذه العلة، فمر به النبيّ ﷺ، فأعرض عنه فلما أسلم سأله عن ذلك البعير الشارد ـ وهو يبتسم له ـ فقال له خوات: قيده الإسلام.

ويكنى أبا صالح، وكناه عمر أبا عبدالله، وذلك أنه كان معه في ركب، فقال الركب لخوات: غننا من شعر ضرار بن الخطاب، فقال عمر: دعوا أبا عبدالله يغننا من بنات فؤاده، قال خوات: فأنشدتهم حتى السحر، فقال عمر: ارفع لسانك، فقد أسحرنا.

وفي قصته مع خولة المشهورة يقول:

فشدت على النحيين كفّاً ضنينةً　　فأعجلتها والفتك من فعلاتي

وفي المثل: أشغل من ذات النحيين، وكان ﷺ، من فُتّاكِ العرب، وكان شاعرا مجيدا، ثم أسلم ﷺ بعد هذا، وخرج مع رسول الله ﷺ، إلى بدر فلما كانوا بالصفراء أصاب ساقه حجر، فورمت منه فاعتلت، فرده النبيّ ﷺ، وضرب له بسهمه وأجره، وتوفي سنة أربعين وهو بن إحدى وسبعين سنة، **(كُسرا)**: صرفا **(عن همة)**: ما يهتم به الشخص، وهي هنا شهود بدر.

❋ ❋ ❋

وابن عدي عاصم العجلانِي　　خلَّفه خيرُ بنِي عدنان
على العوالي، وعلى الْمدينه　　أبا لبابة الربيطَ الزينه
ثامنهم رُدَّ من الروحاء　　وهو ابن حاطب إلى قباء

عاصم بن عدي ﷺ:

❖ **الشرح**: **(وابن عدي عاصم العجلاني)**: هو سيدنا عاصم بن عدي بن الجد بن العجلان بن ضبيعة البلوي حليف بني زيد بن مالك بن ضبيعة، ويكنى أبا عمرو وأبا عبدالله، وهو المذكور في حديث اللعان الذي يقول له عويمر: سل لي يا عاصم عن ذلك رسول الله ﷺ، توفي سنة خمس وأربعين وهو ابن عشرين ومائة سنة **(خلفه خير بني عدنان على العوالي)**: هي العالية وقباء.

أبو لبابة ﷺ:

(و) خَلَّف **(على المدينة أبا لبابة الربيط الزينة)**: هو سيدنا أبو لبابة بن عبدالمنذر من سادات بني عمرو بن عوف، والربيط إشارة إلى قصته الآتية الذكر - إن شاء الله تعالى - في غزوة بني قريظة مع شيء من أخباره، وقوله: **(الزينة)**: أي: الزينة لقومه بأفعاله المحمودة الكثيرة، وهو صاحب

الحديث، وكان ألح على النبيّ ﷺ في طلب الاستسقاء، فقال: «**اللّهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده بإزاره**».

الحارث بن حاطب رضي الله عنه:

(**ثامنهم رد من الروحاء**): وهي موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة (**وهو ابن حاطب**): هو سيدنا الحارث بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن عمرو بن عوف العمري، أخو ثعلبة، يكنى أبا عبدالله، شهد بعد بدر أحداً، والخندق، والحديبية، وقُتل بخيبر رضي الله عنه. وسبب رده له أنه بلغه شيء عن مسجد الضرار. قلت: هكذا قيل، ولكن لم يكن إذ ذاك مسجد الضرار (**إلى قباء**): بالضم والمد والقصر والصرف والمنع والتذكير والتأنيث، قال:

حِـرَاً وقُـبـاً أنِّـثْـهُـمَـا ذَكِّـرنْـهُـمَـا ومُدَّ وأقْصِرْ واصْرِفَنْ وامْنَع الصرفا

قرية بني عمرو بن عوف أهل مسجد قباء الذي مدح الله أهلَه بقوله: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ...﴾ الآية، وهذا المسجد أسسه النبيّ ﷺ لبني عمرو بن عوف أول يوم قدم المدينة، كان هو أولَ من وضع حجراً في قبلته، فجاء أبو بكر بحجر فوضعه، ثم جاء عمر بآخر، فوضعه إلى حجر أبي بكر، فأخذ الناس في البناء، وهو أيضاً أول مسجد بناه النبيّ ﷺ.

وإنما ضرب ﷺ لهؤلاء بأجورهم وسهامهم لأن تخلفهم كان لعذر.

(وقباء أيضاً موضع بين مكة والبصرة، وبالقصر بلد بفرغانة).

❋ ❋ ❋

وابـن عـمـيـر مـصـعـب مرَّ عـلـى شـقـيـقـه مـسـتـأسـرا لـلـفـضـلا
فـحـضـهـم أن شـددوا إن لـه أُمّـاً مـلـيـة تـفـك كـبـلـه

مصعب بن عمير رضي الله عنه:

❖ **الشرح**: (**وابن عمير مصعب**) ويقال له: مصعب الخير بن

عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار، وأمه أم خناس بنت مالك بن الظرب العامرية، وهو المقرئ - وأول من سمي بالمقرئ - يكنى أبا عبدالله، كان - قبل الإسلام - من أنعم قريش عيشا وأعطرهم، وكانت أمه شديدة الكلف به، يبيت وَقعبُ الحيس عند رأسه يستيقظ فيأكل.

فلما أسلم أصابه من الشدة ما غير لونه وأذهب لحمه حتى كان رسول الله ﷺ ينظر إليه وعليه فروة قد رقعها فيبكي لِما كان يعرف من نعمته، وحلفت أمه حين أسلم وهاجر أن لا تأكل، ولا تشرب، ولا تستظل، حتى يرجع إليها، فكانت تقف في الشمس حتى تسقط مغشياً عليها، وكان بنوها يفتحون فاها بشِجار - وهو عود - فيصبون فيه الْحَسَا لئلا تموت. هاجر ﷺ، مع أول من هاجر إلى الحبشة، ثم رجع إلى مكة. فلما كانت ليلة العقبة سأل الأنصار النبيّ ﷺ، أن يرسل معهم من يرشدهم للدين ولا يكون منهم - خوف التنافس - فبعثه معهم هو وابن مكتوم، فنزلا على أسعد بن زرارة ﷺ، وأسلم جل الأنصار على يديه.

مروره على شقيقه أسيراً:

(**مر على شقيقه مستأسراً**) وشقيقه المستأسر - ولم يؤسر من بني عبدالدار إلا هو - أبو عزيز، كان يُحدث الناس يقول: مر بي أخي - ورجل من الأنصار يأسرني - فقال: اشدد يديك به، فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه، فكنت في رهط من الأنصار، وكان رسول الله ﷺ قال للمسلمين: «**استوصوا بهم خيرا**» يعني الأسارى، قال: ولتلك الوصية كانوا إذا قدموا الغداء والعشاء، خصوني بالخبز، وأكلوا التمر. وأخت مصعب وأبي عزيز - لأبيهما وأمهما - هند بنت عمير أم شيبة بن عثمان، صاحب مفاتيح البيت، وأخواهم للأم فقط: أبو هاشم، وأم أبان ابنا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وليس بشيء قول من قال: إن أبا عزيز قتل يوم أحد كافرا، ولا خلاف في إسلام أخيهم للأب أبي الرَّوْمِ بن عمير، هاجر إلى الحبشة بعد مصعب.

ولم يعقب مصعب إلا زينب، أمها حمنة بنت جحش، وكان معه لواء

المهاجرين يوم بدر ـ عند الأكثر ـ ومعه يوم أحد قطعا، فلما قُتِلَ زعموه النبيّ ﷺ، لشبهه إياه إذا لبس لامَته، ولم يترك إلا نمرة ـ بفتح النون وكسر الميم، وهي كساء فيه خطوط بيض وسود تلبسه العرب، جمعه أنمار قاله المصباح ـ كانوا إذا غطوا بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطوا بها رجليه بدا رأسه، فقال ﷺ: «**غطوا بها رأسه واجعلوا على رجليه من الإذخر**» **(للفضلا)**: جمع فاضل، وهم الصحابة ﷺ، وقصره للضرورة.

وما ذكرناه عن مصعب وشقيقه هو معنى قوله: **(فحضهم)**: حثهم وأغراهم **(أن شددوا)** أسره **(إن له أما ملية)**: غنية **(تفك)**: الفك حل الأسر **(كبله)**: والكبل القيد، أو أعظمه.

❋ ❋ ❋

وابن الربيع صهر هادي الْملة إذ في فداه زينب أرسلت
بعقدها الذي به أهدتْها له خديجة وزفتها

أبو العاص بن الربيع ﷺ:

❖ **الشرح**: **(وابن الربيع)**: هو سيدنا أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف، قيل اسمه عبد العزى، وقيل لقيط **(صهر)**: والصهر زوج بنت الرجل، وزوج أخته، واشتقاقه من صَهر الشيءَ بالشيء إذا ألصقه به، وفي حديث بناء النبيّ ﷺ مسجدَ قباء: «**كان ﷺ يأتي بالحجر قد صهره إلى بطنه فيأتي الرجل يريد أن يقلبه فلا يستطيع**» **(هاد)**: مرشد **(الملة)**: الدين، وهاد الملة النبيّ ﷺ، وهو على حذف مضاف، أي: هادي أهل الملة على حد ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ أي: أهل القرية، أو حذف المفعول الأول أي: هادينا إلى الملة **(إذ في فداه زينب أرسلت)** وزينب هي بنت رسول الله ﷺ، التي صاهره عليها أبو العاص هذا، وولدت له علياً الذي دخل النبيّ ﷺ مكة يوم الفتح وهو رديفه، وتوفي وقد ناهز الحلم، وأمامةَ بنت أبي العاص، تزوجها علي ﷺ، وقُتل عنها، ثم خلف عليها المغيرة بن نوفل بوصية عليٍّ ولا يولد لها، وانقرض أبو العاص إلا

من بنته مريم، أمها فاختة بنت سعيد بن أبي أحيحة، ولم يكن له من الولد إلا هؤلاء الثلاثة.

وزينب هي أكبر بناته ﷺ **(بعقدها)**: والعقد القلادة، فلما رآه ﷺ، عرفه ورق له رقة شديدة، وقال: «**إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها عقدها فافعلوا**» قالوا: نعم يا رسول الله **(الذي به أهدتها)**: هدى العروس إلى بعلها وأهداها فهي هدى ـ كغنى وهدية كغنية ـ جهزها **(له خديجة)** هي أمنا بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى، سبق إليها قبل النبيّ ﷺ عتيق بن عائذ بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم، فولدت له بنتها هندَ ـ وتزوج هند صيفيُ بن أمية بن عائذ، فولدت له محمداً بن صيفي، وكان يقال له ابن الطاهرة ـ ثم خلف على أمنا بعد عتيق هند أبو هالة التميمي، ويقال له زرارة بن النباش، حليف بني زهرة، فولدت له ابنيها هنداً وهالة، فرأت التقى والزهد والحياء سجية في النبيّ ﷺ فدعته إلى الزواج فخطبها له أبو طالب، وتولى عقدَها عمُّها عمرو بن أسد بن عبد العزى على المشهور. ومناقبها أكثر وأشهر من أن يذكر منها شيء **(وزففتها)**: أي: أهدتها، وإنَّما خص التزفيف بها دون النبيّ ﷺ ـ وإن كان منهما ـ لأن التزفيف في الحقيقة للنساء دون الرجال.

❊ ❊ ❊

سرحه بعقدها وعهدا	**إليه أن يردها له غدا**
فردها وبعد ذاك تجرا	**لنفسه وساكني أم القرى**
فانتهب الأصحاب عير القلب	**فجاء واستجار بابنة النبيّ**

تسريحه بعقد زينب رضي الله عنها:

❖ **الشرح**: **(سرحه)**: أطلقه من الأسر، وهو خبر وابنُ الربيع، وفاعل سرحه ضمير يعود على النبيّ ﷺ **(بعقدها)** أي: قلادتها، والباء في بعقدها بمعنى مع أي أطلقه، وبعث العقد لربته، **(وعهدا إليه أن يردها له غدا)**: أي: أخذ عليه العهد أن يخلي سبيلها إليه، فبعث ﷺ زيد بن

حارثة، ورجلا من الأنصار، وقال لهما: «**كونا ببطن يأجج حتى تَمُرَّ بكما زينب، فتصحباها حتى تأتيا بها**».

استجارته بزينب رضي الله عنها:

(**فردها وبعد ذاك تجرا**) هو أي: أبو العاص بن الربيع (**لنفسه وساكني أم القرى**): وهي مكة (**فانتهب**)، النهب الغنيمة، نهبه وانتهبه (**الأصحاب**) يعني أصحاب النبيّ ﷺ (**عِير**) ـ بالكسر ـ القافلة، مؤنثةً، والإبل تحمل الميرة، أوكل ما يمتار عليه، إبلا كان، أو غيرها، (**القُلَّبِ**): المحتال البصير بتقليب الأمور، يعني به أبا العاص بن الربيع (**فجاء واستجار**) فلان بفلان دخل في جواره، أو طلبه أن يجيره ممن غلبه (**بابنة النبيّ**) ﷺ، وهي زينب رضي الله عنها، وفيها يقول ـ وكان تاجراً بالشام ـ:

ذكرت زينب بالأجزاع من إضما ... فقلت سقيا لشخص يسكن الحرما
بنت الأمين جزاها الله صالحة ... وكل بعل سيثني بالذي علما

فصرحت ولَم تُجمجم البتول ... بأن أجارته وأمضاه الرسول
فرُدَّ مالُه عليه أجْمعُ ... تلك الصهارة بِها يُسْتَشْفَعُ

إجارتُها له رضي الله عنها:

❖ **الشرح**: (**فصرحت**): أي: أعربت عما في ضميرها (**ولَم تجمجم**) عطف تفسير على صرحت، والجمجمة والتجمجم الإخفاء في الصدر وعدم بيان الكلام، يعني أنها رضي الله عنها نادت في الناس، حين صلى أبوها ﷺ الصبح، ألاَ إني أجرت أبا العاص بن الربيع.

فقال ﷺ: «**ما علمت بشيء من هذا وأجرنا من أجرت**» (**البتول**) أي: المنقطعة عن الرجال لا أرب لها فيهم، أو المنقطعة عن الرجال، أو عن الدنيا إلى الله، وعَلَمٌ على مريم العذراء، عليها السلام، وفاطمة رضي الله عنها (**بأن أجارته وأمضاه الرسول فرد ماله عليه أجمع تلك الصهارة بها يستشفع**).

والذي جاء بأبي العاص في هذه المرة الثانية سرية زيد بن حارثة إلى العيص، بلغ رسول الله ﷺ قفول عير قريش من الشام، فبعث زيد بن حارثة في مائة وسبعين راكبا معترضا لها، فأخذوها وما فيها، فأخذوا يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن أمية، وأسروا رجالا فيهم أبو العاص.

❊ ❊ ❊

أوصى به من حيث الاكرام ابنته	**لكن نَهاها أن تكون بعلته**
وما ارتضى من بعد إسلام ابنته	**وكفره بقاءها في عصمته**
لو أنه يُحل أو يُحرم	**بِمكة عنها الْحليل يَحسم**

وصيته ﷺ لَهَا رضي الله عنها:

❖ **الشرح**: **(أوصى)** ﷺ **(به)** أي: عليه **(من حيث الإكرام ابنته لكن نهاها أن تكون بعلته)**: البعل الزوج، والأنثى بِهَاءٍ وبغيرها، يعني أن رسول الله ﷺ، أوصى ابنته زينب بأبي العاص **(من حيث)** أي: من جهة أن تكرمه لأنهم أهل بيت الإكرام ولما سبق وما سيأتي بينهما من الزوجية ولضيافته وغربته، لكن نهاها أن تتبعل له أي: أن تطيعه في الجماع وأن تتزين له.

(وما ارتضى من بعد إسلام ابنته) ﷺ يعني بها زينب **(وكفره)** يعني أبا العاص **(بقاءها)**: أي: زينب **(في عصمته)** أي: أبي العاص رضي الله عنه، وهو على كفره لأنها لا تحل له ولا يحل لها، قال تعالى ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ والعصمة بالكسر المنع والقلادة لأن الزوج يمنع زوجته من تزويج غيره، ولا يقال فلان في عصمة فلانة، إذ لا تَمنعه من التزويج، أو لأنه يتقلد لها بالنفقة والكسوة ونحوهما.

❊ ❊ ❊

السبب في عدم التفريق بينهما قبل إسلامه:

(لو أنه) ﷺ **(يحل)** أي: يأمر، أو يخبر بالحلال فيطاع **(أو يُحرم)**: أي: ينهى، أو يخبر بالحرام فيطاع أيضاً **(بمكة)** البيت الحرام شرفها الله

تعالى، أو الحرم كله، لأنها تَمُكُّ الذنوب أي تنفيها أو تمك من يظلم فيها أي: تهلكه، ويقال لها: بكة من البك وهو الدق والازدحام أي تدق الجبابرة، أو لازدحام الناس بها **(عنها الحليل)**: أي: الزوج **(يحسم)**: كنصر يقطع، يعني أنه ﷺ لو كان يطاع فيما يأمر به من الحلال، وينهى عنه من الحرام لقطع ما بينهما، لكن لَمَّا مَنَّ عليه بالإطلاق من الأسر بلا فداء، عهد إليه أن يخلي سبيلها إليه، ووفى له بالعهد، وهو أهل الوفاء والكرم، وسيأتي خبر مسيرها، وما لاقته من قريش، في فتح مكة مستوفى، إن شاء الله تعالى.

❋ ❋ ❋

وسُئل الإيمان كي يَحوزا	**مال قريش وبه يفوزا**
فهاب أن يبدأ بالخيانه	**إيمانه ويدع الأمانه**
فردها لأهلها وأسلما	**وآب إذ إلى قريش أسلما**

أمانة أبي العاص وشرفه وإسلامه:

❖ **الشرح**: **(وسئل الإيمان)**: وهو التصديق بتوحيد الله تعالى، وبرسالة نبيه محمد ﷺ، **(كي يحوزا)**: أي: يجمع **(مال)** مملوك، يعني به العير التي كانت عنده **(قريش)**: قيل هم بنو فهر - واسمه قريش الذي سمته به أمه، وإنما نبزته فهرا أي لقبته به، نبزه نبزا من باب ضرب، إذا لقبه - وقيل: النضر بن كنانة.

وإنما سمي قريشاً، لأنه كان يقرش عن خلة الناس، أي: حاجتهم فيسدها بماله، والتقريش التفتيش، وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن الحاجة، فيرفدونهم بما يبلغهم، وقيل: سُمُّوا قريشاً بقريش بن بدر بن يخلد بن النضر، كان دليلَ تجارة كنانة إلى الشام، فيقال: جاءت عير قريش، إلى أن غلب على الحي، وأبوه بدر هو الذي حفر بدرا، ذات الوقعة، فسميت به، وقيل في تسمية النضر قريشاً: إنه رأى في المنام شجرة نبتت بمكة فارتفعت، حتى بلغت السماء، فتدلت أغصانها إلى الأرض،

فدخل في كل بيت من أهل مكة غصن منها، وكان أصلها في بيته، فعُبرت له الرؤيا أن سيخرج منه نبي فضله يبلغ السماء، وينتشر في الأرض، وأنه سيكون له اسم شريف، فاتفق أن ركب في سفينة فعرضت للسفينة دابة عظيمة من عادتها أن تبتلع السفن وما عليها، ففزع أهل السفينة أشد الفزع، فلما دنت منهم رماها النضر فقتلها، واحتز رأسها، فحمله إلى مكة، فوضعه على أبي قبيس، فسمي قريشاً، وهو اسم الدابة **(وبه)**: أي: مال قريش **(يفوزا)**: يظفر ويستبد.

(فهاب) أبو العاص: أي: حذر **(أن يبدأ)**: يستفتح **(بالخيانة)**: وهي أن يُؤتَمن الإنسانُ فلا ينصح **(إيمانه)**: تصديقه وجزمه بالله ورسله وما جاؤوا به **(ويدع)**: يترك **(الأمانة)**: ضد الخيانة. **(فردها)**: أي: الأموال **(لأهلها وأسلما)**: أي: صار مسلما **(وآب)**: أي: رجع إلى المدينة **(إذ)**: حين **(إلى قريش أسلما)** أموالَهم أي أعطاها لَهم، يعني أنه لَمَّا أعطى قريشاً أماناتِهم التي كانت عنده، بعد أن سأله الصحابة أن يسلم، ويضمها إليه ويستبد بها، أبى ذلك لئلا يكون أول إسلامه خيانة، ولو من مشرك، بل دفع إلى قريش أموالهم فهاجر.

❋ ❋ ❋

فـردهـا إلـيـه خـيـر مـرسـل ... بالعقد الاول على القول الْجلي
وأمـه هـالـة اخـت صـهـرتـه ... والْمصطفى رضي عن صهارته

الْخلاف في ردها إليه هل بالعقد الأول أم لا:

❖ **الشرح**: **(فـ)** لَمَّا رجع إلى المدينة **(ردها)** أي: زينب **(إليه)** أي: أبي العاص **(خير مرسل)** ﷺ **(بالعقد الأول على القول الجلي)** وهو قول ابن عباس، يعني **أن النبيّ** ﷺ رد زينب ابنته إلى أبي العاص بلا تجديد عقد عند ابن عباس، وبعقد عند غيره ـ وهو عمرو بن شعيب ـ وأهلُ الحديث يرجحون سند ابن عباس على سند عمرو، ولكن الفقهاء لم يعملوا بحديث ابن عباس، وإنما العمل على حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن

النبيّ ﷺ ردها عليه بنكاح جديد، ومَن جمع بين الحديثين قال في حديث ابن عباس: ردها ﷺ عليه على النكاح الأول في الصداق والحباء، لم تحدث فيه زيادة على ذلك من شروط ولا غيرها.

(وأمه): أي: أبو العاص بن الربيع **(هالة)** بنت خويلد **(أخت صهرته)** يعني بها أمنا خديجة بنت خويلد، رضي الله عنها، يعني أن أمه هالة أخت لخديجة أما وأبا، وأمهما فاطمة بنت زائدة بن الأصم، وأمها العَرِقة، واسمها قلابة بنت سُعيد بن سهم، ويقال لها العرقة، لطيب ريحها، وهي التي ينسب إليها حبان بن العرقة قاتل سعد بن معاذ، ولم أقف على من يذكر إسلاما لحبان هذا، ولا لابن عمه مكرز بن حفص بن الأخيف بن علقمة.

واستأذنت هالة يوما على النبيّ ﷺ، فعرف استئذان خديجة، فارتاع لذلك، فقال: «**اللّهم هالة**» **(والمصطفى)** ﷺ **(رضي عن صهارته)** إشارة إلى قوله ﷺ لعليٍّ - حين خطب جويرية بنت أبي جهل - في أبي العاص بن الربيع: «**صاهرني رجل من بني عبد شمس حدثني فصدقني وعاهدني فوفى لي**»، وغير ذلك من الثناء عليه، وفي هذه الخطبة قال ﷺ: «**والله لا تجتمع بنت عدو الله وبنت نبي الله**»، (وأخذ منه عدم جواز التزويج على بنت النبيّ ﷺ، بخلاف التسري عليها، لأن علياً رضي الله عنه وطئ جارية من الخمس في بعض سراياه، ولم يتزوج أحد من أصهاره قط على بنت له).

❊ ❊ ❊

والمسلمون خُيِّروا بين الفدى ... وقدرهم في قابل يُستشهدا
وبين قتلهم، فمالوا للفدى ... لأنه على القتال عضدا
وأنه أدى إلى الشهاده ... وهي قصارى الفوز والسعاده
وهو بقدر وسعهم والمملق ... من خطه عشرةً يُحذق

فداء أسرى بدر:

❖ **الشرح**: **(والمسلمون)** يعني أصحاب رسول الله ﷺ **(خيروا بين الفدى)**: أي: في أن يفادوا أسارى بدر **(وقدرهم)**: أي: عددهم يعني أيضاً

أسارى بدر **(في قابل)** وهو العام الآتي - وكان أحداً - **(يستشهدا)** بالبناء للفاعل والمفعول والألف فيه بدل من نون التوكيد النادرة الوقوع، كقول حذيفة:

ربما أوفيت في علم ترفعن ثوبي شمالات

وهل هو من الشهادة أو من المشاهدة، فإن كان من الشهادة فهو شهيد بمعنى مشهود أي: عليه ومشهود له بالجنة، وأما مشهود عليه فلأن النبيّ ﷺ حين وقف على قتلى أحد قال: «**هؤلاء الذين أشهد عليهم**» أي: أشهد عليهم بالوفاء، فقال عليهم ولم يقل لهم، لأن المعنى: أجيء بهم يوم القيامة شهيدا عليهم، فهي ولاية عليهم، فوصلت بحرف **(على)**، ويجوز أن يكون من الشهادة، ويكون فعيلا بمعنى فاعل، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي تشهدون عليهم، وهذا - وإن كان عاما في أمة محمد ﷺ - فالشهداء أولى بهذا الاسم، إذ هم تبع للصديقين والنبيين، قال تعالى: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ الآية، فهذان وجهان في معنى الشهيد إذا جعلته مشتقا من الشهادة، وإن كان من المشاهدة فهي فعيل بمعنى فاعل أيضاً، لأنه يشاهد من ملكوت الله ويعاين من ملائكته ما لا يشاهده غيره، ويكون بمعنى مفعول، وهو من المشاهدة لأن الملائكة تشاهد قبضه والعروج به. وأولى هذه الوجوه كلها بالصحة أن يكون فعيلا بمعنى مفعول، ويكون معناه مشهود له بالجنة، أو يشهد له النبيّ ﷺ كما قال: «**أنا شهيد عليهم**»، انتهى. وقوله:

(والمسلمون خيروا بين الفدا) نزل به جبريل على النبيّ ﷺ، فنادى في أصحابه فاجتمعوا عليه، فقال: «**إن هذا جبريل يخيركم بين أن تقتلوهم وبين أن نُفادِيهمْ ويستشهد منكم في قابل بعدتهم**» فقالوا: بل نفادوهم، فنتقوى به عليهم، ويدخل منا الجنة في قابل سبعون، وهذا هو معنى قوله **(لأنه)**: أي: الفداء **(على القتال عضدا)**: أي: أعان عليه ونصر **(وأنه أدى)**: أي: ألجأ **(إلى الشهادة)** أي: أن يموتوا شهداء **(وهي)**: أي: الشهادة **(قصارى)** الشيء غايته ومنتهاه **(الفوز)**: النجاة والظفر **(والسعادة)** ضد الشقاوة.

(وهو): أي: الفداء **(بقدر وسعهم)**: أي: طاقتهم، فمن أربعة آلاف ـ كأبي عزيز، وأبي وداعة ـ إلى ثلاثة إلى ألفين إلى ألف، ثم من لم يكن عنده ما يفتدي به نفسه دُفِعَ له عشرة غلمان من أغلمة المدينة يعلمهم الكتابة، فإذا حذقوا فهو فداؤه، لأن أهل مكة يكتبون، وأهل المدينة لايكتبون وهذا معنى قوله **(والمملق)** أي: الفقير **(من خطه عشرة يحذق)** يمهره. وتعلم الكتابة يومئذ زيد بن ثابت، في جماعة من أغلمة الأنصار، ثم كتب المصحف بعد ذلك لعثمان ﵄.

❊ ❊ ❊

ومن مشاهير الأسارى عمرو نَجل أبي سفيان ثُم الصهر
والعم وابنا أخويه وهما عقيل نوفل وبعدُ أسلما

مشاهير الأسرى: عمرو بن أبي سفيان:

❖ **الشرح**: **(ومن مشاهير الأسارى)** جمع أسير **(عمرو نجل أبي سفيان)** فقيل لأبي سفيان: ألا تفدي عمرا؟ فقال: أيجمع علي المال والدم: يقتل حنظلة وأفدي عمرا؟ لا أفعل، ولكن أنتظر حتى أصيب منهم رجلا فأفديه به، فأصاب سعد بن النعمان بن أَكَّالٍ أحد بني عمرو بن عوف، جاء معتمرا، فلما قضى عمرته صدر، وكان معه المنذر بن عمرو، فطلبهم أبو سفيان، فأدرك سعدا فأسره، وفاته المنذر، وفي ذلك يقول ضرار بن الخطاب الفهري:

تداركتَ سعداً عنوةً فأخذتَه وكان شفائي لو تداركت منذرا

وقال أبو سفيان:

أرهط ابن أكال أجيبوا دعاءه تفاقدتم لا تسلموا السيد الكهلا
فإن بني عمرو بن عوف أذلة إذا لم يفكوا عن أسيرهم الكبلا

وليس لعمرو بن أبي سفيان عقب، ولم يرد له ذكر بعد هذا بإسلام

ولا غيره، **(ثم الصهر)** وهو أبو العاص بن الربيع، أسره عبدالله بن جبير الأوسي.

العباس والخلاف في وقت إسلامه رضي الله عنه:

(والعم): وهو سيدنا العباس رضي الله عنه ونفعنا بحبه، أسره أبو اليسر كعب بن عمرو الخزرجي، وكان قصيرا دميما، فقيل للعباس: لو جعلته في كفك لوسعته، فقال: ما هو إلا أن لقيته فظهر في عيني كالخندمة. واختلف في وقت إسلامه رضي الله عنه، فقيل: بدر، وذلك لأن النبيّ ﷺ قال له: «**افد نفسك**» فقال: ليس لي مال أفتدي به، فقال له: «**الذهب الذي تركت عند أم الفضل وقلت لها كيت وكيت؟**» فقال: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأنك رسوله... والله ما حضرنا إلا الله، وفي خبر أبي رافع مع أبي لهب دليل على تقدم إسلامه على بدر.

قصة أبي رافع مع أبي لَهب:

وكان أبو رافع عبدا قبطيا للعباس فوهبه للنبي ﷺ، فلما أسلم العباس وبشر أبو رافع النبيَّ ﷺ بإسلامه أعتقه، وقيل كان عبدا لبني سعيد بن العاص ـ وهم عشرة ـ فأعتقوه إلا خالدا فإنه وهب حصته منه للنبي ﷺ، فأعتقه النبيّ ﷺ، والأول أصح، قال في خبره: كنت غلاما للعباس، وكان الإسلام قد دخلنا أهلَ البيت، فأسلم العباس، وأسلمت أنا، وأسلمت أم الفضل، وكان العباس يهاب قومَه، ويكره خلافَهم، ويكتم عنهم إسلامه.

فلما جاء الخبر عن مصاب قريش ببدر، وكنت رجلاً ضعيفاً، أعمل الأقداح، أنحتها في حجرة زمزم، فوالله إني لجالس أنحت أقداحي، وعندي أم الفضل جالسة، إذ أقبل أبو لهب حتى جلس إلى الحجرة، فكان ظهره إلى ظهرها، فبينما هو جالس إذ قدم أبو سفيان بن الحارث فقال أبو لهب: هلم إليَّ، فعندك الخبر، فقال: والله ما هو إلا أن لقينا القوم، فمنحناهم أكتافنا، يقتلوننا كيف شاءوا، ويأسروننا كيف شاءوا وأيم الله مع ذلك ما

لُمْتُ الناس، لَقِينَا رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض، والله ما تُبقي شيئاً ولا يقوم لها شيء.

قال أبو رافع: قلت: تلك ـ والله ـ خيل الملائكة، فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة، فثاورته فاحتملني فضرب بي الأرض، ثم برك عليَّ يضربني، فقامت أم الفضل إلى عمود فضربته به ضربة فلقت في رأسه شجة منكرة، وقالت: استضعفته حين غاب سيده؟ فقام مولياً ذليلاً، فوالله ما عاش إلا سبع ليال، حتى رماه الله بالعَدَسة فقتلته، وبقي بعد موته ثلاثاً لا تقرب جنازته، لأن العدسة تتشاءم بها العرب، وتُعدي عندهم أشد العدوى، فلما خاف بنوه السبة حفروا له حفرة، ودفعوا جنازته بعود في حفرته، وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه. وكانت عائشة رضي الله عنها إذا مرت بموضعه ذلك غطت وجهها.

وقيل: إن العباس رضي الله عنه أسلم قبل الفتح عام خيبر وتوفي في طاعون عمواس في خلافة عمر، وجزع عليه عبدالله، ولم يتسل بموعظة ولا بتعزية إلى أن دخل أعرابي فأنشده:

اصبر نكن بك صابرين وإنما ... صبر الرعيَّة عند صبر الراس

خير من العباس أجرك بعده ... والله خير منك للعباس

عقيل ونوفل رضي الله عنهما:

(وابنا أخويه وهما عقيل) هو ابن أبي طالب، وهو بفتح العين ـ وكل هذا اللفظ في العرب بضمها إلا هذا وعقيل بن علفة المري ـ ويكنى أبا يزيد بابنه يزيد أكبر بنيه، أسلم عام الحديبية، وقال له النبيّ ﷺ: «**يا أبا يزيد إني أحبك حبين حباً لقرابتك مني وحباً لما أعرف من حب عمي إياك**» روى عن النبيّ ﷺ: «**في الوضوء بالْمُدِّ، وفي الطهر بالصاع**» وحديثا آخر «**لا تقولوا: «اللّهم بالرفاء والبنين، وقولوا: بارك الله لك وبارك عليك**» وكان عقيل أسن من جعفر بعشر سنين، وجعفر أسن من علي بعشر سنين، وطالب أسن من عقيل بعشر، وأمهم كلهم فاطمة بنت أسد، وهي أيضاً أم

أختيهم: أمِّ هانئ، وجمانةَ ابنتي أبي طالب، أما جمانة فولدت لأبي سفيان بن الحارث، وأما أم هانئ فولدت لهبيرة بن أبي وهب جعدةَ - الذي يقول:

أبي من بني مخزوم ان كنت جاهلا ... ومن هاشم أمي لخير قبيل
فمَن ذا الذي يبأى عليَّ بخاله ... كخالي عليٍّ ذي الندى وعقيل

- وهانئاً ويوسفَ. وهبيرةُ فر من الإسلام إلى نجران، ومات بها كافرا، وكانت أم هانئ يقال لها هند، وأسلمت.

و(**نوفل**) هو ابن الحارث بن عبد المطلب، يكنى أبا الحارث بابنه الحارث، وأم نوفل عزيزة بنت قيس بن طريف، من بني الحارث بن فهر، وهي أم إخوته: أبي سفيان، وربيعة، وعبد شمس، وعبد المطلب، وأمية، وعبد شمس سماه النبيّ ﷺ عبدالله، ومات في حياته ﷺ، أسلم نوفل ﷺ عام الحديبية وهاجر، وقيل: أسلم حين أسر، وذلك أن النبيّ ﷺ قال له: «**افد نفسك**» فقال: ليس لي مال أفتدي به، قال: «**افد نفسك بأرماحك التي بجدة**» قال والله لا يعلم أن لي أرماحا بجدة إلا الله أشهد أنك رسول الله وهو ممن ثبت مع النبيّ ﷺ يوم حنين، وأعان النبيَّ ﷺ على الخروج إليها بثلاثة آلاف رمح، فقال ﷺ: «**كأني بأرماحك هذه تقصف ظهور المشركين**» مات ﷺ بالمدينة سنة خمس عشرة، وصلى عليه عمر، وابنُه المغيرة خلف عليا على أمامة بنت أبي العاص ابن الربيع، وكان علي قال لها: إن أردت النكاح فاجعلي أمرك إلى المغيرة بن نوفل، فخطبها معاوية، فجعلت أمرها إلى المغيرة، فتوثق منها فزوجها نفسه، (**وبعد أسلما**).

❋ ❋ ❋

وخالد أخو أبِي جهل وقد ... أسلم أيضاً وسهيل الأسد
ومكز ركز في مركزه ... حتى أتى فداؤه لعزه

❖ **الشرح**: (**وخالد أخو أبي جهل**) إذ ذاك (**وقد أسلم أيضاً**) فقطع الإسلام تلك الأخوة، وأم خالد والعاص الشفاء بنت خالد بن عبدالله بن

عمرو بن مخزوم، وذكر صاحب الإصابة أن خالدا هذا من المؤلفة قلوبهم، وقال: وفيه نظر.

سهيل بن عمرو رضي الله عنه:

(وسهيل الأسد) هو ابن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، وكان أعلمَ، وهو من أشراف قريش، أسر يوم بدر، وقدم في فدائه مكرز بن حفص بن الأخيف المعيصي ـ وهو بكسر الميم وفتحها والكسر أشهر ـ فغالظهم على فدائه، ثم قال: اجعلوني في القيد مكان رجليه حتى يبعث إليكم فداءه، ففعلوا ذلك به، وذلك معنى قوله:

(ومكرز ركز): أي: ثبت **(في مركزه:)** مكان ثبوته **(حتى أتى فداؤه لعزه)** يعني سهيلا أي: مكانته عندهم، ومكرز العامري هذا ممن بعثته قريش يوم الحديبية إلى رسول الله ﷺ، فلما رآه قال لأصحابه: «**أتاكم رجل فاجر**» فلم يغن شيئاً، فبعثوا سهيلا، فلما رآه ﷺ قال: «**سهل لكم من أمركم**» وسيأتي ـ إن شاء الله ـ مستوفى، فبعث سهيل إلى الأنصار بفدائه، وكان الذي أسره مالك بن الدخشم السالمي، فأطلقوا مكرزاً، ولم أجد لمكرز إسلاماً، ولا ذكرا في الصحابة، إلا صاحب نور النبراس ذكر أن ابن حبان ذكر له صحبة، والله تعالى أعلم. وفي سهيل هذا قال عمر رضي الله عنه، لرسول الله ﷺ: انزع ثنيتي سهيل يدلع لسانه، فلا يقوم عليك خطيبا أبدا، وإنما قال عمر ذلك لأن سهيلاً كان أعلمَ، فقال ﷺ: «**لعله يقوم لك مقاما لا تذمه**»، فأسلم سهيل يوم الفتح، وقام بعد ذلك بمكة خطيبا حين تُوفي رسول الله ﷺ، وماج أهل مكة وكادوا يرتدون، فقام فيهم سهيل بمثل خطبة أبي بكر الصديق بالمدينة كأنه سمعها، فسكن الناس وقبلوا منه، والأمير يومئذ عتاب بن أسيد اختفى في داره حين ماجت قريش إلى أن ثبتوا بخطبة سهيل.

وخرج سهيل بجماعة أهله إلى الشام، فجاهدوا حتى ماتوا كلهم

هنالك، فلم يبق من ولده أحد إلا فاختة بنت عتبة بن سهيل بن عمرو، وقدمت على عمر، وكانت تسمى الشريدة، فزوجها من عبدالرحمٰن بن الحارث بن هشام، وكان يسمى أيضاً الشريد، وكان أبوه خرج هو وسهيل حين قال النبيّ ﷺ: «**لا هجرة بعد الفتح لكن جهاد ونية**» قالا: لئن فاتنا أول الإسلام والهجرة فلا يفوتنا الجهاد والشهادة، فخرج كلٌّ بأهله إلى الشام، فلم يرجع ممن خرج معهما إلا عبدالرحمٰن وفاختة، فسماهما الناس الشريدين.

قال عمر ﷺ: زوجوا الشريدة من الشريد، لعل الله أن ينشر منهما أمة، فنشر الله منهما رجالاً كثيراً ونساء، (**ومعنى الشريد الذي لم يبق من أهله غيره**) وأم سهيل حُبَّى بنت قيس، من خزاعة.

❋ ❋ ❋

وابن أُبَيّ وأبو وداعه ... أول مفدي من الرِّباعه

وخالد بن الاعلم الذي افتخر ... وكان قبل كل هوهة عجر

✍ عبدالله بن أُبَيّ الجمحي، وأبو وداعة:

❖ **الشرح**: (**وابن أبي**): هو سيدنا عبدالله بن أبي بن خلف بن حذافة بن جمح، وأمه أم عامر بنت الحجاج، أخت منبه ونبيه السهميين الكافرين، أسلم عبدالله عام الفتح، وقُتل يوم الجمل ﷺ (**وأبو وداعة**) اسمه الحارث بن هبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم، لما أسر قال رسول الله ﷺ: «**إن له ابنا بمكة كيسا تاجرا ذا مال - يعني المطلب - وكأنكم به قد جاء في طلب فداء أبيه**» فلما قالت قريش: لا تعجلوا في طلب أساراكم لا يأرب محمد وأصحابه، قال: صدقتم، وانسل من الليل فجاء فأخذه بأربعة آلاف درهم، ثم أسلم هو وأبوه يوم الفتح، ومن عقبه بشر بن كثير بن المطلب الشاعر القائل:

لعن الله من يسب عليا ... وحسينا من سوقة وإمام

ومن عقبه إسماعيل بن جامع المغني المشهور، وعبدالرحمٰن بن محيصن بن أبي وداعة قارئ أهل مكة **(أول مفدي)**: أي: أعطي فداؤه **(من الرباعه)**: يعني أسارى أهل بدر.

خالد بن الأعلم:

(وخالد بن الأعلم) هذا عقيلي حليف بني مخزوم، قتل يوم أحد كافرا **(الذي افتخر)** بقوله يوم بدر:

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

(وكان قبل كل هوهة): جبان **(عجر)**: ثنى عنقه هارباً، ومر سريعاً.

بعض من أسلم من أسارى بدر:

وممن أسلم من أسارى بدر: أبو العاص بن الربيع، وأبو عزيز بن عمير، والسائب بن أبي حبيش، أو حبيس - بالإهمال أو صبيش بالصاد - وعبدالله بن أبي السائب، والمطلب بن حنطب، وقيس بن السائب، مولى مجاهد بن جبير القارئ - وكان مجاهد يقول: أُنزلت في مولاي قيس ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ...﴾ الآية، فأفطر، وأطعم عن كل يوم مسكيناً - وعتبة بن زمعة، أخو أمنا سودة، ونسطاس مولى أمية بن خلف - أسلم بعد أحد، وكان يحدث عن فرار المشركين يومئذ، وهروب صفوان بن أمية بخبر عجيب - ويعد منهم الحجاج بن الحارث بن قيس بن عدي، والمشهور أنه من مهاجري الحبشة.

ومنهم وهب بن عمير بن وهب، وقد تقدم إسلامه وإسلام أبيه ومجيء أبيه إليه، وأن سببه أنه جلس هو وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرا أصحاب القليب ومصابَهم، فقال صفوان بن أمية: إنْ في العيش خير والله بعدهم، قال عمير: صدقت أما والله لولا دين عليَّ كما تقدم ذلك في أول هذه الغزوة عند قول الناظم: **(لو طاوعوا عتبة، أو حكيما، أو ابن**

وهب...) فلما أسلم قال: يا رسول الله إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله، فأحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى الإسلام لعل الله أن يهديهم، وإلا آذيتهم في دينهم، كما كنت أوذي أصحابك في دينهم، فأذن له فلحق بمكة، وكان صفوان، حين خرج عمير، يقول: أبشروا بوقعة تأتيكم الآن تنسيكم وقعة بدر، وكان يسأل الركبان حتى قدم راكب أخبره بإسلامه، فحلف لا يكلمه ولا ينفعه أبدا، وقيل: بل كان عمير مع رسول الله ﷺ بالمدينة حتى غزا معه غزوة الفتح، كما قدمنا.

❊ ❊ ❊

ومن مشاهير الْممات حنظله	**منبه وصنوه وابنان له**
وهم نبيه حارث والعاص	**أحد رهط غير ذي خلاص**
من مكة لكونه مستضعفا	**في زعمه ويوم بدر زحفا**
مع قريش وتوفت ظالِمي	**أنفسهم ملائك الْملاحم**

مشاهير قتلى الْمشركين:

❖ **الشرح: (ومن مشاهير الممات)**: أي: من أُمِيتَ: أي قُتل من المشركين، وأل للجنس أي: ومن مشاهير الجنس الممات، ولم يستوعب مشاهيرهم ولذلك عبر بِمِنْ لأنها تؤذن بالبعض **(حنظلة)** بن أبي سفيان، تقدم نسبه ونسب أمه، قتله زيد بن حارثة الكلبي، وقيل: علي، رضي الله عنهما، ولم يعقب حنظلة هذا.

منبه ونبيه ابنا الْحجاج:

(منبه): هو ابن الحجاج بن عامر بن سعيد بن سهم السهمي **(وصنوه)**: والصنو الابن، وابن العم والأخ الشقيق، وهو المراد هنا، لأن أمهما أروى بنت عميلة بن السباق بن عبدالدار **(وابنان له)** أي: منبه.

(وهم): أي: الصنو والابنان **(نبيه)** كزبير **(حارث)** بن الحجاج، وهو المراد بالصنو، وكان منبه ونبيه من المطعمين في الطريق إلى بدر، ولهما شرف في جاهليتهما، وقدم رجل من خثعم على مكة معتمرا أو حاجا، ومعه بنت له يقال لها القتول من أوضَأِ النساء، فاغتصبها منه نُبَيْه وغيبها عنه، فقال الخثعمي: من يعينني على هذا الرجل؟ فقيل له: عليك بحلف الفضول، فوقف بالكعبة ونادى بحلف الفضول، فإذا هم يُعنقون إليه من كل جانب بأسيافهم، يقولون: جاءك الغوث فمالك؟ فقال: إن نُبَيْهاً ظلمني في ابنتي وانتزعها مني قهرا، فساروا معه حتى وقفوا على باب داره، فقالوا له: أخرج الجاريةَ ويحك، فقد علمت من نحن وما تعاقدنا عليه، فقال: أفعل، ولكن متعوني بها الليلة، فقالوا: لا والله ولا شخب لقحة، فأخرجها إليهم.

المستضعفون بِمكة في زعمهم:

(والعاص) ابن منبه ـ ومن العاص أخذ يومئذ سيفه ﷺ، ذو الفقار الذي رأى به الثلم، وسيأتي إن شاء الله تعالى ـ وأم العاص أروى بنت العاص بن وائل، أخت عمرو بن العاص وأخته ريطة بنت منبه، أم عبدالله بن عمرو بن العاص، وأمها زينب بنت وائل عمة عمرو **(أحد رهط)** والرهط من ثلاثة أو سبعة إلى عشرة، أو ما دون العشرة، وليس فيهم امرأة **(غير ذي)** صاحب **(خلاص)** نجاة **(من مكة لكونه مستضعفا في زعمه)** قوله **(ويوم بدر زحفا)** غزا. **(مع قريش وتوفت ظالمي أنفسهم ملائك الملاحم)** جمع ملحمة، وهي القتال، وقوله: وتوفت ظالمي أنفسهم، فيه إقامة الظاهر مقام المضمر، أي: توفتهم ملائك الملاحم ـ أي قتلتهم ـ وهم الذين في قلوبهم مرض القائلون: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ﴾ وهم أي الرهط ـ وهذا شروع منه في عد الأربعة بعد العاص بن منبه ـ:

❊ ❊ ❊

وهم علي بن أمية الردي	**والحارث بن زمعة بن الاسود**
وابنان للفاكه والوليد	....

مقتل أمية بن خلف وابنه:

❖ **الشرح**: **(وهم علي بن أمية)** بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح، وأمه سلمى بنت عوف **(الردي)**: أي: الهالك، والردي الهالك بالكفر، أو الموت، واجتمعا له ـ نسأل الله العافية ـ لأنه قُتل يومئذ مع أبيه تحت عبدالرحمٰن بن عوف ﷺ، وكان لقيه أمية ومعه ابنه علي، ومع عبدالرحمٰن أدراع استلبها، قال: هل لك فِيَّ؟ فأنا خير لك من هذه الأدراع التي معك، قال عبدالرحمٰن: قلت: نعم، فطرحتها من يدي، وأخذت بيده ويد ابنه، وهو يقول: ما رأيت كاليوم قط، وفي رواية: يا أحد رأى، أمالكم حاجة في اللبن؟ ومعنى قوله: يا أحد رأى، هل أحد رأى مثل هذا؟ ومعنى قوله: مالكم حاجة في اللبن: أي: في الصلح (وكانت العرب تكني عنه باللبن، لأنه سبب فيه) ثم خرجت أمشي بهما، وهو يقول: من الرجل منكم المعلم بريش نعامة في صدره؟ قال: قلت: حمزة بن عبد المطلب، قال: ذلك الذي فعل بنا الأفاعيل.

قال عبدالرحمٰن: فوالله إني لأقودهما إذ رآه بلال معي ـ وكان هو الذي يعذب بلالاً بمكة على ترك الإسلام، فيخرجه إلى رمضاء مكة إذا حميت فيضجعه إلى صدره، ثم يقول: لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد، فيقول بلال: أحد أَحَدْ ـ قال: فلما رآه بلال قال: رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوتُ إن نجا، قلت: أي بلال أَبِأَسِيرَيَّ؟ قال: لا نجوت إن نجا، قال: قلت: اسمع يا ابن السوداء، قال: لا نجوت إن نجا، ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا.

قال: فأحاطوا بنا حتى جعلونا مثل الْمَسَكة وأنا أذب عنهما، فأصلتَ رجلٌ السيفَ فضرب رِجل ابنه فوقع، فصاح أمية صيحة ما سمعت مثلها قط، قال: فقلت: انج بنفسك ولا نجاة لك، فوالله لا أغني عنك شيئاً، فهبروهما بأسيافهم حتى فرغوا منهما. وكان عبدالرحمٰن يقول: رحم الله بلالا ذهَّب أدراعي وفجعني في أسيريَّ.

مقتل الحارث بن زمعة:

(والحارث بن زمعة بن الأسود) بن المطلب بن أسد بن عبد العزى، وأمه وأم إخوته ـ يزيد وعبدالله ووهب ـ قريبة الكبرى بنت أبي أمية بن المغيرة، وأخوه يزيد هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وعبدالله روى عن النبيّ ﷺ، وأبوه زمعة يكنى أبا حكيمة، قُتل هو وأخوه عقيل يومئذ، والأسود هو المستهزئ المشهور، ذكر النبيّ ﷺ يوما ناقة ثمود، فقال: **«انبعث لها رجل عزيز منيع في رهطه مثل أبي زمعة»** وكان زمعة من أشراف قريش، ومن الخمسة الذين نقضوا الصحيفة، ولكن غلب عليه الشقاء، نسأل الله العافية واليقين به تعالى.

بكاء الأسود بن المطلب على بنيه:

والأسود هو القائل يبكي مَن قتل مِن بنيه ببدر، وكانت قريش نهت عن البكاء على قتلاها، فبينما هو ذات ليلة ساهراً إذ سمع نائحة، فقال لغلامه: انظر هل أحل النحيب لعلي أبكي على أبي حكيمة ـ يعني زمعة ـ فقد احترق جوفي؟ فقال: إنها امرأة تبكي على بعير قد ضل لها، فأنشأ يقول:

أتبكي أن يضل لها بعير ... ويَمنعها من النوم السهود
فلا تبكي على بكر ولكن ... على بدر تقاصرت الجدود
وأبكي ـ إن بكيت ـ على عقيل ... وأبكي حارثا أسد الأسود
وأبكي إن بكيتهم جميعا ... وما لأبي حكيمة من نديد
ألا قد ساد بعدهم رجال ... ولولا يوم بدر لم يسودوا

(وابنان للفاكه والوليد) الفاكه والوليد ابنا المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم، وابناهما: أبو قيس بن الوليد، أمه حنتمة بنت شيطان من كنانة، وأبو قيس بن الفاكه، وأمه أم عثمان بنت عثمان بن عبدالله بن

عمرو بن مخزوم، وليس ببكر هند الذي تعنيه بقولها: ولا أخي وعمه وبكري، وإنما بكرها أبان بن حفص بن المغيرة.

❋ ❋ ❋

.... وأيـن هـم مـن ابـنـه الـمـجـيـد؟
سَـمِـيِّــه وأخــوي فــرعــونــا شـقـيـقـا أو لـلأم ذاقـا الـهـونـا
سـلـمـة عـيـاش الـمـسـتـضـعـفـيـن قَـنَّـت بـاسـتـنـقـاذهـم طـه الأمـيـن

المستضعفون بِمكة حقاً رضي الله عنهم:

❖ **الشرح**: **(وأين هم)**: أي: هؤلاء الخمسة الذين توفتهم الملائكة، من الثلاثة المستضعفين حقا، وهم: الوليد بن الوليد بن المغيرة المذكور آنفا، وهو الذي عنى بقوله: **(من ابنه)** أي: الوليد بن المغيرة **(المجيد)**: الشريف **(سميه)** أي: سمي أبيه **(وأخوي فرعونا)** يعني أبا جهل **(شقيقا)** وهو سلمة بن هشام **(أو)** أخيه **(للأم)** وهو عياش بن أبي ربيعة بن المغيرة **(ذاقا الهونا)** أي: الذل، لأنهما عُذِّبَا في الله أي تعذيب، وهما اللذان يعني بقوله: **(سلمة)** بن هشام و**(عياش)** ابن أبي ربيعة، هم: **(المستضعفون)** بإضافة الوليد إليهما، **(قَنَّتَ)**: أي: دعا **(باستنقاذهم)**: أي: استخلاصهم من المشركين **(طه الأمين)** ﷺ، حيث قال: «**اللَّهم أنج سلمة بن هشام والوليد بن الوليد وعياش بن أبي ربيعة**» أما سلمة فقديم الإسلام، هاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى والثانية، وعذب في الله أي تعذيبٍ، وله تقول أمه:

لاهـم رب الـكـعـبـة الـمـحـرمـه أظـهـر عـلـى كـل عـدو سـلـمـه
لـه يـدان فـي الأمـور الـمـبـهـمـه كـف بـهـا يـعـطـي وكـف مـنـقـمـه

فلما قبض رسول الله ﷺ خرج إلى الشام لقتال الروم، فاستشهد بِمرج الصفر، وقيل بأجنادين، سنة أربع عشرة.

خدعة أبي جهل لعياش رضي الله عنه:

وأما عياش فقديم الإسلام أيضاً، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية أيضاً، وقيل: لم يهاجرها وإنما حبسه أهل مكة حتى هاجر مع عمر رضي الله عنهما إلى المدينة، فقدم أخواه لأمه أبو جهل، والحارث عليه المدينةَ، فقالا له: أمك آلت أن لا يمس رأسها دهن، ولا تستظل بظل حتى تراك، فارجع إليها حتى تراك، وافعل ما بدا لك، فرجع معهما، فلما خرجا به أوثقاه ربطا، فقدما به مكة، وقرناه مع سلمة في قيد.

فلم يزل النبيّ ﷺ، يُقنِّت باستنقاذهم حتى أفلت منهم الوليد، ثم دخل مكة ليلا فلم يزل يتحسس عن صاحبيه حتى لقي امرأة تحمل طعاماً فقال: أين تريدين يا أمة الله؟ فقالت: أريد هذين المعذبين، فتبعها حتى عرف مكانَهما، فأخرجهما من السجن، وكسر القيد.

ومات الوليد رضي الله عنه عن ريطة بنت هشام بن المغيرة حاملاً بابنه عبدالله بن الوليد، فلما وُلد سُمِّيَ الوليد، فسمع النبيّ ﷺ أمنا أم سلمة تبكي الوليد تقول:

يا عين أبكي الوليد بن الوليد بن المغيره
مثل الوليد بن الوليد أبي الوليد كفى العشيره
قد كان غيثا في السنين وجعفرا خضلا وميره

فقال ﷺ: «**ما اتخذتم الوليد إلا خان فسموه عبدالله**».

وفي نسخة: (**سميه وأخوي فرعونا للأب أو للأم ذاقا الهونا**) وهذه هي الموافقة للأصح، إذ سلمة بن هشام الأَصحُّ أن أمه ليست بأسماء بنت مخرمة بن جندل، وإنما أمه ضباعة بنت عامر بن قرط، من بني عامر بن صعصعة، ثم من بني كعب، ثم من بني قشير، وهي القائلة:

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله

واستشهدت سِتٌّ من الْمهاجرين عبيدة الْمذكور فِي الْمبارزين
ثُم عمير بن أبي وقاص وابن البكير عاقل الشاصي
وذو الشمالين ومهجع عمر صفوان بيضاء الذي بِها اشتهر

شهداء بدر (من الْمهاجرين ﭫ):

❖ **الشرح**: **(واستشهدت ست..)** عبيدة، تقدمت ترجمته ﭬ.

عمير، وعاقل ﭭ:

(ثم عمير بن أبي وقاص) واسم أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة، استرد النبيّ ﷺ عميراً فبكى ثم أجازه، فقتله ـ ﭬ ـ العاص بن سعيد، وهو ابن ست عشرة سنة، وأمه حمنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس، وهي أيضاً أم سعد وعامر المهاجرين إلى الحبشة ﭫ. **(وابن البكير عاقل الشاصي)**: أي: الميت، يقال: شصا الميت كدعا ورضي، إذا ارتفعت رجلاه، وعاقل هو رابع بني البكير الذين شهدوا بدراً: عاقل وإياس وخالد وعامر الليثيون، حلفاء بني عدي.

ذو الشمالين، ومهجع ﭭ:

(وذو الشمالين) وهو ابن عبد عمرو الخزاعي ثم الغبشاني حليف بني زهرة، وأخته ريطة بنت عبد عمرو ـ أم زينب بنت مظعون، أم أمنا حفصة وعبدالله ابني عمر ﭫ ـ وليس بذي اليدين الخرباق بن عبد عمرو السلمي، صاحب حديث: «**أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله؟**» الحديث.. كما توهم بعض الرواة.. إلى أن قال أبو العباس المبرد: ذو الشمالين وذو اليدين اسمان له! لأن ذا الشمالين استشهد يوم بدر، وحديث سهو الصلاة حضره أبو هريرة، وإسلامه تأخر عن بدر بست سنين.

(ومهجع عمر) أي: مولاه، وهو ابن صالح، وهو أول من قتل يومئذ، وقيل: بل قُتل قبله حارثة بن سراقة، ومهجع قتله عامر بن

الحضرمي ـ وأسلم بعدُ، وكان من المؤلفة قلوبهم ـ وحارثة قتله حبان بن العرقة قاتل سعد بن معاذ.

صفوان بن بيضاء رضي الله عنه:

(صفون بيضاء الذي بها اشتهر) هو صفوان بن وهب بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث بن فهر الفهري، وبيضاء أمه وأم أخويه سهل وسهيل؛ فأما سهل فهاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى، وشهد بدراً مع صفوان، وأما سهيل فتأخر إسلامه عن بدر، واشتهروا بأمهم بيضاء، واسمها دعد بنت جحدم بن عمرو بن عائش بن الظرب بن الحارث بن فهر.

❋ ❋ ❋

واثنان للأوس ابن عبدالمنذر مُبَشِّرٌ سعدُ بنُ خيثم الْجري

شهيدا الأوس: مبشر، وسعد رضي الله عنهما:

❖ **الشرح**: **(واثنان للأوس)**: أي: من الأوس، أولهما **(ابن عبدالمنذر مبشر)** بدل من ابن عبدالمنذر، وشهد معه بدرا أخوه: رفاعة بن عبدالمنذر بن زنبر بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، (وأخوهما أبو لبابة بن عبدالمنذر هو الذي استخلفه النبيّ ﷺ على المدينة، وضرب له بسهمه وأجره كما تقدم)، والآخر **(سعد بن خيثمة)** ابن الحارث بن مالك بن كعب بن غنم بن سالم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس، قتله طعيمة بن عدي، فرآه علي حين قتله، فعمد إليه، وكان واقفاً على كثيب، قال علي: فلما دنوت منه خفت أن يعلوني، وكان رجلاً جسيماً، فانحططت من الكثيب، فلما رآني انحططت قال: فرَّ ابن أبي طالب، فقلت: قريب مفر أبي الشرى ـ وهي من أمثال العرب ـ فلما استوت قدماي على الأرض وقفت له، فانحدر إلي، فسمعت قائلا يقول: طأطئ رأسك، فجعلت رأسي في صدر طعيمة، وإذا برقة من السيف فقتلته، فإذا حمزة رضي الله عنه. وكان سعد يومئذ حين ندب رسول الله ﷺ

الناس إلى عير قريش قال له أبوه خيثمة: لا بد أن يقيم أحدنا فآثِرْنِي بالخروج، فقال: لو كان غير الجنة لآثرتك، وإني لأرجو الشهادة من وجهتي هذه، واستشهد خيثمة يوم أحد، قتله هبيرة بن أبي وهب المخزومي، وعليه نزل حمزة بن عبد المطلب، وحليفاه: مرثد بن أبي مرثد، وأبوه مرثد ـ واسمه كناز بن الحصين الغنوي ـ وزيد بن حارثة، وأبو كبشة، وأنسة موالي رسول الله ﷺ، وقيل: بل نزلوا على كلثوم بن الهدم، الذي نزل عليه رسول الله ﷺ، وكان يقال لبيت سعد بن خيثمة: بيت العزاب. قال السهيلي: والصواب بيت الأعزاب، لأنه جمع عزب، يقال: رجل عزب وامرأة عزب، وقيل عزبة، ويكنى سعد أبا عبدالله.

❁ ❁ ❁

وستة الْخزرج هم يزيد	**عوف معوذ أخوه الصيد**
حارثة وابن الْمعلى رافع	**ثم عمير بن الْحمام النازع**
لربه وهو يقول أفما	**بيني وبين جنة إلى الْحِما؟**

شهداء الْخزرج رضي الله عنهم:

❖ **الشرح**: **(وستة الخزرج)** أي: واستشهدت ستة من الخزرج و**(هم: يزيد)** بن الحارث بن قيس بن مالك، ولم يشهد بدراً من بني الخزرج بن الحارث بن الخزرج، إلا هو رضي الله عنه.

ابنا عفراء رضي الله عنهما:

(عوف) و**(معوذ أخوه)**: ابنا الحارث بن رفاعة بن سواد بن غنم بن مالك بن النجار، واشتهروا بأمهم عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك ـ وعوف يقال فيه: عوذ بالذال بدل الفاء ـ فهم: معاذ، ومعوذ، وعوذ، شهدوا بدرا الثلاثة، وقيل: شهدها معهم رفاعة أخوهم، وعوف سادس أهل العقبة الأولى، ومعوذ سابع السبعة الذين جاؤوا معهم في قابل للعقبة الثانية، رضي الله عن الجميع ونفعنا بحبهم **(الصيد)** جمع

أصيد للأسد، وشَبَّهَ به يزيد وابني عفراء في الشجاعة.

حارثة بن سراقة رضي الله عنه:

(حارثة) بن سراقة بن الحارث بن عدي بن النجار، قتله حبان بن العرقة (واسمها قلابة بنت سعيد بن سهم، وهي جدته لأبيه، وجدة أمنا خديجة لأمها، ويقال لها: العرقة لطيب ريحها). وحارثة هو أول قتيل من المسلمين ذلك اليوم، رماه حبان فأصاب حنجرته، وقيل: بل قَتل قبله عامرُ بن الحضرمي مهجعَ بن صالح مولى عمر رضي الله عنه، كما تقدم، وأم حارثة الرُّبَيِّع ـ بصيغة التصغير ـ بنت النضر، أخت أنس، وعمة أنس والبراء ابني مالك بن النضر، وهي التي جاءت إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله قد علمت مكان حارثة مني، فأخبرني، إن كان في الجنة أصبر وأحتسب، وإن كان في غيرها فسترى ما أصنع؟ فقال ﷺ: «**أو جنة واحدة هي؟ إنما هي جنان، وإن ابنك لفي الفردوس**».

رافع، وعمير رضي الله عنهما:

(وابن المعلى رافع) والمعلى بن لوذان الجشمي، وشهدها إخوته راشد وهلال وأبو قيس، وقيل: لَم يشهدها منهم إلا رافع. **(ثم عمير بن الحَمام)** ـ كسحاب ـ بن الجموح بن زيد بن حرام، من بني سلمة، ابن أخي عمرو بن الجموح، قتله خالد بن الأعلم العقيلي حليف بني مخزوم، ثم قُتل يوم أحد كافرا **(النازع لربه)** أي: المشتاق إليه.

يعني أنه لما قُتل مهجع وحارثة بن سراقة قام النبيّ ﷺ يحرض الناس يقول: «**فوالذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم رجل فيُقتل صابراً محتسبا مقبلاً إلا أدخله الله الجنة**» فقال عمير ـ وكان بيده تمرات يأكلهن ـ: بخ بَخ! أفما بيني وبين الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟ ثم قذف التمرات من يده، فأخَذ سيفه فقاتل حتى قُتل رضي الله عنه، وأبوه الحمام صحابي، وهذا معنى قوله: **(وهو يقول أفما بيني وبين جنة إلا الحِمَا)** يعني به الْحِمام أي: الموت.

رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب:

تنبيه: رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب ليست من غزوة بدر، لكن جرت عادة المؤلفين ـ كحماد وغيره ـ أن يذيلوها بها، وعاتكة اختلف في إسلامها، وهي من عواتك أبي أمية بن المغيرة، ولدت له عبدالله وزهيرا الصحابيين وقريبةَ الكبرى، أم بني زمعة بن الأسود، وكان أبو أمية تحته أربع عواتك: هذه، وبنت عامر بن ربيعة بن جذل الطعان **(أم أمنا أم سلمة)** وعاتكة بنت ربيعة، ولعل الأخرى من ثقيف أم ابنيه هشام ومسعود الكافرين.

حدَّث الرواة أن عاتكة رأت رؤيا أفزعتها، وذلك قبل قدوم ضمضم مكةَ بثلاث ليال، فبعثت إلى أخيها العباس، فقالت: يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني، وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة فاكتم عني ما أحدثك، قال: وما رأيت؟ قالت: رأيت راكبا أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح، ثم صرخ بأعلى صوته: ألا انفروا يا آل غُدُر إلى مصارعكم في ثلاث، فأرى الناس اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد، والناس يتبعونه، فبينما هم حوله إذ مَثُلَ به بعيره على ظهر الكعبة، ثم صرخ بمثلها، ثم مَثُلَ به على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها، ثم أخذ صخرة من الجبل فأرسلها فأقبلت تهوي حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت فما بقي بيت من بيوت مكة إلا دخلته منها فلقة. فقال العباس: والله إن هذه لرؤيا! وأنت فاكتميها.

ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة، وكان صديقاً له، فذكرها له، واستكتمه إياها، فذكرها الوليد لأبيه عتبة، ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش في أنديتها، قال العباس: فغدوت لأطوف بالبيت، وكان أبو جهل في رهط من قريش يتحدثون في رؤيا عاتكة، فلما رآني قال: يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا، فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم، فقال أبو جهل: متى حدثت فيكم هذه النبيّة؟ قال: قلت: وما ذاك؟ قال: تلك الرؤيا التي رأت عاتكة، فقلت: وما رأت؟ قال: يا بني عبد المطلب أما رضيتم أن تتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم! قد زعمت

عاتكة ـ في رؤياها ـ أنه قال: انفروا في ثلاث، فسنتربص بكم هذه الثلاث، فإن يك حقاً ما تقول فسيكون، وإن انقضت الثلاث ولم يكن شيء، نكتبْ عليكم كتابا أنكم أكذب أهل بيت في العرب.

قال العباس: فوالله ما كان مني إليه كبير، إلا أني جحدت أن تكون رأت شيئاً، (ولقي العباس من عاتكة أذًى شديداً حين أفشى حديثها)... إلى آخر القصة.

❋ ❋ ❋

غزوتا بني سليم وبني قينقاع:

فـلـسـلـيـم فـلـقـيـنـقـاع	الْـمـتـصـديـن إلـى الـقـراع
هـم كـشـفـوا إزارهـا عـن مُـسْـلِمَـة	فـهـاج حـربـا بـيـنـهـم والْـمَـسْـلَـمَـة
لـو آمـنـت مـن الـيـهـود كـلـهـا	زهـاء عـشـرة اهـتـدوا لأجـلـهـا

غزوة بني سليم:

❖ **الشرح**: (فلسُليم) يعني أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة من بدر لم يقم إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه بني سليم بن منصور بن خصفة ـ بالتحريك ـ ابن قيس عيلان **(القبيلة المشهورة)** واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وقيل: سباع بن عرفطة الغفاري، فبلغ ماءً من مياههم يقال له الكدر، فأقام عليه ثلاث ليال، ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيداً.

قوله: **(فلسليم)** عبر بالفاء التي للاتصال، لأنه لم يقم بالمدينة ما يريح تعباً، ولا يبرئ جرحاً ولا يسمن مهزولا، وكذلك قوله:

غزوة بني قينقاع:

(فلقينقاع) وهم قبيلة من اليهود حلفاء الخزرج (وجدنا نونها مشكولة بالتثليث)، كان من أمرهم أن رسول الله ﷺ جمعهم بسوقهم، ثم قال: «**يا معشر يهود احذروا من الله أن ينزل بكم ما أنزل بقريش من النقمة وأسلموا،**

فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهدِ الله إليكم» قالوا: يا محمد إنك ترى أنا قومك! لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فُرصة ـ بالضم ـ إنا والله لو حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس، فنزلت فيهم ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ﴾ الآية، وذلك معنى قوله: **(المتصدين)** أي: المتعرضين **(إلى القراع)** أي: التضارب أي: القتال.

سبب هذه الغزوة:

(هم) يعني بني قينقاع **(كشفوا إزارها)** أي: ملحفتها **(عن مسلمه)** امرأة من المسلمين، **(فهاج حربا بينهم والمسلمه)** أي: المسلمين، وكان من خبر هذه المرأة أنها امرأة من العرب جاءت بجلب لها فباعته في سوق بني قينقاع، فجلست إلى صائغ، فجعلوا يراودونَها عن كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتُها، فضحكوا منها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ـ وكان يهوديا ـ فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فوقع الشر بينهم.

تَبَرُّؤُ عبادة بن الصامت من حلفهم:

فتبرأ عبادة بن الصامت من حلفهم إلى رسول الله ﷺ، فساروا إليهم، ولواؤه بيد حمزة ـ وكان أبيض ـ واستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبدالمنذر، فحاصرهم خمس عشرة ليلة، حتى قذف الله الرعب في قلوبهم، ونزلوا على حكم رسول الله ﷺ، على أن لرسول الله ﷺ أموالَهم، ولهم النساء والذرية. قوله: فهاج حربا أي: أثارها، وفي نسخة **(فحش)**: أي: أوقد.

(لو آمنت من اليهود كلها زهاء) كذا قدره **(عشرة اهتدوا لأجلها)**، وهذا إشارة إلى الحديث: «**لو اتبعتني عشرة من اليهود لم يبق في الأرض يهودي إلا اتبعني**» في رواية أبي هريرة، وسمعه كعب الأحبار فقال: إنما

الحديث «**اثنا عشر من اليهود**» ومصداق ذلك في القرآن ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ فسكت أبو هريرة.

فقال ابن سيرين: أبو هريرة أصدق من كعب، فقال يحيى بن سلام: كلاهما صادق، لأن رسول الله ﷺ، إنما أراد لو اتبعني عشرة من اليهود بعد هذين اللذين أسلما، اللّهم إلا أن تكون للحديث رواية بعشرين غير هذه الرواية.

❋ ❋ ❋

عادوا للافساد فعاد الله	**وقينقاع العُمَّهُ الْعِزَاه**
أول من غدر من يهودا	**وابنُ أُبَيّ سأل القرودا**
نبيَّنا وهم أسارى سطوته	**فأطلقوا وطردوا من طيبته**

فساد وإفساد اليهود، ووعيد الله لَهم:

❖ **الشرح**: **(عادوا)** أي: اليهود الذين منهم بنو قينقاع **(للافساد)** أي: رجعوا للإفساد في الأرض بتكذيب النبيّ ﷺ، وكشف إزار المسلمة، وقتل المسلم، بعد أن أفسدوا في الأرض قبلُ بقتل يحيى بن زكرياء، فبعث الله عليهم مَلِكاً، قيل: هو سنحاريب ملك بابل، وقيل: جالوت، وقيل: بختنصر، وأول أمره أنه كان فريا فألقته أمه إلى الصنم، وتلك عادتهم في مثله، **(كصبي المسجد)** وذلك معنى بخت نصر (**أي: ولد الصنم، أو بالعكس**)، ثم مد الله له إلى أن ملك الأرض كلها، **(فعاد الله)** إلى تعذيبهم بأن حاصرهم النبيّ ﷺ خمس عشرة ليلة إلى آخر ما تقدم آنفا، قال تعالى ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾.. الآية إلى قوله: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾.

قتلهم يَحيَى على نبينا وعليه الصلاة والسلام:

وكان اليهود عاملين بالتوراة يقرؤونها كيف نزلت، ثم عصوا الله، وأفسدوا في الأرض أيَّ الإفساد إلى أن قتلوا يحيى بن زكرياء، عليه الصلاة والسلام، فبعث الله عليهم ملكا قيل: هو.. (وصورة قتلهم يحيى عليه

الصلاة والسلام ـ وعلى قاتله الخزي واللعنة ـ أن الملك سنحاريب أراد أن يتزوج بنت امرأته فنهاه يحيى عنها، فعز ذلك على امرأته فزينت بنتها، وجعلت تسقي الملك، وقالت لها: إذا راودك عن نفسك فتمنعي حتى يقول لك: ما تتمنين فقولي: رأس يحيى، ففعلت الجارية ذلك فردها مرتين وأجابها في الثالثة، فجيء برأس يحيى في طست، ولسانه يقول: لا تحل لك، وجرى دمه فلم ينقطع، فجعل عليه الملك التراب حتى سور المدينة، والدم ينبعث، فلما غزاهم الملك الذي بُعث عليهم ـ بحسب الخلاف الذي تقدم فيه ـ قتل منهم على الدم سبعين ألفا، فسكن الدم).

أول من غدر من اليهود:

(وقينقاع العمه) جمع عَمَهٍ وعامه للمتحير في الضلال لا يعرف له جهة **(العِزَاه)** جمع عِزْهَةٍ بالكسر وككتف: اللئيم، وفيهم نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ﴾ الآية، واليهود هم بنو إسرائيل، يقال: إنهم نُسبوا إلى يهود بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام، **(أول من غدر من يهودا)** أي: بعد كتاب النبيّ ﷺ، الذي كتب لهم فيما بينه وبينهم، وأمنهم فيه على أنفسهم وأموالهم، فغدروا بقولِهم في جوابه ﷺ: لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب... إلى آخره، وكشفهم المسلمةَ، وقتلهم المسلمَ، وتحصنهم في حصونهم ومحاربتهم.

إلحاح رأس النفاق في إطلاق سراحهم:

(وابن أبي) هو عبدالله ابن أبيٍّ بن سلول ـ وسلول أمه، وهي من خزاعة ـ وقيل: سلول أم أبيه أبيٍّ، وأبيُّ بن مالك بن سالم، وعبدالله هذا هو رأس المنافقين، وفيه نزل القرآن مرة بعد مرة، كقوله تعالى ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ﴾ الآية، وسورة المنافقين بأسرها وقوله ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ﴾ الآية ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا...﴾ الآية، وقيل: نزل رسول الله ﷺ في قبره وأعطاه قميصه فكفن فيه، تأدبا بابنه عبدالله ـ وكان من فضلاء الصحابة ـ وقيل: إن العباس لما أُطلق من أسر يوم بدر التمسوا قميصا يكسونه إياه

فلم يجدوه، فأعطاه ابن أبيٍّ قميصاً، فأراد ﷺ أن يجازيه، وهو ﷺ أهل الوفاء والكرم.

وسبب نفاقه أن النبيّ ﷺ لما قدم المدينة على الأنصار وجدهم قد نظموا له الخرز ليُتوجوه للملك، فيرى أن النبيّ ﷺ سلبه ذلك الملك فعاداه - حسبنا الله ونعم الوكيل - إلى أن مات مرجعه ﷺ من تبوك، **(سأل القرودا)** جمع قرد للحيوان المعروف، سماهم بها لأنها أقبح الحيوانات وأخسها، أو لأن بني إسرائيل - وهم منهم - مُسخت منهم طائفة قردة، قال تعالى ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ وقال: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ . . .﴾ الآية، وقال ﷺ مخاطباً لبني قريظة: «**يا إخوان القردة هل أخزاكم الله؟**» **(نبينا وهم أسارى)** جمع أسير **(سطوته)**: قهره. يعني أنه سأل النبيّ ﷺ أن يطلقهم له - والحال أنهم في أسره، وألح عليه أن يطلقهم له - فقال ﷺ، وكان لا يسأل شيئاً إلا أعطاه: «**خلوهم له لعنهم الله ولعنه معهم**» فأجلوهم إلى أذرعات، وتولى ذلك عبادة بن الصامت ﷺ، وهم حلفاء بني عوف بن الخزرج، قبيل عبادة وابن أبيٍّ، وذلك معنى قوله: **(فأطلقوا وطردوا من طيبته)** وطيبته ﷺ المدينة، وكان اسمها يثرب، فكرهه ﷺ فسماها طيبة والمدينة، وسميت يثرب برجل من العمالق هو أول من نزلها، وهو يثرب بن قاين بن عبيل بن مهلايل بن عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام.

قال السهيلي: فإن قلت كيف كَره ﷺ اسما ذكرها الله به في محكم كتابه؟ - وهو المقتدي بكتاب الله، وأَهْلٌ أن لا يَعدل عن تسمية الله تعالى - قلت: إن الله تعالى إنما ذكرها بهذا الاسم حاكيا عن المنافقين، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ فنبه بما حكى عنهم أنهم قد رغبوا عن اسم سماها الله به، وأبوا إلا ما كانوا عليه في جاهليتهم، والله سبحانه سماها المدينة، فقال غير حاك عن أحد ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ﴾ الآية، ويروى أن لها في التوراة أحد عشر اسما: المدينة وطيبة وطابة والمسكينة والجابرة والمحبة والمحبوبة والقاصمة والمجبورة والعذراء والمرحومة.

ومـــنـهـم الــشــاهــد عـــبــدالله   نَـجـل سـلام الـعـظـيـم الْـجـاه

عبدالله بن سلام رضي الله عنه:

❖ **الشرح**: **(ومنهم)** أي: بنو قينقاع **(الشاهد عبدالله نجل سلام العظيم الجاه)** عند الله، والنجل الولد والوالد ضد، وسلام بتخفيف اللام، وليس في المسلمين سلام بتخفيفها غيره ـ لأنه من أسماء الله تعالى ـ وإنما فيهم عبدالسلام، وسلام بالتشديد، وأما سلام بتخفيف ففي اليهود كأبي عبدالله بن سلام وابن أخيه وسلام بن مشكم، وابن أبي الحقيق وغيرهم، والجاه القدر والمنزلة.

إسلامُه رضي الله عنه:

لما بلغه مقدم النبيّ ﷺ المدينة أتاه، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة، وما أول طعام يأكله أهل الجنة، وما بال الولد ينزع إلى أبيه تارة وإلى أمه تارة؟ فقال: «**أخبرني بها جبريل آنفا**» ـ قال ابن سلام: ذلك عدو اليهود من الملائكة ـ قال: «**أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزائد كبد الحوت، وأما الولد فإذا سبق ماءُ الرجل ماءَ المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماءُ المرأة ماءَ الرجل نزعت الولد**» فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسوله الله، ثم قال: يا رسول الله إن اليهود أعظم قوم عضيهة فسألهم عني، وخذ عليهم ميثاقا أني إن اتبعتك وآمنت بكتابك أن يؤمنوا بك وبكتابك الذي أُنزل عليك، وأخبئني يا رسول الله ﷺ، قبل أن يدخلوا عليك.

فأرسل إلى اليهود، فقال: «**ما تعلمون عبدالله بن سلام فيكم؟**» فقالوا: خيرنا وأعلمنا بكتاب الله وسيدنا وأفضلنا، قال: «**أرأيتم إن شهد أني رسول الله ﷺ، وآمن بالكتاب الذي أنزل عليّ تؤمنون بي؟**» قالوا: نعم، فدعاه فخرج عليهم عبدالله، فقال: «**يا عبدالله بن سلام أما تعلم أني**

رسول الله تجدوني مكتوبا عندكم في التوراة والإنجيل أخذ الله ميثاقكم أن تؤمنوا بي وأن يتبعني من أدركني منكم؟» قال: بلى، قالوا: ما نعلم أنك رسول الله، وكفروا به، وهم يعلمون أنه رسول الله.

وعبدالله بن سلام بن الحارث **(من ولد يوسف بن يعقوب، وكان يكنى أبا يوسف)** وكان اسمه الحصين، فسماه النبيّ ﷺ عبدالله، وشهد له بالجنة، مات سنة ثلاث وأربعين، وذكر السهيلي عمته خالدة بنت الحارث وإسلامَها.

❊ ❊ ❊

غزوة السويق:

فغزوة السويق في إثر أبي	**سفيان أن حَرَّقَ نَخل يثرب**
وغال نفسين وكان آلا	**لا يقرب النساء أو ينالا**
وكان يلقي جُرُبَ السويق	**مَخافة اللحوق في الطريق**
فَسُمِّيَتْ بذاك ثُم بعدها	....

❖ الشرح: **(فغزوة السويق)** معروف **(في إثر)** أي: طلب **(أبي سفيان)** بن حرب **(أن حرق نخل يثرب)** المدينة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، يعني أنه ﷺ خرج من المدينة يوم الأحد لخمس خلون من ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهراً من هجرته ﷺ يريد أبا سفيان، وذلك أن أبا سفيان لَما رجع إلى مكة، ورجع فل قريش من بدر نذر أن لا يَمس رأسَه ماءٌ من جنابة حتى يغزو محمداً ﷺ، فخرج في مائتي راكب من قريش حتى نزل بصدر قناة على بريد من المدينة، ثم خرج حتى أتى بني النضير تحت الليل، فأتى حيي بن أخطب، وضرب عليه بابه وأبى أن يفتح له، فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم، وكان سيدهم في ذلك الزمن، وصاحب كنزهم، فاستأذن عليه فأذن له، وقراه وسقاه، ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه، فبعث رجالاً من قريش حتى أتوا ناحية يقال لها العُريض، فحرقوا في أصوار من نخل بها، ووجدوا رجلا من الأنصار

وحليفا لهم في حرث لهما فقتلوهما، ثم انصرفوا راجعين، وفي ذلك يقول أبو سفيان:

سقاني فرواني كميتا مدامة على ظمأ مني سلام بن مشكم

إلى أن قال:

فلما تقضى الليل قلت ولم أكن لأفرحه: أسفر بِعِزٍّ ومغنم

وذلك معنى قوله: **(وغال)**: أي: قتل **(نفسين)** يعني الأنصاري وصاحبه **(وكان آلا)** حلف **(لا يقرب النساء أو)** بمعنى حتى **(ينالا)** يدرك ثأره من المسلمين. وقوله: لا يمس رأسَه غسلٌ من جنابة، يؤخذ منه أن الغسل من الجنابة كان معمولاً به في الجاهلية، وهو بقية من دين إبراهيم وإسماعيل، كما بقي فيهم الحج والنكاح.

(وكان يلقي جُرُبَ) جمع جراب للوعاء **(السويق مخافة)** خوف **(اللحوق في الطريق)** يعني أن أبا سفيان كان يلقي جرب السويق أي أوعيته في طريقه خوف أن يلحقه الطلب، يخفف بذلك، (وهي عامة أزوادهم)، فأخذها المسلمون، فسميت الغزوة بالسويق.

وانصرف النبيّ ﷺ راجعا إلى المدينة، وكانت غيبته خمسة أيام، وذلك معنى قوله **(فسميت بذاك)** الاسم، **(ثم بعدها)**: أي: بعد غزوة السويق.

❊ ❊ ❊

غزوة قرقرة الكدر:

. . . . **قرقرة الكدر لقوم عندها**

❖ **الشرح**: **(قرقرة)**: الأرض الملساء **(الكدر)** طير في ألوانها كدرة، وعُرف بها ذلك الموضع، وهو من مياه بني سليم، وهم المراد بقوله: **(لقوم)** أي: جمع من بني سليم، وغطفان **(عندها)** سمع بهم النبيّ ﷺ،

فسار إليهم في مائتين من أصحابه، فلم يجد في المحل أحداً، فأرسل نفراً في أعلى الوادي، واستقبلهم في بطنه، فوجدوا رعاء، منهم غلام يقال له يسار، فسأله عن الناس، فقال: لا علم لي بِهم، إنَّما أورد الْخِمْس، وهذا يوم ربعي، والناس قد ارتبعوا في المياه، ونحن عزاب.

فانصرف رسول الله ﷺ، وقد ظفر بالنعم، فانحدر به إلى المدينة، واقتسموه بصرار: (واد على ثلاثة أميال من المدينة) وكانت النعم خمسمائة بعير، فأخرج خمسه، وقسم أربعة أخماس على المسلمين، فأصاب كل واحد منهم بعيرين، وصار يسار في سهم النبيّ ﷺ، فأعتقه، وذلك أنه رآه يصلي، وغاب ﷺ خمس عشرة ليلة.

❊ ❊ ❊

غزوة غطفان:

وبعدها ذو إمَّرٍ وغطفان	كلاهما تُدْعَى به وتستبان
لغطفان وجُموع ثعلبه	جَمعها دعثور صاحب الظبه
وهو الذي وجد خير مرسل	يُجِفُّ ثوبين له بِمعزل
فسلها وقال: من يَمنعكا؟	فصده جبريل عما انتهكا
وفيه أو في غورث أو في النضير	إذ هم قوم أنزلت على البشير

❖ **الشرح**: **(وبعدها)** يعني غزوة قرقرة الكدر **(ذو إمَّرٍ)** ـ بكسر الهمزة وتشديد الميم ـ جبل بنجد **(وغطفان)** بن سعد بن قيس عيلان، أبو قبائل: أشجع بن ريث بن غطفان، وعبس وذبيان ابني بغيض بن غطفان **(كلاهما)**: أي: الاسمين، وهما: ذو إمَّرٍ، وغطفان **(تدعى)** تسمى **(به وتستبان)**: تظهر وتعرف.

(لغطفان وجموع ثعلبه) أخو غطفان وهو بن سعد بن خصفة، أو ابن قيس عيلان، وهي قبيلة تقصر عن غطفان كثيراً، وتعلو على محارب **(جمعها دعثور)** هو ابن الحارث المحاربي **(صاحب الظبه)**: حِدَّةُ السيف.

يعني أن رسول الله ﷺ بلغه أن جمعاً من بني ثعلبة ومحارب بن خصفة ـ عم ثعلبة وغطفان (وهي قبيلة وضيعة) ـ بذي إِمَّرٍ، قد تجمعوا يريدون أن يصيبوا من أطراف بلاده ﷺ، جمعهم دعثور هذا، فندب رسول الله ﷺ المسلمين لقتالهم، وخرج لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول، في أربعمائة وخمسين رجلاً، ومعهم أفراس، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان ﷺ، فأصابوا رجلاً منهم بذي القصة يقال له جبار من بني ثعلبة، فأدخل على رسول الله ﷺ فأخبره من خبرهم، وقال: لن يلاقوك، لو سمعوا بمسيرك لهربوا في رؤوس الجبال، وأنا سائر معك، فدعاه رسول الله ﷺ، إلى الإسلام فأسلم، وضمه رسول الله ﷺ إلى بلال، ولم يلاق رسول الله ﷺ أحداً، إلا أنه ينظر إليهم في رؤوس الجبال.

محاولة عثور غدره ﷺ، وإسلامه:

وأصاب رسولَ الله ﷺ، وأصحابَه مطر، فنزع رسول الله ﷺ، ثوبيه ونشرهما ليجفا، وألقاهما على شجرة واضطجع، فجاء دعثور بن الحارث ومعه سيف حتى وقف على رأسه ﷺ وقال: من يَمنعك مني اليوم؟ قال: «**الله**» فدفعه جبريل في صدره، فوقع السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ، وقال: «**من يمنعك مني اليوم؟**» قال: كن خير آخذ، فعفا عنه، أو قال: لا أحدَ.. أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ، ثم أتى قومه، فجعل يدعوهم إلى الإسلام، ونزلت فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ﴾.. الآية، وذلك معنى قوله: (**وهو الذي وجد خير مرسل يجف ثوبين له بمعزل**) عن الناس (**فسلها**): أي: السيوف، وقال: (**من يمنعكا فصده جبريل عما انتهكا**).

(**وفيه**) نزلت الآية المتقدمة آنفا (**أو**) نزلت (**في غورث**) بن الحارث أي قيل بل نزلت فيه، (**أوفي النضير**) أي: قيل: نزلت في بني النضير، وكلاهما يأتي خبره إن شاء الله (**إذ هم قوم أنزلت**) يعني الآية المتقدمة (**على البشير**) ﷺ.

غزوة بُحران:

وبـعـدهـا غــزوة بُــحــران إلــى أم الـقــرى أو لـسـلـيـم الـجـهـلا

❖ **الشرح**: **(وبعدها)** أي: غزوة ذي إِمَّرٍ **(غزوة بَحران)** - بفتح الباء، وسكون الحاء، وتضم الباء - معدن من ناحية الْفُرع، - الذي في الحجاز بالضم - (ق)، ثم ذكر آخر - بين بصرة والكوفة - بالتحريك، **(إلى أم القرى)**: مكة زادها الله شرفا، **(أو لسليم الجهلا)** إذ ذاك، لأنهم لم يسلموا بعدُ، ثم كانوا من أكثر العرب إسلاما، غزت منهم ألف أو تسعمائة مكة، مع رسول الله ﷺ.

يعني أنه ﷺ خرج يريد قريشاً، **(عند ابن إسحاق، وقال غيره: بل يريد بني سليم)**، حتى بلغ بحران، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، فوجدهم النبيّ ﷺ، قد تفرقوا في مياههم، فرجع ولم يلق كيداً، وغاب عن المدينة عشر ليال.

غزوة أحد:

وهو الجبل المشهور بالمدينة، سمي أحدا لتوحده وانقطاعه عن جبال أخر هناك، وقال فيه النبيّ ﷺ: «**هذا جبل يحبنا ونحبه**» وقيل في معنى الحديث: إنه ﷺ أراد أهله، وهم الأنصار، أي: يحبنا أهله ونحبهم، وقيل: أراد أنه كان يبشره إذا رآه عند القدوم من السفر بالقرب من أهله ولقائهم، وذلك فعل المحب، وقيل: بل حبه حقيقة، وُضع فيه الحب، كما وُضع التسبيح في الجبال المسبحة مع داوود عليه السلام، وكما وضعت الخشية في الحجارة التي قال الله فيها: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾.

وفي الخبر عنه ﷺ: «**أحد يحبنا ونحبه وهو على باب الجنة**» قال: «**وعَيَرٌ يبغضنا ونبغضه، وهو على باب من أبواب النار**» ويقويه قوله عليه السلام: «**الْمرء مع من أحب**»، وقال له يوما - وكان عليه هو وبعض

أصحابه فأرجف بِهم ـ: «**أثبت أحد فإنَّما عليك نبِي وصديق وشهيد**»، وقيل: إنَّما قال ذلك لِحراء. وقال البصيري:

وأراها لو لَم يسكن بِها قبـل حراء ماجت به الدأماء.

فأحد بربح عير صخر	**تأهبوا ليتروا من بدر**
وخرجوا بيه ظعن وهمُ	**جيمُ ألوف والخيولُ لَهم**
راء وما للمسلمين فرس	**وفي زروع قيلةِ احتبسوا**

❖ **الشرح**: (**فـ**) غزوة (**أحد بـ**) سبب (**ربح**) ـ بالكسر والتحريك، وكسحاب ـ ما ربحه رب التجارة (**عير**) ما امتير عليه من الدواب (**صخر**) هو أبو سفيان بن حرب (**تأهبوا**): تَهيأوا وأعدوا (**ليتروا**): يدركوا ثأرهم، يقال: وتر يتر وترا وترة (**من بدر**).

يعني أنه لما أُصيب من قريش من أُصيب، ورجع فَلُّهُم إلى مكة، وقدم أبو سفيان بعيره، مشى عبدالله بن أبي ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، في رجال من قريش ممن أُصيب آباؤهم وإخوانهم وأبناؤهم يوم بدر، فكلموا أبا سفيان ومَن كانت له في تلك العير تجارة، فقالوا: يا معشر قريش إن محمدا قد وتركم، وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه، لعلنا ندرك منه ثأرنا، ففعلوا.

وقال أبو سفيان: أنا أول من أجاب إلى ذلك، وبنو عبد مناف، فباعوها فصارت ذهباً، وكانت ألف بعير، والمال خمسون ألف دينار، فسُلِّم إلى أهل العير رؤوسُ أموالهم، وأخرجوا أرباحها، وفيهم أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ...﴾ الآية، فاجتمعت قريش، وأصحاب العير بأحابيشها، ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تِهامة، لِحرب رسول الله ﷺ.

العُدَدُ والكراع فِي الْجيشين:

(**وخرجوا بيه**): رمز خمسة عشر، (**الياء عشر والهاء خمس**) (**ظعن**):

جمع ظعينة للهودج والمرأة ما دامت فيه **(وهم جيم)**: رمز ثلاثة **(ألوف والخِيول)** ـ بالضم ويُكسر ـ جمع خيل لجماعة الأفراس للذكر والأنثى **(لهم راء)** رمز مائتين، **(وما للمسلمين فرس وفي زروع)**: جمع زرع **(قيلة)** أم الأوس والخزرج، وكانوا ينتسبون إليها، يقال لهم: أبناء قيلة، وليس بنبزٍ عندهم، بل كانوا يفتخرون به، قال ﷺ: «**يأبى الله عن ذلك وأبناء قيلة**»، إلى أن جاء الاسم الذي سماهم الله به في كتابه العزيز.

وأبوهما حارثة الغطريف بن ثعلبة العنقاء ـ لطول عنقه ـ بن عمرو مزيقيا (لأنه كل يوم يلبس حلة فيمزقها آخر النهار، خوف أن تلبس بعده) ابن الْمنذر بن ماء السماء (لِحُسْنِ وجهها، وهي بنت النمر بن قاسط)، وهم من الأزد بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

يا أخت آل فراس إنني رجل ... من معشر لهم في المجد بنيان
إما سألت فإنا معشر نجب ... الأزد نسبتنا والماء غسان

وقيل ماء السماء لقب المنذر، لُقب به لِجوده، وقال أوس بن الصامت رضي الله عنه:

أنا ابن مزيقيا عمرو وجدي ... أبوه منذر ماء السماء

(احتبسوا) يعني أن قريشاً خرجوا يوم أحد موعبين، حتى أنهم خرجوا بخمس عشرة امرأة التماسا للحفيظة، وأن لا يفروا.

فقد خرج أبو سفيان بزوجه هند، والحارث بن هشام بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة، وعكرمة بأم حكيم بنت الحارث بن هشام، وصفوان بن أمية ببرة بنت مسعود الثقفية، وعمرو بن العاص بريطة بنت منبِّه بن الحجاج ـ وتقدم الكلام عليها ـ وطلحة بن أبي طلحة العبدري بسلافة بنت سعد بن شهيد، من بني عمرو بن عوف ـ وهي التي يذكر حسان في شعره يعني ابن الأبيرق، سارق الدرع والطعام:

وما سارق الدرعين إن كنت ذاكرا بـذي كـرم مـن الـرجـال أوادعـه
وقد أنزلته بنت لسعد فأصبحت يـنـازعـهـا جـلـد اسـتـهـا وتـنـازعـه
ظننتم بأن يخفى الذي قد صنعتم وفيكم نبي عنده الوحي واضعه ـ

وخرجت معهم خُناس بنت مالك بن عمرو بن الظرب، أم مصعب بن عمير ﷺ، وعمرة بنت علقمة، وخرجوا حتى نزلوا بعينين، **(جبل)** وسمع بهم المسلمون، وقص النبيّ ﷺ، رؤياه الآتيةَ على المسلمين، يقول: **«رأيت والله خيرا»**.

استشارته ﷺ أصحابَه:

فقال ﷺ للمسلمين: **«إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فإن أقاموا أقامُوا بشر مقام، وإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها»**.

وكان رأي عبدالله بن أبي مع رأي النبيّ ﷺ، فقال رجال، مِمن أكرم الله، من الْمسلمين بالشهادة يوم أحد، وغيرُهم ممن فاته يوم بدر مع رسول الله ﷺ: اخرج بنا إلى أعدائنا، لا يرون أنا جبنا وضعفنا.

(وقيل فيهم): أي: المسلمين **(فرس تحت أبي بردة)**: هو سيدنا هانئ بن نيار بن عمرو بن عبيد بن كلاب بن دهمان البلوي، حليف بني مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس، شهد بدرا وما بعدها ﷺ، وتُوفي في صدر خلافة معاوية، ولا عقب له، وهو خال البراء بن عازب وروى عنه، و**(الندب)**: الظريف **(وأخرى للنبي)** ﷺ.

❋ ❋ ❋

وقد رأى فِي نومه خير الأمم أن كان فِي ذباب سيفه ثلم
وأنه أدخل فِي درع يده وبقر يذبح أيضاً وجده
فالثلم العم وأما البقر يذبح فهو النفر الْمعفر
من قومه ودرعه الْحصينه أدخل فيها يده الْمدينه

رؤياه ﷺ وتأويلها:

❖ **الشرح**: **(وقد رأى في نومه)**: النوم النعاس والرقاد، ونومه ﷺ بعينيه دون قلبه، مع أنه ﷺ كثيرا يرى في نومه، ولكن لا يرى إلا الحق، إذ لا يُتصور له الشيطان ولا يتسلط عليه، وقال يوما لأصحابه: «**ما من أحد إلا وله شيطان**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا ولكن الله أعانني عليه فأسلم**» أو كما قال ﷺ، وروي بإسناد الفعل مستقبلا إليه ﷺ. وكان أول نبوءته ﷺ الرؤيا، واختلف في حديث الإسراء، فقيل رؤيا، وقيل يقظة، وهو الأصح، وقيل: مرتان الأولى رؤيا، والثانية يقظة، توطئةً له وتيسيراً عليه، كما أن أول نبوءته الرؤيا الصادقة، ليسهل عليه أمر النبوءة، فإنه عظيم تضعف عنه القوى البشرية.

و**(خير الأمم)**: النبيّ ﷺ والأمم جمع أُمة ـ بالضم ـ للرجل الجامع للخير، والنبي ﷺ لم يجمع مخلوق ما جمع، والأُمة بالضم أيضاً الإمام، وهو ﷺ إمام كل إمام، وقد أَمَّ ﷺ الأنبياءَ ليلة الإسراء وله الشفاعة الكبرى يوم القيامة **(أن كان في ذباب)** حد وطرف **(سيفه ثلم)** كسر، يقال: ثَلِمَ كضرب وفرح، وهذا السيف هو ذو الفَقَار ـ بالفتح ـ سيف العاص بن منبه، الذي سُلب منه يوم بدر، وكان هو والصمصامة ـ سيف عمرو بن معدي كرب ـ من حديدة واحدة، وُجدت في أساس الكعبة، ثم أعطاه ﷺ علياً رضي الله عنه. **(وأنه أدخل في درع يده وبقر يذبح أيضاً وجده فالثلم العم)**: يعني حمزة بن عبدالطلب **(وأما البقر يذبح فهو النفر المعفر)**: المضروب بالعفر، وهو ظاهر التراب **(من قومه)** يعني أصحابه ﷺ، **(ودرعه الحصينه)** والحصين: المحكمة **(أدخل فيها يده المدينة)** يعني أنه رأى النبيّ ﷺ، هذه الرؤيا، فأولها هذا التأويل، ومن الناس من يُؤَوِّلُ الثلم ما أصاب وجهه الشريف ﷺ يومئذ. فإن صح تأويله ﷺ فلا يُعبأ بتأويل الناس بعده.

❊ ❊ ❊

واستكرهوا خير الورى فأخرجوه ... وبعد ما استلأم فيها استثبطوه

فــراح نَــحــو أحــد وابــتــكــرا	**وخــام عــنــه ابــن أُبَــيٍّ وامــتــرى**
واســتــل ســيــفَ رجــل ذبُّ فــرس	**فقال شم سيفك والْحرب افترس**
وكـــان لا يـــعـــتـــاف إلا أنـــه	**يـــعـــجـــبـــه الـــفـــال إذا عَـــنَّ لـــه**

❖ **الشرح**: **(واستكرهوا خير الورى وأخرجوه)**: يريد أنهم لم يزالوا به ﷺ، حتى استكرهوه على الخروج، بأن يقولوا له: اخرج بنا إلى عدونا، والناسُ بين راغب في الشهادة، وبين آسف على فوات بدر إياه. . .حتى دخل ﷺ فلبس لامته، وذلك يوم الجمعة، حين فرغ من الصلاة، وقد مات يومئذ رجل من الأنصار، من بني النجار، يقال له: مالك بن عمرو، فصلى عليه ﷺ، ثم خرج إليهم، وقد ندم الناس، وقالوا: لعلنا استكرهناك يا رسول الله ﷺ، ولم يكن لنا ذلك فاقعد، فقال ﷺ: «**لا ينبغي لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل**» وذلك معنى قوله: **(وبعد ما استلأم)**: لبس اللامة، وهي درع الحديد، أو جملة السلاح **(فيها استثبطوه)**: استثبتوه فيها، يعني المدينة.

خروجه ﷺ للقتال، ورجوع المنافقين:

(فراح): سار في الرواح وهو العشي ـ أو من الزوال إلى الليل ـ **(نحو)**: جهة أو قصد **(أحد وابتكرا)** أي: سار بكرة **(وخام عنه)**: نكص، وكاد كيدا فرجع عليه **(ابن أبي)**: هو عبدالله المنافق **(وامترى)**. وكيده أنه كان رأيه مع رأي رسول الله ﷺ في أن لا يخرجوا إلى العدو، كما تقدم، فلما رجع رسول الله ﷺ، إلى رأي الصحابة، قال: أطاعهم وعصاني، فانخزل بثلث الناس، وقال: لا ندري على ما نقتل أنفسنا؟ فرجع بمن تبعه من أهل النفاق والريب، وتبعهم عبدالله بن عمرو بن حرام يقول: يا قوم أُذَكِّرُكُم الله أن لا تخذلوا نبيكم وقومكم بعد ما حضر من عدوهم ما ترون، قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم، ولكن لا نرى أنه يكون قتال، فلما استصعبوا عليه وأبوا إلا الانصراف قال: أبعدكم الله، أعداءَ الله، سيغني الله عنكم نبيه، فلما رجع بثلاثمائة سُقط في أيدي القوم ـ وهم بنو

سلمة، وبنو حارثة ـ وهَمُّوا أن يقتتلوا، فقالت بنو سلمة: نقتلهم، وقالت بنو حارثة: لا نقتلهم.

فقال ﷺ: «**إنَّها طيبة وإنَّها تنفي الخبيث كما تنفي النار خبيث الفضة**»، فنزلت: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ...﴾ الآية أي صرتُم فئتين، وقالت الأنصار يومئذ للنبي ﷺ: ألا نستعين بحلفائنا من يهود؟ فقال: «**لا حاجة لنا فيهم**».

تفاؤله ﷺ:

(واستل سيف رجل ذب فرس): أي: دفع فرس بذنبه ما يؤذيه من الذباب وغيره **(فقال)**: ﷺ **(شم سيفك)**: شام سيفه يشيمه إذا سله أو أغمده ـ ضد ـ والمراد هنا الإغماد **(والحرب افترس)**: اصطاد، ويحتمل أن يكون افترس افتعل من الفراسة، أي: تفرس النبيّ ﷺ الحرب، ويؤيده أنه رتب عليه قوله: وكان لا يعتاف.. وفي هذا دليل قوي للقول بأن فيهم فرسين، والله أعلم. يعني أنه ﷺ قال لأصحابه: «**من رجل يخرج بنا على القوم من كثب**» فقال أبو خيثمة ـ أوخيثمة بن ساعدة، (أحد بني مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس) ـ: أنا يا رسول الله، فلما كانوا في حرة بني حارثة ذب فرس بذنبه، فأصاب كُلاب السيف فسله، فقال ﷺ: «**شم سيفك فإني أرى السيوف ستسل اليوم**».

ونظمه بالمعنى:

(وكان لا يعتاف): يفتعل من العيافة أي: التيامن والتشاؤم بالطير ألوانها وأسمائها ومساقطها وقيل: خاصة بالمكروه **(إلا أنه يعجبه الفأل)**: التيامن ضد العيافة على القول بأنها خاصة بالمكروه **(إذا عن)** عرض **(له)** والطيرة تستعمل في المكروه والمحبوب، وكان ﷺ يحب الفأل الحسن، ولا يعتاف، وقد مر ﷺ في غزوة بدر بجبلين، فسأل عن اسميهما، فقيل له: أحدهما اسمه مسلح، والآخر مخرئ، فعدل عن طريقيهما.

قال السهيلي: وليس هذا من باب الطيرة التي نهى عنها ﷺ، ولكن من باب كراهة الاسم القبيح، فقد قال في نعجة: «**من يحلب لنا هذه؟**» فقام رجل: فقال: أنا، قال: «**ما اسمك؟**» قال: مرة، قال: «**اقعد**» حتى قال: آخرهم: اسمي يعيش، قال: «**احلب**» فقال عمر: لا أدري أأقول أم أسكت؟ فقال ﷺ: «**قل**» فقال: كنت تنهانا عن التطير، فقال النبيّ ﷺ: «**ما تطيرت ولكني آثرت الاسم الحسن**» أو كما قال ﷺ.

❋ ❋ ❋

ومـر فِـي طـريـقـه بـالْـحـاثـي فِـي أوجـه الـقـوم فـكـان راثـي
أجـاز أبـنـاء (يـهِ) واسـتـصـغـرا مـن دونَـهـم والْـجـيـش ذالا انـبـرى

مروره ﷺ بِحائط مربع بن قيظي الْمنافق:

❖ **الشرح**: **(ومرَّ)** ﷺ **(في طريقه)** التي سلك به أبوخيثمة **(بالحاثي)**: الرامي بالتراب، الحثي الرمي بالتراب **(في أوجه القوم)**: يعني بهم المسلمين **(وكان راثي)**: أي: أحمق، يعني أنه مرَّ في طريقه بمال لمربع بن قيظي المنافق ـ وأخوه أوس صحابي، وابناه صحابيان كباشة وعرابة ابنا أوس بن قيظي، وفي عرابة (وهو من المستصغرين يوم أحد) يقول الشماخ الأسدي:

رأيـت عـرابـة الأوسـي يـسـمـو إلـى الـخـيـرات مـنـقـطـع الـقـريـن
إذا مـا رايـة رفـعـت لـمـجـد تـلـقـاهـا عـرابـة بـالـيـمـيـن ـ

وكان مربع منافقاً ضرير البصر فلما سمع بهم جعل يحثو التراب في وجوههم وجعل يقول: إن كنتَ رسول الله فإني لا أحل لك أن تدخل حائطي، وأخذ حفنة من تراب في يده، ثم قال: والله لو أعلم أني لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك، فابتدره القوم ليقتلوه، فقال ﷺ: «**لا تقتلوه فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر**» وقد بدر إليه سعد بن زيد، أخو بني عبدالأشهل، قبل نهيه ﷺ، فضربه بالقوس فشجه.

وصيته ﷺ للرماة رضي الله عنهم:

ومضى ﷺ حتى نزل الشعب من أحد، فنهى عن القتال حتى يأمر به، فتهيأ للقتال، وهو في سبعمائة رجل، وأمَّرَ على الرماة عبدالله بن جبير بن امرئ القيس البركي ـ وهو معلَّم يومئذ بثياب بيض، والرماة خمسون رجلاً ـ فقال: «**انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا، إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لا نؤتى من قبلك**» فظاهر ﷺ بين درعين، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير رضي الله عنه.

إجازته ﷺ أبناء خمس عشرة ورده من دونَها:

(**أجاز**) ﷺ أي قبل (**أبناء يه**) من السنين، وهي خمس عشرة، الياء عشر، والهاء خمس، (**واستصغرا من دونهم**) فرد ﷺ يومئذ عبدالله بن عمر، وأسامة بن زيد، وعرابة بن أوس بن قيظي، وكان أبوه من كبار المنافقين، وقيل بل من الصحابة ـ كما قدمنا قريبا ـ وفيه، وفي جبار بن صخر ـ أحد بني سلمة ـ نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ الآية.

وسبب نزولِها أن شأس بن قيس اليهودي ـ وكان شيخاً كبيراً ـ مر بقوم من الأوس والْخزرج يتحدثون فغاظه ما رأى من ألفتهم واجتماعهم بعد ما كان بينهم من العداوة، فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة بِهذه البلاد! لا والله ما لنا معهم ـ إذا اجتمعوا ـ من قرار، فأمر فتى شاباً من يهود كان معه، قال له: اعمد إليهم فاجلس معهم، ثم اذكر يوم بغاث، وانشد بعض ما كانوا يقولوا فيه من الأشعار ففعل، فتكلم القوم عند ذلك، فتنازعوا فيه حتى تواثب أوس بن قيظي هذا وجبار فتقاولا، ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم رددناها جذعة، فقالوا: قد فعلنا، موعدكم الظاهرة (والظاهرة الحرة) السلاحَ السلاح...! فخرجوا وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم، فقال: «**يا معشر المسلمين الله الله، أبِدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، بعد أن هداكم الله**

إلى الإسلام، وأكرمكم به، وقطع عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألف بينكم؟» فعرف القوم أنها نزغة شيطانية، وكيد من عدوهم فبكوا، وعانق الرجالُ من الأوس الرجالَ من الخزرج، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ، فأنزل الله في شأس: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ﴾. . .الآية، وفي أوس وجبار الآيَةَ المتقدمة.

بعض من ردهم ﷺ:

وممن رده ﷺ يوم أحد البراء بن عازب، وأبو سعيد الخدري، وزيد بن أرقم، وسعد بن بجير بن معاوية، حليف بني عمرو بن عوف ـ أمه حبيبة وبِها يُعرف، وهو جد أبي يوسف القاضي ـ فلما كان يوم الخندق أجاز هؤلاء المردودين يوم أحد، ورد رافع بن خديج أولا وسمرة بن جندب، فقيل له: إن رافعاً رام، فأجازه، فقيل له: إن سمرة يصرع رافعاً، فقال: «**تصارعا**» فصرعه سمرة فأجازه، ورأى النبيّ ﷺ سعدَ بن بجير يوما يقاتل أحسن القتال، فمسح على رأسه ودعا له بالبركة، فما مات حتى كان أبا العشرين، وعم الأربعين، وخال الأربعين (**والْجيش ذالا انبرى**): أي: ظهر جيش الْمسلمين حال كونه ذالا، والذال رمز سبعمائة، بعدما رجع ابن أبي بثلاثِمائة، فمجموعه أصلاً ألف.

❋ ❋ ❋

وقال: «من يأخذ هذا السيفا بِحقه؟» فحازه واستوفى
أبو دجانة، وخال إذ مشى ومشيه مِن بغضه جل حشا

إعطاؤه ﷺ السيفَ لأبي دجانة:

❖ **الشرح: (وقال)** ﷺ: «**(من يأخذ هذا السيفا بحقه؟» فحازه واستوفى)**: أي: وفى بحقه (**أبو دجانة**) يتنازعه فحازه واستوفى، وهو سِماك بن خَرَشَة بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن ساعدة بن كعب بن الْخزرج، شهد بدرا وما بعدها، واستشهد يوم اليمامة،

(وخال): تبختر وتكبر، يقال: خال الرجل خيلاً وخيلة ومخيلة وخيلاء فهو خائل، والجمع خالة **(إذ مشى ومشيه من بغضه جل حشا)** وحشا لغة في حاشا.

يعني أنه ﷺ قال لأصحابه، وأخذ سيفاً: «**من يأخذ هذا السيف بحقه؟**» فقام إليه رجال منهم الزبير فأمسكه عنهم حتى قام إليه أبو دجانة فقال: ما حقه يا رسول الله؟ فقال: «**أن تضرب به وجه العدو حتى ينحني**» قال: أنا آخذه يا رسول الله بحقه، فأعطاه إياه، وكان أبو دجانة شجاعا يختال عند الحرب إذا كانت، وحين رآه رسول الله ﷺ، يتبختر قال: «**إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن**». وقال الزبير: وجدت في نفسي حين منعني رسول الله ﷺ، السيف فقلت: والله لأنظرن ما يصنع به، فاتبعته فأخذ عصابة له حمراء، فعصب بها رأسه، فقالت الأنصار: أخرج أبو دجانة عصابة الموت، فخرج وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي ... ونحن بالسفح لدى النخيل
أن لا أقوم الدهر في الكيول ... أضرب بسيف الله والرسول
ضرب غلام ماجد بهلول ... (والكيول: آخر الصفوف)

فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله، وكان في المشركين رجل لا يدع لنا جريحاً إلا ذَفَّفَ عليه، فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه، فدعوت الله أن يجمع بينهما، فالتقيا فاختلفا بضربتين، فضربه المشرك فاتقاه بدرقته فعضت سيفه، فضربه أبو دجانة فقتله، ثم رأيته حمل بالسيف على رأس هند، ثم عدل عنها إكراماً لسيف رسول الله ﷺ.

❋ ❋ ❋

واستأصلوا أهل اللوى فانهزموا ... وشَمَّرت عن سوقهن الحرم
مولولات إثرهم ورغبا ... فِي الْمغنم الرماة حيث استلبا
فتركوا ظهورهم لِخالد ... فكر راجعا بكل حارد

استئصال أهل اللواء:

❖ **الشرح**: **(واستأصلوا)**: أي: أتوا عليهم جميعاً **(أهل اللواء)**: آل بني أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار، (فهو مما أتحف به قصي ابنه عبد الدار، إذ لم يبلغ مدى إخوته)، فلما وردوا أحداً قام أبو سفيان يحرض الناس، فقال: يا بني عبدالدار إنكم قد وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم، وإنما يُؤتى الناس من قِبل راياتِهم، إذا زالت زالوا، فإما أن تكفونا لواءنا، وإما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه، فهموا به وتوعدوه، وقالوا: نحن نسلم إليك لواءنا؟! ستعلم غدا إذا التقينا ما نصنع، وذلك ما أراد أبو سفيان.

فلما التقى الناس قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال، فقالت هند:

ويهاً بني عبد الدار ويهاً حماة الأدبار
ضربا بكل بتار

وتقول أيضاً:

إن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق
أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

فاقتتل الناس، وحميت الْحرب، والرماة يرشقون خيل الْمشركين، كما أمرهم رسول الله ﷺ، فيردونَها.

حملة لواء الْمشركين الْهالكون:

فصاح طلحة بن أبي طلحة صاحب اللواء: من يبارز؟ فقام إليه علي فقتله، ثم حمل اللواء أخوه عثمان، فحمل عليه حمزة فقطع جناحه حتى انتهى إلى آخر مؤتزره، وبدا سحره، ثم حمله أبو سعد أخوهما فقتله سعد بن أبي وقاص، ثم حمله مسافع بن طلحة، فقتله عاصم بن ثابت، ثم حمله الحارث أخوه، فقتله عاصم أيضاً، ثم حمله كلاب أخوهما، فقتله

الزبير، ثم حمله الجِلاس أخوهم، فقتله طلحة بن عبيدالله، ثم حمله أرطاة بن شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، فقتله علي، (وفي حديث وحشي قتله حمزة)، ثم حمله شريح بن قارظ فلا يُدرى مَن قتله، ثم حمله غلام لهم اسمه صؤاب، فقيل: قتله علي، وقيل: سعد بن أبي وقاص، وقيل قزمان العبسي، وهو أثبت الأقاويل، فهؤلاء عشرة، وقيل: لم يقتل شريح بن قارظ يومئذ، وإنما هم تسعة، كما في شعر حسان رضي الله عنه.

(وانهزموا): أي: هربوا يعني المشركين **(وشمرت)**: أي: كشفت **(عن سوقهن)** جمع ساق، وهو مابين الكعب إلى الركبة **(الْحُرُم)**: - بضمتين - جمع حريم، وهو ما يحمى ويقاتل عليه، والمراد به هاهنا نساء قريش: هند وصواحبها الخارجات أن لا يفر الناس **(مولولات)**: داعيات بالويل، وهو حلول الشر، وتشميرهن عن سوقهن للجد في الهروب **(إثرهم)**: أي: إثر رجالهن الفارين جدا. فبقي اللواء ملقى في التراب لا يلتفت إليه أحد، ثم أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية، وفي ذلك يقول حسان رضي الله عنه:

ولي البأس منكم إذ رحلتم ... أسرة من بني قصي صميم

تسعة تحمل اللواء وطارت ... في رعاع من القنا مخزوم

لم تطق حمله العواتق منهم ... إنَّما يحمل اللواء النجوم

اشتغال الرماة بالغنائم:

(ورغبا في المغنم) أي: في أخذ الغنيمة وجمعها **(الرماة)**: جمع رام **(حين استلبا)**: نزع وأخذ.

(فتركوا): أي: الرماة **(ظهورهم)** أي: المسلمين **(لخالد)** بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم، كنيته أبو سليمان، ولقبه سيف الله، أمه لبابة الكبرى، وقيل الصغرى، بنت الحارث بن حزن، أخت أمنا ميمونة وأم الفضل، أسلم رضي الله عنه مرجع النبيّ صلى الله عليه وسلم، من الحديبية، وهاجر مع عمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة، وخبرهم مشهور، وسيأتي - إن شاء الله - في الخاتمة، وتُوفي رضي الله عنه في خلافة عمر، بعد الفتوحات الكثيرة لأهل الردة والروم، ويسعنا الإضراب عن مناقبه، لكثرتها وشهرتها **(فكر)**: على القرن

عطف، وعنه رجع، حال كونه **(راجعا بكل)**: شجاع **(حارد)**: أي: غضبان.

❊ ❊ ❊

وخالف الرماة أمر المصطفى	**بالصبر والثبات خلف الحنفا**
وحالت الريح ودارت الرحى	**وذاق من خالفه ما اجترحا**
وصرخ الصارخ أن مات النبيّ	**فارتَهبوا لذاك كل رهب**
وقال إذ ذلك لو كان لنا	**من دهش قائلهم فافتتنا**

مُخالفة الرماة أمرَه ﷺ:

❖ **الشرح**: **(وخالف الرماة... الحنفاء)**: الصحابة رضي الله عنهم **(فحالت الريح)**: يعني أنها كانت صبا، فصارت دبورا **(ودارت الرحى)**: معروفة **(فذاق من خالفه ما)**: الذي **(اجترحا)**: اكتسب - فيه جرح كمنع واجترح - قال ﷺ: «**نُصرت بالصبا، وأُهلكت عاد بالدبور**» وأما دوران الرحى، فإن أراد بها حومة الحرب فحسية، وإن أراد بها الرحى المعروفة فاستعارة عن انقلاب الهزيمة إكراما وتمحيصا للمؤمنين، أكرم الله به من أكرم منهم بالشهادة، الذين نزل فيهم ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ...﴾ الآية.

إشاعة مقتله ﷺ:

(وصرخ) صاح أو شديداً **(الصارخ)** وهو إبليس لعنه الله، ليرهب المؤمنين، وقيل ابن قميئة - كسفينة - حين قَتل مصعبَ بنَ عمير - وكان يشبهه ﷺ، إذا لبس لامته - فصرخ أن قَتلتُ محمداً **(أن مات النبيّ)** ﷺ **(فارتهبوا)**: خافوا وفزعوا **(لذاك)**: أي: دعوى قتله **(كل رهب)** - بالتحريك وبالضم والفتح -: الخوف.

(وقال إذ ذلك): يعني يوم أحد ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ **(من دهش)**: تحير وذهاب عقل **(قائلهم)**: وهو معتب بن قشير، وكان يُنبز بالنفاق، أو منافقا لكثرة ما يقال عنه إنه قاله من كلام المنافقين،

كقوله يوم الأحزاب: يعدنا محمد أن نغنم كنوز قيصر وكسرى. . .إلى آخره، وغير ذلك، لكنه شهد بدراً، وبدر لَمْ يشهدها منافق، ونفى عنه بعض العلماء بذلك. يعني أن الرماة لما رأوا هزيمة المشركين، والمسلمون ينتهبون غنائمهم تكلموا، واختلفوا بينهم، قال أميرهم عبدالله بن جبير: لا أجاوز أمر رسول الله ﷺ، ووعظ أصحابه، وذكَّرهم أمر رسول الله ﷺ، فقالوا: لم يُرد رسول الله ﷺ هذا، قد انهزم المشركون، فما بقاؤنا هنا؟ فانطلقوا يتبعون العسكر، وينتهبون معهم، وأخلوا الجبل، وبقي عبدالله بن جبير في نفر يسير لم يبلغوا العشرة ـ وكانوا خمسين ـ فنظر خالد بن الوليد إلى إخلاء الجبل وقلة أهله، فكرَّ بالخيل، وتبعه عكرمة بن أبي جهل، فحملوا على من بقي من الرماة فقتلوهم وقتلوا أميرهم، وانتقضت صفوف المسلمين، واستدارت رحاهم، وحالت الريح، واختلط المسلمون، فصاروا يقاتلون على غير شعار، ويضرب بعضهم بعضاً، وما يشعرون من العجلة والدهش، ونادى المشركون بشعارهم: العزى والهبل، فأوجعوا في المسلمين قتلا ذريعاً، وولى من ولى منهم يومئذ، فقال رجال منهم: إن رسول الله قد قُتل، فارجعوا إلى قومكم فيؤمنوكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم، وقال آخرون: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ الآية، وقال آخرون: وإن كان رسول الله ﷺ، قد قُتل فقاتلوا عن دينكم، وما كان عليه نبيكم، حتى تلقوا الله وأنتم شهداء **(فافتتنا)**.

❋ ❋ ❋

ونَجل مطعم جبير إذ قَتل	**حَمزةُ عمَّه طعيمةَ احتفل**
لقتله بأن عليه ذمرا	**وحشيه يومئذ وحررا**
ودقه فِي شدقه ابن حرب	**وقال: ذق عقق أي ذق حربي**

استشهاد حمزة رضي الله عنه:

❖ **الشرح: (ونجل مطعم جبير)**: ونجل مبتدأ، وجبير بدل منه، أو عطف بيان، وجملة احتفل الآتية خبر لنجل، والمطعم: هو ابن عدي بن

نوفل بن عبد مناف، وأمه فاختة بنت عباس، من سليم، ثم من بُهْثَةَ، ثم من رعل، وهي أم أخيه طعيمة، الذي قتل ببدر كافراً، ولذلك أنجدوا عامر بن الطفيل على أهل بئر معونة، ومطعم كان من سادات قريش، وهو الذي أجار النبيّ ﷺ مرجعه من بني عبد ياليل حين هزأوا به وكان أتى سهيلا بن عمرو يستجيره فقالت بنو عامر: لا تجير على بني كعب، ثم أتى الأخنس بن شريق، فقال له: إني حليف، والحليف لا يجير، فأجاره المطعم بن عدي، وأجار أيضاً سعد بن عبادة وكان قدم معتمراً، فأخذته قريش، فأطلقه المطعم من أيديهم، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

لو ان امرأ نال السماء بكفه لنال عدي بابَها بسلالِمه

وقال أيضاً:

ولو أن مجدا أخلد الدهر واحدا من الناس أبقى مجدُه الدهر مطعما

وهو أيضاً من الذين نقضوا أمرَ الصحيفة، قال البصيري:

وزهير والمطعم بن عدي وأبو البختري من حيث شاءوا.

ولكنه من أول قريش تكذيبا للنبي ﷺ، حين حدثهم بحديث الإسراء، ومات بمكة كافراً قبل بدر - نسأل الله العافية - وقال النبيّ ﷺ في أسارى بدر: **«لو كلمني المطعم بن عدي في هؤلاء النَّتْنَى لأطلقتهم له»**.

جبير بن مطعم رضي الله عنه:

وأما ابنه جبير فمن أكابر الصحابة رضي الله عنه، روي عنه الحديث، وعن ابنه محمد، وبه كان يكنى، وكان جبير من النسابين لقريش وسائر العرب، وكان يقول: أخذت النسب من أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان يقول: أتيت النبيّ ﷺ، لأكلمه في أسارى بدر، فوجدته يقرأ في صلاة المغرب، أو العشاء، ليلة الخميس سورة والطور، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾ كاد قلبي يطير، فوقع الإسلام في قلبي، فلما فرغ من الصلاة

كلمته، فقال: «**لو كان أبوك حيا وكلمنا فيهم شفعناه**» (ومن هذا يؤخذ جواز الرواية عن الثقة فيما روى، وهو كافر أو صبي).

أسلم جبير ﷺ يوم الفتح، وقيل عام خيبر، وأمه أم جميل بنت شعبة بن أبي قيس العامرية ـ من بني عامر بن لؤي ـ ومات ﷺ، بالمدينة سنة سبع أوتسع وخمسين، (**إذ قتل حمزة**): بن عبد المطلب، وحمزة فاعل قتل (**عمه**): مفعول به (**طعيمة**): بدل من عمه، أو عطف بيان، (**احتفل**): للأمر أجمع عليه، وتهيأ له (**لقتله**): يعني حمزة (**بأن عليه ذمرا**): أغرى وحض (**وحشيه**): مفعول به لذمر، ووحشي هو غلام جبير بن مطعم.

قتلُ وحشيّ لِحمزةَ ﷺ:

روى البخاري من طريق عبيدالله بن عدي الخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ـ وكان عبيدالله ولد على عهد رسول الله ﷺ، وروى عن عمر وعن عثمان وغيرهما ـ قال: دخلت حمص أنا ورجل معي، فإذا نحن بشيخ كالبغاث، كأنه نحي سمن ـ يريد سمنه ـ قال صاحبي: هذا وحشي، فقلت: هلم نسأله عن قتل حمزة، فقال: كنت غلاما حبشيا لجبير بن مطعم، وكانت عندي حربة عراصة أقذف بِها قذف الحبشة، لا تكاد تُخطئ، فلما أجمعت قريش على المسير إلى أحد دعاني مولاي، وقال لي: اخرج مع الناس، فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بعمي طعيمة فأنت عتيق، وكان قتله يوم بدر.

فخرجت مع الناس حين قال لي سيدي ما قال، فنظرت فإذا رجل عبعب ـ أي شاب ـ عليه درع قَضَّاء ـ كشداد المحكمة النسج ـ وإذا هو عليٌّ، فقلت ليس هذا من شأني، وإذا رجل حلابس: أي شجاع، أيهم: ـ أي لا يرده شيء، قال ﷺ: «**اللّهم إني أعوذ بك من شر الأيهمين**»: السيل والحريق ـ يهد الناس لا يبصر شيئاً، مثل الجمل الأورق إذ تقدم إليه أرطاة بن شرحبيل ـ وكان من حملة اللواء ـ فكان كأمس الدابر: أي قتله، ثم مر به سباع بن عبد العزى الغبشاني، فقال له هلم إلَيَّ يا ابن مقطعة

البظور ـ وكانت أمه خاتنة بمكة ـ فضربه فما أخطأ رأسه، وكنتُ حين عرفته كمنت له إلى صخرة كأنها فسطاط، وقلت: هذا الذي أريد، فلما قتل الرجلين، هززت حربتي، حتى رضيت منها فرميته، فأصبت ثُنَّتَه، حتى خرجت من بين رجليه، فأقبل نحوي فغُلب فوقع، فأمهلته حتى مات، جئته فأخذت حربتي، ثم تنحيت إلى العسكر، ولم يكن لي بشيءٍ حاجة غيره.

ثم قال لي وحشي: لعلك عبيدالله بن عدي؟، قلت: نعم، قال: كنت أحملك إلى مرضعاتك ـ وكان عبيدالله متنقباً، وإنما عرفه بأنامله وعينيه ـ وما رأيتك منذ ناولتك أمك السعدية، وأم عبيدالله أم قتال بنت أسيد بن أبي العيص، فهي قرشية لا سعدية.

ثم قدم وحشي المدينة ليسلم، فقال الناس: يا رسول الله ﷺ، هذا وحشي، قال: «**دعوه فإسلام رجل واحد أحب إلي من قتل ألف رجل كافر**» ثم خرج مع المسلمين إلى اليمامة، فقتل بحربته تلك مسيلمة الكذاب، وكان يقول: قتلت بحربتي هذه خيرَ الناس وشرَّ الناس.

وكان شاركه فيه رجل من الأنصار، قيل إنه أبو دجانة، وقيل عبدالله بن زيد بن عاصم أخو حبيب، الذي قتله مسيلمة، وشاركت فيه أمهما نسيبة ـ كما سيأتي، إن شاء الله ـ وقيل: عدي بن سهل، وفيه يقول:

ألم تر أني ووحشيهم ... قتلنا مسيلمة المفتتن
ويسألني الناس عن قتله ... فقلت: ضربت وهذا طعن

(**يومئذ**): أي: يوم أحد (**وحررا**): أي: صيره حراً. (**ودقه**): أي: حمزة ضربه (**في شدقه**): جانب فمه أبو سفيان (**بن حرب فقال: ذق عقق**) ـ محركة وبضمتين ـ فاعل العقوق، ضد البرور، يعني أن أبا سفيان مر بحمزة بعدما قتله وحشي، فضربه في الشدق، وقال: ذق يا عقق (**أي ذق حربي**).

❋ ❋ ❋

أبلى بلاء حسنا قزمان ... على الحفاظ فله الخسران

مقتل قزمان العبسي:

❖ **الشرح**: **(أبلى)**: اختبر، يقال: ما أباليه، وما أبالي به - وهو الأفصح - أي؛ لا أخابره ولا يخابرني **(بلاء)** اختباراً **(حسنا قزمان)**: والمعنى اختبر نفسَه في الحرب، أو اختبر الحربَ اختباراً حسناً، ويصح بالبناء للمفعول، من قوله تعالى ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ﴾ أي: ليصيبهم ببلاء حسن، ووصف البلاء بالحسن، وهو مغايره، لكنه آئل إليه: إما الظفر والغنيمة، وإما الشهادة، وإسناده لهذا المنافق على سبيل التشبيه، وهو قزمان - بالضم - بن الْحارث العبسي حليف الأنصار، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «**إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**»، وكان قَتل سبعة - أو ثمانية - من المشركين، فهُنِّئَ بذلك، فقال: كلا، إنما قاتلت عن أحساب قومي، فلما آذته الجراحات عمد إلى نفسه فقتلها، فجاء رجل إلى النبيّ ﷺ - وكان شق عليه قوله ﷺ: «**قزمان من أهل النار**» مع ما يرى من فعله، - فقال: أشهد أنك رسول الله، قال: «**وما ذاك؟**» قال: الرجل الذي قلت إنه من أهل النار قتل نفسه **(على الحفاظ)**: الحمية والذب عن المحارم **(فله الخسران)** الضلال. نسأل الله العافية.

❀ ❀ ❀

وعكسه الأصيرم الْمخردل ... ليس له غير القتال عمل

استشهاد الأصيرم رضي الله عنه:

❖ **الشرح**: **(وعكسه الأصيرم المخردل)**: - بالمهملة - المصروع، وخردل اللحم - بالمهملة والمعجمة - قطعه وفرقه، وهو المراد هنا، وهو عمرو بن ثابت بن وقش بن عبد الأشهل - وسيأتي إن شاء الله استشهاد أخيه وأبيه، وعمه - وكان رضي الله عنه، حين حلف سعد بن معاذ رضي الله عنه لبني عبدالأشهل أن يسلموا جميعاً تخلف هو وحده عن الإسلام، وفاتته بدر وهو على شركه.

فلما خرج رسول الله ﷺ إلى هذا اليوم وقع الإسلام في قلبه، فجاء

إلى النبيّ ﷺ، فقال: يا رسول الله أأُسلم أم أقاتل؟ فقال: «**أسلم وقاتل**» فأسلم، وأخذ سلاحه، وقاتل حتى أثبتته الجراحات، فبينما رجال من بني عبدالأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به، فقالوا: والله إن هذا كالأصيرم، ما جاء به؟ لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الحديث، فسألوه ما جاء بك يا عمرو هاهنا، أحدباً على قومك أم رغبة في الإسلام؟ قال: بل رغبة في الإسلام آمنت بالله وبرسوله، ثم أخذت سيفي فغدوت مع رسول الله ﷺ، ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني، ثم لم يلبث أن مات في أيديهم، فذكروه لرسول الله ﷺ، فقال: «**إنه من أهل الجنة**».

وكان أبو هريرة يقول: حدثوني عن رجل دخل الجنة ولم يُصل قط؟ فإذا لم يعرفه الناس يقول: أصيرم بني عبدالأشهل، وذلك معنى قوله: (**ليس له غير القتال عمل**): أي: من أعمال الإيمان: كالصلاة والصيام وغيرهما، فدخل الجنة بمجرد الإيمان والقتال في سبيل الله.

❋ ❋ ❋

وثبتت مع النبِي اثنا عشر ... بين مهاجر وبين مَن نصر

منهم أبو دجانة وابن أبِي ... وقاص الذي فداه بالأب

وطلحة وفيه شلت يده ... إذ اتقى النبل بِها يصمده

وتَحته جلس أن أجهضه ... درعاه والْجراح فاستنهضه

الثابتون معه ﷺ:

❖ **الشرح**: (**وثبتت مع النبيّ**) ﷺ (**اثنا عشر بين مهاجر وبين من نصر**): يعني أن النبيّ ﷺ عند جولة المسلمين ثبتت معه من المهاجرين والأنصار اثنا عشر. (**منهم أبو دجانة**) ـ وتقدمت ترجمته رضي الله عنه، وكان تَرَّسَ بنفسه دونه ﷺ، يقع النبل في ظهره، وهو منحن عليه، حتى كثر فيه النبل رضي الله عنه.

بعض أخبار سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

(و) سعد (**ابن أبي وقاص الذي فداه بالأب**): قال له: «**فداك أبي**

وأمي»، وكان يناوله النبل، ويقول: «**ارم فداك أبي وأمي**» قال سعد: حتى إنه ليناولني السهم وما له من نصل ويقول: «**اللَّهم سدد رميته وأجب دعوته**» وكان دعاؤه أسرع الدعاء إجابة، وفي الحديث أنه ﷺ قال: «**احذروا دعوة سعد**».

ومما شوهد من إجابة دعوته أن أهل الكوفة شكوه إلى عمر ﷺ، حتى قالوا: إنه لا يحسن الصلاة، فقال ﷺ: أما أنا فكنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ، أركد في الأوليين، وأخف في الأخيرتين، ثم بعث عمر ﷺ، عدلين من الصحابة يسألان عن ذلك، فكلما مرا بنادٍ من أهل الكوفة يثني عليه بخير، حتى مرا بأبي سعدة الأسدي، فقال: أما إذ أنشدتُماني فإن سعداً كان لا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية، فقال سعد: اللَّهم إن كنت تعلم أنه كاذب فأطل عمره، وكثر عياله، وأطل فقره، وعرضه للفتن. فكان يتعرض للإماء في الطرق ويغمزهن فيقلن: ما هذا؟ فيقول: شيخ أصابته دعوة سعد! ـ نسأل الله العافية ـ وﷺ، أول من رمى بسهم في سبيل الله، وذلك في أول بعث بعثه رسول الله ﷺ، وهو بعث حمزة وعبيدة بن الحارث.

وكان ﷺ يقول: إني لأول العرب رمى في سبيل الله، وكنا نغزو مع رسول الله ﷺ، وما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى أن أحدنا ليضع كما تضع الشاة، أو البعير ما له خلط، ثم أصبحت بنو أسد تعزرني على الإسلام، لقد خبتُ إذن! وروي عنه ـ ﷺ ـ أنه في حصار الشعب بينما هو يمشي، إذ وطئ على شيء، قال: فأخذته فإذا هو رطب فابتلعته، فوالله ما أدري ما هو إلى الآن! وقال جلست ليلة أبول فسمعت صلصلة تحت البول فإذا هي قطعة من جلد بعير فأخذتها وغسلتها ثم أحرقتها ثم رضختها وشففتها بالماء واقتت منها ثلاثا.

أسلم سعد على يد أبي بكر، واستعمله عمر ﷺ على جيش الفرس، وقال له: لا يغرنك أنك خال رسول الله ﷺ، وصاحب رسول الله ﷺ، ففتح الله على يديه القوادس، واستأصل فارس، وحين أسلم حلفت أمه لا

تذوق طعاما ولا شرابا حتى يرجع سعد عن دينه، فأنزل الله ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾الآية، واسم أبيه أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة، (والوقاص في اللغة واحد الوقاقيص، وهي شبابيك يصطاد بها الطير، وهي أيضاً من وقص إذا كسر)، وهو أخو هالة بنت أهيب أم حمزة ﷺ، وسعدٌ أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، ولم يفد النبيّ ﷺ أحداً بأبويه إلا هو والزبير، ويكنى سعد أبا إسحاق، ولزم بيته في الفتنة، وأمر أهله أن لا يخبروه بشيء من خبر الناس حتى يتفقوا على إمام واحد، ومات ﷺ بالعقيق على عشرة أميال من المدينة، وحمل إليها على رقاب الناس، ودفن بالبقيع سنة بضع وخمسين، وهو ابن بضع وسبعين أو ثمانين سنة، وحين حضرته الوفاة، دعا بخلق جبة من صوف، وقال: كفنوني في هذه، فإني لقيت فيها المشركين يوم بدر. ومناقب سعد أكثر من أن تحصى.

بعض أخبار طلحة ﷺ:

(وطلحة): بن عبيدالله **(وفيه)**: أي: في النبيّ ﷺ **(شلت)**: ـ بالبناء للفاعل والمفعول، وبالهمز رباعيا ـ يبست أو ذهبت **(يده)** لأنه كان يقيه النبل، حالة يقصده ﷺ، حتى شلت يده، وذلك معنى قوله: **(إذ اتقى النبل)**: السهام، ولا واحد له من لفظه، وهو اسم جمع سهم **(بها)**: أي: اليد **(يصمده)** يقصده. **(وتحته)** أي: النبيّ ﷺ **(جلس)** طلحة ﷺ **(أن أجهضه)** ـ وجهضه ـ غلبه **(درعاه)** تثنية درع، لأنه ﷺ مظاهر بين درعين، وكان قد بدن أي: أسن وضعف.

(وفي الحديث: «كان أكثر صلاته ﷺ قائما حتى بدنت أعضاؤه، فكان أكثرها جالسا») **(والجراح فاستنهضه)** أراد منه أن ينهض أي يقوم، يعني أن طلحة جلس تحت النبيّ ﷺ، فرفعه حتى استوى على الصخرة، فقال ﷺ: **«أوجب طلحة»** أي: أحدث أمراً يستوجب به الجنة، قالوا: وكان لطلحة يومئذ المقام المحمود، وفي هذا اليوم سماه ﷺ طلحة الخير، قال البصيري رحمه الله:

طلحة الخير المرتضيه رفيقا واحداً يوم فرت الرفقاء

والعمران وعلي وعفا إلَهنا عن الذي منهم هفا
وثبتت نسيبة المبايعه قبلُ وعن خير الورى مدافعه

❖ **الشرح**: **(والعمران)**: أبو بكر وعمر، قيل لعثمان: نسألك سنة العمرين من قبلك.

وقال الشاعر:

ما كان يرضى رسولُ الله فِعْلَهُمُ والعمران: أبو بكر ولا عمر

(وعلي) بن أبي طالب **(وعفا)**: تجاوز **(إلهنا عن الذي منهم هفا)**: أي: أسرع وزل، يعني أن ممن ثبت معه أيضاً أبا بكر وعمر وعلياً ﷺ، وعفا الله عن الذين هفوا منهم، لقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ قيل نزلت في جميع المسلمين الذين جالوا يومئذ، فيكون هفا بمعنى زل أي: في قوله: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ - وأولى من لم يقل هذا - وقيل نزلت في أهل الجولة دون الذين قالوا المقالة، كعثمان بن عفان، وسعد وعقبة ابني عثمان من بني زريق، ويكون هفا بمعنى أسرع. ونزلت أيضاً ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ . الآية، قيل: منهم من قضى نحبه: أي مات، كأنس بن النضر وأصحابه، لأنه تخلف عن بدر، فكان يقول: تخلفت عن أول قتال بين المسلمين والمشركين، ولئن أشهدني الله قتالا ليرين الله ما أصنع، وحضر في هذا اليوم، وقال: والله إني لأجد ريح الجنة دون أحد، فمضى حتى استشهد، قال سعد بن معاذ: ما عرفته إلا ببنانه، لأنا وجدنا فيه بضعا وثَمانين جرحاً: بين ضربة وطعنة ورمية، وقيل من قضى نحبه: أي: حاجته كطلحة بن عبيدالله: أي: من القتال والذب عن رسول الله ﷺ.

وروي أن أعرابيا سأل رسول الله ﷺ، عمن قضى نحبه؟ فسكت ثم

دخل طلحة، فقال ﷺ: «**أين السائل؟**» فقال الأعرابي: ها أنا ذا يا رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: «**هذا ممن قضى نحبه**».

نسيبة بنت كعب رضي الله عنها:

(**وثبتت نسيبة**) هي أم عمارة بنت كعب بن عمرو، من بني مازن بن النجار، ثم من بني مازن، شهدت العقبة وأُحداً مع زوجها زيد بن عاصم بن كعب بن المنذر بن عمرو بن عوف بن مازن بن النجار، ومع ابنيها: عبدالله، وحبيب الذي أرسله ﷺ إلى مسيلمة، فكان يقول له: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ فيقول: نعم، فيقول: أتشهد أني رسول الله؟ فيقول: أنا أصم، فقال له ذلك مرارا، فقطعه ـ لعنه الله ـ عضوا عضوا، (**المبايعة قبلُ**): أي: ليلة العقبة مع زوجها، وشهدت بيعة الرضوان، وقوله: (**وعن خير الورى مدافعه**) كان من أمرها، رضي الله عنها، أنها قالت: خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعي قربة فيها ماء، وانتهيت إلى رسول الله ﷺ، وهو في أصحابه، والدولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ، فقمت أباشر القتال بنفسي، وأذب عنه بالسيف وأرمي عنه بالقوس، حتى خلصت الجراحات إلَيَّ.

وكان على عاتقها جرح أجوف، قيل لها: مَن أصابك بهذا؟ قالت: ابن قميئة أقمأه الله، لَمَّا ولى الناس عن رسول الله ﷺ، أقبل يقول: دلوني على محمد، فلا نجوت إن نجا، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير، وأناس مِمَّن ثبت مع رسول الله ﷺ، فضربني هذه الضربة، وضربته ضرباتٍ فلم أنله، لأن عدو الله مظاهر بين درعين.

وشهدت اليمامة، وشهدت قَتل مسيلمةَ الكذابِ، قاتل ابنها حبيب، بل شاركت ابنها عبدالله في قتله، وكانت باشرت القتال يومئذ، فقُطعت يدها، وجُرحت اثني عشر جرحا، ثم عاشت بعد ذلك دهراً، وكان الناس يزورونَها من بعيد، يتبركون بها، يأتونَها بِمرضاهم لتُشفى، وقلما مسحت بيدها الشلاء ذا عاهة إلا برئ.

ويروى أنها قالت لرسول الله ﷺ: أرى كل شيء للرجال، ولا أرى للنساء شيئاً، فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ الآية.

❊ ❊ ❊

فِي حفرة وقع خير مرسل — فناشه طلحة والصهر عَلِي
إذ عتبة هش رباعيته — وشق من شقوته شفته
وشجه ابن قمأة وابن شهاب — صلى عليه الله ما سح السحاب

ما لقيه الرسول ﷺ يوم أحد:

❖ **الشرح**: **(في حفرة وقع خير مرسل فناشه)** تناوله **(طلحة)** بن عبيدالله **(والصهر علي)** بن أبي طالب، قوله: **(في حفرة)** متعلق بوقع، أي: وقع رسول الله ﷺ، في حفرة من الحفر التي حفرها أبو عامر الفاسق خديعة للمسلمين، فوقع فيها رسول الله ﷺ حين ضربه عتبة بن أبي وقاص فكسر رباعيته، وذلك معنى قوله:

عتبة بن أبي وقاص:

(إذ عتبة) تقدم نسبه، وأمه هند بنت وهب بن الحارث بن زهرة، قيل إنه مات هذا اليوم، ولَمَّا فعل هذا به ﷺ جاء أبو دجانة فقال: يا رسول الله مَن فعل هذا بك؟ قال: «**عتبة بن أبي وقاص**» فقال أين ذهب؟ فأشار له النبيّ ﷺ، وتبعه فلحقه فقتله، وقيل: بل عاش ثم أسلم، وكان أصاب دماء في قريش فانتقل إلى المدينة، قبل الهجرة، واتخذ بها داراً ومالاً في الإسلام. وابنه هاشم من فرسان الصحابة وشجعانهم وأمرائهم، أصيبت عينه يوم اليرموك، وقتل بصفين مع علي، وهو يقول:

أعور يبغي أهله محلا — قد كابد الحياة حتى ملا
لا بدّ أن يَفُلَّ أو يُفَلَّا

وكان عتبة بعد هذا اليوم لم يولد له ولد فبلغ الحلم إلا وهو أهتم

أبخر، يُعرف ذلك في عقبه. وفي هذا أقوى دليل على أنه لم يَمت يومئذ

(هش): ضرب وكسر **(رباعيته)** ﷺ السفلى اليمنى **(وشق من شقوته شفته)** السفلى أيضاً، وقال له: «**اشتد غضب الله على من أدمى وجه نبيه**»ﷺ.

(وشجه) جرحه في الوجه أو الرأس **(ابن قمأة)** هو اللعين عبدالله بن قميئة ـ كسفينة كما في القاموس ـ الليثي، كان من قيون قريش، ولما قدم على أهله خرج إلى غنمه، فوافاها على رأس جبل فاعترضه تيسها أو تيس الجبل فنطحه وأرداه من الشاهق فتقطع. وكان حين رمى رسول الله ﷺ قال: خذها وأنا ابن قميئة، فقال ﷺ: «**أقمأك الله**».

ابن شهاب:

(وابن شهاب) هو عبدالله الأصغر بن شهاب بن عبدالله بن الحارث بن زهرة، وأخوه عبدالله الأكبر ـ وقيل الأصغر ـ من مهاجرة الحبشة، ومات بمكة قبل الهجرة، وكان اسمه عبد الجان فسماه النبيّ ﷺ عبدالله والذي شج رسول الله ﷺ أسلم بعدُ والله ينفعه بإسلامه، وهو جد محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب الزهري، شيخ مالك، قيل له: أكان جدك عبدالله بن شهاب شهد بدرا؟ قال: نعم، ولكن في الجانب الآخر.

(صلى عليه الله ما سح) أي: صب **(السحاب)** يعني أن ابن شهاب شجه في وجهه الشريف وجرحه ابن قميئة في وجنته الشريفة، وقُذِفَ بالحجارة حتى وقع لشقه، فأخذ علي بيده الشريفة ورفعه طلحة حتى استوى قائماً، وكان سعد يقول: والله لم أحرص على قتل أحد كحرصي على قتل عتبة، ولقد كفاني منه قوله ﷺ: «**اشتد غضب الله على من أدمى وجه نبيه**».

❋ ❋ ❋

وازدرد الــدم أبــو الــخــدري وانــتـزع الـحـلـقـة فِـي الـنـبِـي
أبــو عــبــيــدة وكــان أثـرمــا بـســاقـط الـثـنـيـتـيـن أعـلـمـا

أبو سعيد الخدري وأبوه مزدرد الدم منه ﷺ:

❖ **الشرح**: **(وازدرد)**: ابتلع **(الدم أبو الخدري)**: هو سيدنا أبو أبي سعيد الصحابي، سابع المكثرين، أخو قتادة بن النعمان لأمه، وأبوه المزدرد، هو سيدنا مالك بن سنان الخدري، من بني خدرة، الأبجر بن عوف بن الحارث بن الخزرج، تخلف عن بدر (إذ كانت للعير) وشهد أحدا، واستصغر ابنه أبو سعيد رضي الله عنهما.

وكان أبو سعيد من آخر الصحابة موتا، أدرك الحرة، وكان أبى خلع يزيد ولزم بيته، فدخل عليه ـ في تلك الأيام التي انتهبت فيها المدينة ـ ناس من أصحاب مجرم بن عقبة، فقالوا له: من أنت أيها الشيخ؟ فقال: أنا أبو سعيد الخدري، صاحب رسول الله ﷺ، فقالوا: قد سمعنا خبرك ولنعم ما فعلت حيث كففت يدك ولزمت بيتك، ولكن هات المال فقال: قد والله ذهب به الذين دخلوا قبلكم عليَّ، وما عندي شيء، فقالوا: كذبت، ونتفوا لحيته، وأخذوا ما وجدوا حتى صوف الفرش، وأخذوا زوجين من حمام كان صبيانه يلعبون بهما. وحين مص مالك دم رسول الله ﷺ، قال له: «**من مس دمه دمي لم تصبه النار**». وقد فعل ذلك عبدالله بن الزبير، وهو غلام أعطاه ﷺ دم محاجمه ليدفنه فشربه، فقال له كما قال لمالك، ولكنه قال لابن الزبير: «**ويل لك من الناس وويل للناس منك**».

(وفي هذا من الفقه أن دمه ﷺ يخالف غيره في التحريم، وكذلك بوله، فقد شربته أم أيمن، حين وجدته في إناء من عيدان تحت سريره، فلم ينكر عليها، ولم يأمرها بغسل فمها).

أبو عبيدة وانتزاعه الحلقتين من جبينه ﷺ:

(وانتزع الحلقة) من المغفر، وهما حلقتان دخلتا في جرح ابن قميئة له **(في النبيّ)** ﷺ، **(أبو عبيدة)** وفاعل انتزع أبو عبيدة، فانتزع إحداهما فسقطت ثنيته، ثم انتزع الأخرى فسقطت ثنيته الأخرى، لأنه تَحامل خوف

إيلامه ﷺ، **(وكان أثرما)** ومعناه **(ساقط الثنيتين)** أو إحداهما أو الرباعيتين، والمراد هنا ساقط الثنيتين **(أعلما)**.

وأبو عبيدة هو سيدنا عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر، وقيل: اسمه عبدالله بن عامر، وأمه أميمة بنت غنم بن جابر بن عبد العزى بن عامرة بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر، له من الولد يزيد وعمير، وانقرضا، وكان يسمى القوي الأمين، لقوله ﷺ: «**لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة**»، وقال فيه ﷺ: «**ما من أحد من أصحابي إلا لو شئت لو جدت عليه إلا أبا عبيدة**»، وقال ﷺ، حين وفد نصارى نجران، لما امتنعوا من الإسلام، ابعث معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا، فإنكم عندنا رضى. فقال ﷺ: «**إيتوني العشية أبعث معكم القوي الأمين**»؛ فكان عمر رضي الله عنه، يقول: ما أحببت الإمارة قط حبي إياها يومئذ، رجاء أن أكون صاحبها، فرُحتُ إلى الظهر مهجراً، فلما صلى بنا رسول الله ﷺ، الظهر وسلم، نظر عن يمينه ويساره، فجعلت أتطاول له ليراني، فلم يزل يلتمس ببصره، حتى رأى أبا عبيدة فدعاه، فقال له: «**اخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه**»، قال عمر: فذهب بها أبو عبيدة.

وهو من العشرة المشهود لهم بالجنة رضي الله عنهم، وأحد الذين أخبر ﷺ أنه راض عنهم، وأمر أن يُعرف لهم ذلك، قال ﷺ: «**أيها الناس إني راض عن أبي بكر فاعرفوا له ذلك، أيها الناس إني راض عن عمر وعن عثمان وعن علي وعن طلحة وعن الزبير وعن سعد وعن سعيد وعن عبدالرحمٰن بن عوف وأبي عبيدة فاعرفوا لهم ذلك**»، فلما وُلِّيَ عمرُ عزل خالدَ بنَ الوليد وولاه مكانه، وفتح الله على يديه فتوحات كثيرة منها اليرموك، ومات في طاعون عمواس في الأردنّ، في خلافة عمر سنة ثمانية عشرة، وهو ابن ثمان وخمسين سنة.

ولما قدم عمر رضي الله عنه الشام على المسلمين لمصالحة إيلياء قاموا إليه

فقال: أين أخي أبو عبيدة؟ فقالوا: الساعة يأتيك، فلم يلبث أن جاء على ناقة مخطومة بحبل من ليف، فقام إليه فاعتنقه ثم جعل الصحابة يُدْخِلُونَ عمرَ بيوتَهم، فيسره ما يرى فيها من الأموال والأثاث الحسن، بعدما كانوا عليه من الفقر وخفة الحال، فقال لأبي عبيدة: ألا تذهب بنا إلى بيتك نراه؟ فقال: أخاف أن تقصر عنه عينك، فلم يزل به إلى أن سار معه إليه فلم يجد فيه إلا السراج والرحل والسلاح، فتذكر عمر حال المهاجرين قبلُ، فبكى ﷺ، فقال لأصحابه: تعالوا نتمنَّ، فقال رجل: أتمنى كذا، وقال آخر: أتمنى مِلْءَ هذه الدار ذهبا أنفقه في سبيل الله، فقال عمر ﷺ: وأنا أتمنى هذه الدار مملوءة رجالاً مثل أبي عبيدة. ولما اجتمع المهاجرون والأنصار في سقيفة بنى ساعدة قدمه أبو بكر هو وعمر للخلافة، ثم قال: مد يدك يا أبا عبيدة أبايعك، فقال: ما كنت لأتأمر على رجل قدمه رسول الله ﷺ يصلي بالناس. وقال عمر: لئن أدركني أجلي - وهو حي - استخلفْته، لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لكل أمة أمين وأميننا أيها الأمة، وفي رواية وأميني، أبو عبيدة**» إلى غير ذا فمناقبه لا تحصى.

❀ ❀ ❀

بِـمـلء درقـة مـن الْـمـهـراس جـاء لـيـشـرب شـفـيـع الـنـاس
حـيـدرة فـعـافـه ورحـضـا عـن وجـهـه الـدم فـفـاز بـالـرضـا

❖ **الشرح**: (**بملء درقة**) - محركة - معروفة، وسكنت للضرورة، (أو كل ثلاثي متحرك الوسط يجوز تسكينه، كجمل وجبل) (**من المهراس**): وهو حجر منقور يتوضأ فيه، وماء بأحد ﴿ق﴾ وقال السهيلي في هذا المهراس: إنه حجر منقور يُتوضأ فيه، ووهم المبرد بكونه جعله اسْما علما للمهراس الذي بأُحُدِ (**جاء ليشرب شفيع الناس حيدرة فعافه**) ﷺ أي: كرهه (**ورحضا**): غسل (**عن وجهه الدم ففاز**): ظفر (**بالرضا**): أي: ﷺ، ورضي رسوله ﷺ عنه أيضاً، يعني أنه لما خرج النبيّ ﷺ مع أصحابه إلى الشعب، جاء علي بملء دَرَقة من ماء المهراس، ليشرب منه، فوجد فيه ريحاً فعافه، وصب على رأسه الماءَ فجعل يغسل عنه الدم، ويقول: «**اشتد غضب الله**

على من دَمَّى وجه نبيه»، وكانت فاطمة وعلي يغسلان الدم ويزداد سيلاناً، فعمدت إلى حصير فأحرقته ووضعته في الجرح فرقَأ الدم.

الذين أحسنوا القتال هذا اليوم:

وأعطاها رسول الله ﷺ يومئذ سيفه، وقال: «**اغسلي يا بنيتي هذا لقد والله صدقني اليوم**» ثم ناولها علي سيفه، فقال: وهذا فاغسليه، فقد صدقني، وقال:

أفاطم هاك السيفَ غيرَ ذميم ... فلستُ برعديد ولا بلئيم

فقال ﷺ: «**إن كنت أحسنت القتال فقد أحسنه معك عاصم بن ثابت، وأبو دجانة، والحارث بن الصمة، وسهل بن حُنَيف**». ومرَّت يومئذ ريح فسمعوا فيها قائلاً يقول:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي. ومَرَّ ﷺ يومئذ بامرأة من بني النجار ثم من بني دينار، وقد أُصيب زوجها وأبوها وأخوها مع رسول الله ﷺ، فلما نُعُوا لها قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيرا، يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، فأُشير لها إليه حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل.

قتادة ذو العين ردها النبِي ... بقوسه وقد تشظظت حُبِي

قتادة وقصة عينه رضي الله عنه:

❖ **الشرح**: **(قتادة)**: هو ابن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن كعب (وهو ظفر) بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس، وهو أخو أبي سعيد الخدري لأمه ـ وتقدم نسب أبي سعيد قريباً ـ وقتادة هو الذي سمعه رسول الله ﷺ يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ يرددها، فقال: «**وجبت**» **(ذو العين ردها النبيّ)** ﷺ، قال جابر: أصيبت عين رجل منا يوم أحد حتى وقعت على وجنته، فأتينا به رسول الله ﷺ، فقال: إن لي امرأة أحبها،

وأخشى إن رأتني أن تقذرني، فأخذها رسول الله ﷺ بيده وردها إلى موضعها، وقال: «**اللّهم اكسها جمالاً**».

فكانت أحسن عينيه، وأحدَّهُما نظرا، وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى، وقد وفد رجل من ذريته على عمر بن عبدالعزيز، فسأله: من أنت؟ فقال:

أنا ابن الذي سالت على الْخد عينه   فردت بكف الْمصطفى أحسن الرد
فعادت كما كانت لأول أمرها   فيا حسن ما عين ويا حسن ما رد

فقال عمر بن عبدالعزيز:

تلك المكارم لا قعبان من لبن   شيبا بِماء فعادا بعد أبوالا

فأحسن جائزته، ويروى أن عينيه أصيبتا، رواه مالك متصل الإسناد، **(بقوسه)** ﷺ **(وقد تشظظت)**: تفرقت وصارت شظايا **(حُبِي)**: بشيء أُعْطِيَهُ بلا جزاء ولا منٍّ، وقوله: **(بقوسه)** متعلق بِحُبِيَ، يعني أن قتادة فاز بخصلتين: قوسِ النبيّ ﷺ أعطاه إياها، فلم تزل عنده يرمي بها حتى صارت شظايا، ورد عينه ـ بعدما أصيبت في سبيل الله ـ بيده الكريمة.

❋ ❋ ❋

أول من عرفه فبشَّرا   به ابن مالك قريع الشعرا
فعاودوه وتساقطوا عليه   ونَهضوا للشعب إذ أوَوْا إليه
فبايعوا على الْممات الْمجتَبَى   صلى عليه الله ما هب الصبا

أول من عرفه ﷺ:

❖ **الشرح**: **(أول من عرفه)**: أي: النبيّ ﷺ **(فبشرا به)** يعني النبيّ ﷺ أيضاً لحضوره في الذهن، لقوله: ولحضوره بكل ذهن **(ابن مالك قريع)**: سيد **(الشعراء)**، وابن مالك هو كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين بن كعب بن سواد بن سلمة الخزرجي ثم الجشمي ثم السلمي ـ أباً

وأماً ـ العقبي، أحد الثلاثة الذين خُلفوا في غزوة تبوك، فتاب الله عليهم، وخبرهم مشهور، في البخاري وغيره، وكان تخلفه عن بدر إذ كانت للعير خاصة، وفي خبره: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ، في مشهد من مشاهده إلا بدراً، ولقد شهدت ليلة العقبة، وما أحب أن لي بها بدراً، وإن كان بدرٌ أذكرَ في الناس... الحديث، وهو سيد الشعراء لأنه شاعر مجيد، ومن شعره في هذا اليوم يبكي حمزة رضي الله عنهما:

طرقت همومك والرقاد مسهَّد   وجزعت أن سلخ الشباب الأغيد

إلى آخر القصيدة، وقال أيضاً:

سائل قريشاً غداة السفح من أحد   ماذا لقينا وما لاقوا من الهرب؟
كنا الأسود وكانوا النمر إذ زحفوا   ما إن تراقب من مال ولا نسب
فكم تركنا بها من سيد بطل   حامي الذمار كريم الجد والحسب
فينا الرسول شهاب ثم يتبعه   نور مضيء له فضل على الشهب

قال كعب: رأيت عينيه تحت المغفر، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله ﷺ، وأشار إليَّ ﷺ أن اصمت، فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ، نهضوا به، ونهض معهم نحو الشعب، فبايعوه على الموت، وإلى هذا أشار بقوله:

عودتُهم إليه ﷺ:

(فعاودوه) أي: النبيّ ﷺ سراعاً **(وتساقطوا عليه)**: أي: تتابع وقوعهم عليه، لا توانيا منهم، ولكنهم أكثر من أن يقعوا عليه مرة واحدة، **(ونهضوا)**: قاموا **(للشعب)**: الطريق في الجبل **(إذ أووا إليه)**: أي: التجأوا إليه، وآواه ألجأه، قال تعالى: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ وقال: ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾.

(فبايعوا) أي: عاهدوا وواثقوا **(على الممات)** أي: على أن يقاتلوا

المشركين حتى يُقْتَلُوا (**المجتبى**) من أسمائه ﷺ، ومعناه المختار (**صلى عليه الله ما هب الصبا**) وكان معه اثنا عشر كما في النظم، وقيل أربعة عشر: سبعة من المهاجرين، وسبعة من الأنصار. وعن أبي طلحة: غشينا النعاس، ونحن في مصافنا يوم أحد، فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه.

وكان يوم بلاء وتمحيص، أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة، وانهزم بعض الناس حتى انتهى إلى المنقى، دون الأعوص، (والمنقى موضع بين أحد والمدينة، والأعوص موضع قريب من المدينة، وهو الذي يعني جعفر بن الزبير بقوله:

أرائح أنت أيا جعفر ... من قبل أن تسمع من بصبصا
هيهات أن تسمع منها إذا ... جاوزت العيس بك الأعوصا

(الأبيات...).

❋ ❋ ❋

وبعد ما اطمأن في الشعب علت ... عالية من فوقهم فأُنزِلَت
صلَّى بِهم وقعدوا وقعدا ... ظهرا لِما من الْجِراح أجهدا

❖ **الشرح**: (**وبعد ما اطمأن**): سكن (**في الشعب علت**) ارتفعت وصعدت (**عالية**): قوم من قريش، صعدوا الجبل (**من فوقهم**) يعني رسول الله ﷺ، وأصحابه (**فأنزِلت**) فقال لهم ﷺ: «**اللَّهم لا ينبغي لهم أن يعلونا**»، فقاتلهم عمر ورهط من المهاجرين حتى أنزلوهم. (**صلى**) رسول الله ﷺ (**بهم**) يعني الصحابة ﷺ (**وقعدوا وقعدا ظهرا**) أي: فيها (**لـ**) أجل (**ما من الجراح أجهدا**): أي: أضعفهم. وأُخذ منه جواز صلاة القاعد.

❋ ❋ ❋

واستبدلت هند من الَّلآلي ... قلائدا من آنف الرجال
وطوقت وحشيها الفريدا ... وأدبرت تردد النشيدا
نحن جزيناكم بيوم بدر ... والْحرب بعد الحرب ذات سعر

ما كان عن عتبة لي من صبر ولا أخي وعمه وبكري

تمثيلُ هند بالشهداء ﵂:

❖ **الشرح**: **(واستبدلت)**: أي: جعلت بدلاً **(هند)** بنت عتبة بن ربيعة ـ تقدم نسبها في نسب أبيها ـ أسلمت يوم الفتح، وحسن إسلامها، وبايعت النبيّ ﷺ، على الإسلام ثاني يوم الفتح على الصفا، في جماعة من نساء قريش **(ولم تمس يده يد امرأة أجنبية قط، ويقول: «إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة»)** فتلا عليهن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ﴾.. الآية، فلما بلغ قوله تعالى ﴿عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا﴾ قالت هند: قد علمت أنه لو كان مع الله غيره لأغنى عنا، فلما قال ﴿وَلَا يَسۡرِقۡنَ﴾ قالت: وهل تسرق الحرة؟ لكن يا رسول أبو سفيان رجل مِسِّيكٌ، ربما أخذت من ماله بغير إذنه ما يصلح ولده، فقال ﷺ: «**خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف**»، ثم قال: «**إنك لأنت هند؟**» قالت: نعم، اعف عني عفا الله عنك ـ وكان أبو سفيان حاضراً فقال: فإنك في حل مما أخذت ـ فلما قال: ﴿وَلَا يَزۡنِينَ﴾ قالت: وهل تزني الحرة يا رسول الله؟ فلما قال: ﴿وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ﴾ قالت: بأبي أنت وأمي ما أكرمك وما أحسن ما دعوت إليه، فلما سمعت ﴿وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ﴾ قالت: ربيناهم صغاراً وقتلتموهم ببدر كباراً، فضحك عمر من قولها حتى مال، وكان دون النبيّ ﷺ، على العقبة. وأمها صفية بنت أمية بن حارثة بن الأوقص بن مرة بن هلال، من سليم، أهل عواتك النبيّ ﷺ، وهم حلفاء بني عبد مناف **(من اللآلي)**: جمع لؤلؤ، وهو الدر **(قلائدا)**: جمع قلادة **(من آنف)**: جمع أنف **(الرجال)**.

(وطوقت) جعلت له طوقا، وهو ما يجعل على العنق **(وحشيها)** تقدم خبره قريبا، وإضافته إليها إما لأنه لبني عبد مناف، وهي امرأة رئيسهم يومئذ بمكة، أو لرضاها عنه يومئذ جعلته كالابن، أو لاتفاقهما يومئذ على الشرك وعداوة حمزة ﵁ **(الفريدا)**: الشذر يَفصل بين اللؤلؤ والذهب **(وأدبرت)**: رجعت وولت **(تُردد)**: تكرر **(النشيدا)** وهو قولها:

(**نحن جزيناكم بيوم بدر**) وهو بدل من النشيد (**والحرب بعد الحرب ذات**) صاحبة (**سعر**) إيقاد (**ما كان عن عتبة**) أبيها ـ وتقدم ذكره ـ (**لي من صبر ولا أخي**) وهو الوليد (**وعمه**) شيبة ـ وتقدم ذكرهما أيضاً ـ (**وبكري**) وليس هو حنظلة بن أبي سفيان، ولا قيس بن الفاكه، كما يزعم بعض الجهلة، لأن حنظلة أمه صفية بنت أبي العاص، عمة عثمان، وأما قيس بن الفاكه ـ وبعض الكتب يكتبه أبا قيس ـ فأمه أم عثمان بنت عم أبيه الفاكه، ولم تلد للفاكه، وهند أول مَن ولدت أبان بن حفص بن المغيرة، لكن لم نقف على أنه قُتل يوم بدر، ولا على نفيه عنه.

❋ ❋ ❋

كلا المجدع وسعد المفتدى ... سأل رب العرش منهم أسدا
أما المجدع فللشهاده ... وسعد الفتك به أراده

استشهاد عبدالله بن جحش رضي الله عنه:

❖ **الشرح**: (**كلا**) موضوعة للدلالة على الاثنين المذكرين، ولا تنفصل عن الإضافة (**المجدع**): المقطوع الأذنين، أو الأنف، أو هما معاً، أو اليد، أو الشفة، وهذا قُطع أذناه وأنفه في الله، وهو سيدنا عبدالله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن ضمرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدي، أمه أميمة بنت عبد المطلب.

وأخوه أبو أحمد الأعمى المهاجر، زوج الفارعة بنت أبي سفيان، وأخوهما عبيدالله هاجر إلى الحبشة مع رملة بنت أبي سفيان فتنصر، ومات بها على نصرانيته، وترك بنته حبيبة التي تكنى بها رملة، فخلف عليها رسول الله ﷺ، وهم حلفاء بني عبد شمس، وقيل: حرب بن أمية خصوصا، ومر أبو سفيان يوماً بدارهم تخفق الريح أبوابها، بعد أن هاجروا كلهم إلى المدينة، فتنفس الصعداء وأنشد:

وكل بيت وإن طالت سلامته ... يوما ستدركه النكباء والحوب

وقبله ـ وهما لأبي دؤاد الإيادي ـ:

كل امرئ بلقاء الموت مرتهن كأنه غرض للموت منصوب

ثم كلم أبو أحمد النبيَّ ﷺ، يوم الفتح أن يرد عليه دارهم، فأعرض عنه النبيّ ﷺ، فقيل له إن النبيّ ﷺ يكره أن ترجعوا في شيء أُخِذَ منكم بِمَكة قبل الهجرة، فطابت نفس أبي أحمد عنها.

وأخواتُهم: زينب، وكانت تحت زيد بن حارثة فطلقها، وخلف عليها رسول الله ﷺ، وفيها نزلت: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ وأم حبيب، وكانت تحت عبدالرحمٰن بن عوف (وكانت تستحاض)، وحمنة وكانت تحت مصعب بن عمير ـ أم بنته زينب، ولم يترك مصعب بن عمير غيرها من الولد ـ (وكانت حمنة تستحاض أيضاً، وروي أن زينب استحيضت أيضاً، ومنه في الموطأ أن زينب كانت تحت عبدالرحمٰن بن عوف).

قال محمد بن عبدالباقي في شرح الموطأ: ولم تكن قط زينب تحت عبدالرحمٰن بن عوف، ولا قاله أحد، والغلط لا يسلم منه بشر، والتي كانت تحته أختها أم حبيب ـ ويقال فيها أم حبيبة ـ وقيل: أم حبيب اسمها زينب، فهما زينبان، غلبت على إحداهما الكنية، فعلى هذا لا يكون في حديث الموطأ غلط ـ والله أعلم ـ وكان اسم زينب برة، فسماها النبيّ ﷺ زينب، وكذلك زينب بنت أبي سلمة ـ ربيبة رسول الله ﷺ ـ كان اسمها برة فسماها زينب، كأنه كره أن تزكي المرأة نفسها بهذا الاسم، وكان اسم جحش بن رئاب بُرَّةُ ـ بضم الباء ـ فقالت زينب له ﷺ: لو غيرت اسم أبي، فإن البرة صغيرة، قال لها: «**لو كان أبوك مسلما لسميته باسم من أسمائنا أهلَ البيت، ولكن قد سَميته جحشا والْجحش أكبر من البرة**».

(وسعد) ابن أبي وقاص ـ تقدم نسبه ـ **(المفتدى)**: أي: فداه ﷺ بأبويه، ولم يفد بهما غيره، قيل: والزبير يوم الخندق **(سأل رب العرش منهم أسدا)**: أي: شجاعا.

(أما المجدع فللشهاده) أي: أن يكون شهيدا **(وسعد)** هو ابن أبي

وقاص (**الفتك**) ـ مثلثة ـ ارتكاب ما هم به من الأمر، وانتهاز الفرصة بالقتل، وهو المراد هنا (**به**): أي: بالأسد (**أراده**): قصده، يشير رَحِمَهُ اللَّهُ إلى ما كان سعد يحدث به، أنه لقي يوم أحد أول النهار عبدالله بن جحش، فخلا به، وقال له عبدالله: يا سعد هلم فلندع الله، وليذكر كل منا حاجته في دعائه، وليؤمن الآخر، قال سعد: فدعوت الله أن ألقى فارساً شديداً بأسه، شديداً حرده فأقتله وآخذ سلبه، فقال عبدالله: آمين، ثم استقبل عبدالله القبلة، ورفع يديه إلى السماء، فقال: اللَّهم لاقني اليوم فارساً شديداً حرده شديداً بأسه يقتلني، ويجدع أنفي وأذنيَّ، فإذا لقيتك غدا تقول لي: يا عبدالله فيم جدع أنفك وأذناك؟ فأقول: فيك وفي رسولك، فتقول: صدقت، قل يا سعد آمين، فقلت: آمين، ثم مررت به آخر النهار قتيلا مجدوع الأنف والأذنين، وأنفه وأذناه معلقان بخيط، ولقيت أنا فلانا من المشركين فقتلته، وأخذت سلبه، ولعله يريد أبا سعد بن أبي طلحة، وكان سعد قتله يومئذ، والذي قتل عبدَالله يومئذ أبو الحكم بن الأخنس بن شريق ـ لعنه الله ـ وقُتل بحمد الله يومئذ، وكان سنَّ عبدالله يومئذ بضعٌ وأربعون سنة، ودفن مع خاله حمزة في قبر واحد.

العرجون والعون:

وانكسر هذا اليوم سيف عبدالله، فأعطاه ﷺ عرجونا، فعاد سيفا في يده، فقاتل به، وكان يسمى ذلك السيف العرجون، ولَم يزل يُتوارث حتى بيع من «**بغا**» التركي بِمائة دينار، و«**بغا**» هذا في الدولة العباسية، ووقع مثل هذا لابن عمه عكاشة بن محصن رضي الله عنه، يوم بدر، إلا أن سيف عكاشة يسمى العون، وكان عنده إلى أن قتله طليحة يوم بزاخة.

وعبدالله هذا أول من خمس الغنيمة في الإسلام، وذلك في سريته (سرية ابن الحضرمي)، ثم أنزل الله تعالى ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ﴾ الآية، وهو من الذين استشارهم النبيّ ﷺ في أسارى بدر، وتولى ﷺ تركته واشترى مالا من خيبر لابنه وتوفي عن زينب بنت خزيمة فخلف عليها رسول الله ﷺ. أسلم رضي الله عنه قبل دخوله ﷺ دار الأرقم.

وإذ أبـو رهـم الـغـفـاري نُـحِـرْ بـريـقـه فِـي الْـحِـيـن قـام مـسـتـمـر
واسـتـشـهـد الـلـذان قـد تَـخـلـفـا لـكـبـر فـلـحـقـا وزحـفـا
هـمـا حـسـيـل الـيـمـان أسـلـمـه حـذيـفـة إذ أهـلـكـتـه الْـمَـسْـلَـمـه
وثـابـت بـن وقـش الْـمـسـتـشـهـد أخـوه وابـنـاه وكـل وتـد

قصة أبي رهم رضي الله عنه:

❖ **الشرح**: **(وإذ أبو رهم)**: هو سيدنا كلثوم بن الحصين رضي الله عنه، **(الغفاري)** منسوب إلى بني غفار **(نحر)**: أصابه سهم في نحره، فأتى النبيّ ﷺ، فبصق عليه، فبرئ من حينه، ولم يجد له ألَماً بعدُ، وذلك معنى قوله: **(بريقه في الحين قام مستمر)**: أي: مستمر البرء.

استشهاد حسيل بن جابر اليمان رضي الله عنه:

(واستشهد): أي: قتلا شهيدين **(اللذان قد تخلفا)**: أي: قعدا عن الغزو **(لـ)** أجل **(كبر)** أي: هرم، إذ لا حرج عليهما، قال ﷺ، لعمرو بن الجموح، هذا اليوم: «**أما أنت فقد عذرك الله**» ـ كما سيأتي قريباً إن شاء الله ـ **(فلحقا)** بالنبي ﷺ، **(وزحفا)**: أي: قاتلاً، والزحف: الدنو من القتال.

(هما حسيل) بن جابر بن عمرو بن ربيعة بن جروة وهو اليمان ـ سُمِّيَ بذلك لأنه أصاب دماء في قومه، فهرب إلى المدينة، فحالف بني عبدالأشهل، فسمي به لمحالفته اليمانية، وهم الأنصار ـ وجروة اليمان بن مازن بن قطيعة بن عبس **(أسلمه)**: أي: أعطى ديته **(حذيفة)** بن اليمان، وكنيته أبو عبدالله، وأمه الرباب بنت كعب، شهد أحداً وما بعدها، وكان من كبار الصحابة، بعثه النبيّ ﷺ، ينظر إلى قريش في الخندق، وكان يعرف بصاحب سر رسول الله ﷺ، وكان عمر رضي الله عنه، يسأله عن المنافقين، ويتحراه في شهود الجنائز، وخيره ﷺ، بين الهجرة والنصرة، فاختار النصرة، وشهد نهاوند، وأخذ الراية بعد قتل النعمان بن مقرن، ففتح الله على يديه، وكذلك الري والدينور، وهو القائل: لا تقوم الساعة حتى يسود كل قبيلة

منافقوها، ومات ﷺ سنة بضع وثلاثين، وقُتل ابناه: صفوان وسعيد مع علي ﷺ، بوصية أبيهما، **(إذ أهلكته)**: أي: قتلته خطأ **(المسلمة)** أي: المسلمون، اختلفت عليه سيوفهم يظنونه من المشركين، والذي تولى قتله منهم خطأ سيدنا عتبة بن مسعود ﷺ، أخو عبدالله.

وعتبة هذا هو أول من سمى المصحف مصحفا، وكان أسلم قبل أخيه عبدالله، واستشهد يوم اليمامة، وهو جد عبيدالله بن عبدالله الفقيه الشاعر، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة.

ومثل ابني مسعود هذين ابنا الخطاب عمر وزيد، قال عمر ﷺ: أخي سبقني إلى الحسنيين: الإسلام والشهادة، وكان عمر ﷺ، حريصا على الشهادة، رمى في هذا اليوم بدرعه لأخيه زيد، فقال له زيد: يا أخي إني أريد من الشهادة ما تريد، فتركاها جميعاً.

ثابت بن وقش وابناه وأخوه رفاعة ﷺ:

(وثابت بن وقْش) ـ ويحرك ـ بن زغبة بن زعور بن عبدالأشهل **(المستشهد أخوه)**: رفاعة بن وقش **(وابناه)**: عمرو الأصيرم ـ الذي تقدم خبره ـ و سلمة بن ثابت ﷺ ونفعنا بحبهم، **(وكل وتد)** يريد أنهم أوتاد الشرف في أهلهم والفضل في الإسلام، شبههم بالجبال التي هي أوتاد الأرض.

وكان من خبر هذين المذكورين ـ ﷺ ـ أنهما تخلفا مع النساء والصبيان لهرمهما فقال أحدهما لصاحبه: لا أبا لك ما ننتظر؟ فوالله ما بقي لواحد منا من عمره إلا ظمأ حمار، أفلا نأخذ أسيافنا فنلحق برسول الله ﷺ، لعل الله يرزقنا الشهادة معه؟ فأخذا سيفيهما، ثم خرجا حتى دخلا في الناس، ولم يُعلم بهما، فأما ثابت فقتله المشركون، وأما حسيل بن جابر فاختلفت عليه سيوف المسلمين فقتلوه، ولا يعرفونه ـ كما تقدم بعض ذلك بيسير ـ فقال حذيفة: أبي والله! ما عرفتموه؟، فقالوا: والله إن عرفناه وصدقوا، وقال حذيفة: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين،

فأراد ﷺ، أن يَدِيَه، فتصدق حذيفة بديته على المسلمين، فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ خيراً.

❊ ❊ ❊

وابن الربيع سعد الَّذ سألا نبينا عنه فألْفِيَ على
شفا الشهادة فأرسل الرضى إلى النبِيّ بالسلام والرضا

سعد بن الربيع رضي الله عنه:

❖ **الشرح**: **(وابن الربيع سعد)**: بدل من **(ابن الربيع)** بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الحارث بن الخزرج الأنصاري، النقيب البدري العقبي، مرتين، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبدالرحمٰن بن عوف، فشاطره مالَه حتى نعليه، وخَيَّره بين امرأتيه أيتهما شاء ينزل له عنها، فقال عبدالرحمٰن: بارك الله لك في أهلك ومالك، ولكن دُلَّنِي على السوق، فدله عليه، فلم يبرح عبدالرحمٰن أن كثر ماله.

وقال ﷺ: «**من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع أفي الأحياء هو أم في الأموات؟**» فقال رجل: أنا يا رسول الله ﷺ، ـ واختلف في الرجل، فقيل: أبي بن كعب، وقيل: محمد بن مسلمة ـ ، فنادى في الأموات فلم يجبه إلى أن قال: يا سعد إن النبيّ ﷺ، بعثني أنظر له ما صنعت أفي الأحياء أنت أم في الأموات؟ قال: فأجابني بصوت ضعيف: أنا في الأموات، فأبلغه عني السلام وقل له: إن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله عنا خير ما جازى به نبياً عن أمته، وأبلغ قومك عني السلام، وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله أن يُخلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف، قال: ثم لم أبرح حتى مات، فجئت رسول الله ﷺ، فأخبرته خبره. ودُفن هو وابن عمه خارجة بن زيد في قبر واحد.

وكان خارجة جرح يومئذ بضعة عشر جرحا، فمر به صفوان بن أمية

فقال: هذا ممن أغرى بأبي عليٍّ يوم بدر - يعني أمية أباه - فأجهز عليه، ومثَّل به، وقال صفوان: الآن شفيت نفسي، قتلت الأماثل من أصحاب محمد، قتلت ابن أبي زهير، وأوس بن الأرقم، وابن نوفل، وذلك معنى قوله: (**الَّذ**) لغة في الذي (**سألا نبينا**) ﷺ (**عنه فأُلْفِيَ**): وُجد (**على شفا**) كل شيء طرفه (**الشهادة فأرسل الرضى**) المرضي (**إلى النبيّ بالسلام والرضا**).

❋ ❋ ❋

وذو الوصايا الْجُمّ للبشير   وهو مُخيريق بني النضير

استشهاد مخيريق بني النضير رضي الله عنه:

❖ **الشرح**: (**وذو**): صاحب (**الوصايا**) أي: واستشهد ذو الوصايا، جمع وصية (**الْجُمّ**) - بالضم جمع جَمٍّ بالفتح - للكثير من كل شيء، أي الوصايا الكثيرة (**للبشير**) من أسمائه ﷺ (**وهو مخيريق بني النضير**) كان رضي الله عنه، ونفعنا به، حبراً عالماً كثير الأموال من النخل، وكان يعرف رسول الله ﷺ، بصفته وما يجده في علمه، وغلب عليه إلف دينه، فلم يزل على دينه حتى كان يوم أُحُدٍ يوم سبت قال والله يا معشر يهود إنكم لتعلمون إن نصر محمد عليكم لَحَقٌّ، قالوا: إن اليوم يوم السبت، قال: لا سبت لكم، ثم أخذ سلاحه فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ، بأحد، وعهد إلى من وراءه من قومه إن قُتلتُ فمالي لمحمد، يصنع فيه ما أراه الله، فلما اقتتل الناس قاتل حتى قُتل، فكان رسول الله ﷺ يقول: «**مخير يق خير يهود**» فقَبض رسول الله ﷺ أموالَه، فعامة صدقات رسول الله ﷺ، بالمدينة منها، لأنه ﷺ حين انصرف جعلها أوقافا، وهي أول حُبس في الإسلام، وكانت سبع حوائط، وأسماؤها: الأعراف والميثب والصافية والدلال والبرقة وحسنى ومشربة أم إبراهيم (وإنما سميت مشربة أم إبراهيم، لأنها كانت تسكنها مارية أم إبراهيم ابن النبيّ ﷺ).

❋ ❋ ❋

ومصعب شَماس والمجدع بِحمزة المهاجرون أربع

شهداء المهاجرين رضي الله عنهم:

❖ **الشرح**: (**ومصعب**) بن عمير و(**شماس**) هو عثمان بن عثمان (**والمجدع**) وهو عبدالله بن جحش (**بحمزة**) بن عبد المطلب (**المهاجرون أربع**) يعني أنه استشهد أيضاً هؤلاء الأربعة، أما مصعب والمجدع، فقد تقدم الكلام عليهما ما أمكن.

شَماس بن عثمان رضي الله عنه:

وأما شماس فهو عثمان بن عثمان بن الشريد بن هرمي بن عامر بن مخزوم المخزومي، أمه صعبة بنت ربيعة بن عبد شمس، وشماس لقبه، وكان يومئذ يقي رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: «**ما شبهت الجنة إلا بعثمان**»، ولا يومئ ببصره يميناً وشمالاً إلا رآه يذب عنه بسيفه حتى غشي القوم رسول الله ﷺ فترس نفسه دونه حتى قُتل، فحُمل إلى المدينة، فأُدخل على عائشة، فقالت أم سلمة رضي الله عنها: ابن عمي يُدخل على غيري! فقال ﷺ: «**احملوه إلى أم سلمة**» فحُمل إليها، فأمر النبيّ ﷺ أن يُرد إلى أحد، فيُدفن هناك، كما هو في ثيابه التي مات فيها، بعد أن مكث يوما وليلة، لأنه لم يأكل ولم يشرب، ولم يصل عليه رسول الله ﷺ، وهو يومئذ ابن أربع وثلاثين سنة، وقالت أخته ترثيه: وقيل زوجته ـ وأراه لو كانت له زوجة ما تنازعه غيرها من النساء ـ:

يا عين جودي بدمع غير إبساس — على كريم من الفتيان لباس
صعب البديهة ميمون نقيبته — حمال ألوية ركاب أفراس
أقول لما أتى الناعي له جزعا — أودى الجواد وأودى المطعم الكاسي
وقلت لما خلت منه مضاجعه — لا يبعد الله منا قرب شماس

وقوله: (**بحمزة**) أي: هو رابع من استشهد منهم، ولم يعطفه بالواو،

كأنه معظم له تعظيما فوق تعظيم أصحابه، لاختصاصه عنهم بعمومته ﷺ - وإن كان المجدع ابن عمته، فهو أيضاً ابن خالته، لأن أمه هالة بنت أهيب، بنت عم آمنة - ولغنائه في الحرب ما لم يغن غيره، وكان يقاتل بسيفين، وهو الثلم الذي رآه ﷺ في سيفه، وحزن عليه ﷺ أشد الحزن، ووقف عليه حين استشهد، ونظر إلى شيء ما نظر إلى شيء قط أوجع لقلبه منه، فقال: «**رحمة الله عليك لقد كنت ما علمتك فعولا للخيرات وصولا للرحم، ولولا حزن مَنْ بعدي عليك لسرني أن أدعك حتى تحشر من أفواه شتى، وأيم الله مع ذلك لأمثلن بسبعين منهم مكانك**» فنزل جبريل عليه السلام، والنبي ﷺ واقف، بخواتم سورة النحل: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ إلى آخر السورة، فصبر رسول الله ﷺ، وكفر عن يَمينه، وأمسك عما أراد. ومن مراثيه قول حسان بن ثابت:

أتعرف الدار عفا رسمَها ... بعدك صوبُ المسيل الهاطل
سألتها عن ذاك فاستعجمت ... لم تدر ما مرجوعة السائل
بين السراديح فأدمانة ... فمدمع الروحاء في حائل
دع عنك دارا قد عفا رسمها ... وابك على حمزة ذي النائل

(في أبيات).

وقيل: استشهد ثلاثة عشر من المهاجرين، وقيل: أحد عشر؛ هؤلاء المذكورون، وسعد مولى حاطب بن أبي بلتعة، وعبدالرحمٰن وعبدالله ابنا الهبيب، من بني سعد من ليث، ووهب بن قابوس المزني، وابن أخيه الحارث بن عقبة بن قابوس، ومالك ونعمان ابنا خلف بن عوف بن دارم بن عنز، كانا طليعتين للنبي ﷺ فقُتلا ودفنا في قبر واحد، وثقف بن عمرو الأسلمي حليف بني عبد شمس، وعقربة بن أبي عقربة الجهني.

❋ ❋ ❋

حنظلة الغسيل نَجل الفاسق زوج جَميلة ابنة المنافق

أجنب منها فاستخفه القتال	**عن شقه أو عن جميع الاغتسال**
وقال صخر إذ رآه قتله	**شدادهم: حنظلة بِحنظله**

غسيل الملائكة ﷺ:

❖ **الشرح: (حنظلة الغسيل نجل الفاسق)** أي: ومن الشهداء أيضاً حنظلة بن أبي عامر الفاسق ـ وكان اسمه الراهب، فسماه ﷺ الفاسق ـ ابن صيفي بن النعمان بن مالك بن أمية بن ضبيعة ابن زيد بن مالك بن عمرو بن مالك بن الأوس، ويقال لبني زيد بن ضبيعة وبني زيد بن عمرو **«الجعادرة»** لأنهم كانوا إذا أجاروا أحدا أعطوه سهما، وقالوا له: جعدر به حيث شئت،كما كانت القواقلة تفعل ـ وهم: بنو عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج غنمٌ وسالمٌ ـ ويقال لبني زيد بن مالك بن ضبيعة **«كسر الذهب»**. قال شاعرهم.

وإن لنا بين الجواري وليدة	مقابلة بين الجعادر فالكسر
متى تدع بالزيدين زيدِ بن مالك	وزيدِ بن عمرو تأتها عزة الفخر

وقولهم: جعدر أي: اركز حيث شئت **(زوج جميلة ابنة المنافق)**: هو عبدالله ابن أبي ـ وتقدم ـ وقال السهيلي: إنها أخته بنت أُبَيٍّ، والأشبه ما في النظم، وهي أول من اختلع من ثابت بن قيس بن شماس، جاءت النبيّ ﷺ فقالت: يا رسول الله، والله ما نقمت على ثابت بن قيس من دِينٍ ولا مال ولا حسب، ولكني رأيته في وَجْهٍ، هو أقصرهم قامة وأسودهم وجها، فقال ﷺ: **«أوَ تردين عليه حديقته؟»** قالت: نعم وأزيده. (يؤخذ من قولها: وأزيده جواز الخلع على ما تراضى به الزوجان، كان أكثر من الصداق أم لا).

رؤيا جميلةَ رضي الله عنها :

وقوله: **(أجنب منها)**: أي: أمنى، وكان ابتنى بها تلك الليلة، وكانت عروسا عنده، فرأت في النوم ـ تلك الليلة ـ أن بابا من السماء فُتح له

فأُغلق دونه، فعلمت أنه ميت من غده، فدعت رجالاً من قومها، حين أصبحت، فأشهدتهم على الدخول بها، خشية أن يكون في ذلك نزاع. وقال ﷺ: «**إن صاحبكم لتغسله الملائكة**» وفي رواية «**رأيت الملائكة تغسله في صحاف الفضة بماء المزن بين السماء والأرض**»، فسُئلت فقالت: خرج وهو جنب، حين سمع الهاتفة، والْتُمس في القتلى فوجدوه رأسه يقطر ماء، وليس بقربه ماء، تصديقاً لقوله ﷺ. (وفي هذا الخبر مُتَعَلَّقٌ لِمَن مِن الفقهاء قال: إن الشهيد يغسل إذا كان جنباً، ومنهم من قال: لا يغسل كسائر الشهداء، لأن التكليف سقط عنه بالموت). فحملت رضي الله عنها، في تلك الليلة بعبدالله بن حنظلة إمام أهل المدينة لما خلعوا يزيد بن معاوية، فكانت عليهم وقعة الحرة، وهو جد الأحوص لأمه، وإياه يعني بقوله:

غسلت خالي الملائكة الأبـ ـرار ميتا أكرم به من صريع
وأنا ابن الذي حمى لحمه الدبـ ـر قتيل اللحيان يوم الرجيع

(فاستخفه القتال عن شقه أو عن جميع الاغتسال) يريد أنه غسل شقه فهجم العدو، واستعجل عن الشق الآخر، وقيل: لم يغسل شيئاً.

أما أبو عامر فنسبه ما ذُكر، وخبره أنه كان سيد الأوس، وكان ابْنُ أُبَيٍّ سيد الخزرج، فرأيا أن النبيّ ﷺ سلبهما ملكا يريدهما به قومُهما، فبغضاه لذلك، فأما ابن أُبَيٍّ فأقام معه في المدينة معادياً له، وأما الفاسق فكان قبل قدوم النبيّ ﷺ يطلب الدين في الآفاق، فلما قدم النبيّ ﷺ، حُرم التوفيق ـ نسأل الله العافية ـ فحاور النبيّ ﷺ، فقال: الكاذب منا أماته الله وحيداً طريداً، فأمَّن النبيُّ ﷺ لدعائه، فخرج إلى مكة، فغزا مع قريش أحداً، ولذلك لَمْ يُمَثِّلوا بابنه، ومثلوا بغيره من المسلمين، وأقام معهم إلى أن فُتحت مكة، فخرج يريد الحيرة أو الشام، فمات في الطريق طريداً وحيداً، بتأمين النبيّ ﷺ على دعائه.

(وقال صخر) أبو سفيان بن حرب **(إذ)** حين **(رآه)** أي: حنظلة **(قتله شدادهم)** لعله يعني قريشاً، وشداد الذي قَتل حنظلةَ هو بن الأسود بن شعوب الليثي، حليف العباس بن عبد المطلب، وهو مولى نافع بن أبي

نعيم، قارئ أهل المدينة، وعمه أبو بكر بن شعوب هو القائل، يرثي هشام بن المغيرة، (وكان هشام سيد قريش في زمانه، تؤرخ قريش بموته):

ذريني أصطبح يا بكر إني رأيت الموت نقب عن هشام
تخيره فلم يعدل سواه فنعم المرء من رجل تهامي

وفيه يقول أيضاً:

فأصبح بطن مكة مقشعرا كأن الأرض ليس بها هشام

(حنظلة بحنظله) أي: قتلنا حنظلة هذا بحنظلة ابني، وكان قتله زيد بن حارثة يوم بدر، وقيل عليٌّ، وتقدم الإيماء إلى ذلك، وقول من قال: إن الذي قَتل حنظلةَ بن أبي سفيان حنظلةُ الغسيل ليس بشيء، لأنه لم يشهد بدراً، وأرى الغالط قاده إلى غلطه قول أبي سفيان: حنظلة بحنظلة، لأن ابنه إنَّما قتله حزبه.

❊ ❊ ❊

واستشهد الأعرج عمرو بن الجموح وعن حياة الْمصطفى أبا الفتوح
سأل صخر وانثنى يغرد موعدكم بدر وفال الْموعد

استشهاد عمرو بن الْجموح رضي الله عنه:

❖ **الشرح**: **(واستشهد الأعرج)** من أصابه شيء في رجله ـ يقال: عرج كجلس، أو يثلث إذا كان غير خلقة وإذا كان خلقة، فهو عرج كفرح ومشيته العرج بالتحريك ـ واستشهد بالبناء للمفعول، على الأكثر **(عمرو بن الجموح)** ـ تقدم نسبه في ترجمة ابنه معاذ ـ وكان رضي الله عنه شديد العرج، فلما كان يوم أحد أراد بنوه حبسه فشكاهم إلى رسول الله ﷺ فقال له: «**أما أنت فقد عذرك الله**» ثم قال لبنيه: «**ما عليكم أن لا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة**»، فأخذ سلاحه، وأقبل على القبلة، فقال: اللَّهم ارزقني الشهادة ولا تردني إلى أهلي خائباً، فلما انكشف المسلمون، حمل هو وابنه خلاد فقُتلا رضي الله عنهما ونفعنا بهما. قال ﷺ: «**إن منكم مَن لو أقسم على الله لأبره، منهم**

عمرو بن الجموح، ولقد رأيته يطأ في الجنة بعرجته» فحمله بنوه على بعير فاستصعب عليهم فكلما وجهوه لجهة سارع إليها إلا جهة المدينة، فكلما وجهوه إليها امتنع، فذكروا قوله: اللَّهم لا تردني إلى أهلي...، فدفنوه في مصرعه مع ابن عمه عبدالله بن عمرو في قبر واحد.

وسأل ﷺ يوما بني سلمة: «**من سيدكم؟**» فقالوا: الجد بن قيس على بُخْلٍ فيه، فقال ﷺ: «**وأي داء أدوى من البخل، بل سيدكم الجعد الأبيض عمرو بن الجموح**» وفي رواية بشر بن البراء، فقال شاعرهم:

وقال رسول الله والْحق قوله	لِمن قال منا من تعدون سيدا؟
فقلنا له الجد بن قيس على التي	نبخله فينا وما كان سيدا
فسود عمرو بن الجموح لجوده	فحق لعمرو بالندى أن يسودا
فتى ما تخطى خطوة لذميمة	ولا مد في يوم إلى سوءة يدا
إذا جاءه السُّؤَّال أنهب ماله	وقال خذوه إنه عائد غدا
فلو كنت يا جد بن قيس على التي	على مثلها عمرو لكنت المسودا

استفسار أبي سفيان عن حياته ﷺ:

(**وعن حياة المصطفى أبا الفتوح**): هو سيدنا عمر بن الخطاب ـ لكثرة فتوحاته في الشام والعراق ـ وهو أول من سمي أمير المؤمنين، نقش في خاتمه كفى بالموت واعظا يا عمر، ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، ثاني الخلفاء الأربعة، ومناقبه كثرت على الحصر واشتهرت عن الذكر، والمشهور في أعمارهم أنها على قدر عمر النبيّ ﷺ، إلا سيدنا عثمان ﷺ فإنه زاد على الثمانين، (**سأل صخر**) هو أبو سفيان بن حرب، وقوله: (**وعن حياة المصطفى**) متعلق بقوله: سأل (**وانثنى**): انعطف (**يغرد**): يرفع صوته طربا (**موعدكم بدر وفال**): أخطأ (**الموعد**)، يعني أن أبا سفيان لما أراد الانصراف أشرف على الجبل، ثم صرخ بأعلى صوته: أنعمت فعال!، إن الحرب سجال يوم بيوم بدر، اعل هبل، ومعناه أنعمت الأزلام، ـ وكان استقسم بها حين خرج إلى أحد، فخرج الذي يحب ـ قوله: فعال أمر أي

عال عنها، وأقصر عن لومها، تقول العرب: اعل عني وعال عني، بمعنى ارتفع عني ودعني.

ويُروى أن الزبير قال لأبي سفيان يوم الفتح: أين قولك: أنعمت فعال؟ فقال: قد صنع الله خيراً، وأذهب أمر الجاهلية، واعل هبل أي: ازدد علوا، وقيل: ظهر دينك، فقال ﷺ: «**قم يا عمر فأجبه**» فقال: الله أعلى وأجل، لا سواء، قتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار، فقال: إن العزَّى لنا ولا عزَّى لكم، فقال ﷺ: «**الله مولانا ولا مولى لكم**».

فلما أجابه عمر قال: هلم إلي يا عمر، فقال ﷺ: «**إيته وانظر ما شأنه**»، فجاءه، فقال: أنشدك الله يا عمر هل قتلنا محمداً؟ فقال عمر: اللَّهم لا، وإنه الآن ليسمع كلامك، فقال: أنت أصدق عندي من ابن قميئة وأبر، (لقوله قتلت محمداً) ثم نادى: في قتلاكم مُثَلٌ، والله ما رضيت ولا سخطت ولا نهيت ولا أمرت!، ثم نادى: إن موعدكم بدر للعام القابل، فقال ﷺ لرجل من أصحابه: «**قل: نعم هو بيننا وبينكم موعد**» وقال أبو سفيان يومئذ:

وما زال مهري مزجر الكلب منهم لدن غدوة حتى دنت لغروب
ولو شئت نجتني كميت طمرة ولم أحمل النعماء لابن شعوب

يعني شداداً لقتله حنظلة الغسيل.

❊ ❊ ❊

وارتقبوا أن يُجنبوا فهم قفل أو يسرجوا فهم لطيبة نسل

❖ **الشرح**: (**وارتقبوا**): أشرفوا (**أن يجنبوا**) - بفتح الياء - يقودوا الخيل، يقال جنبه جنباً محركة قاده إلى جنبه، قال: جنبنا الخيل من أجأ وسلمى.. أي: لينظروا هل جنبوا الخيل (**فهم**) يعني قريشاً (**قفل**) بالتحريك اسم جمع قافل أي: راجع (**أو يسرجوا**): يجعلوا السروج على الخيل (**فهم**) أي: قريش أيضاً (**لطيبة نُسُل**) - بضمتين - أي مسرعون، قال لبيد بن ربيعة:

عسلان الذئب أمسى قاربا بَرَدَ الليلُ عليه فنسل

يعني أنه بعث ﷺ علي بن أبي طالب ـ وقيل سعد بن أبي وقاص ـ وقال: «**اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وما ذا يريدون؟ فإن كانوا جنبوا الخيل وامتطوا الإبل، فإنهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده إن أرادوها لأسيرن إليهم ثم لأناجزنّهم فيها**». ثُم فرغ الناس لقتلاهم، فهناك قال ﷺ: «**من رجل ينظر لنا ما فعل سعد بن الربيع...؟**».

الخلاف في صلاته ﷺ على الشهداء:

فقيل صلى عليهم النبيّ ﷺ وكان يصلي على عشرة، وهذا الحديث لم يأخذ به أحدٌ من الفقهاء إلا الأوزاعي، لوجهين: أحدهما: ضعف الأسانيد، والثاني: أنه لم يصحبه عمل، ولم يُرو عنه ﷺ أنه صلى على شهيد في شيء من مغازيه، إلا هذه الرواية في غزوة أحد، وأما ترك غسله فقد أجمعوا عليه، إلا رواية شاذة عن بعض التابعين.

والمعنى في عدم غسله ـ والله أعلم ـ تحقيق حياة الشهداء، والتصديق لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ الآية، مع أن في ترك غسله معنى آخر، وهو أن دمه يشهد له، لأنه أثر عبادة ويجيء يوم القيامة وجرحه يشخب دما وريحه ريح المسك فكيف يطهر منه وهو طيب وأثر عبادة؟. (وأخذ بعضهم من هذا كراهية السواك للصائم، لئلا يذهب خلوف فمه، وهو أثر عبادة، وجاء فيه ما جاء في دم الشهيد أنه أطيب عند الله من ريح المسك).

وحمل الناس قتلاهم يومئذ إلى المدينة فدفنوهم في ناحيتها، فنادى منادي رسول الله ﷺ: «**ردوا القتلى إلى مضاجعهم**» فأدرك النداء رجلاً واحداً لم يكن دفن فرد، وهو شماس بن عثمان. وقيل: ردهم ﷺ ليدفنوا حيث قتلوا جميعاً، وقال: «**انظروا أكثر هؤلاء جمعاً للقرآن فاجعلوه إماماً لأصحابه في القبر**» وكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة في قبر واحد، وقال ﷺ: «**ادفنوا عبدَالله بنَ عمرو وعمرَو بنَ الجموح في قبر واحد لِما كان بينهما من**

الصفاء». ثم بعد ذلك قال جابر: صُرخ بنا إلى قتلانا بأحد، حين أجرى معاوية العين، فأخرجناهم بعد أربعين سنة لينة أجسادهم تنثني معاطفهم، وروي أن عبدالله أميطت يده عن جرح في وجهه فانبعث الدم، فردت وسكن، وأصابت المسحاة إصبع حمزة فانبعث الدم.

وأسلم عبدالله ليلة العقبة الثانية، وسبب إسلامه أنه خرج في حُجَّاجٍ من أهله ومعهم قوم قد أسلموا، فلما قضوا حجهم خرج منهم البراء بن معرور، وكعب بن مالك فواعدوا رسول الله ﷺ العقبة وكانوا يكتمون عن قومهم المشركين خبرهم فخلوا بعبدالله فكلموه وكان سيدا من ساداتهم، وقالوا له: يا أبا جابر إنك سيدنا وشريفنا، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدا، ثم دعوناه إلى الإسلام، وأخبرناه بميعاده ﷺ إيانا العقبة، فأسلم وشهد معنا العقبة، وكان نقيباً.

إسلام عمرو بن الجموح رضي الله عنه:

وكان عمرو بن الجموح ممن بقي على شركه، وكان له صنم يعظمه، وكان فتيان ممن أسلم من بني سلمة يدلجون بالليل على صنمه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة منكسا رأسه في عذر الناس، فإذا أصبح قال: ويحكم من عدا على آلهتنا هذه الليلة؟! ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسله وطهره وطيبه، فإذا أمسوا عدوا عليه ففعلوا به مثل ذلك، إلى أن غسله مرة وطهره ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال: ما أعلم من يصنع بك ما أرى، فإن كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك فلما أمسى ونام عمرو عدوا عليه وأخذوا السيف من عنقه، ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل، ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة فيها عذرة من عذر الناس، وغدا عمرو بن الجموح يلتمسه، فلم يجده في مكانه، فخرج يتبعه، حتى وجده في تلك البئر منكساً رأسه مقروناً بكلب ميت، فلما رآه ساءه شأنه، وكلمه مَن أسلم من قومه فأسلم رضي الله عنه، وحسن إسلامه.

تتمة: وإياكم يا إخواني أن تتوهموا أنَّما وقع يوم أحد غلبةٌ لحزب

إبليس حزبَ الله!، كلا وهيهات، بل هو من إكرام الله حزبَه لأن الإكرام يكون بوجوه: منها الظفر والغنيمة، كإكرامه إياهم يوم بدر، ومنها التمحيص والشهادة كهذا، ألا تراهم يرغبون في الشهادة ويتضرعون إلى الله في طلبها وحُقَّ لهم وقد خيَّرهم الله يوم بدر بين قتل الأسارى ومفاداتهم، فيستشهد بعددهم في القابل، فاختاروا المفاداة حرصاً على الشهادة، لأنها خيرُ من الحياة بالاستراحة من مشاق الدنيا وأكدارِها، والعجلةُ على نعيم الجنة المؤبد.

❋ ❋ ❋

وبأبَيّ مر بعدُ ابن عمر	وهو الذي رماه خالق البشر
مسلسلا صديان فاستسقاه	والسقي عنه ملك نَهاه
ومر أيضاً بأبي جهل لدا	بدر به أَضَرَّ لا عج الصدى

عبدالله بن عمر رضي الله عنهما:

❖ **الشرح**: **(وبأبي)** عدو الله ـ تقدم نسبه في نسب ابنه عبدالله ـ وأم أبيّ ثقفية **(مر بعدُ ابن عمر)**: هو سيدنا عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، هو وأمنا حفصة وعبدالرحمٰن الأكبر، أمهم زينب بنت مظعون، أخت بني مظعون: عثمان، والسائب، وقدامة البدريين ـ على المشهور ـ المهاجرين الجمحيين، ويكنى أبا عبدالرحمٰن، أسلم مع أبيه صغيراً، وهاجر قبله، ولم يشهد بدراً، واستُصغر يوم أحد، وهو ابن أربع عشرة سنة، وأُجيز يوم الخندق، وهو أول مشاهده، وهو ابن خمس عشرة سنة، وبايع قبل أبيه يوم الحديبية، (ومن هذا غلط بعضهم حيث يقول: أسلم قبل أبيه، وإنما خلط عليه ببيعته قبله يوم الحديبية)، وذلك أنه بعثه إلى فرس عند رجل من الأنصار ليقاتل عليه، فذهب عبدالله فوجد الناس يبايعون بيعة الرضوان فبايع، ثم جاء عمرَ فأخبره، فجاء عمرُ فبايع. وكان رضي الله عنه لا يتخلف عن غزوة ولا سرية، وكانت مواليه تبلغ الألف، أو تزيد عليها، لأنه كلما رأى مملوكاً له يصلي أعتقه، فقيل له: إنما يخادعونك، فقال: من خدعنا في الله انخدعنا له، وهو أحد

العبادلة، وغيره: ابن مسعود، وابن عباس، وابن الزبير، وابن عمرو بن العاص، وأحد الستة المكثرين من الحديث عن النبيّ ﷺ: هو وابن عباس، وأمنا عائشة، وجابر، وأنس، وأبو هريرة ﷺ، ونفعنا بهم، وكان حريصا على ما يحفظ عنه ﷺ إذا حضر، ويسأل إذا غاب عما قال وما فعل؟

وروى البخاري من طريق سالم بن عبدالله عن عبدالله، كان الرجل إذا رأى رؤيا في حياته ﷺ قصها عليه، فتمنيت أن أرى رؤيا أقصها عليه، وكنت غلاما أعزب مَنَّاءً، أنام في المسجد، فرأيت في المنام كأن ملكين أخذاني، فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرنان كقرني البئر، وإذا فيها ناس قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، فلقيهما ملَك آخر، فقال لي: لن تراع، فقصصتها على حفصة، فقصتها عليه ﷺ، فقال: «**نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي بالليل**». وكان بعدُ لا ينام من الليل إلا قليلاً.

قال عبدالله: كنت جالسا مع رسول الله ﷺ في ناس فيهم أبي، فقال ﷺ: «**أخبروني عن شجرة مثلها مثل المؤمن لا يسقط ورقها تؤتي أكلها كل حين؟**» وكنت أصغرهم، فاستحييت أن أتكلم، فلما أكثروا ولم يصيبوا قالوا: أخبرنا يا رسول الله قال: «**هي النخلة**» فقلت لأبي: قد وقع في قلبي أنها النخلة، فقال عمر: وددت أنك قلتها، وعليَّ كذا وكذا.

دعاء ابن عمر وابني الزبير وعبدالملك:

وكان يوماً بمكة جالساً مع ابني الزبير: عبدالله، ومصعب، وعبدالملك بن مروان، فقال بعضهم لبعض: ليقم كلٌّ منا يستلم الحجر، ويدع الله، ويذكر حاجته، ففعلوا، فأما هو فسأل الله أن لا يُميته حتى يرى مقعده في الجنة، وأما عبدالله بن الزبير فسأل الله ملك الحجاز، حتى لا يُنَازَعَ فيه، فملكه وملك العراق واليمن، وأما مصعب فدعا الله أن يملك العراق، وأن يجمع بين عقيلتي قريش، فملكه من قِبَلِ أخيه، وجمع بين سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة، وأما عبدالملك فسأله أن يملك

الأرض شرقها وغربها حتى لا ينازعه فيها أحد إلا أوتي برأسه فكان كما دعا، وأوتي برأس مصعب، وقتل عبدَ الله بن الزبير، ﷺ، وفي هذا أقوى دليل على أن عبدالله بن عمر ما مات حتى رأى مقعده في الجنة. وقد يقال: إن المؤمن لا يموت حتى يرى مقعده في الجنة.

وكان ابن عمر يتبع آثار رسول الله ﷺ ويصلي في كل مسجد صلى فيه ﷺ وكان يتعرض براحلته في كل طريق مر بها رسول الله ﷺ فقيل له في ذلك، فقال: أتحرى أن تقع أخفاف راحلتي على بعض أخفاف راحلته ﷺ، وحج مع رسول الله ﷺ حجة الوداع، فوقف معه في موقفه بعرفة، وكان بعدُ يقف في ذلك الموقف كلما حج، وكان كثير الحج، لا يفوته الحج في كل عام.

قتلُ الحجاج لابنِ عمر رضي الله عنه:

فحج عام قَتْل ابن الزبير مع الْحجاج بن يوسف، وكان عبدالملك كتب إلى الْحجاج أن لا يخالف ابن عمر في الحج، فأتاه ابن عمر، يوم عرفة حين زالت الشمس، ومعه ابنه سالم، فصاح به عند سرادقه الرواحَ، فخرج عليه الحجاج في معصفرة فقال: هذه الساعة؟ قال: نعم، ثم انطلق حتى وقف في موقفه الذي كان يقف فيه، وكان ذلك الموضع بين يدي الحجاج، فأمر من نخس به حتى نفرت به ناقته، فسكنها ابن عمر ثم ردها إلى الموضع الذي كان يقف فيه، فأمر الحجاج أيضاً بناقته فنخست فنفرت فسكنها أيضاً، ثم ردها إلى ذلك الموقف، فثقل على الحجاج أمره، فأمر رجلاً معه حربة، قيل: إنها كانت مسمومة، فلما دفع الناس من عرفة لصق به ذلك الرجل، فأمرَّ الحربة على رجله وهي في غرز رحله، فمرض ابن عمر منها أياماً، ثم مات بمكة ودفن بها رضي الله عنه، وصلى عليه الحجاج، سنة ثلاث وسبعين، ودخل عليه الحجاج يعوده، فقال: من بك يا أبا عبدالرحمٰن؟ قال: ما تصنع به؟ قال: قتلني الله إن لم أقتله، فقال: أنت الذي أمرت من يسمني.

وله من الولد أحد عشر غلاماً عالماً: عبدالله بن عبدالله وأبو بكر وأبو عبيدة وعمر وعبدالرحمٰن وعثمان وحفصة أم عبدالله المطرف وسودةُ أم بني عبدالرحمٰن بن زيد بن الخطاب وأم أسماء ـ أيضاً ـ بنت عروة بن الزبير، (وسودة هذه هي التي بدأت الطواف حين فرغت من صلاة العشاء، فما أتمته حتى أُذن للصبح لشحمها، وكانت حينئذ تحت عروة بن الزبير) وأم هؤلاء من ولد عبدالله صفية بنت أبي عبيد زوجه أبوه إياها، فأصدقها أبوه خمسمائة، فدس هو إليهم مائتين، فكملها سبعمائة، (ومنه أخذ العمل بصداق السر) وله من الولد، غير بني صفية، سالم لبنت يزدجرد، وكان عبدالله يحبه حباً شديداً، وكان إذا قدم من السفر لم يبرح حتى يقبله، وفيه يقول:

يلومونني في سالم وألومهم وجلدة بين العين والأنف سالم

وهو من العلماء الأكابر، يُعد في الفقهاء السبعة مكان أبي بكر بن عبدالرحمٰن بن الحارث أو سلمة بن عبدالرحمٰن بن عوف، (ويقال لسلمة هذا: أبو سلمة)، ومن أبناء عبدالله بن عمر أيضاً عبدالرحمٰن، أمه أم علقمة بنت علقمة من بني الحارث بن فهر، وزيد بن عبدالله وأبو سلمة بن عبدالله، وبلال بن عبدالله لأمهات أولادٍ شتى.

مقتل أُبَيّ بن خلف لعنه الله:

(وهو الذي رماه خالق البشر): يعني يوم أحد، وكان إذا لقي النبيّ ﷺ بمكة، يقول له: يا محمد إن عندي العود ـ يعني فرساً له ـ أعلفه كل يوم فرقاً من ذرة، أقتلك عليه، فيقول ﷺ: «**بل أنا أقتلك إن شاء الله**». فلما انحاز المسلمون عنه ﷺ وكان يقيه مصعب بن عمير، فقتله ابن قميئة، جاء أبي بن خلف وهو يقول أين محمد؟ لا نجوت إن نجا، فاعترضه رجال من المسلمين، فأمرهم النبيّ ﷺ، أن يخلوا سبيله، قال الزبير: وكانت معي حربة، فأخذها مني ﷺ، فتطايرنا عنه تطاير الشعراء ـ وهو ذباب صغير له لدغ، تقول العرب في زعماتها: قيل للذئب ما تقول في

غنيمة تحرسها جويرية؟ قال: شحيمة في حلقي، فقيل له: ما تقول في غنيمة يحرسها غليم؟ قال: شعراء في أبطي أخشى خطواته ـ عن ظهر البعير، فأبصر ﷺ ترقوة أُبَيٍّ من سابغة الدرع والبيضة، فطعنه ﷺ فيها، فوقع عن فرسه، ولم يخرج من طعنته دم، فأدركه المشركون وله خوار ويقول: قتلني والله محمد، قالوا ذهب والله فؤادك إنْ بك من بأس، فقال: إنه قد كان قال لي بمكة: أنا أقتلك، والله لو بصق علي لقتلني، فقفلوا به إلى مكة، وهو يقول: والذي نفسي بيده لو أن الذي بي بأهل الحجاز لَماتوا أجمعون.

ومات عدو الله بسرف ـ ككتف ـ موضع قرب التنعيم، **(به بنى ﷺ بأمنا ميمونة، وفيه دفنت بعدُ)** وفي ذلك نزلت ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾.. الآية، فالأخذ والإرسال أثبتهما تعالى لنبيه، والذي نفى عنه الإصابة والتبليغ، وأثبتهما لنفسه تعالى، وقيل: نزلت في القبضة التي رمى بها المشركين يوم بدر ولم يكن في قبضته إلا ما يبلغ بعضهم، فالله هو الذي رمى سائرهم، إذ رميت أنت القليل منهم، وقيل وما رميت قلوبهم بالرعب حين رميت الحصباء ولكن الله رماها، **(مسلسلاً)**: مجعولاً فيه سلسلة، وهي الدائرة من الحديد **(صديان)**: عطشان **(فاستسقاه)**: أي: طلب منه السقي **(والسقي عنه ملَك نهاه ومر أيضاً بأبي جهل لدى بدر به أضر لاعج الصدى)**.

أشار في هذه الأبيات رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى ما ذكره الثعالبي ومحمد بن عبدالباقي مسنداً إلى سالم بن عبدالله بن عمر عن أبيه قال: خرجت مرة فمررت بقبر من قبور الجاهلية، فإذا رجل قد خرج من القبر يتأجج ناراً في عنقه سلسلة، ومعي إداوة من ماء، فلما رآني قال: يا عبدالله اسقني، فقلت: قد عرفني فدعاني باسمي ـ أو كلمة تقولها العرب: يا عبدالله ـ إذ خرج في إثره رجل من القبر فقال، يا عبدالله لا تسقه، فإنه كافر، ثم أخذ السلسلة فاجتذبه فأدخله القبر.

قال: ثم أضافني الليل إلى بيت عجوز إلى جانبها قبر، فسمعت من القبر صوتا يقول: بول وما بول؟! شن وما شن؟! فقلت للعجوز: ما هذا؟

قالت: كان زوجا لي، وكان إذا بال لم يتق البول، وكنت أقول له: ويحك إن الجمل إذا بال تفاجَّ، وكان يأبى، فهو ينادي منذ مات بهذا، فقلت: فما الشن؟ قالت: جاء رجل عطشان، فقال له: اسقني، فقال: دونك الشن، فإذا ليس فيه شيء، فخر الرجل ميتا، فهو ينادي منذ مات: شن وما شن؟!.

فلما قدمت المدينة على رسول الله ﷺ أخبرته بذلك، فنهى أن يسافر الرجل وحده.

قال أبو عمر: وهذا الحديث في أسانيده مجهولون ولم يوردوه للاحتجاج به لكن للاعتبار، وما ليس فيه حكم تسامح الناس في روايته عن الضعفاء.

❊ ❊ ❊

غزوة حَمراء الأسد:

وبعدها غزوة حَمراء الأسد ... كانت لإرهاب صبيحةَ أحد
وأمر النبيُّ أن لا يَخرجا ... إلا الذي بالأمس كان خرجا
ولابن عبدالله جابر سَمح ... بالغزو إذ لأخواته جنح
بالأمس إذ قال أبوه: يا بُنَيْ ... ما كنت أوثرك بالغزو عليْ

❖ **الشرح**: **(وبعدها)**: أي: غزوة أحد **(غزوة حمراء الأسد)**: وهي موضع على ثلاثة أميال من المدينة **(كانت لإرهاب)**: تخويف **(صبيحة أحد)** يعني أن النبيَّ ﷺ خرج مرهبا للعدو، وليُعلمهم أن به قوةً وأن ما أصابَهم لم يُوهنهم عن عدوهم، **(وأمر النبيّ)** ﷺ **(أن لا يخرجا إلا الذي بالأمس كان خرجا)**.

جابر بن عبدالله رضي الله عنه:

(ولابن عبدالله جابر سمح): جاد **(بالغزو إذ لأخواته جنح)**: مال،

وجابر هو ابن عبدالله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن سلمة الخزرجي السلمي، أمه نسيبة بنت عقبة، يكنى أبا عبدالرحمٰن، شهد العقبة مع أبيه وهو صغير، واختلف في شهوده بدراً، ويروى أنه قيل له هل شهدت بدراً؟ فقال: أين غبتُ عنه لا أبا لك؟ وتخلف عن أحد لهذا، وشهد ما بعدها إلا خيبر وقُسم له في غنائمها - لأنه شهد الحديبية، وغنائم خيبر لأهل الحديبية، لقوله تعالى ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ. . .﴾ الآية - وهو أحد الستة المكثرين من الحديث عن النبيّ ﷺ، وكف بصره آخر عمره.

أدرك الحرة، وأبى خلع يزيد بن معاوية، وخرج يومئذ يطوف في أزقة المدينة، وهو يعثر في القتلى (وكان أعمى) فقال: تعس من أخاف رسول الله ﷺ، فقال له قائل: ومَن أخاف رسول الله ﷺ؟ فقال: سمعته يقول: «**من أخاف المدينة فقد أخاف ما بين جنبيّ**» فحملوا عليه ليقتلوه، فأجاره منهم مروان، وأدخله بيته.

قصة جَمله:

وهو صاحب الجمل الذي أبطأ به في غزوة ذات الرقاع، فاشتراه ﷺ منه، بعد أن نخسه، فسار سيراً ليس يسيره مثله، ثم قال: «**بعنيه بأوقية**» فبعته له، واستثنيت حملانه إلى أهلي - وفي رواية: فاشترطت، وفي أخرى: فأفقرني ظهره - فلما قدمنا أتيته بالجمل، فنقدني ثمنه، ثم انصرفت، فأرسل على أثري، قال: «**ما كنت لآخذ جملك فخذ جملك فهو لك ومالك**» (وهو مدرك كثير من الفقه) وفي بعض الروايات: أنه أعطاه أولا درهما، فقال: لا، إذاً تغبنني يا رسول الله. وروي من وجه صحيح أنه كان يقول له كلما زاد درهما: «**قد أخذته بكذا، والله يغفر لك**» فكأنه ﷺ، أراد بإعطائه درهماً دِرهماً أن يكثر استغفارُه ﷺ، لجابر. (وأخذ منه إباحة المكايسة الشديدة في البيع، وأن يعطى في السلعة ما لا يشبه أن يكون ثمنا لها، فإن اشتراها به وهو عاقل بصير ولم يكن في البيع تدليس عليه فهو بيع ماض)، وتُوفي بالمدينة سنة بضع وسبعين بعد أن شهد صفيناً مع علي،

ﷺ، وصلى عليه أبان بن عثمان، وهو أمير المدينة يومئذ، ولجابر أربع وتسعون سنة، ومناقب جابر لا تحصى. **(بالأمس إذ قال أبوه يا ابني ما كنت أؤثرك بالغزو علي)**: يعني أن جابرا كلّم النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله إن أبي كان خلفني على أخوات لي هن سبع، لا ينبغي لنا أن نتركهن لا رجل فيهن، فسمح له بالغزو معه.

يعني أنه ﷺ خرج صبيحة أحد يوم الأحد - وكانت أحد يوم السبت - فأذَّن مؤذنه ﷺ في الناس بطلب الغزو، وأذَّن مؤذنه أيضاً: أن لا يخرج معنا أحد إلا أحد حضر بالأمس، فأذن لجابر بن عبدالله في الخروج معه - كما تقدم - فخرج ﷺ حتى بلغ حمراء الأسد، فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء، ومر به معبد بن أبي معبد الخزاعي، قبل إسلامه - وكانت خزاعة عيبة نصح النبيّ ﷺ مسلمهم ومشركهم - فتوجع على ما أصاب المسلمين يوم أُحد، وخرج حتى لقي أبا سفيان وقريشاً بالروحاء، فأخبرهم بخروج رسول الله ﷺ ففتَّ في أعضادهم وخوفهم منه، وقال لأبي سفيان: والله لقد خرج محمد بما لا قبل لكم به، وقد كانوا أرادوا الرجوع إلى المدينة وصفوان ينهاهم.

❋ ❋ ❋

وفتكوا بِجَد عبدالملك ... لأمه سبط أبي العاص الذكي
وهو الْمُمَثَّلُ بعم أحمد ... وبِمعاوية يُعرف الردي

مقتل معاوية بن المغيرة:

❖ **الشرح**: **(وفتكوا)**: أي: قتلوا **(بجد عبدالملك)** بن مروان لأمه، وجَدُّهُ لأمه معاوية بن المغيرة بن أبي العاص، وأمه سبرة بنت صفوان بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، التي روى عنها مروان حديث نقض الوضوء بمس الذكر، وهي صهرته لأنها أم زوجته عائشة بنت معاوية هذا المقتول، أم ابني مروان: وهما عبدالملك بن مروان، ومعاوية الأحمق أخوه، وأم بنته أيضاً أم عمرو زوج الوليد بن عثمان.

وسبب قتلهم لمعاوية هذا أنه لجأ إلى عثمان بن عفان، في غزوة حمراء الأسد، فاستأمن له من النبيّ ﷺ فأمَّنه على أنه إن وجد بعد ثلاث قتل، فلما كان بعد الثلاث استخفى، فدعا ﷺ زيد بن حارثة وعمار بن ياسر، وقال لهما: «**إنه بموضع كذا**» فوجداه فقتلاه الـ(**سبط**): ولد الولد (**أبي العاص**) لأنه أي: المقتول ابن المغيرة بن أبي العاص، كما تقدم قريبا (**الذكي**) سريع الفطنة، صفة لأبي العاص، وأبو العاص هو ابن أمية بن عبد شمس، وكان يقال لأبي العاص هذا الأمين، وهو من شعراء قريش وحكمائهم، وأم أبي العاص وإخوته آمنة بنت أبان بن كليب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وهو الذي يقول ـ يعني بني عامر بن لؤي، وكان ابن أخيه سعيد بن العاص رهنهم ابنه أبانا في دم أبي ذؤيب، أحد بني عامر بن لؤي، أمه أم حبيب بنت العاص، أخت سعيد بن العاص، فأنكر أبو العاص وإخوته ذلك الرهن ـ:

أبلغ لديك بني أميـ ... ـة آية نصحا مبينا
أنّا خلقنا مصلحـ ... ـين وما خلقنا مفسدينا

(**وهو**) أي: معاوية المقتول (**الممثل**): المنكل، يقال: مثَّل به مثلا ومُثلة بالضم، إذا نكَّل به، أي: صنع به صنيعا يحذر به غيره (**بعم أحمد**) سيدنا حمزة بن عبد المطلب ﷺ مثَّل به يوم أحد معاوية هذا المقتول، وإليه أشار بقوله: (**وبمعاوية يعرف الردي**): الهالك، لأنه المقتول بحمراء الأسد.

عبدالملك بن مروان:

وأما عبدالملك فهو ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمه عائشة بنت هذا المقتول ـ كما تقدم قريبا ـ بُويع له بالملك بعد أبيه مروان، ومدة ملكه عشرون سنة، ويكنى أبا الوليد، ويلقب رشح الحجر لبخله، وعليه استقام ملك بني أمية، لأنه كان يقول للحجاج: جنبني دماء هؤلاء القوم، (يعني آل النبيّ ﷺ) فما رأيت آل حرب

سلبهم ملكهم إلا دماؤهم، ووفد عليه أرطاة بن سمية المري وقد كان شيخا كبيرا، فقال له عبدالملك: كيف تجدك يا أرطاة؟ فأنشده:

رأيت المرء تأكله الليالي   كأكل الأرض ساقطة الحديد
وما تجد المنية حين تأتي   على نفس ابن آدم من مزيد
وأعلم أنها ستكر حتى   توفي نذرها بأبي الوليد

فقال: مالي ولك، تذكرني في شعرك؟ فقال: عنيت نفسي، أنا أبو الوليد، فسئل عن ذلك فأفلت منه فانصرف إلى أهله، وقال:

إذا ما طلعنا من ثنية لفلف   فبشِّر رجالا يكرهون إيابي
وأخبرهمُ أنِّي رجعت بغبطة   أحدد أظفاري وأصرف نابي

إلى آخر الأبيات. وكان عبدالملك من فتيان قريش قبل الملك، حلما وعقلا وصلاحا، وكان يقول: كنت أجالس بريرة ـ قبل أن يصير إليَّ هذا الأمر ـ فتقول لي إن فيك خصالاً خليقة بهذا الأمر، فإن وليته فاتق الله في غير حق، وكان له صديق من أهل الكتاب يسمى يوسف، قال له عبدالملك: ـ حين وجه يزيد بن معاوية جيش الحرة ـ انظر جيش عدو الله إلى حرم رسول الله ﷺ، فقال له الكتابي: جيشك والله إلى حرم الله أعظم من جيشه إلى حرم رسول الله ﷺ، ومن عقله أنه قال له يوماً: لك عندي بشارة عظيمة ـ يعني الملك ـ إن أعطيتني كذا، فقال له عبدالملك: أما إذا كانت من كسبك أو تعين عليها فنعم، وأما إذا كانت واقعة لا محالة فلا، فخجل الكتابي. وبنوه الذكور لصلبه أربعة عشر، وإخوته عشرة سواه، وأعمامه عشرون سوى أبيه.

ولما حضرته الوفاة قال لابنه يزيد: يا بني إن لي بالمدينة صديقين فاحفظني فيهما: أبا بكر بن عبدالرحمٰن، وعبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وقال: قد ملكنا ما شئنا، ونكحنا من النساء ما شئنا، وركبنا من الْجياد ما شئنا، فلم يبق لنا من الدنيا ما نستلذه إلا مُحادثة الإخوان.

وبالذي عليه قبلُ أشفقا	نبيُنا ثُم ارتَجى أن يُطلقا
ثانية أن كان ذا بنات	وهو أبو عزة ذو الهنات

مقتل أبي عزة الجمحِي:

❖ **الشرح**: (**وبالذي عليه قبلُ**): أي: في غزوة بدر، لأنه أُسِرَ يومه، فقال: يا رسول الله إني فقير ذو عيال وحاجة كما تعلم، فامنن عليَّ منَّ الله عليك، فرحمه ﷺ وأطلقه، فأخذ عليه أن لا يُكثر عليه بعدها جمعا، وهي معنى قوله: (**أشفقا نبينا ثم ارتجى أن يطلقا ثانية**) أي: يوم حمراء الأسد بعد أن أطلق يوم بدر (**أن**): أي: لأجل (**كان ذا**): صاحب (**بنات**) يعني أنه لما أجمعت قريش إلى المسير إلى أحد كلم صفوان بن أمية أبا عزة أن يخرج معهم إلى بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ـ وهم حلفاء قريش ـ فيسألهم النصر، فأبى عليه، وقال: إن محمدا قد منَّ عليَّ وأعطيته أن لا أكثر عليه قال: بلى فاخرج معنا وأعنا بلسانك فلك علي إن رجعتَ أن أغنيك، وإن أُصبتَ أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر، فخرج أبو عزة ومسافع بن عبد مناف يستنفران الناس بأشعارهما، وخرج أيضاً أبو عزة إلى بني الحارث بن عبد مناة، فقال لهم:

أنتم بنو الحارث والناس الهمام	أنتم بنو عبد مناة الرزام
أنتم حماة وأبوكم حام	لا تعدمون نصركم بعد العام

لا تسلموني لا يحل الإسلام

فظفر به ﷺ بعد الوقعة بحمراء الأسد، فقال: يا محمد أقلني ـ وفي رواية عفوك ـ فقال ﷺ: «**والله لا تمسح عارضيك بمكة وتقول: خدعت محمدا مرتين**» ثم أمر عاصم بن ثابت فضرب عنقه، وفيه قال عليه الصلاة والسلام: «**لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين**».

(**وهو أبو عزة ذو**): صاحب (**الهنات**): جمع هنة لما لا يعبأ به من كلمة وحيلة، وأبو عزة هو عمرو بن عبدالله بن وهب بن حذافة بن جمح.

قصته مع البرص:

بَرِصَ أبو عزة بمكة، فكانت قريش لا تجالسه ولا تؤاكله، فقال: الموت خير من هذا، فأخذ حديدة ودخل بعض شعاب مكة، فطعن في مِعَدِّه، (والمعد موضع عقب الراكب من الدابة)، فمارت الحديدة بين الجلد والصفاق، فسال منه ماء أصفر، فبرئ فقال:

لاهم رب وائل و مهد والتهمات والجبال الجرد
ورب من يرعى بأرض نجد
أصبحت عبدا لك وابن عبد أبرأتني من وضح بجلدي
من بعدما طعنت في معدي

وكان المسلمون مدة إقامتهم تلك الليالِيَ يوقدون كل ليلة خمسمائة نار، وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل وجه، فكبت الله بذلك عدوهم، وكان ﷺ بعث ثلاثة نفر طليعة في أثر القوم، فلحق اثنان منهم القوم، فعطفوا عليهما فقتلوهما. وجاء نعيمُ بن مسعودٍ النبيَّ ﷺ وأصحابَه فخوفهم من قريش - وكان أبو سفيان بعثه بذلك - فقال المسلمون: حسبنا الله ونعم الوكيل، فأنزل الله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ...﴾ الآية.

قتلى المشركين يوم أُحُد:

وأصاب المسلمون من قريش يوم أحد أربعة أو ثلاثة وعشرين: أصحاب اللواء - وقد ذكروا - والقاسطَ بن شريح بن هاشم العبدري أيضاً، وعبدَالله بن حميد الأسدي، وأبا الحكم بن الأخنس بن شريق، حليف بني زهرة وسيدهم، وسباعَ بن عبد العزى الخزاعي، حليفَ بني زهرة أيضاً، ومن بني مخزوم هشامَ بن أبي أمية، والوليدَ بن العاص بن هشام - وقُتل أبوه يوم بدر - وأبا أمية بن أبي حذيفة، وخالد بن الأعلم حليفهم، ومن بني جمح أبا عزة، وأُبَياً بن خلف، ومن بني

عامر بن لؤي عبيدةَ بن جابر، وشيبةَ بن مالك، وقيل: وشريح بن قارظ.

وفيهم يقول حسان: (وقيل: إنها أجود ما قال، وحين قالها نادى: أنا أبو الحسام أنا أبو الوليد ـ وهما كنيتان له ـ ثم أمرهم أن يرووها عنه قبل النهار، مخافة أن يعوقه عائق، وكان قالها ليلاً):

منع الرقاد بالعشاء الهموم ... وخيال إذا تغور النجوم

من حبيب أصاب قلبك منه ... سقم فهو داخل مكتوم

لم تفتها شمس النهار بشيء ... غير أن الشباب ليس يدوم

رب حلم أضاعه عدم الما ... ل وجهل غطى عليه النعيم

لا تسبَّنَّني فلست بسبي ... إنَّ سِبِّي من الرجال الكريم

ما أبالي أَنَبَّ بالحزن تيس ... أم جفاني عن ظهر غيب لئيم

وتقدم باقيها عند قوله: **(واستأصلوا أهل اللواء...)**

❊ ❊ ❊

غزوة بني النضير:

ثُم النضير هاجها أن جاءهم ... مستوهباً من دية ما نابَهُمْ

فأصعدوا أحدهم لِيُلْقِيَا ... عليه صخرةً تُريح الأغبيا

❖ **الشرح**: **(ثم النضير)** بنو النضير ـ كأمير ـ حي من يهود خيبر **(هاجها)**: أي: الغزوة: أثارها **(أن جاء)** النبيّ ﷺ **(هم)**: أي: بني النضير **(مستوهبا)** طالبا هبة ما نابهم من دية، وهذا معنى قوله: **(من دية ما نابهم)**: أي: نزل بهم وخصَّ بهم، والدية التي استوهب منهم ما نابَهُمْ منها دية العامريَّيْن اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري، مرجعه من بعث بئر معونة، وكان ﷺ عقد لهما جواراً، ولم يعلم به عمرو، فقال ﷺ: «**قتلت قتيلين لأدينهما**»، وعمرو يرى أنه أصاب بهما ثأرا.

مؤامرة اليهود على قتله ﷺ:

(فأصعدوا): رفعوا (أحدهم): وهو عمرو بن جحا ش بن كعب (ليلقيا): أي: يسقط (عليه صخرة تريح الأغبياء): جمع غبي للذي لا يفطن، يعني أنه بعد وقعة أحد بأربعة أشهر - وقيل قبل أُحُدٍ، وبعد بدر بخمسة أشهر - خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في هذه الدية، في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي ﷺ، فلما أتاهم ﷺ قالوا: نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه، ثم خلا بعضهم ببعض، وقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله ﷺ إلى جنب دار من بيوتهم قاعداً - فمَنْ رجل يَعلو هذا البيت، فيلقي عليه صخرة، فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش، كما تقدم، فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقي عليه صخرة.

❋ ❋ ❋

وأخبر ابنُ مِشكَمٍ أن يُخبرا ... وزجر الرهطَ فلن ينزَ جِرا
فجاءه الخبر من رب السما ... وفي حصارها العُقارُ حُرِّما

تحذيرُ ابن مشكم لليهود:

❖ **الشرح**: (**وأخبر ابن مشكم**) - كمنبر - هو سلاَم، بتخفيف اللام، والد شعثاء التي تشبب بها حسان بن ثابت، وفيها يقول:

أجمال شعثا إذا هبطن من الْمحـ ... ـمض بين الكثيب فالسند

- وروي أن أباها قال: يا معشر يهود قد علمتم أن محمداً نبي، ولولا أن تعير بها شعثاء ابنتي لاتبعته - ويقول فيها حسان أيضاً:

لشعثاء التي قد تيمته ... فليس لقلبه منها شفاء

وهو صاحب أبي سفيان الذي يقول فيه:

سقاني فروّاني كميتا مدامة ... على ظمأٍ مني سَلاَمُ بنُ مِشْكَمِ

(**أن يخبرا**) به (**وزجر الرهط**): نهاه، والرهط - ويُحرَّكُ - قوم الرجل وقبيلته (**فلن ينزجرا**): لم يمتثل، يعني أن اللئام لما اجتمعوا على غدر النبيّ ﷺ قال لهم سلام بن مشكم: لا تفعلوا، والله ليُخْبَرَنَّ بما هممتم به، وإنه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه.

(**فجاءه**): أي: النبيّ ﷺ (**الخبر من رب السماء**) فلما جاءه الخبر بما أرادوا قام راجعا إلى المدينة، فلما استلبث النبيَّ ﷺ أصحابُه قاموا في طلبه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه، فقال: رأيته داخلا المدينة، فأقبلوا إليه، فأخبرهم بما أرادت به يهود، وقيل: نزلت فيهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ﴾ الآية فأمر النبيّ ﷺ بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، فسار بالناس حتى نزل بهم، وحاصرهم ستَّ ليال، ونزل تحريم الخمر، وأمر النبيّ ﷺ بحرق النخل وتخريبه فنادوه: أن يا محمدُ قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض وتعيبه على من صنعه، فما بال تحريق النخل وقطعه؟ وهذا هو معنى قوله: (**وفي حصارها العقار**): الخمر (**حرما**): منع.

* * *

والحشر أُنزِلَتْ بِها ونقضا   نَجلُ أُبَيٍّ عهدَهم ورفضا

نزول سورة الحشر:

❖ **الشرح**: (**والحشر**): أي: سورته (**أنزلت بِهَا**) أي: هذه الغزوة (**ونقضا**): أي: أخلف (**نجل أبي**): هو المنافق عبدالله المتقدم خبره (**عهدهم**) يعني بني النضير، أي ما عاهدهم عليه من أنه يعينهم وينصرهم عليه ﷺ (**ورفضا**): أي: تركه، يعني أن سورة الحشر نزلت بهذه الغزوة، في بني النضير وفي المنافقين الذين بعثوا إليهم - وهم عبدالله ابن أُبَيٍّ، ووديعة بن مالك بن أبي نوفل، وغيرهما من منافقي بني عوف بن الخزرج - أن اثبتوا وتمنعوا، فإنا لن نسلمكم، إن قاتلتم قاتلنا معكم وإن أخرجتم خرجنا معكم، فتربصوا لنصرهم، فلم يفعلوا شيئاً، وقذف الله الرعب في

قلوبهم، وذلك قوله: (**ونقضا نجل أُبَيّ**) فسألوه ﷺ أن يجليهم، ويكف عن دمائهم، على أن لهم ما حملت الإبل إلا الحلقة.

وروي أنه ﷺ بعث إليهم محمد بن مسلمة« **أن اخرجوا من بلدي، فلا تساكنوني بها، وقد هممتم بما هممتم به من الغدر، ولقد أجلتكم عشرا فمن رأيته بعد ذلك منكم ضربت عنقه**» فمكثوا على ذلك أياما، فأرسلوا إلى ظهرهم بذي الجدر، وتكاروا من ناس من أشجع إبلا، فأرسل إليهم ابن أُبَيٍّ: لا تخرجوا من دياركم وأقيموا في حصونكم، فإن معي ألفين من قومي ومن العرب يدخلون حصونكم فيموتون من آخرهم، وتَمدنا قريظة وحلفاؤكم من غطفان، فطمع حييٌ فيما قال ابن أبي، فأرسل إلى رسول الله ﷺ إنا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك.

فسار إليهم ﷺ، فحاصرهم واعتزلتهم قريظة، وخذلَهم ابن أبي وحلفاؤهم من غطفان، فحينئذ قالوا: نحن نخرج من بلادك فقال: «**لا أقبله اليوم ولكن اخرجوا منها ولكم دماؤكم وما حملت الإبل إلا الحلقة**»، فحملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل، فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام، وخلوا الأموال لرسول الله ﷺ، فكانت له خاصة، يضعها حيث شاء، ولم يُسْلِمْ منهم إلا رجلان: يامين بن عمرو بن كعب، وأبو سعيد بن وهب، أسلما فأحرزا أموالهما بالإسلام، ويقال: إن رسول الله ﷺ قال ليامين: «**ألم تر ما لقيتُ من ابن عمك، وما هم به من شأني؟**» فجعل يامين جُعلا لمن يقتله، فقُتِل.

فلحق آل أبي الحقيق بخيبر - ومعهم آنية كثيرة من فضة قد رآها ﷺ وأصحابه حين خرجوا بها - ولحق سائرهم بالشام، فحملوا المال والنساء على ستمائة بعير، وكانوا يخربون بيوتَهم بأيديهم، وولَّى النبيّ ﷺ إخراجَهم محمدَ بنَ مسلمة، وقال ﷺ: «**هؤلاء في قومهم بمنزلة بني المغيرة في قريش**». وحزن عليهم المنافقون حزناً شديداً، وقَبضَ رسول الله ﷺ، الأموال والحلقة، فوجد من الحلقة خمسين درعا، وخمسين بيضة، وثلاثمائة وأربعين سيفا.

وفـيـئـهـم ـ والـفـيءُ فِـي الأنـفـال ... مـا لَـم يـكـن أُخِـذَ عـن قـتـال

أمـا الـغـنـيـمـة فـعـن زحـاف ... والأخـذ عـنـوة لـدى الـزحـاف ـ

لِـخـيـر مـرسـل وخـصَّ فـئـتَـه ... وفِـي رضـا أنـصـاره عـطـيـتَـهْ

كـان الـتـرحـم عـلـى الأنـصـار ... أن آثـروا بـه بـنِـي نـزار

وشـاطـروهـم مـالَـهـم ونـزلـوا ... عـن الـحـلائـل لَـهـم وأول

مـن جـا بـه مُـخـيـرا بـيـن اثـنـتـيـن ... ابـن الـربـيـع لابـن عـوف الْـمـكـيـن

تعريف الغنيمة والفيء:

❖ **الشرح: (وفيئهم ـ)** أي: بني النضير **(والفيء في الأنفال)** ـ جمع نفَل بالتحريك ـ للغنيمة **(ما لم يكن أُخذ عن قتال أما الغنيمة فعن زحاف)**: والزحف الدنو من القتال، وأن يتزاحف الزحفان أي الجيشان **(والأخذ عنوة)**: قهرا **(لدى الزحاف ـ لخير مرسل وخص)**: آثَرَ وفضل **(فئته)**: طائفته **(وفي رضا أنصاره)** ﷺ **(عطيتَه كان الترحم على الأنصار أن آثروا)**: خصصوا **(به)** أي: الفيء **(بني نزار)** هم المهاجرون، لأنهم إذ ذاك من بني نزار.

(وشاطروهم): ناصفوهم أي: قاسموهم **(مالهم ونزلوا عن الحلائل)**: جمع حليلة للزوجة، **(لهم وأول من جاء به)** أي: التشطير **(مخيرا بين اثنتين ابن الربيع)** هو سعد، وتقدم ذكره.

عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه:

(لابن عوف): هو سيدنا عبدالرحمٰن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب، ويكنى أبا محمد، أمه الشفاء بنت عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة، أسلمت وهاجرت، شهد بدراً وما بعدها وجُرِحَ بضعة عشر جرحا فيها، وجُرح في رجله وكان يعرج منها، وقال فيه ﷺ: **«أمين في السماء أمين في الأرض»** وصلى خلفه في غزوة تبوك، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد أهل الشورى، وجعل إليه سعد بن أبي وقاص أمره، وبايع عثمان ـ رضي الله عنهما ونفعنا بهما ـ وبعثه ﷺ

إلى دومة وعممه بيده وقال: «**سر باسم الله فإن فتح الله عليك فانكح ابنة ملكهم**»، فتزوج تماضر بنت الأصبغ ـ ملكهم ـ فولدت له أبا سلمة الفقيه، وله من الولد الذكور أربعة عشر، أو خمسة عشر.

ومناقبه ﷺ تكاثرت عن الحصر، وكثر ماله حتى أتى أم سلمة، فدخل عليها فقال: يا أماه قد خفت أن يهلكني كثرة مالي، أنا أكثر قريش مالا، قالت: يا بني أنفق، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن من أصحابي من لا يراني بعد أن أفارقه**» فلقي عمر فأخبره، فجاء عمر فدخل عليها، فقال: بالله أنا منهم؟ فقالت: لا والله، ولا أبر أحداً بعدك.

ومات ﷺ سنة إحدى أو اثنتين وثلاثين، وهو ابن بضع وسبعين سنة، وصلى عليه عثمان بوصيته، وقيل: غير ذلك، وأعرضت عنه، ودفن بالبقيع **(المكين)**: أي: ذو المكانة أي: المنزلة عند الله وعند رسوله.

❊ ❊ ❊

فتركوهن لهم تعففاً فعف هذاك وذاك أسرفا

❖ **الشرح**: **(فتركوا)**: أي: المهاجرون **(هن)**: أي: النساء **(لهم)**: أي: الأنصار **(تعففا)**: تكلف العفاف، وهو الكف عن ما لا يحل أولا يجمل، وهو المراد هنا، **(فعف هذاك)**: الإشارة هنا للمهاجرين **(وذاك)** وهذه للأنصار **(أسرفا)**: والسرف ضد القصد.

يعني أنه ﷺ خص المهاجرين بفيء بني النضير دون الأنصار إلا أبا دجانة وسهل بن حُنَيْفٍ أعطاهما لفقرهما من هذا الفيء، وأعطى أيضاً سعدَ معاذ سيفَ كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق (وهو سيف له ذكر).

تَرَحُّمُه ﷺ على الأنصار ﷺ:

وسبب تَرَحُّمِ النبيّ ﷺ على الأنصار أنهم آثروا المهاجرين بفيء بني النضير، وشاطروهم أموالهم، حتى كان الرجل يعطي أخاه من المهاجرين إحدى نعليه ويمسك الأخرى، وإذا كانت عنده زوجتان خيره أيتهما شاء

ينزل له عنها، فلما غنم النبيُّ ﷺ بني النضير دعا ثابت بن قيس بن شمَّاس فقال: «**ادع لي قومك**» فقال: ألخزرج؟ فقال: «**الأنصار كلهم**» فدعا الأوس والخزرج.

فتكلم ﷺ: فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم ذكر ما صنع الأنصار بالمهاجرين من إنزالِهم إياهم في منازلِهم وأموالِهم وأثرتِهم، ثم قال: «**إن أحببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله عليَّ من بني النضير، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في منازلكم وأموالكم، وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا عنكم**».

فتكلم سعد بن معاذ وسعد بن عبادة، فقالا: يا رسول الله، تقسم بين المهاجرين ويكونون كما كانوا في دورنا، ونادت الأنصار رضينا يا رسول الله، فقال ﷺ: «**اللَّهم ارحم الأنصار وأبناءَ الأنصار وأبناءَ أبناءِ الأنصار**» فنزلت: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ وقال أبو بكر رضي الله عنه: جزاكم الله يا معشر الأنصار خيراً، والله ما مثلنا ومثلكم إلا كما قال الطفيل الغنوي:

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت ... بنا نعلنا في الواطئين وزلَّتِ
أبَوْا أن يملونا فلو أن أمنا ... تلاقي الذي لاقوه منا لَمَلَّتِ

وكان يزرع تحت النخل في أرضهم، فيدخر من ذلك قوت أهله وأزواجه سنة، وما فضل جعله في الكراع والسلاح. (وأخذ منه جواز الادخار) وأعطى الزبير وأبا سلمة البديلة من أرضهم، وتروى البويرة، قال حسان:

لَهان على سراة بني لؤي ... حريق بالبويرة مستطير

❊ ❊ ❊

غزوة ذات الرقاع:

ثُم إلى مُحارب وثعلبه ... ذات الرقاع ناهزوا المضاربه

ولـم يـكـن حـرب وغـورث جـرى فـيـهـا لـه الـذي لـدعـثـور جـرى
مـع الـنـبـيِّ وعـلـى الْـمـعـتـمـد جـرت لـواحـد بـلا تـعـدد

❖ **الشرح**: **(ثم إلى محارب وثعلبه)**: أي: بني محارب وبني ثعلبة، ابني سعد بن قيس عيلان ـ داخلين في غطفان ـ **(ذات الرقاع)**: أرض، سميت بذلك لأنهم رقعوا فيها راياتِهم، وقيل: شجرة بذلك الموضع، وقيل: لأن أقدامهم نقبت فيها، فكانوا يلفون عليها الرقاع أي: الخرق، وقيل: الجبل الذي نزلوا عليه كانت أرضه ذات ألوان تشبه الرقاع **(ناهزوا)**: قاربوا، وفي الحديث: «**من مات له ثلاثة ناهزوا الحلم**» ـ في رواية ـ **(المضاربة)**: القتال.

(ولم يكن حرب) واستعمل على المدينة أبا ذر، وقيل عثمان ﷺ، فسار حتى بلغ نجدا، فلقي به جمعا، فتقارب الناس، ولم يكن بينهم حرب، وقد خاف بعضهم بعضاً، حتى صلى رسول الله ﷺ صلاة الخوف. وقيل: إن ذلك أول ما صلاها.

مُحاولة غورث غدرَ النبيّ ﷺ:

(وغورث) ـ بالمعجمة والمهملة ـ فعلى القول بأنه هو ودعثور ليسا واحدا، فدعثور تقدم، وغورث قال لقومه: ألا أقتل لكم محمدا؟ قالوا: بلى، وكيف تقتله؟ قال: أفتك به، فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالس، وسيفه في حجره، فقال: يا محمد أَنظرُ إلى سيفك هذا؟ قال: «**نعم**» فأخذه فاستله، ثم جعل يهزه ويهم فيكبته الله، ثم قال: يا محمد أما تخاف مني؟ قال: «**لا، وما أخاف منك**» قال: أما تخافني وفي يدي هذا السيف؟ قال: «**لا، بل يمنعني الله منك**» فرده، وقيل: إنه أخذته الزلخة ـ وهي داء في الظهر ـ حتى سقط لوجهه، فرده عليه، فأسلم، فأنزل الله: **﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾** الآية **(جرى)**: وقع **(فيها له الذي لدعثور جرى مع النبيّ وعلى المعتمد جرت لواحد بلا تعدد)**.

✍ غزوة بدر الموعد:

ثُم لِميعاد ابن حرب بدر   وكعَّ عنها نَجل حرب صخر

❖ **الشرح: (ثم لميعاد ابن حرب بدر وكع عنها)**: عن الأمر تأخر ورجع، قال:

لست مِمَّن يكع أو يستكنون إذا كافحتهم خيل الأعادي

✍ حرب بن أمية:

(نجل حرب صخر) وهو أبو سفيان، وحرب هو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أمه أميمة بنت أبي همهمة، من بني الحارث بن فهر، أبو أبي سفيان، وعمرو، والحارث، ونسوة منهن أم جميل حمالة الحطب، وهو الذي كانت حرب الفجار على يديه، وفي حجره إذ ذاك عتبة بن ربيعة، فأراد الخروج فرده حرب استصغاراً له، فأبى حتى ضربه، ثم لم يشعر به إلا هو واقف بين الصفين على بعيره ينادي: يا معشر بني مضر على ما تتفانون؟فقالت هوازن: ما تدعو إليه؟ فقال: الصلح، على أن ندفع إليكم ديات قتلاكم، ونعفوَ عن دمائنا، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: ندفع رهنا منا، قالوا: ومن لنا بهذه؟ قال: أنا، قالوا: ومن أنت؟ قال: عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، فرضوا ورضيت كنانة، ودفعوا إلى هوازن أربعين رجلا، فيهم حكيم بن حزام، فلما رأت بنو عامر بن صعصعة الرهن في أيديهم عفوْا عن الدماء، وأطلقوهم، وانقضت حرب الفِجار.

✍ العنابسة:

وهذه الحرب كانت بين كنانة وقيس، وفي يوم منها قيَّد حرب وسفيان وعمرو، وإخوتهم أنفسَهم كيلا يفروا، فسُمُّوا العنابسة، وإنما لم يقاتل فيها ﷺ مع أعمامه ـ وكان قد بلغ سن القتال ـ لأنها كانت حرب فِجار، وكانوا أيضاً كُلُّهم كفارا، ولم يأذن الله لمؤمن أن يقاتل، إلا لأن تكون

كلمة الله هي العليا. وإنما سميت هذه الحرب حربَ الفِجار لأنهم فجروا فيها، بقتالهم في الشهر الحرام. (والفجار والمفاجرة، كالقتال والمقاتلة).

ومن سيادة حرب أنه أُعطِي قدام الركب، فكان لا يَمشي أحد من الركب أمامه.

❊ ❊ ❊

سببُ موت حرب بن أمية:

وسبب موت حرب أنه أتاه مرداس السلمي - أبو العباس - فقال: إني وجدت محرثا فَهَلُمَّ فلنزدرعه، قال: نعم - وكان أهل مكة لا حرث لهم - فلما رآه حرب قال: نعم المزدرع هذا، فأضرموا نارا في الغيضة فلما اشتعلت سمعوا أنينا وضجيجا في الغيضة وسمعوا قائلا يقول:

ويل ام حرب فارسا مطاعنا مداعسا
لنقتلن بقتله جحاجحا عنابسا

فأجزعهم ذلك، وقال مرداس:

إني انتخبت لها حربا وإخوته كيلا يقال ولي الأمر مرداس

فما لبث حرب و مرداس أن ماتا.

يعني أن النبيَّ ﷺ بعد ما رجع من غزوة ذات الرقاع، وأقام بالْمدينة ثلاثة أشهر خرج إلى بدر في شعبان، لميعاد أبي سفيان، حتى نزل بدراً، واستعمل على المدينة عبدالله بن عبدالله بن أُبَيٍّ ابن سلول، فأقام ثلاث ليال عليه ينتظر أبا سفيان.

رجوع قريش عن بدر الْموعد:

وخرج أبو سفيان، حتى نزل عسفان، في أهل مكة، ثم بدا له في الرجوع، فقال: يا معشر قريش إنه لا يصلَح لكم إلا عامُ خِصْبٌ، ترعون

فيه الشجر، وتشربون فيه اللبن، وعامُكم هذا عام جدب، وإني راجع فارجعوا، فرجع بالناس، فسماهم أهل مكة جيشَ السويق.

وأقام ﷺ على بدر ينتظرهم، فأتاه مخشي بن عمرو الضمري - وهو الذي وادعه في غزوة ودان على بني ضمرة - فقال: يا محمدُ أجئتَ لميعاد قريش على هذا الماء؟ قال: «**نعم يا أخا بني ضمرة وإن شئت مع ذلك رددنا إليك ما كان بيننا وبينك، ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك**» قال: لا، والله ما لنا بذلك منك من حاجة. ثم انصرف ﷺ بأصحابه.

وكان معهم تجارات فربحوا فيها أيَّ ربح، ونزلت ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾.. الآية وكانوا ألفاً وخمسمائة في هذه الغزوة، والخيل عشرة أفراس: فرس للنبيّ ﷺ، وفرس لأبي بكر، وفرس لأبي قتادة، وفرس لسعيد بن زيد، وفرس للمقداد، وفرس للحباب، وفرس للزبير، وفرس لعباد بن بشر رضي الله عنهم.

❋ ❋ ❋

غزوة دومة الجندل:

فـدومـة الـجـنـدل هـاجـهـا زُمَـرْ بـدومـة يـظـلـمـن مـن بِـهـنَّ مَـرْ

❖ **الشرح**: (**فدومة الجندل**) موضع على خمسة عشر يوما من المدينة، وعلى عشر من الكوفة، وعلى خمسة عشر من دمشق، وكان فيه التحكيم بين علي ومعاوية، والدومة - بالضم - واحدة الدوم، وهو ضخام الشجر، ما كان، ويقال: دوماء الجندل (**هاجها**): أثارها (**زُمَرْ**) جمع زمرة للجماعة (**بدومة يظلمن من بهن مر**).

يقول: بلغ رسول الله ﷺ أن بدومة الجندل جمعا كثيرا، يظلمون من مرَّ بِهم، ويريدون أن يدنوا من المدينة، فندب ﷺ الناس، وخرج لخمس ليال بقين من شهر ربيع الأول، في ألف من المسلمين، فكان يسير الليل ويكمن النهار، ومعه دليل له من بني عُذْرَة يقال له مذكور، فلما دنا منهم

إذا آثار النعم والشاء، فهجم على ماشيتهم ورعائهم، فأصاب مَن أصاب منهم، وهرب مَن هرب منهم في كل وجه، وجاء الخبر أهل الدومة فتفرقوا، ونزل النبيّ ﷺ بساحتهم فلم يلق بها أحداً فأقام بها أياما وبث السرايا وفرَّقها فرجعت ولم تُصِبْ منهم أحدا، وأخذ منهم رجلا، فسأله ﷺ عنهم، فقال: هربوا حيث سمعوا أنك أخذت نعمهم، فعرض عليه الإسلام فأسلم، فرجع ﷺ إلى المدينة.

❋ ❋ ❋

غزوة الخندق:

ثُـمَّـتَ لَـمَّـا أُجْـلِـيَـتْ يـهـود	**وأوغـرت صـدورَهـا الْـحـقـودُ**
وحـزَّبَـتْ عـسـاكـرا عـنـاجـهـا	**إلـى ابـن حـرب وقـريـشٌ تـاجُـهـا**
وجـعـلـوا كـي يـتـروا خـيـر الـورى	**لـغـطـفـان نـصـفَ تَـمـر خـيـبـرا**

❖ **الشرح**: **(ثُمتَ)** لغة في ثُمَّ **(لَمَّا)** حين **(أُجْلِيَتْ)**: أُخْرِجَتْ ـ يقال جلا القوم من الموضع وعنه وأُجْلُوا، أو جلا من الخوف، وأجلى من الجدب، ومنه الجالية لأهل الذمة، لأن عمر رضي الله عنه، أجلاهم عن جزيرة العرب ـ **(يهود وأوغرت)** أوقدت **(صدورَها الحقود)** جمع حقد، وهو إمساك العداوة في القلب.

(وحزَّبَتْ): جمعت **(عساكرا)**: جمع عسكر للجيش **(عناجها)** ملاك أمرها **(إلى ابن حرب)** وهو أبو سفيان **(وقريش تاجها)** ما تجعله العجم واليمنية للملك، بمنزلة العِمامة للعرب، وهو جلد ينظم بالخرز والدر والجوهر والياقوت.

(وجعلوا): أي: يهود **(كي)** أداة نصب للمضارع وجر للاسم، ولها معان وألقاب أضربنا عن ذكرها **(يتروا)**: يدركوا تِرَتَهم أي ثأرهم من **(خير الورى)** محمد ﷺ **(لغطفان)** تقدم ذكرهم **(نصفَ)** بتثليث أوله، مفعول به لجعلوا **(تمر خيبرا)**: مدينة لليهود قبلُ، ثم أجلاهم عمر رضي الله عنه، منها حين

عدوا على ابنه عبدالله ليلا، ففدعوا رجله، وقيل يده، **(وكان ﷺ حين أقرهم على إصلاح الأرض قال لهم: «نُقِرُّكم ما شئنا»)**. يعني أنه لما أجلى رسول الله ﷺ اليهود، وغاظهم أشد الغيظ بإجلائهم عن أرضهم التي هم أول من سكنها، وأخذ أموالهم وقتل أشرافهم: كابن أبي الحقيق، وابن الأشرف ـ وهو من رؤسائهم وإن كان طائي النسب ـ وألحقهم بخيبر والشام، خرجوا يستعدون العرب عليه ﷺ.

وفد اليهود إلى قبائل العرب:

وكان فيمن خرج منهم سلاَم بن مِشْكَم، وحُيَي بن أخطب، وكنانة بن الربيع بن أبي الْحُقَيْقِ ـ زوج أمنا صفية قبلُ ـ وغيرهم، فقدموا على قريش مكة يدعونهم إلى حربه ﷺ، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقالت لهم قريش: يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم، ما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ﷺ، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه، فأنزل الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ (وقيل: نزلت في كعب بن الأشرف، حين ورد مكة، فقالت له قريش: يا كعب أنت سيدنا وسيد قومك، وإنَّا ننحر الكوماء، ونقري الضيف، ونصل الرحم، ونسقي الحجيج، ونعبد آلهتنا التي وجدنا عليها آباءنا، وهذا محمد قد قطع الرحم، فمن أهدى أنحن أم هو؟ فقال: أنتم أهدى منه، وأقوى ديناً)، فسرهم ما قالوا لهم ونشطوا لِما دعوهم إليه من حربه ﷺ، فاجتمعوا لذلك، ثم خرج وفد من يهود حتى جاؤوا غطفان فدعوهم إلى حرب النبيّ ﷺ، وأخبروهم أنَّهم سيكونون معهم عليه، وأن قريشاً معهم عليه، وجعلوا لغطفان نصف تمر خيبر.

فخرجت قريش وأحابيشها، ومن تبعهم من العرب، في أربعة آلاف، ولواؤهم بيد عثمان بن طلحة ـ قبل إسلامه ـ وخيلهم ثلاثمائة فرس، وإبلهم ألف وخمسمائة بعير، وقائدهم أبو سفيان، وخرجت غطفان في ألف، وقائدهم عيينة بن حصن بن بدر الفزاري، وهو الذي قال فيه ﷺ: «**أحمق**

مطاعٍ في قومه» وقال فيه أيضاً: «**إني أُدَارِيه، لأني أخشى أن يفسد عليَّ خلقاً كثيراً**» ـ وكان تتبعه عشرة آلاف قناة ـ وقال فيه أيضاً: «**إن شر الناس من وَدَعَه الناس اتقاء شره**»، وقال فيه: «**إنا لنبش ـ أو لنكش ـ في وجوه قوم وإن قلوبنا لتلعنهم**»، ثم لم تزل في إسلامه جفوة.

وخرجت أشجع في أربعمائة، يقودهم مسعود بن رخيلة ـ وأسلم بعدُ ـ وخرجت سليم في سبعمائة يقودهم سفيان بن عبد شمس ـ حليف حرب بن أمية، وهو أبو أبي الأعور السلمي ـ وبنو أسد يقودهم طليحة بن خويلد، وبنو مرة يقودهم الحارث بن عوف ـ وأسلما بعدُ ـ في أربعمائة، وقيل: لم تخرج بنو مرة، وكان الجميع عشرةَ آلاف، وكانوا ثلاثة عساكر، وعناج الأمر إلى أبي سفيان. وبلغه ﷺ خروجهم، وندب الناس، وأخبرهم خبر عدوهم، وشاورهم في أمرهم، وأشار عليه سلمان بالخندق، بقوله: يا رسول الله كنا إذا خفنا خندقنا، فأعجب المسلمين ذلك، وعسكر بهم ﷺ، إلى سفح سلع، وكان المسلمون يومئذ ثلاثة آلاف، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، وعمل فيه بيده لينشط الناس، وكمل في ستة أيام، وقيل عشرون، وقيل خمسة عشر يوما، وروي أنه قال، حين ضرب فيه: «**باسم الإله ربنا بدأنا ولو عبدنا غيره شقينا يا حبذا ربا وحبذا دينا**».

وذلك معنى قوله:

خندق خير مرسل بأمر ... سلمان والحروبُ ذات مكر

حفر الخندق:

❖ **الشرح**: **(خندق)**: حفر الخندق، وهو حفير ـ أعجمي الأصل ـ **(خير مرسل بأمر)** أي: رأي وإشارة **(سلمان)**: هو ابن الإسلام، الفارسي نسبا، الهاشمي الحلف والجوار، قال ﷺ: «**سلمان منا أهلَ البيت**» لَمَّا أراده كل أحد من المهاجرين والأنصار بالحلف والجوار، واستعمله عمر على المدائن، وأول مشاهده هذا، وقيل: شهد بدرا وأحدا، والأصح الأول.

ولم يكن له بيت، بل كان يستظل بالشجر والجدر وكانت له كساء يبسط بعضها ويلتف بالباقي، ويأكل من عمل يده لا غير، وهو إذ ذاك أمير **(والحروب)** جمع حرب **(ذات)**: صاحبة **(مكر)**: خديعة، وفيه إشارة إلى ما قالت فرسان قريش، لما رأوا الخندق: والله إنها لمكيدة ما كانت العرب تفعلها، أو تكيدها.

سلمان رضي الله عنه وبَحثه عن الدين الحق:

وحديث سلمان ـ قبل الإسلام في طلب الأديان ـ مشهور، قال ابن عباس: حدثني سلمان الفارسي من فيه، قال: كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان، من قرية يقال لها جَيٌّ، وكان أبي دهقان قريته، وكنت أحب خلق الله إليه، فلم يزل حبه إياي حتى حبسني في بيته كما تحبس الجارية، واجتهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة، وكانت لأبي ضيعة عظيمة فاشتغل في بنيان له يوماً فقال لي: يا بُنيِّ إني قد اشتغلت في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي فاذهب إليها، فأمرني فيها ببعض ما يريد ثم قال لي: ولا تحتبس عني، فإنك إن احتبست عني كنت أهم إلي من ضيعتي، وشغلتني عن كل شيء من أمري.

فخرجت أريد ضيعته التي بعثني إليها، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها يصلون، وكنت لا أدري ما أمر الناس ـ لحبس أبي إياي في بيته ـ فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون، فأعجبتني صلاتهم، ورغبت في أمرهم، وقلت: هذا خير من الذي نحن فيه، فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس، وتركت ضيعة أبي فلم آتها، ثم قلت لهم: أين أصل هذا الدين؟ قالوا: بالشام، فرجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي، وشغلته عن عمله كله، فلما جئته قال: يا بني أين كنتَ ألم أكن عهدتُ إليك ما عهدتُ؟ قلت: يا أبت مررتُ بالناس يصلون في كنيستهم، فأعجبني ما رأيت، قال: ليس في ذلك خير، دينك ودين آبائك خير منه، فقلت: كلا، والله إنه لخير من ديننا، فخافني وجعل في رجلي قيدا، ثم حبسني في بيته. ثم بعثت إلى النصارى: إذا قدم عليكم

ركب من الشام فأخبروني، فقدم عليهم تجار من النصارى فأخبروني بهم، فقلت لهم: إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجوع إلى بلادهم فآذنوني، فلما أرادوه أخبروني بهم، فألقيت الحديد من رجلي، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام، فقلت: من أفضل أهل هذا الدين؟ فقالوا: الأسقف في الكنيسة.

فجئته، فقلت له: إني قد رغبت في هذا الدين، وأحببت أن أكون معك فأخدمَك في كنيستك، وأتعلمَ منك، وأصليَ معك، قال: ادخل، فدخلت معه، فكان رجل سوء، يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا له منها شيئاً أكنزه لنفسه، ولم يعطه المساكين، حتى جمع سبع قِلَال من ذهب ووَرِقٍ، فأبغضته بغضا شديدا لِماَ رأيتُه يصنع، ثم مات، واجتمعت النصارى ليدفنوه، فقلت: إن هذا رجل سوء، يأمركم بالصدقة، ويرغبكم فيها، فإذا جئتموه بها أكنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئاً، فقالوا لي: وما أعلمك بذلك؟ فقلت: أنا أدلكم على كنزه، فاستخرجوا سبع قِلَالٍ مملوءةٍ ذهباً ووَرِقاً، فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبداً، فصلبوه ورموه بالحجارة. وجاؤوا برجل آخر فجعلوه مكانه فما رأيت رجلاً لا يصلي الخمس أرى أنه أفضل منه ولا أزهد منه في الدنيا، ولا أرغب في الآخرة، فأحببته حباً شديداً فأقمت معه زمناً، ثم حضرته الوفاة، فقلت: يا فلان إني قد كنت معك وأحببتك حباً شديداً، وقد حضرك ما ترى من أمر الله، فإلى من توصي بي وبم تأمرني؟ فقال: يا بني والله ما أعلم أحداً على مثل ما كنتُ عليه، هلك الناس، وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلاً بالموصل، على ما كنتُ عليه.

فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل فقلت: إن فلاناً أوصاني أن ألحق بك عند موته، فقال لي: أقم عندي، فأقمت عنده، فوجدته خيرَ رجلٍ على أمر صاحبه، فلم ألبث أن مات، فلما حضرته الوفاة قلت له: يا فلانُ إن فلاناً أوصاني إليك، وأمرني باللحوق بك، وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى من توصي بي وبم تأمرني؟ قال: يا بني والله ما أعلم رجلاً على ما كنا عليه إلا رجلاً بنصيبين فالحقْ به.

فلما مات وغيب لحقت به، فأخبرته خبري، وما أمرني به صاحبي، فقال: أقم عندي، فأقمت عنده، فوجدته على أمر صاحبيه، فأقمت مع خير رجل، فوالله ما لبثت أن نزل به الموت، فلما احتضر قلت له مثل ما قلت لمن قبله، فقال: يا بني - والله - ما علمت بقي أحد على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلا بعمورية من أرض الروم، فإنه على مثل ما نحن عليه، فإن أحببتَ فأته. فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية فأخبرته خبري، فقال: أقم عندي، فأقمت عند خير رجل على هدي أصحابه وأمرهم، واكتسبت غُنَيْمَةً وبقراتٍ، ثم نزل به أمر الله، فلما حضرته الوفاة قلت له مثل ما قلت لأصحابه، فقال: والله ما أعلمه أصبح على مثل ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نبي مبعوث بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب، مُهَاجَرَه إلى أرض بين حرتين، بينهما نخل، به علامات لا تخفى: يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوءة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل، ثم مات وغيب. فمكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث، ثم مر بي نفر من كلب تجار، فقلت لهم: احملوني إلى أرض العرب أعطكم بقراتي وغنيمتي، فقالوا: نعم، فأعطيتهموها فحملوني حتى إذا بلغوا وادي القرى ظلموني فباعوني من رجل يهودي، فكنت عنده فرأيت النخل، فرجوت أن يكون الذي وصف لي صاحبي، فبينما أنا عنده، إذ قدم عليه ابن عم له من بني قريظة من المدينة فابتاعني منه، فحملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي، فأقمت بها.

وبُعِثَ ﷺ وأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من الرق، ثم هاجر إلى المدينة، فوالله إني لفي رأس عذق لسيدي أعمل له فيه، وسيدي جالس تحتي، إذا أقبل ابنُ عم له، فوقف عليه، فقال: قاتل الله بني قيلة، إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل يزعمون أنه نبي، قدم عليهم من مكة، فلما سمعته أخذتني العُرَوَاء حتى ظننتُ أني ساقط على سيدي، فنزلت عن النخلة، فجعلت أقول لابن عمه: ما تقول؟ فغضب

سيدي فلكمني لكمة شديدة، ثم قال: مالك ولهذا؟ أقبلْ على عملك، فقلت: لاشيء، إنما أردت أن أستثبته عما قال.

مجيئه لرسول الله ﷺ:

وكان عندي شيء جمعته، فلما أمسيت ذهبت إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء، فدخلت عليه، فقلت له: قد بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب غرباء ذووحاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة، فأنتم أحق به من غيركم، فقربته إليه، فقال ﷺ: **«كُلُوا»** وأمسك يده فلم يأكل، فقلت في نفسي: هذه واحدة، ثم انصرفت، وتحوَّل إلى المدينة، فجمعت شيئاً، ثم جئته به فقلت: رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها فأكل ﷺ وأمر أصحابه فأكلوا، فقلت: هاتان ثنتان، ثم جئته، وهو ببقيع غرقد، قد تبع جنازة من أصحابه، وعليه شملتان وهو جالس، ثم ابتدرت أنظر إلى ظهره، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي؟

فلما رآني ﷺ استدبرته ـ وفي رواية أستدير به ـ عرف أني أستدير في شيء وُصِفَ لي، فألقى الرداء عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فأكببت عليه أُقَبله وأبكي، فقال ﷺ: **«تحول»** فتحولت فجلست بين يديه، فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس.

ثم قال لي ﷺ: **«كاتب يا سلمان»** فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة، أحييها له بالفقير وأربعين أوقية، فقال ﷺ: **«أعينوا أخاكم»** فأعانوني بالنخل، فجعل الرجل يأتي بثلاثين ودية والرجل يأتي بعشرين، والرجل بخمسة عشر بقدر ما عنده، حتى اجتمعت لي ثلاثمائة ودية، فقال ﷺ: **«اذهب يا سلمان ففَقِّر لها فإذا فرغت فإنني أكون أنا الذي أضعها بيدي»** ففقرت وأعانني أصحابي حتى إذا فرغت جئته فأخبرته فخرج معي إليها فجعلنا نُقَرِّب إليه الودي، ويضعه ﷺ بيده حتى إذا فرغَتُ، فوالذي نفسي بيده، ما ماتت منها ودية واحدة، وبقي علي المال، فأُتِيَ النبيّ ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب ـ من بعض المعادن ـ فقال: **«ما فعل الفارسي**

المكاتب؟» فدُعِيتُ له، فقال: «**خذ هذه فأدها مما عليك يا سلمان**» قلت: وأين تقع هذه مما علي يا رسول الله؟! فقال: «**خذها فإن الله سيؤدي بها عنك**» فأخذتها فوزنت لهم منها ـ والذي نفس سلمان بيده ـ أربعين أوقية، فأوفيتهم حقهم، فشهدت مع النبيّ ﷺ الخندق، ثم لم يفتني مشهد معه. ويكنى أبا عبدالله رضي الله عنه وتوفي بالمدائن، سنة اثنتين وثلاثين، وقيل في خلافة عمر. آخى النبيّ ﷺ بينه وبين أبي الدرداء، وقيل: إنه عاش ثلاثمائة سنة.

❊ ❊ ❊

كم آية في حفره كالشبع ... من حفنة وسخلة للمجمع
وكم بشارة لِخير مرسل ... من الفتوح تَحت ضرب الْمِغوَلِ

من معجزاته ﷺ:

❖ **الشرح**: (**كم**): اسم ناقص مبني على السكون، وقيل مركبة من كاف التشبيه، ومَا الاستفهامية، ثم قُصرت بحذف ألفها وسُكنت، وهي للاستفهام، وينصب ما بعدها تمييزا، ويخفض أيضاً كَرُبَّ، وقد يرفع، ويروى بالأوجه الثلاثة قول الفرزدق:

كم عمةً لك يا جريرُ وخالة ... فدعاء قد حلبت عليَّ عِشَاري

(**آية**): علامة (**في حفره**): أي: الخندق (**كالشبع من حفنة**): ملء الكفين، يعني أنه ظهر في حفر الخندق كثير من الآيات: أي: المعجزات، منها شبع أهل الخندق بحفنة تمر، جاءت بها ابنة بشير بن سعد لأبيها وخالها عبدالله بن رواحة ليتغديا بها، فقال لها ﷺ: «**هاتيه**» فصبَّتْه في كفيه ﷺ، فما ملأهما، ثم أمر بثوب فبسط له، ثم قال لإنسان عنده: «**اصرخ في أهل الخندق أن هلمَّ إلى الغداء**» فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه وهو يزداد، حتى صدر أهل الخندق عنه، وإنه ليسقط من أطراف الثوب.

(**و**) منها (**سخلة**): ولد الشاة ما كان وهي هنا شويهة جابر وكانت غير

جد سمينة، قال: صنعتها وإنما أريد أن ينصرف معي رسول الله ﷺ وحده، فلما قلت له ذلك، أمر صارخا يصرخ: أن انصرفوا مع رسول الله ﷺ إلى بيت جابر بن عبدالله، قال: قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، فأقبل الناس معه فجلس، فأخرجناها إليه فبَرَّك ثم سَمَّى الله ﷻ فأكل فتواردها الناس كلما فرغ قوم قاموا وجاء آخرون حتى صدر أهل الخندق عنها وهم ألف وإن برمتنا لتغط كما هي، وذلك معنى قوله: **(للمجمع)** ـ كمقعد ومنزل ـ موضع اجتماع الناس، وهو على حذف مضاف، أي: أهل المجمع.

إخباره ﷺ عن الفتوحات:

(وكم بشارة لخير مرسل) ﷺ **(من الفتوح)** للبلدان بعد ذلك **(تحت ضرب المعول)**: ـ كمنبر ـ حديدة تضرب بها الجبال. أشار بهذا إلى حديث سلمان ﷺ قال: ضربت في ناحية من الخندق فغلظت علي، ورسول الله ﷺ قريب مني، فلما رآني أضرب، ورأى شدة المكان، نزل فأخذ المعول من يدي، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة، ثم ضرب به أخرى، فلمعت تحته أخرى، ثم ضرب به الثالثة، فلمعت تحته أخرى، قال: قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا الذي رأيت يلمع وأنت تضرب؟ قال: «**أوَ قَدْ رَأَيْتَ ذلك يا سلمان؟**» قلت: أجل، قال: «**أما الأولى فإن الله فتح بها عليَّ اليمنَ، وأما الثانية فإن الله فتح بها عليَّ الشامَ وأما الثالثة فإن الله فتح بها عليَّ المشرقَ**»، وكان أبو هريرة حين فُتِحَتْ هذه البلاد، في زمن عمر وزمن عثمان، يقول: افتحوا ما بدا لكم، فوالذي نفس أبي هريرة بيده ما فتحتم من مدينة ولا تفتحونها إلى يوم القيامة، إلا وقد أعطى الله مفاتيحها محمداً ﷺ قبل هذا.

وحين فرغ ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلوا بمجتمع الأسيال، وغطفان بذنب نقمى إلى جانب أحد، وخرج ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع، فضرب هناك عسكره، والخندق بينه وبين القوم وأمر بالنساء والذراري أن يجعلوا في الآطام. وكان لواء المهاجرين بيد زيد بن حارثة، ولواء الأنصار بيد سعد بن عبادة، وكان عباد بن بشر على حرس

النبيّ ﷺ مع غيره من الأنصار يحرسونه كل ليلة، وقيل: الذي حرسه يوم الخندق الزبير بن العوام ﷺ، وكان المشركون يتناوبون بينهم، فيغدو يوماً أبو سفيان في أصحابه، ويوماً خالد بن الوليد، ويوماً عمرو بن العاص، ويوما هبيرة بن أبي وهب، ويوماً عكرمة بن أبي جهل، ويوماً ضرار بن الخطاب (وأسلموا بعدُ إلا هبيرة) فلا يزالون يجيلون خيلهم، يفترقون مرة، ويجتمعون أخرى، ويناوشون أصحاب النبيّ ﷺ، ويُقَدِّمون رماتَهم فيرمون.

❊ ❊ ❊

وكعب ابن أسد إذ فتنه عن عهده حُيَيُّ أعطى رسنه
فغدرت قريظة لغدره يومئذ إذ هو أَسُّ نَجره

نقض كعب لعهده ﷺ:

❖ **الشرح**: **(وكعب ابن أسد إذ فتنه)**: أوقعه في الفتنة، وهي الضلال ونحوه **(عن عهده)**: الذي كان عاهد به رسول الله ﷺ وواعده به على قومه أنهم لا يكثرون عليه جمعا **(حُيَي)** ابن أخطب **(أعطى رسنه)**: وهو ما يقاد به من زمام.

(فغدرت قريظة) من يهود خيبر **(لغدره يومئذ)**: أي: يوم الخندق **(إذ هو)** أي: لأنه **(أِس)**: مثلثة، ما يبنى عليه، أي: سيد **(نجره)**: أي: أصله، والنجر الأصل، يعني أن كعبا بن أسد سيد قريظة، لما قدم حيي بقريش وغطفان خرج يستعدي بني قريظة فلما سمع به رئيسهم كعب بن أسد أغلق باب حصنه دونه، فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له، فناداه حيي: ويحك يا كعب افتح لي، فقال كعب: ويحك يا حيي إنك رجل مشئوم، وإني قد عاهدت محمداً، فلست بناقض ما بيني وبينه فلم أر منه إلا وفاء وصدقا، قال: ويحك افتح لي حتى أكلمك، قال: ما أنا بفاعل، قال: والله ما أغلقت دوني إلا تخوفا على جشيشتك أن آكل معك منها ففتح له، فقال: ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وببحر طام، جئتك بقريش حتى أنزلتهم بـ(مجتمع الأسيال) من دومة وبغطفان حتى أنزلتهم بـ«ذنب نقمى» إلى جانب أُحُدٍ، قد عاهدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصله ومن معه، قال: جئتني

ـ والله ـ بذل الدهر، وبجهام قد هراق ماءه، فهو يبرق ويرعد، وليس فيه شيء، دعني وما أنا فيه، فإني لا أرى من محمد إلا وفاءً وصدقاً، فلم يزل حيي يفتله في الذروة والغارب حتى سمع له، على أن أعطاه عهدا من الله وميثاقاً لئن رجعت قريش وغطفان، ولم يصيبوا محمداً، أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك فنقض كعب عهد رسول الله ﷺ وبرئ مما كان بينهما وتتابعت قريظة على الغدر.

❋ ❋ ❋

وأرسل السعدين خيرُ مرسل ... وابنَ رواحة لَهم لينجلي
ما هم عليه فإذا هم عضل ... فسر خيرَ الْخلق ذاك الْخذلُ

رُسُله ﷺ إلى بني قريظة:

❖ **الشرح: (وأرسل السعدين)**: هما سيدانا: سعد بن معاذ وسعد بن عبادة، فسعد بن معاذ تقدم نسبه، وأما.

سعد بن عبادة رضي الله عنه:

وسعد بن عبادة بن دُلَيْم بن حارثة بن حليمة أو خزيْمة بن ثعلبة بن طريف بن الْخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج، النقيب العقبي البدري، كما في صحيح مسلم، وقيل: إنه كان يحرض الناس على الخروج معه ﷺ، ويتجهز فنهشته حية فتخلف، بدليل أنه ﷺ كان يقول حين فرغوا من بدر: «**إن لم يكن سعد شهدها فقد كان حريصاً عليها**»، فإن صح هذا، فما منع أن يُضرَب له بسهمه وأجره كما فُعِل لكل من تخلف لعذر؟ وكان رضي الله عنه من الأجواد، يروى أنه كان يبعث كل يوم مائدة من أجود الثريد إليه ﷺ. وابنه قيس سابع السبعة (هو وسعد وعبادة ودليم وحارثة وأبو خزيمة وثعلبة، توارثوا المجد كابراً عن كابر)، وكان سعد كثيراً ما يحمل رايته ﷺ وكانت يوم الفتح بيده، فمر بأبي سفيان وقوم من قريش، فيهم ضرار بن الخطاب، فقال: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل الله فيه قريشاً، فجاء أبو سفيان إلى النبيِّ ﷺ فقال: أنشدك الله في

قومك، وقال عثمان وعبدالرحمٰن بن عوف: ما نأمن سعداً أن تكون له صولة في قريش، فقال النبيّ ﷺ لأبي سفيان: «**اليوم يوم المرحمة اليوم أعز الله فيه قريشاً**». وقال ضرار بن الخطاب:

يـا نـبـي الْـهـدى إلـيـك لـجـا   حـي قـريـش و لات حـيـن لَـجـاء

فأرسل ﷺ إلى سعد فأخذ منه الراية، فدفعها إلى ابنه قيس.

من جود قيس بن سعد ﵁:

ومن جود ابنه قيس أنه في سرية الخبط نحر حين جاع الناس ثلاث مرات، وكان اشترى من جهني خمس جزائر، بخمسة أوسق، واشترط عليه الجهني تمر آل دليم، وقيسٌ يقول: نعم، وكان الجهني يقول: أشهد لي، فأراد من عمر أن يشّهد له فأبى، وقال للجهني: هذا غلام لا مال له، فإنما المال لأبيه، فقال: والله ما كان سعد ليخنى بابنه في أوسقة من تَمر، وأرى وجهاً حسناً وفعلاً شريفاً، فأخذ الجزر ونحرها لهم في ثلاثة مواطن، فأقبل عليه أبو عبيدة في الموطن الرابع ومعه عمر، فقال أبو عبيدة: عزمت عليك أن لا تنحر، أتريد أن تخفر ذمتك؟، فقال قيس: يا أبا عبيدة أترى أبا ثابت يقضي ديون الناس، ويحمل الكل، ويطعم في المجاعة، ولا يقضي عني أوسقا من تمر لقوم مجاهدين في سبيل الله؟! فكاد أبو عبيدة أن يلين له، وجعل عمر يقول: اعزم، فعزم عليه أن لا ينحر، فبقيت جزوران، فقدم بهما المدينة يتعاقبون عليهما. فبلغ سعدا ما أصاب القوم من المجاعة، فقال: إن يك قيس كما أعرف ينحرْ لهم.

فلما قدم قيس لقيه سعد، فقال: ما صنعت في مجاعة القوم؟ قال: نحرت لهم، قال: أصبت، ثم ما ذا؟ قال: نحرت لهم، قال: أصبت، ثم ماذا؟ قال: نحرت لهم، قال: أصبت، ثم ماذا؟ قال: ثم نُهِيتُ، قال: من نهاك؟ قال أميري أبو عبيدة، قال: ولِمَ؟ قال: زعم أنه لا مال لي، وإنما المال لأبي، قال: فلك أربعة حوائط، أدناها حائط تجد منه خمسين وسقا.

وقدم الجهني مع قيس، فأوفاه أوسقته وحمله وكساه فبلغه ﷺ فعل

قيس، فقال: «**إنه في قلبه جود**» وفيهم أيضاً قال: «**إن الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت**». وتوفيت أمه، وهو غائب فلما قدم قال يا رسول الله إن أمي توفيت وأنا غائب فهل ينفعها أن أتصدق عنها؟ قال: «**نعم**» قال: فأشهدك أن حائطي المخراف صدقة عنها، (ومنه اتفق العلماء على انتفاع الميت بالصدقة). ويكنى سعدٌ أبا ثابت، وتخلف ﷺ، عن بيعة أبي بكر ﷺ، وخرج عن المدينة، ومات بأرض الشام، وُجِدَ ميتا في مغتسله، ولم يشعروا بموته حتى سمعوا قائلاً يقول:

قد قتلنا سيد الخز رج سعد بن عباده
رميناه بسهمين فلم نخطئ فؤاده

سنة إحدى عشرة، وقيل: أربع عشرة، وسمع أهل مكة قبل إسلام سعد بن معاذ هاتفا يقول:

فإن يسلم السعدان يصبح محمدا بمكة لا يخشى خلاف المخالف

فقالوا: سعد بن هذيم وسعد بن زيد مناة بن تميم؟ فقال:

أيا سعدُ سعدُ الأوس كن أنت ناصرا ويا سعدُ سعدَ الخزرجين الغطارف
أجيبا إلى داعي الهدى وتَمَنَّيا على الله في الفردوس منية عارف

فأيقنوا أنهما هذان، (**خير مرسل**) ﷺ.

عبدالله بن رواحة ﷺ:

(وابنَ رواحة): هو سيدنا عبدالله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الأكبر بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، العقبي النقبي البدري، يكنى أبا محمد، وهو أحد الشعراء الذين كانوا يردون هجاء شعراء قريش عن رسول الله ﷺ، وروي أنه قال له ﷺ: «**قل لي شعراً تقتضيه الساعة**» فقال:

إني تفرست فيك الخير أعرفه   والله يعلم أن ما خانني البصر
أنت النبيّ ومن يحرم شفاعته   يوم الحساب فقد أزرى به القدر
فثبت الله ما أتاك من حسن   تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا

فقال له النبيّ ﷺ: «**وأنت ثبتك الله يا ابن رواحة**». وفيه يقول أيضاً:

نفسي الفداء لمن أخلاقه شهدت   بأنه خير مخلوق من البشر
عمت فضائله كل الأنام كما   عم البرية ضوء الشمس والقمر
لو لم تكن فيه آيات مبينة   لكان منظره ينبئك بالخبر

ويأتي ـ إن شاء الله ـ بعض مناقبه في غزوة مؤتة (**لهم**): أي: بني قريظة (**لينجلي**): أي: يظهر (**ما**) الذي (**هم**) أي: بنو قريظة (**عليه**) من العهد أو الغدر (**فإذا هم عضل**): قبيلة من الهون بن خزيمة غدروا بأصحاب الرجيع، ويأتي خبرهم إن شاء الله (**فسر خيرَ الخلقِ ذاك الخذل**) ترك النصرة.

يعني أنه لما بلغه ﷺ والمسلمين غدرُ بني قريظة، بعث ﷺ سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، وعبدالله بن رواحة وخوات بن جبير، فقال: «**انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم فإن كان حقا فالحنوا لي لحنا حتى أعرفه، ولا تفتوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا بذلك للناس**».

فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم فقالوا: لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد، فشاتمهم أحد السعدين، فقال له الثاني: دع عنك مشاتَمتهم، فما بيننا أربَى من المشاتمة ـ وكان سعد بن معاذ فيه حدة ـ ثم أقبلوا على رسول الله ﷺ فسلموا عليه، فقالوا: عضل والقارة، (أي غدروا كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع)، فَسُرَّ بذلك ﷺ، لأنه يعلم قرب الفرج من عند الله، فقال ﷺ: «**أبشروا يا معشر المسلمين**». وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، حتى ظن المؤمنون كل الظن، قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ

عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾. . . الآية. واللحن العدول بالكلام عن الوجه المعروف عند الناس إلى وجه لا يعرفه إلا صاحبه، كما أن اللحن الذي هو الخطأ عدول عن الصواب المعروف.

❊ ❊ ❊

قالت جنوب للشمال انطلقي	ننصر خير الْخلق يوم الْخندق
فقالت الشمال إن الْحره	لَم تسر بالليل وذاك عره
فأرسل الله الصبا والْملكه	فنصرا نبيَّه فِي الْمعركه

حوارٌ بين الْجنوب والشمأل:

❖ **الشرح**: **(قالت جنوب)**: ريح تقابل الشمأل، مهبها من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا، **(للشمال)**: ـ فيها عشر لغات ـ ريح مهبها مابين مطلع بنات نعش ومسقط النسر **(انطلقي ننصر خير الخلق يوم الخندق فقالت الشمال: إن الحره لم تسر بالليل وذاك عُرَّه)**: أي: قبيحة.

إرسال الصبا والْملائكة نصراً للمسلمين:

(فأرسل الله الصبا) ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش تقابل الدبور، فجعلت تقلع أوتادهم، وتلقي عليهم أبنيتهم، وتكفئ قدورهم، وتسفي عليهم التراب وترميهم بالحصباء وسمعوا في أرجائها التكبير وقعقعة السلاح فارتحلوا هاربين في ليليتهم، وتركوا ما استثقلوه من أمتعتهم، ولم تجاوز الريح عسكرهم **(والملكه)**: أي: الملائكة **(فنصرا نبيه في المعركه)**: مكان ازدحام أهل الحرب، قال تعالى ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَاۚ﴾، فالريح الصبا، والجنود الملائكة، وقال ﷺ: «**نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور**».

❊ ❊ ❊

وغطفان رام أن يُخَوَّلُوا	ثلث تَمر طيبة ليعدلوا
وأنف السعدان من صلح النبِي	وحكَّما حد شفار القضب

مشروع الصلح بين المسلمين وغطفان:

❖ **الشرح**: **(وغطفان)**: قبيلة تقدم نسبهم **(رام)**: طلب وفاعله ضمير يعود عليه ﷺ لحضوره في الذهن **(أن يخولوا)**: يعطوا **(ثلث تمر طيبة)** المدينة المنورة **(ليعدلوا)**: يحيدوا ويذهبوا.

(وأنف): استنكف **(السعدان)** سعد بن معاذ وسعد بن عبادة **(من صلح النبيّ)** أي: الصلح بينه وبين غطفان، وهو أن يأخذوا ثلث تمر طيبة ويذهبوا، **(وحكما)**: جعلا حكما بينهم والمشركين **(حد شفار)** - جمع شُفر بالضم - وهو طرف السيف **(القضب)**: جمع قضيب للسيف القاطع؛ والمعنى أنه ﷺ بعث إلى عيينة بن حصن والحارث بن عوف المري، وهما قائدا غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه، فجرى بينه وبينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المراودة في ذلك، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل بعث إلى السعدين فذكر لهما ذلك واستشارهما عليه فقالا: أهذا أمر أمرك الله به لا بد لنا من العمل به، أم شيء تصنعه لنا؟ قال: «**بل شيء أصنعه لكم والله ما أصنع ذلك إلا أني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمد ما**» فقال سعد بن معاذ: يا رسول الله لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبدالله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قرى أو بيعا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك ففيم نعطيهم أموالنا؟ ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فقال ﷺ: «**فأنت وذاك**»، فتناول سعد الصحيفة فمحى ما فيها ثم قال: ليجهدوا علينا. فأقام ﷺ والمسلمون، وعدوهم محاصر لهم ولم يكن بينهم حرب قتال إلا فوارس من قريش أقبلوا تعنق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا والله إنها لمكيدة ما كانت العرب تكيدها فيمموا مكانا ضيقا منه فضربوا خيلهم فاقتحمت بهم منه، منهم

عمرو بن عبد ود، وعكرمة بن أبي جهل، وهبيرة بن أبي وهب، وضرار بن الخطاب.

❋ ❋ ❋

معتب نَجل قشير قالا	**وعدنا النبيُّ أن ننالا**
كنوزَ قيصر وكسرى ونرى	**أحدنا اليوم يَخاف الْمُخْتَرَى!**

معتب بن قشير وكلامه:

❖ **الشرح**: (**معتب نجل قشير**): بن مكيل بن زيد بن العطاف بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، شهد بدراً ونبزوه بالنفاق وأنكر بعض العلماء نفاقه، وهو القائل: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا، لكنه شهد بدراً، (**قالا وعدنا النبيّ**) ﷺ (**أن ننالا كنوز**): جمع كنز بالفتح وهو الذهب والفضة والمال المدفون (**قيصر**): كل مَنْ ملك الروم، وأصله من القشر أي: البقر في العجمية لأنه بقر عنه بطن أمه، وكان يفتخر بذلك على الرجال ويقول: لم تلدني النساء (**وكسرى**) كل مَنْ ملك الفرس، ومعناه واسع الملك (**ونرى**) نبصر (**أحدنا اليوم يخاف المخترى**) مفتعل من المخرأة، وهي حيث يجترأ أي: يتغوط. يعني أنه لما غدرت بنو قريظة، واشتد البلاء والخوف بالمسلمين وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، وظن المؤمنون كل الظن، نجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب هذا: كان محمد يعدنا أن ننال كنوز قيصر وكسرى، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط، (ومع هذا يدرؤون عنه النفاق لشهوده بدراً)، وقال أوس بن قيظي إن بيوتنا عورة من العدو، وذلك بإملاء من قومه قالوا له: أن يقول ذلك لرسول الله ﷺ، فنزلت في معتب: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ وفي أوس بن قيظي وطائفة معه ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟﴾.

❋ ❋ ❋

ونوفل من طيشه ونزقه   أوثب طرفَه حفيرَ خندقه
فوقعا فيه وأعطى فديتَه   إخوانُه واستوهبوه جثتَه
فقال فيه أكرم البرية   خبيث جيفة خبيث دية

مقتل نوفل بن عبدالله:

❖ **الشرح**: **(ونوفل)** هو ابن عبدالله بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم، وأخوه عثمان هو الذي أسره ابن جحش وأصحابه، وأفلت منهم نوفل هذا، وأمهما كريمة بنت صيفي بن نوفل بن أسد بن عبد العزى **(من طيشه ونزقه)** هما بمعنى واحد، وهو الخفة أو الطيش الخفة، والنزق الخفة عند الغضب والسفه بعد الحلم **(أوثب)** أراد منه الوثوب **(طرفه)** كريم الطرفين من الخيل، وهما الأب والأم **(حفير)** أي: محفور **(خندقه)** أي: النبيّ ﷺ، أي خندقه المحفور فهو من إضافة الصفة إلى الموصوف. **(فوقعا)** أي: نوفل وطرفه أي: سقطا **(فيه)** أي: الخندق **(وأعطى فديته)**: ما يعطى لإنقاذ الشيء **(إخوانه واستوهبوه)** طلبوا منه هبة **(جثته)** شخصه. **(فقال فيه أكرم البرية)** الخلق فعيلة من برأ أي خلق **(خبيث)** ضد الطيب **(جيفة)** هي جثة الميت **(خبيث دية)**. والمعنى أن نوفلا أقبل على فرس له وأراد أن يُوثبه خندقه ﷺ فوقع فيه فقتله الله، فكبر ذلك على المشركين فأرسلوا إليه ﷺ: إنا نعطيكم في ديته عشرة آلاف على أن تدفعوه لنا فندفنه، فرد إليهم ﷺ: «**إنه خبيث الجيفة خبيث الدية فلعنه الله ولعن ديته ولا نمنعكم أن تدفنوه ولا أرب لنا في ديته**».

❊ ❊ ❊

عمرو بن عبد ود إذ قام له   حيدرة بسيفه خردله

مقتل عمرو بن عبد وَدّ:

❖ **الشرح**: **(عمرو بن عبد ود)** بن أبي قيس بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، وأمه صفية بنت قيس بن عبدالله بن عمرو بن عبد

ود (**إذ قام له حيدرة**): هو علي بن أبي طالب ﷺ (**بسيفه خردله**) ـ بالدال المهملة وتعجم ـ قطع أعضاءه وافرة أو صرعه.

يقول: إن عَمْراً هذا تخلف عن أحد لجراحات بدر فخرج يوم الخندق معلما ليرى مكانه فحين اقتحمت بهم الخيل الخندق وجالوا في السبخة بين سلع والخندق، نادى من يبارزني؟ فقال علي ﷺ: أنا له يا نبي الله، فقال له: «**اجلس إنه عمرو**» ثم كرر عمرو النداء، وجعل يؤنبهم ويقول أين جنتكم التي تزعمون أن مَن قتل منكم دخلها؟ أفلا تبرزون لي رجلا؟ فقام علي فقال: أنا له يا رسول الله، فقال: «**اجلس إنه عمرو**»، ثم نادى الثالثة:

ولقد بححت من الندا ... ء لجمعكم هل من مبارز

ووقفت إذ جبن المشجـ ... ـع وقفة الرجل المناجز

وكذلك إني لم أزل ... متسارعا قِبَلَ الهزاهز

إن الشجاعة في الفتى ... والجود من خير الغرائز

(والهزاهز والهزهزة تحريك الحروب بين الناس).

فقال علي: أنا له يا رسول الله، فقال: «**إنه عمرو**» فقال: وإن كان عمرا، فأذن له ﷺ، وقيل: أعطاه سيفه وعممه، وقال: «**اللّهم أعنه عليه**» فمشى إليه وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتا ... ك مجيب صوتك غير عاجز

ذو نية وبصيرة والصد ... ق منجى كل فائز

إني لأرجو أن أقيـ ... ـم عليك نائحة الجنائز

من ضربة نجلاء يبقى ... ذكرها عند الهزاهز

فقال له عمرو: من أنت؟ فقال أنا علي، قال: ابن عبد مناف؟ قال: أنا علي بن أبي طالب، قال: غيرك يا ابن أخي مَن هو أسن منك من أعمامك فإني أكره أن أريق دمك ـ وكان يومئذ ابن تسعين سنة ـ فقال علي: لكني والله لا أكره أن أهريق دمك، فغضب وسل سيفه كأنه شعلة نار، ثم

أقبل نحو علي مغضباً، ويقال: إن علياً قال له: إنك كنت تقول: لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه، قال: أجل، قال: فإني أدعوك إلى الله ورسوله وإلى الإسلام فقال لا حاجة لي بذلك، قال فأنا أدعوك إلى النزال، كيف أقاتلك وأنت على فرسك؟ ولكن انزل.

فنزل عن فرسه ثم أقبل نحوه واستقبله علي ﷺ بدرقته فضربه عمرو فيها فقدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه، وضربه علي على حبل العاتق فسقط وثار العجاج، وسمع النبيُّ ﷺ التكبير فعرف أن علياً قد قتله، فثم يقول علي ﷺ:

أعَلَيَّ تقتحم الفوارس هكذا	عني وعنه أخروا أصحابي
فاليوم تمنعني الفرار حفيظتي	ومصمم في الرأس ليس بناب
أدى عمير حين أخلص صقله	صافي الحديدة يستفيض ثوابي
فغدوت ألتمس القراع بمرهف	عضب مع البتراء في أقرابي
نصر الحجارة من سفاهة رأيه	ونصرت دين محمد بصوابي
فصدرت حين تركته متجدلا	كالجذع بين دكادكٍ ورواب
وعففت عن أثوابه ولو انني	كنت المقطر بزني أثوابي
لا تَحْسَبُنَّ الله خاذلَ دينه	ونبيه يا معشرَ الأحزاب

ثم أقبل إلى رسول الله ﷺ وهو متهلل، فقال له عمر ﷺ: هلا سلبته درعه وليس في العرب أجود منها؟ فقال: إني حين ضربته استقبلني بسوأته فاستحييت من ابن عمي أن أستلبه. فخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت الخندق هاربة.

وإِنَّمَا لَمْ يستلبه علي لِما ذُكر وقيل تنزه عنها، وقيل: إنهم كانوا في الجاهلية إذا قتلوا قتيلا لَمْ يسلبوا ثيابه. (وقول عمرو لعلي: لا أحب أن أقتلك، زاد فيه بعضهم: فإن أباك كان لي صديقاً، وكان أبو طالب ينادم المسافر بن أبي عمرو، فلما مات اتخذ عمرَو بنَ عبدِ وَدٍّ منادماً).

❋ ❋ ❋

وفض جَمعهم نعيم الأشجعي إذ نَمَّ بينهم بكل مَجمع

تخذيل نعيم بن مسعود للأحزاب:

❖ **الشرح**: **(وفض)**: فرق **(جمعهم)**: أي: الأحزاب، وجمعهم جيوشهم **(نعيم)**: هو سيدنا ابن مسعود بن رخيلة، وأبوه قائد أشجع في الأحزاب، ثم أسلم **(الأشجعي)**: منسوب إلى بني أشجع، **(إذ)**: لأنه **(نَمَّ)**: سعى بالنميمة: أي مشى بها **(بينهم)**: أي: بين العرب وبني قريظة، وكان نعيم قبل ذلك لم يسلم، وهو الذي جاء المسلمين من عند أبي سفيان وقريش يوم حمراء الأسد، فقال لهم: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾، وهو الناس في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ الآية **(بكل مجمع)**.

يعني أن نعيما ﷺ أتى رسول الله ﷺ فقال له: إني أسلمت، وقومي لم يعلموا بإسلامي، فمُرْني بما شئت، فقال له ﷺ: «**إنَّما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا ما استطعت فإن الحرب خدعة**» (مثلثة وكهمزة) فخرج حتى أتى بني قريظة فقال لهم قد عرفتم ودي إياكم، وخاصة ما بيني وبينكم - وكان لهم نديما في الجاهلية - قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم، فقال لهم: إن قريشاً وغطفان قد جاؤوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم وأبناؤهم بغيره، فإن رأوا نهزة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم، وخلوا بينكم وبين الرجل، ولا طاقة لكم به إن خلا لكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكون بأيديكم ثقة لكم، على أن يقاتلوا معكم محمدا حتى تناجزوه، قالوا: لقد أشرت بالرأي، ثم خرج حتى أتى قريشاً، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه، قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمدا، وقد بلغني أمر قد رأيت أن أبلغكموه نصحا لكم، فاكتموا عني، قالوا: نفعل، قال: أتعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وبعثوا إليه إنا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك عنا أن نأخذ لك من القبيلتين قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي

منهم حتى تستأصلهم، فأرسل إليهم: نعم، فإن بعثوا إليكم يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا لهم رجلًا واحداً، ثم خرج حتى أتى غطفان، فقال لهم: يا معشر غطفان إنكم أصلي وعشيرتي وأحب الناس إلي، ولا أراكم تتهمونني، قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتهم، قال: فاكتموا علي، قالوا: نعم، فقال لهم مثل ما قال لقريش، وحذرهم. فلما كانت ليلة السبت، بعث أبو سفيان ورؤساء غطفان إلى بني قريظة عكرمةَ بنَ أبي جهل في نفر من قريش وغطفان، فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخف والحافر، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه، فأرسلوا إليهم إن اليوم يوم السبت، وقد تعلمون ما نال منا مِن تعدٍّ فيه، ومع ذلك لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا، فلما رجعت الرسل بذلك، قالوا: صدقنا ـ والله ـ نعيم، فردوا إليهم الرسلَ: والله لا نعطيكم رهنا أبدا فاخرجوا معنا إن شئتم وإلا فلا عهد بيننا وبينكم فقالت بنو قريظة: صدق ـ والله ـ نُعَيْمٌ. فخذل الله بينهم، واختلفت كلمتهم، وبعث الله عليهم ريحاً عاصفاً في ليال شديدة البرد، فجعلت الريح تقلب أبنيتهم، وتكفئ قدورهم.

❊ ❊ ❊

وعندما إلى التشتت الزمر	**أجمع أمرهم دعا خير البشر**
من يأت بالخبر عنهم يكنِ	**غدا رفيقَنا ومنهم يُضمَنِ**
فلم يقم إليه غير ابن اليمان	**من شدة الذعر ومن برد الزمان**

إرساله ﷺ حذيفة رضي الله عنه:

❖ **الشرح**: (**وعندما إلى التشتت**): التفرق (**الزمر**): جمع زمرة للقوم والجماعة (**أجمع أمرهم**) اتفق (**دعا خير البشر من يأت بالخبر عنهم**): أي: الأحزاب: أي خبرهم وما هم عليه، (**يَكُنِ غدا**): يوم القيامة (**رفيقنا**) في الجنة (**ومنهم**): يعني الأحزاب (**يُضمَنِ**): أي: يسلم من ضررهم بالقتل والجرح والأسر. (**فلم يقم إليه غير ابن اليمان**) هو حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وتقدم (**من شدة الذعر**): الفزع (**ومن برد الزمان**):

يعني أنه لما اتصل إلى الرسول ﷺ اختلاف كلمتهم، دعا: «**من يأت بخبر القوم...؟**» فقيل: إن الزبير قال: أنا، ثم قالها الثانية والثالثة، والزبير يقول: أنا، فقال ﷺ: «**لكل نبي حواري وحواريي الزبير**»، والمشهور ما في النظم، ثم قال لحذيفة: «**قم يحفظك الله من أمامك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك حتى ترجع إلينا**»، فقام حذيفة مستبشرا بدعاء رسول الله ﷺ كأنه احْتُمل احتمالاً، فما شق عليه شيء مما كان فيه، فأتاهم واستتر فيهم، وسمع أبا سفيان بن حرب يقول: يا معشر قريش ليتعرف كل منكم جليسه، قال حذيفة: فأخذت بيد من على يَميني، وقلت: من أنت؟ قال: أنا معاوية بن أبي سفيان، وأخذت بيد من على يساري، وقلت: من أنت؟ قال: أنا فلان، ثم قال أبو سفيان يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ولقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة ولقينا من هذه الريح ما ترون ما يستمسك لنا بناء، ولا تثبت لنا قدر، فارتحلوا فإني مرتحل، ووثب على جمله فما حل عقاله إلا وهو قائم، فوالله لولا عهد رسول الله ﷺ إلي حين بعثني، أن لا أُحْدِثَ شيئاً، لقتلته بسهم، ثم أتيت رسول الله ﷺ فوجدته قائما يصلي فأخبرته، فحمد الله تعالى وأثنى عليه.

وسمعت غطفان بما فعلت قريش، فتشمروا راجعين إلى بلادهم، وأقام عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد في مائتي فارس ساقة لعسكر المشركين.

* * *

وقال خير الْخلق لن تغزوكم ... قريش بعد اليوم والغزوُ لكم

وشغل النبِيَّ زحفُ الْخندق ... عن ظهره وعصره للشفق

❖ **الشرح**: (**وقال خير الخلق: لن تغزوكم قريش بعد اليوم والغزو لكم**): ونص الحديث: «**الآن نغزوهم ولا يغزوننا نسير إليهم**» فانصرف ﷺ، يوم الأربَعاء لسبع ليال بقين من ذي القعدة.

اشتغاله ﷺ بالقتال عن الصلاة:

(**وشغل النبيَّ**) ﷺ (**زحفُ**): جيش الأحزاب يوم (**الخندق عن ظهره وعصره للشفق**) وقيل عن العصر خاصة، وذلك أنهم جهَّزوا نحوه ﷺ كتيبة عظيمة، فقاتلوهم يوما إلى الليل، فلما حضرت الصلاة دنت الكتائب بعضها من بعض، فلم يقدر ﷺ ولا أحدٌ من الصحابة أن يصلوا الصلاة على ما أرادوا، فانكفأت مع الليل، فزعموا أن النبيّ ﷺ، قال: «**شغلونا عن صلاة العصر**».. **وقيل**: «**شغلونا عن الظهرين والعشاءين**».

كان أُسَيْدُ بن حُضَيْرٍ في مائتين من المسلمين على الخندق، وكان خالد بن الوليد في خيل من المشركين يطلبون غرة من المسلمين، ومع المشركين وحشي بن حرب، فزرق الطفيلَ بن النعمان ـ من بني سلمة ـ بمزراقة فقتله ثم انكشفوا، وسار رسول الله ﷺ إلى فئته فأمر بلالا أن يؤذن، فأذن وأقام للظهر فصلى، ثم أقام بعدُ لكل صلاة إقامة، وصلى هو وأصحابه ما فاتهم من الصلوات، وقال: «**شغلونا عن صلاة الوسطى..**» بروايته المشهورة، ثم نُسِخَ هذا بصلاة الخوف. ومما قيل يوم الخندق من الشعر قصيدة ابن الزبعرى:

حي الديار محا معارف رسمها طول البِلى وتراوح الأحقاب

وأجابه حسان بن ثابت بقوله:

هل رسم دارسة المقام يباب متكلم لمحاور بجواب؟

وآخر بيت منها:

وأقر عين محمد وصحابه وأذل كل مكذب مرتاب

❋ ❋ ❋

غزوة بني قريظة:

ثُم قريظة إليها جبرئيل ولَم يضع سلاحه استدعى رعيل

فــقــاده وزلــزل الــحــصــونــا وقــذف الــرعــب ولا يــدرونــا
واســتــذمــر الــنــبِــيُّ خــيــلَ الله وعــن صلاة الـعـصـر قـام الـنـاهـي
إلا بِــهــم ولَــم يــعــب مــن أَخَّــرا إلــى الــعــشــاء إذ يــراه ائــتــمــرا

❖ **الشرح**: **(ثم قريظة إليها جبرئيل)**: لغة من لغات جبريل ـ عليه السلام ـ الكثيرة، ومعناه عبدالله، لأن إيل هو الله في العجمية، وجبر عبد، وقيل بالعكس، ألا ترى أن لفظ العبد لا يختلف في كلامنا، تقول عبدالله وعبدالرحمٰن وعبدالمهيمن وعبدالغني، وغير ذلك من أسماء الله، وهذا يؤيد الأول، ويؤيد الثاني أن العجم عادتهم تقديم المضاف إليه في كلامهم على المضاف، وجبرائيل مبتدأ، وهو في المعنى فاعلُ استدعى الآتي، وجملة استدعى خبر المبتدأ، ورعيل مفعول به لاستدعى، وإليها متعلق ب **(استدعى)**، وعرضت جملة، ولم يضع سلاحه، بين المبتدأ والخبر حالية، **(ولم يضع)** جبريل عليه الصلاة والسلام، **(سلاحه)** لما روي أنه قال لرسول الله ﷺ: «**أو قد وضعت السلاح يا رسول الله؟**» قال: «**نعم**»، فقال له: «**ما وضعت الملائكة السلاح بعدُ، وما رجعت إلى الآن من طلب القوم**» **(استدعى)**: طلب **(رعيل)**: القطعة من الخيل غير الكثيرة؛ العشرين والخمسة والعشرين. **(فقاد)** (ه): جبريل: أي: الرعيل **(وزلزل)**: حرك **(الحصونا)** حصون بني قريظة: أي: ديارهم، **(وقذف)**: رمى **(الرعب)**: الفزع **(ولا يدرونا)**: يشعرون.

يعني أنه روي عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: لما رجع النبيّ ﷺ يوم الخندق، بينما هو يغسل رأسه إذ قُدّ عليه الباب، فارتاع لذلك ﷺ ووثب وثبة منكرة وخرج، فخرجت في أثره فإذا رجل على دابة، والنبي ﷺ، متكئ على معرفة الدابة يكلمه، فرجعت، فلما دخل قلت: من ذلك الرجل الذي كنت تكلمه؟ قال: «**أو رأيته؟**» قلت نعم قال: «**بِمن تشبهينه؟**» قلت: بدحية الكلبي قال: «**ذلك جبريل أمرني أن أمضي إلى بني قريظة**»، روي أنه قال له: «**إن الله يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة فإني عامد إليهم فمُزَلْزِلٌ بهم حصونهم**».

نَهيُه ﷺ عن صلاة العصر إلا في بني قريظة:

(واستذمر): استغرى **(النبيّ)** ﷺ **(خيل الله)**: بأن أمر مؤذنا فأذن في الناس: «**مَنْ كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة**»، وأمر مناديا ينادي: «**يا خيل الله اركبي**» ـ وهي من الكلم التي لم يسبق إليها ﷺ ـ ثم سار إليهم بالمسلمين، وهم ثلاثة آلاف، والخيل ستة وثلاثون فرساً، وذلك في يوم الأربِعاء، لسبع بقين من ذي القعدة، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وذلك معنى قوله: **(وعن صلاة العصر قام الناهي إلا بهم)**: أي: بني قريظة، فقدّمَ ﷺ عليا برايته، وابتدر الناس إليه، فسار حتى إذا دنا من الحصون، سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق، فقال له: لا عليك أن تدنو من هؤلاء الأخابث، قال: «**لِمَ، أظنك سمعت منهم أذى لي؟**» قال: نعم، قال: «**لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً**».

فلما دنا النبيّ ﷺ من حصونهم قال: «**يا إخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟**» قالوا: يا أبا القاسم ما كنت جهولا. ومر ﷺ بنفر من أصحابه بالصورين، قبل أن يصل إلى بني قريظة، فقال: «**هل مر بكم أحد؟**» قالوا: نعم يا رسول الله مر بنا دحية بن خليفة الكلبي على بغلة بيضاء، عليها رحالة، عليها قطيفة ديباج، فقال ﷺ: «**ذلك جبريل بعثه الله إلى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم**».

ولما أتى رسول الله ﷺ بني قريظة، نزل على بئر من آبارها وتلاحق به الناس، فأتى رجال من بعد العشاء الأخيرة، ولم يصلوا العصر، لقول رسول الله ﷺ: «**فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة**» فصلوها بعد العشاء الأخيرة فما عابهم الله بذلك في كتابه ولا عنفهم به رسوله ﷺ، وذلك معنى قوله: **(ولم يعب من أخرا إلى العشاء إذ يراه)** رسول الله ﷺ، **(ائتمرا)**: فعل ما أُمِرَ به، وكذلك من صلى العصر لوقتها، لأنه تأول أن النبيّ ﷺ، إنما يريد الإسراع بالمسير إلى بني قريظة.

وهذا هو مدرك الخلاف بين العلماء الذي هو رحمة لِلأُمَّةِ، فيصيب

كلٌّ الصوابَ، فمالك يتأوَّلُ، آخذاً بفعل الذين صلوا في الوقت، والشافعي يأخذ بالظاهر، كما فعل المؤخِّرون.

❋ ❋ ❋

وخـيَّـر ابــن أســد قــريـظـتَــه	بــيـــن ثـــلاث وازدروا رويـــتـــه
أن يُـؤمِـنُـوا فـيَـأْمَـنُـوا فـقـد رأوا	فِـي كـتـبـهـم مـا عـنـه إذ جـاء أبَـوْا
أو يفتكوا في السبت إذ يَأمَنُهم	فـيـه الـعـرمـرم ولا يـأبـنـهـم
أو يُـحـصـدوا الـنـسـاء والـصـبـيـانـا	فـلـم يُـخـلـوا خـلـفـهـم إنـسـانـا

تَخْيِيرُ كعبٍ لقومه:

❖ **الشرح**: **(وخيَّر)** كعب **(ابن أسد قريظته بين ثلاث)** خصال، **(فازدروا)**: احتقروا **(رويته)** رأيه: **(أن يؤمنوا)** من الإيمان **(فيأمنوا)** من الأمن، **(فقد رأوا)**: أبصروا وعاينوا **(في كتبهم)** التوراة **(ما)** الذي ـ وهو صفته ﷺ ـ وما مفعول رأوا **(عنه)** متعلق بأبوا الآتي، إن شاء الله **(إذ)**: حين **(جاء)**: نزل **(أبوا)**: امتنعوا منه، وكفروا به: أي: علموا صِدْقَ وثبوتَ ما أبوا عنه، إذ جاءهم به رسول الله ﷺ.

(أو يفتكوا): ينتهزوا الفرصة **(في السبت)**: اليوم المعروف، **(إذ يأمنهم)**: لا يتوقع وقعتهم **(فيه)**: أي: يوم السبت، لأن اليهود لا يقاتلون فيه **(العرمرم)**: الجيش الكثير، **(ولا يأبنهم)**: أي: لا يتهمهم بالخروج في السبت **(أويُحصدوا)** ـ بضم الياء ـ يقتلوا، يقال: حصد إذا مات أو يَحصدوا ـ بفتح الياء ـ: يقطعوا، من حصد الزرع على سبيل التمثيل **(النساء والصبيانا فلم يخلوا)**: يتركوا **(خلفهم)**: وراءهم وبعدَهم **(إنسانا)**: أحداً.

يعني أنه لما حاصرهم النبيّ ﷺ، خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار، وقذف الله الرعب في قلوبهم، وأيقنوا أن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم، خيَّرهم كعب بن أسد في أي هذه الخصال الثلاث شاؤوا، فلما ردوها الثلاث عليه، قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة في الدهر حازماً.

فضاقت الأرض بِهم لرعبهم وجهلوا كيف النكاية بِهم
واستنبؤوا أبا لبابة الْخبر فرقَّ للعهد الذي لَهم غبر
أن جأرت فِي وجهه الصبيان واستعطفت رحْمته النسوان
ففتنوه وانتحى عن بلد عصى به وشاط نَحو الْمسجد
فقام فيه برهة مرتبطا معذبا لنفسه مورطا
فتاب من هفوته الله عليه وحله خير الأنام بيديه

❖ **الشرح**: **(فضاقت الأرض بهم لرعبهم)**: فزعهم وخوفهم، **(وجهلوا كيف النكاية)**: ما يفعل بالعدو من قتل وجرح وأسرٍ **(بهم)**.

قصة أبي لبابة، وتوبته رضي الله عنه:

(واستنبؤوا): بحثوا وسألوا **(أبا لبابة)**: هو رفاعة بن عبدالمنذر بن زنبر، أحد بني عمرو بن عوف، وتقدم بعض خبره ونسبُه في غزوة بدر، وكانت بنو قريظة حلفاء الأوس **(الخبر)**: أي: عن خبر ما يُفعل بهم، وما يفعلون في هذا الأمر، **(فرقَّ)**: أشفق ـ من الرِّقَّة بالكسر ـ للرحمة **(للعهد الذي لهم غبر)**: أي: مضى، وهي من الأضداد، لأجل **(أن جأرت)**: رفعوا أصواتهم يصرخون **(في وجهه الصبيان)** ـ بالكسر وتضم ـ: جمع صبي، **(واستعطفت)**: استمالت واستشفقت **(رحمته النسوان)** ـ والنساء بالكسر، والنِسوة به، وبالضم ـ جموع المرأة على غير لفظها. **(ففتنوه)** أوقعوه في الفتنة وهي الإثم **(وانتحى)** مال **(عن بلد عصى به وشاط)**: جرى أو هلك **(نحو)**: جهة **(المسجد)**: أي: مسجده ﷺ بالمدينة.

(فقام فيه بَرهةً) ـ وتضم ـ: زمناً طويلاً **(مرتبطاً)** في المسجد إلى عمود من عمده، فقال: لا أبرح من مكاني حتى يتوب الله عليَّ مما صنعت، وعاهدت الله أن لا أطأ أرض بني قريظة أبداً، ولا أُرَى في بلد خُنْتُ الله فيه ورسوله أبداً، وذلك معنى قوله: **(وانتحى عن بلد..)**، **(معذباً**

لنفسه) بذلك **(مورطاً)**: موقعا لها في الورطة، وهي الهلكة، أو كل أمر تعسر النجاة منه.

يعني أن بني قريظة لما خيَّرهم رئيسهم كعب بن أسد بين الخلال الثلاث ـ ولم يأخذوا بواحدة منها ـ بعثوا إليه ﷺ، أن ابعث إلينا أبا لبابة، نستشيره في أمرنا، فأرسله إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال، وجهش إليه النساء والصبيان يبكون، فقالوا له: أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح، فنزلت فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ الآية، قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي عن مكانهما حتى عرفت أني خُنْتُ اللهَ ورسولَه. ثم انطلق على وجهه ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد فلما بلغه ﷺ خبره ـ وكان استبطأه ـ قال: «**أما إنه لو جاءني لاستغفرت له وأما إذ فعل ما فعل فما أنا بالذي أُطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه**».

نزولُ توبتِهِ رضي الله عنه:

(فتاب من هفوته): زلته **(الله عليه)** نزلت توبته على رسول الله ﷺ وهو في بيت أم سلمة، فسمعته يضحك في السحر، فقالت: مِمَّ تضحَكُ، أضحك الله سنك؟ قال: «**تِيبَ على أبي لبابة**» قالت: أفلا أُبَشِّرُهُ؟ قال: «**بلى، إن شئت**»، فقامت على باب حجرتها ـ وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب ـ فقالت يا أبا لبابة أبشرْ فقد تاب الله عليك، فثار الناس ليطلقوه، فقال: لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقني بيده، فلما مرَّ عليه خارجا إلى صلاة الصبح أطلقه، وكان أقام فيه ست ليال، وقيل بضع عشرة ليلة، وكانت امرأته ـ وقيل بنته ـ تأتيه إذا حضرت الصلاة أو أراد أن يذهب لحاجته فتَحُلُّه، فإذا فرغ أعادته. وذلك معنى قوله: **(وحله خير الأنام بيديه)** وقيل: لما نزلت توبته، أرادت فاطمة أن تحُلَّه، فقال: أقسمت أن لا يحلني إلا رسول الله ﷺ فقال ﷺ: «**إن فاطمة بضعة مني**». ففي الحديث دليل على أن من سبها فقد كفر، وأن من صلى عليها فقد صلى على أبيها، صلى الله عليه وعليها وسلم تسليماً كثيراً.

تَحكيمُه ﷺ سعدَ بنَ معاذ فيهم:

وحكَّم النبِيُّ فيه سعدَ الاوس — إذ غاظهم إطلاقه من كل بوس
لابن أُبَيٍّ حلفاءَ الْخزرج — فكان فِي التحكيم حسمُ الْهرج
وحَملوا سعدا على حِمار — من الْمدينة إلى الْمختار
وعندما انتهى إلى النديِّ — سَوَّده خير بَنِي لُؤَيِّ
على الْجميع أو على الأنصار — لا غيرهم عند بَنِي نزار

❖ **الشرح**: **(وحكَّم النبيّ فيهم)**: أي: بني قريظة **(سعدَ الأوس)**: هو سيدنا أبو عمرو سعد بن معاذ، وتقدم نسبه في غزوة بدر وبعض مناقبه، وسيأتي قريباً إن شاء الله تعالى بعضها، والأوس في اللغة الإعطاء، والخزرج الريح الباردة وتقدم نسب هاتين القبيلتين **(إذ غاظهم)** أي: الأوس **(إطلاقه)**: أي: النبيّ ﷺ **(من كل بؤس)**: ضد النعيم **(لـ)** عبدالله **(بن أُبَيٍّ)** ـ تقدم خبره ونسبه ـ **(حلفاءَ الخزرج)** وهم بنو قينقاع، **(وكان في التحكيم حسم)**: قطع **(الهرج)**: الاختلاط والخصام.

يعني أن بني قريظة لما نزلوا على حكم رسول الله ﷺ تواثب رجال من الأوس، فقالوا: يا رسول الله إنهم موالينا دون الخزرج، وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد فعلت، فقال ﷺ: «**ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟**» قالوا: بلى، قال: «**فذلك إلى سعد بن معاذ**» وكانت رفيدة ـ امرأة من أسلم ـ في مسجد النبيّ ﷺ، تداوي الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين، وكان ﷺ حين أصاب سعداً السهمُ في الخندق قال لقومه: «**اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب**».

(وحملوا سعداً على حمار من المدينة إلى المختار وعندما انتهى): بلغ **(إلى الندي)** ـ كغَنِيٍّ، والندى كالفتى، والنادي والمنتدى والندوة ـ: مجلس القوم نهاراً، أو ما داموا مجتمعين فيه، قال عبد المطلب يرقص النبيّ ﷺ:

كأنه فِي العِزِّ قيس بن عدي — في دار سعد ينتدي أهل الندي

(**سوَّدَهُ**): أي: سعداً جعله سيدا (**خير بني لؤي**) - بالهمزة وبالواو تخفيفا - هو ابن غالب بن فهر، قيل: معناه تصغير اللآ - كالفتى - وهو الثور الوحشي، أو تصغير لأيٍ، ومعناه الأناة وترك العجلة، كقول أبي أسامة الجشمي يخاطب قريشاً، يوم بدر:

فدونكمُ بني لَأْيٍ أخاكم ودونك مالكا يا أم عمرو

(وأبو أسامة هذا قيل إنه هو الذي رمى سعداً) (**على الجميع**) لقوله عليه الصلاة والسلام لما انتهى إليه سعد: «**قوموا إلى سيدكم**»، فظن الأنصار أنه ﷺ، عمَّ بها المهاجرين والأنصار، (**أوعلى الأنصار لا غيرهم**) لقول المهاجرين: إنما أراد بها النبيّ ﷺ، الأنصار، لا غيرُ. وذلك معنى قوله: (**عند بني نزار**): وهم المهاجرون، لأن الأنصار ليسوا من ولده، وإنما هم من قحطان - كما تقدم - ونزار بن معد بن عدنان، سُمِّيَ نزاراً - وهو من النزر أي: القليل - لأن أباه مَعَدّاً حين وُلِدَ نظر إليه، فرأى النور بين عينيه، (**وهو نور النبوءة الذي ينتقل من الأصلاب إلى محمد ﷺ**) ففرح فرحاً شديداً، ونحر وأطعم وقال: إن هذا كلَّه نزر في حق هذا المولود.

❊ ❊ ❊

وراودته قومه أن يَحكما بغير ما حكم فيهم فاحتمى

حكم سعد فيهم:

❖ **الشرح**: (**وراودته**): أي: سعد من المراودة، وهي الذهاب والمجيء في الطلب (**قومه**): وهم الأوس (**أن يحكما بغير ما**) الذي (**حكم**): قضى به (**فيهم**): أي: بني قريظة، (**فاحتمى**): امتنع.

يعني أنه لما حكَّمَ النبيّ ﷺ سعداً، أتاه قومه فحملوه على حمار، وقد وطؤوا له وسادة من أدم وكان رجلاً جسيماً، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون: يا أبا عمرو أَحْسِنْ في مواليك، فإنه ﷺ إنما ولاَّك لتحسن إليهم فلما أكثروا، قال: لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله

لومة لائم، فلما انتهى سعد إليه ﷺ قال: «**قوموا إلى سيدكم**».. فقالوا: يا أبا عمرو إن رسول الله ﷺ، قد ولاَّك أمر مواليك لتحكم فيهم، فقال سعد: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم كما حكمتُ؟ قالوا: نعم، قال وعلى من هاهنا ـ في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ؟ وهو معرض عنه إجلالا له ـ فقال النبيّ ﷺ: «**نعم**».

فقال: فإني أحكم فيهم أن تُقْتَلَ الرجال، وتُقسم الأموال، وتُسبَى الذراري والنساء، وتكون الديار للمهاجرين دون الأنصار، فقالت: الأنصار: إخواننا كنا معهم، فقال: إني أحببت أن يستغنوا عنكم، فقال ﷺ: «**لقد حكمتَ فيهم بحكم الله من فوق سبع أرقعة**» وفي الحديث الصحيح «**من فوق سبع سماوات**» والمعنى واحد، لأن الرقيع من أسماء السماء، لأنه رُقِّعَتْ بالنجوم، وروي أنه ﷺ قال في حكم سعد: «**بذلك طرقني الْمَلَك سحرا**».

❋ ❋ ❋

مقتل بني قريظة وحيي بن أخطب:

لـدمـهـم خـنـدق أفـضـل لـؤي ومـعـهـم فِـي كـل كـربـة حُـيَـي

❖ **الشرح**: **(لدمهم)**: أي: بني قريظة **(خندق)**: حفر خندقا **(أفضل لؤي)**: هو رسول الله ﷺ، بل هو أفضل ما خلق الله تعالى، **(ومعهم)**: أي: بنى قريظة **(في كل كُربة)** ـ بالضم ـ: الحزن والقتل وتضييق القيد على المقيد، واجتمعت لهؤلاء الخنازير، ثم الخلود في النار (نسأل الله العافية) **(حيي)** هو عدو الله ورسوله ابن أخطب، أبو أمنا صفية، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وكانت تحدث تقول: لَمَّا قدم ﷺ المدينة غدا إليه أبي وعمي، ثم جاؤوا من العشي، فسمعت عمي أبو ياسر يقول لأبي: أهو هو؟ قال: نعم والله، قال: أتعرفه؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك له؟ قال: عداوته ما بقيتُ.

رؤيا صفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :

قالت: رأيتُ ليلة في نومي أن قمراً سقط في حجري، فقصصتها على أبي، فلطمني لطمة شديدة، هذا أثرها في وجهي - وكان بها ندب في وجهها - فقال: أتزعمين أنك تتزوجين ملك العرب؟ وكانت تحت كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، فخلف عليها رسول الله ﷺ.

يعني أنه لما حكم فيهم سعد بما حكم أمر بهم رسول الله ﷺ، وحبسوا في دار سكينة بنت الحارث بن كريز بن عبد شمس - التي كانت تحت مسيلمة الكذاب، ثم خلف عليها ابن عمها عبدالله بن عامر بن كريز، فولدت له، وأنزل النبيّ ﷺ وفد حنيفة في بيتها - وقيل: التي حبسوا في دارها زينب بنت الحارث النجارية.

ثم خرج ﷺ إلى سوق المدينة - الذي هو سوقها بعد ذلك - فخندق خنادق ثم بعث إليهم فضُربت أعناقهم في تلك الخنادق فخرج بهم إليها أَرْسَالاً، وفيهم عدو الله حيي بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم، وهم ستمائة أو سبعمائة، والمكثر يقول: كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة. وقد قالوا لكعب وهم يُذْهَبُ بهم إليه ﷺ أرسالاً: يا كعب ما تراه يصنع بنا؟ قال: أفي كل موطن لا تعقلون؟ أما ترون الداعي لا ينزع، ومن مضى منكم لا يرجع؟ هو والله القتل.

فلم يزل ذلك الدأب، حتى فرغ منهم ﷺ، وأُوتِيَ بحيي بن أخطب عدو الله، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل، وعليه حلة فقاحية (والحلة إزار ورداء، وأصل تسميتها بهذا، إذا كان الثوبان جديدين، كما حل طيهما، ثم استمر عليها الاسم، والفقاحية نسبة إلى الفقاح، وهو الزهر إذا انشقت أكمته) فقال له ﷺ: «**ألم يمكن الله منك؟**» قال: بلى، ولقد قلقلت كل مقلقل، ووالله ما لُمْتُ نفسي في عداوتك، ولكن مَن يَخذلِ الله يُخذلْ، ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر وملحمة كتبت على بني إسرائيل ثم جلس وضربت عنقه.

مَن قُتِلت مِن نسائهم:

ولم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة، كانت عند عائشة، تحدث عنها تقول: والله إنها لعندي تتحدث معي، وتضحك ظاهرا وباطنا، ورسول الله ﷺ يقتل رجالها في السوق، إذ هتف بها هاتف أين فلانة؟ قالت: أنا والله، فقلت: ويلك مالك؟ قالت: أُقْتَلُ، قلت: ولِمَ؟ قالت: لحدث أحدثته فانْطُلِقَ بها، وضربت عنقها، فكانت عائشة تقول، تَعَجُّباً منها: فوالله ما أنسى طيب نفسها، وكثرة ضحكها، وقد عرفت أنها تُقتل. وهي قاتلة خلاد بن سويد، طرحت عليه رحى. وكان أَمَّرَ عليهم النبيّ ﷺ محمد بن مسلمة، فأسروا وجمعوا ناحية، وأخرج النساء والذراري فكانوا ناحية، واستعمل عليهم عبدالله بن سلام، وجمع أمتعتهم وما وجد في حصونهم من الحلقة والأثاث والثياب، فوجدوا فيها ألفا وخمسمائة سيف، وثلاثمائة درع، وألفي رمح وخمسمائة ترس وجعبة، ووجدوا جمالاً نواضح وماشية كثيرة، وأهريق ما وجد من الخمر والسَّكَر.

قصة ثابت بن قيس مع الزَّبِير:

وكان ثابت بن قيس أتى الزَّبِيرَ بن باطا، ويكنى أبا عبدالرحمٰن، وكان الزَّبير قد مَنَّ على ثابت بن قيس في الجاهلية يوم بعاث، أخذه وجز ناصيته فخلى سبيله، فجاءه ثابت، وهو شيخ كبير، فقال له: يا أبا عبدالرحمٰن هل تعرفني؟ قال: وهل يجهل مثلي مثلَك؟ قال: إني أريد أن أجزيك بيدك عندي، فقال: إن الكريم يجزي الكريم، ثم أتى ثابت النبيّ ﷺ، فقال له: إن للزبير عليَّ مِنَّةً، وقد أحببت أن أجازيه بها، فهب لي دمه، فقال له ﷺ: «**هو لك**» فأتاه فقال له: رسول الله ﷺ وهب لي دمك فهو لك، قال: شيخ كبير لا أهل له ولا ولد، ما يصنع بالحياة؟ فأتى ثابت النبيّ ﷺ، فقال له: بأبي أنت وأمي هب لي امرأته وولده، فقال: «**هم لك**» فأتاه ثابت، فقال: قد وهب لي ﷺ أهلك وولدك، فهم لك، قال: أهل بيت في الحجاز لا مال لهم، فما بقاؤهم على ذلك؟ فأتى ثابت النبيّ ﷺ

فقال: بأبي أنت وأمي هب لي مالَهُ، فقال: «**هو لك**» فأتاه، فقال: قد أعطاني ﷺ مالَك، فهو لك، قال: يا ثابت ما فعل الذي كان وجهه مرآة صينية، تتراءى فيها عذارى الحي: كعب بن أسد؟ قال: قُتِلَ، قال: فما فعل سيد الحاضر والبادي حيي بن أخطب؟ قال: قُتل، قال: فما فعل مقدمتنا إذا شددنا وحاميتنا إذا فزعنا عزال بن السموأل؟ قال: قُتل، قال: فما فعل المجلسان - يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة - ؟ قال: قُتلوا، قال: فإني أسألك بيدي عندك إلا ألحقتني بالقوم، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء خير، فما أنا صابر لله قَبلة دلو ناضح حتى ألقى الأحبة! فقدمه ثابت فضرب عنقه.

فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله: حتى ألقى الأحبة، قال: تلقاهم والله في نار جهنم خالداً فيها مخلداً. (وقَبلة دلو ناضح؛ أي؛ قدر ما يأخذها قابلها، وهو الذي يأخذها من المستقى، والزَّبِيرُ بفتح الزاي وكسر الباء أو بضمها).

وكان ﷺ أمر أن يقتل منهم من أنبت، وسألت سلمى بنت قيس، أخت سليط بن قيس، النبيّ ﷺ - وهي إحدى خالاته ﷺ - رفاعةَ بن سموأل، وقالت: إنه زعم أنه سيصلي، ويأكل لحم الجمل فأعطاه إياها. ولم يسلم منهم إلا هو وثعلبة وأسيد ابنا سعية، وأسد بن عبيد، وهؤلاء الثلاثة من بني هدل، أخي قريظة، قالوا لبني قريظة، حين نزلوا على حكمه ﷺ: والله إنه النبيّ الذي عُهِدَ إليكم أن تتبعوه، قالوا: ليس به، قالوا: بلى، والله إنه لَهو بصفته، فنزلوا وأسلموا وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم. وكان عمرو بن سعدى - أحد بني قريظة - لم يحضر في نقضهم عهده ﷺ فنجا، فقال فيه النبيّ ﷺ: «**ذلك رجل نجاه الله بوفائه**». واختلف في كيفية فقدانه. واصطفى ﷺ لنفسه ريحانة بنت عمرو بن خنافة، وتُوُفِّيَ عنها ﷺ، وهي التي اختلف فيها هل هي زوجة أو سرية؟

❊ ❊ ❊

استشهاد سعد واهتزاز العرش له رضي الله عنه:

وعندما انتهى الْحصار استشهدا ... واهــتــز عــرش الله حــيــن بــردا
وخــف نــعــشــه عــلــى عــظــمــتــه ... إذ الْــمــلائــكــة مــن حَــمــلــتــه

❖ **الشرح**: **(وعندما انتهى)**: تَمَّ وانقضى **(الحصار)**: أي: حصار بني قريظة **(استشهدا)** سعد أي: مات شهيداً **(واهتز)**: تحرك **(عرش الله)** لا يُحَدُّ **(حين بردا)**: مات، يريد أنه لما انقضى أمر بني قريظة، مات رضي الله عنه من جرحه، وكان حين جرح قال: اللَّهم إن كنت أبقيت الحرب بيننا وبين قريش فأبقني لَها، فإني أحب حرب قوم كذبوا نبيك وأخرجوه، وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة، ولا تمتني حتى تُقِرَّ عيني في بني قريظة. وكان جرحه يسيل دماً، فلم تقطر منه قطرة حتى فات أمر بني قريظة، فحينئذ مرَّت عليه عنز، وكان مضطجعاً، فأصابت الجرح بظلفها، فانبعث الدم، وما رقأ حتى مات رضي الله عنه.

وأتى جبريلُ النبيَّ ﷺ متعمما بعمامة من إستبرق فقال: «**يا محمد مَن الذي فُتِحَتْ له أبواب السماء واهتز له العرش؟**» فقام ﷺ سريعاً يجر ثوبه إلى سعد فوجده قد مات».

(وخف نعشه): سرير الميت **(على)** أي: مع **(عظمته)** - محركة - أي: عظم جسمه، لأنه رضي الله عنه كان جسيماً، **(إذ الملائكة)** جمع ملَكٍ، وأصله مَلأَكٌ وزنه مَفْعَلٌ من الْمَأْلُكَةِ، وهي الرسالة، لأنه يبلغ عن الله تعالى، ثم حذفت الهمزة بعد أن ألقيت حركتها على ما قبلها، قال:

تَـحـريـكـه لـسـاكـن قـبـلُ نُـقِـلْ ... بـكـثـرة وذكـره إذن خُـطِـلْ

بدليل قوله:

تعاليت أن تعزى إلى الأنس كلهم ... ولـلـجـن مـن يـعـزوك فـهـو كـذوب
ولـسـت لإنـسـي ولـكـن لِـمَـلأَكٍ ... تـنـزل مـن جـو الـسـمـاء يـصـوب

(**من حملته**): جمع حامل، لأنه لَما حُمل على نعشه وجدوا له خفة، فقال ﷺ: «**لقد نزل سبعون ألف ملَك شهدوا سعداً ما وطئوا الأرض إلا يومهم هذا**»، وبعث صاحب دومة الجندل ببغلة وجبة من سندس إلى رسول الله ﷺ فجعل أصحابه يتعجبون من حسنها فقال ﷺ: «**لَمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذه**».

وكان قبر سعد توجد فيه رائحة المسك، وروي أنه ﷺ قال حين وُضِعَ في قبره: «**سبحان الله لهذا العبد الصالح ضُمَّ في قبره ضَمَّة ثم فرج عنه**» ولم يقل ضُغِطَ. وأما ضغطة القبر التي في الحديث، قالت عائشة، رضي الله عنها: يا رسول الله، ما انتفعت بشيء منذ سمعتك تذكر ضغطة القبر وضمته فقال: «**يا عائشة إن ضغطة القبر على المؤمن**» ـ أو قال: «**إن ضَمَّة القبر على المؤمن ـ كضَمَّة الأم الشفيقة بيديها على رأس ابنها يشكو إليها الصداع وصوت منكر ونكير كالكحل في العين ولكن يا عائشة ويل للشاكين أولئك يضغطون في قبورهم ضغط البيض على الصخر**».

ثلاث سعد، وإسلامه رضي الله عنه:

وروي أن سعداً رضي الله عنه كان يقول: ثلاثة أنا فيهن رجل كما ينبغي: ما سمعت حديثاً من النبيّ ﷺ إلا علمت أنه حق من الله تعالى، ولا كنت في صلاة فشغلت نفسي بغيرها حتى أقضيها، وما كنت في جنازة فحدثتني نفسي بغير ما تقول أو ما يُقال لَها، حتى أنصرف عنها. قال سعيد بن المسيب: ما كنت أحسب هذه الخصال في غير نبي.

أسلم سعد رضي الله عنه، هو و أسيد بن حضير في يوم واحد على يد مصعب بن عمير وأسعد بن زرارة، ثم جاء سعد إلى قومه فقال: كيف تعلمون أمري فيكم يا بني عبد الأشهل؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأيا وَأَيْمَنُنَا نقيبة، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، فما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا وهو مسلم، غير الأصيرم، وأم سعد كبشة بنت رافع من بنى الحارث بن الخزرج

ثم من بني الأبجر صحابية، وكانت معها عائشة رَضِّيَّلِيَّهُمُهَا يوم الخندق ـ قبل أن يضرب الحجاب ـ فمر بِهما سعد وبيده حربة، وعليه درع قد خرجت منها ذراعه كلها، قالت أمنا عائشة، رَضِيَّلِيَّهُمُهَا ، لأمه: ليت درع سعد أسبغُ من هذا! فقالت له أمه: الْحَقْ يا بني فقد تأخرت.

ثم رماه حبان بن العرقة فأصاب منه الأكحل (وهو عرق في وسط الذراع) فقال: خذها وأنا ابن العرقة، فقال له سعد: أعرق الله وجهك في النار. وفي ذلك يقول ضرار بن الخطاب:

فإن نرحلْ فإنا قد تركنا لدى أبياتكم سعدا رهينا
إذا جن الظلام سمعت نوحى على سعد يرجعن الحنينا

❁ ❁ ❁

غزوة بني لَحيان:

ثُم غزا لَحيان جراء الرجيع فاحتصنوا بكل باذخ منيع
بعث الرجيع ستة أو عشره لَحيان حيٌّ من هذيل غدره

❖ **الشرح**: **(ثم غزا)** ﷺ بني **(لحيان)** أتوه ﷺ فقالوا له: إن فينا إسلاما، فابعث معنا من يعلمنا ففعل، فغدروا بهم على ماء يقال له الرجيع، ولذا قال: **(جراء)** أي: لأجل بعث **(الرجيع)**: وهو ماء لهذيل على سبعة أميال من الهدأة، وهي بين مكة وعسفان، **(فاحتصنوا)**: أي: بنو لحيان منه ﷺ، أي تمنعوا **(بكل)** جبل **(باذخ)**: مشرف عال **(منيع)**: الذي لا يرام.

بعث الرجيع رَضِيَّلِيَّهُمُ:

(بعث الرجيع ستة أو عشره): وهم عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ـ أحد بين عمرو بن عوف، وهو خال عاصم بن عمرو، أمه جميلة بنت ثابت أخت عاصم، والمشهور الأشبه أنها بنته ـ ومرثد بن أبي مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب، وخالد بن البكير الليثي حليف بني عدي، وزيد بن

الدثنة، (والدثنة بالكسر والد الصحابي) وعبدالله بن طارق حليف بني ظفر، وخبيب بن عدي رضي الله عنه، وقيل: عشرة، ولم يسم منهم غير هؤلاء الستة، إلا معتب بن عبيد أخا عبدالله بن طارق لأمه.

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيّ صلى الله عليه وسلم بعثهم عينا حتى إذا كانوا بالهدأة سمع بهم بنو لحيان، فنفروا لهم بقرب مائة رجل رام، فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مؤكلهم التمر في منزل نزلوا به، فقالوا: تمر يثرب فتبعوا آثارهم، فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجأوا إلى موضع، فأحاط بهم القوم، فقالوا: انزلوا فأعطوا ما بأيديكم، ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحدا، فقال عاصم بن ثابت: أيها القوم أما أنا فلا أنزل على ذمة كافر، ثم قال: اللَّهم أخبر عنا نبيك، وقاتَلهم وهو يقول:

ما علتِي وأنا جلد بازل والقوس فيها وتر عنابل

فرموهم بالنبل فقتلوا عاصماً، ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق، منهم خبيب وزيد بن الدثنة ورجل آخر، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتارهم فربطوهم بِها، فقال الرجل الثالث: هذا أول الغدر والله لا أصحبكم إن لي بهؤلاء القوم أسوة - يريد القتلى - فجرروه وعالجوه، فأبى أن يصحبهم. والظاهر أنه قُتل.

استشهاد خبيب رضي الله عنه:

فانطلقوا بِخبيب بن عدي وزيد بن الدثنة حتى باعوهما من قريش، وذلك بعد وقعة بدر، فاشترى بنو الحارث بن عامر بن نوفل خبيباً، وكان قتل الحارثَ يوم بدر. ذكر البخاري هذا، وجزم بعضهم أن خبيب بن عدي الجحجبي لم يشهد بدراً، وأن الذي قتل الحارثَ خبيبُ بنُ إساف الخزرجي، ثم تزوج بنته بعد ذلك، وكان الحارث ضرب خبيباً فوشحه وشاحا يبقى أثره، فكانت ابنته تقول - لِخبيب تُمازحه -: لا عدمت رجلاً وشحك هذا الوشاح، فيقول خبيب: لا عدمت رجلا عجَّل أباكِ على النار.

فلبث خبيب عند بني الحارث أسيراً حتى أجمعوا على قتله، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى ليستحد بها، فأعارته فدرج بُنَيٌّ لها - وهي غافلة - حتى أتاه، فوجدته على فخذه، والموسى بيده، ففزعت فزعة عرفها خبيب، فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك! فقالت: والله ما رأيت أسيراً أكرم من خبيب والله لقد وجدته يأكل قطفا من عنب في يده وهو موثق بالحديد وما بمكة من تمرة وإنه لرزق رزقه الله خبيبا. فلما خرجوا به ليقتلوه في الحل، قال لهم: دعوني أصل ركعتين، فتركوه، فقال: والله لولا أن تظنوني جزعت لزدت. ثم قال: اللّٰهم أحصهم عددا واقتلهم بدداً ولا تبق منهم أحداً، إنك أنت الباقي سرمدا، ثم قال:

فلست أبالي حين أقتل مسلما ... على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإلٰه وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

ثم قام عقبة أبو سروعة فقتله - وقيل إن عقبة أخو أبي سروعة وهما اثنان - وأبو سروعة هو صاحب الحديث المشهور في الرضاع. وكان خبيب أول من سن الصلاة لكل مسلم قتل صبراً، وأخبر ﷺ أصحابه يوم أصيبوا خبرهم. وبعثت قريش إلى عاصم بن ثابت حين سمعوا بقتله ليؤتوا بشيء منه يعرف - وكان قتل قتيلاً من عظمائهم - فبعث الله لعاصم مثل الظلة من الدَّبْرِ فحمته منهم، فلم يقدروا أن يقطعوا منه شيئاً، انتهى ما في البخاري.

وروي أن عضلاً والقارة قدم رهط منهم بعد أحد عليه ﷺ فقالوا: إن فينا إسلاما، فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهونا في الدين، ويقرئونا القرآن، فبعث معهم هؤلاء القوم، وأَمَّرَ عليهم مرثد بن أبي مرثد، فخرجوا حتى إذا كانوا بالرجيع غدروا بهم، على نحو ما سبق، وأرادت هذيل قطع رأس عاصم ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد، وهي من بني عمرو بن عوف رهط عاصم، (وكان عاصم قتل يوم أحد ابنيها، فنذرت إن قدرت على رأسه لتشربن فيه الخمر، وجعلت لمن يأتيها به مئة ناقة) فمنعه الدبر، فقالوا: دعوه حتى يمسي فنأخذه، فبعث الله الوادي فاحتمل عاصماً، وكان عاهد الله أن لا يمس مشركاً، وأن لا يمسه مشرك.

وأما زيد بن الدَّثِنَّةِ فقد اشتراه صفوان بن أمية، فأخرجه مع نسطاس مولاه ليقتله خارج الحرم بالتنعيم - وأسلم نسطاس هذا - فقال أبو سفيان لزيد حين قُدِّمَ ليقتل: أنشدك الله أتحب أن محمدا الآن بمكانك عندنا نضرب عنقه وأنك في أهلك؟ فقال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه تصيبه شوكة تؤذيه، فقال أبو سفيان: ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمدٍ محمداً! فقتله نسطاس. وقيل: إن الذي سأله أبو سفيان هو خبيب.

وقال حسان يرثي أصحاب الرجيع:

ألا ليتني فيها شهدت ابن طارق	وزيدا وما تغني الأماني ومرثدا
ودافعت عن حبي خبيب وعاصم	وكان شفائي لو تداركت خالدا

وقال يهجو لَحيان:

لعمري لقد شانت هذيلَ بنَ مدرك	أحاديثُ كانت في خبيب وعاصم
أحاديث لَحيان صُلوا بقبيحها	ولَحيان رَكَّابون شر الجرائم

ونسطاس هو الذي اشترى به أبو بكر رضي الله عنه بلالاً الذي كان يعذبه أمية. والصبي الذي أجلسه خبيب على فخذه ففزعت أمه، هو أبو حسين بن الحارث بن عامر بن نوفل، جد عبدالله بن عبدالرحمٰن بن أبي حسين، شيخ مالك، فعلى هذا تكون المرأة التي فزعت من خبيب زوجة الحارث، لا من بناته، **(لحيان حي من هذيل)** بن مدركة بن إلياس بن مضر، وهم لئام، ولعلهم انتزعهم لؤم بني عمهم بني الهون عمِّهم **(غدره)**: أي: غدروا ببعث الرجيع.

والعضل والقارة نَجلا الْهون	**نَجلِ خزيمة سعوا فِي الْهون**

❖ **الشرح**: **(و)** قيل: الذين غدروا بأصحاب الرجيع **(عضل)** -

بالتحريك ـ ابن الهون بن خزيمة بن مدركة، (وسكَّنه للضرورة) **(والقارة نجلا الهون)** أيضاً بن الهون وهما ـ أي: عضل والقارة ـ قبيلتان، أما القارة فهم أهل المثل: قد أنصف القارة من راماها، قال:

قد علمت سلمى ومن والاها ... أنا نرد الخيل عن هواها
نردها دامية كلاها ... قد أنصف القارة من راماها
إنا إذا ما فئة نلقاها ... نرد أولاها على أخراها

وكانوا رماة، فمن راماهم، فقد أنصفهم، **(نَجلِ خزيمة سعوا)**: عملوا **(في الهون)**: الخزي، على القول: بأنهم الذين غدروا بهم.

❋ ❋ ❋

بعث بئر معونة:

وأربعو بئرِ معونة الغُرَرْ ... ابن الطفيل عامر فيهم خفر
أبا براء وكلا البعثين ... قد أُرسِلا لِيُرْشِدَا فِي الدِّين

❖ **الشرح**: **(وأربعو)**: أي: أربعون، وحذفت نونه لإضافته إلى **(بئر معونة)**: ماء بين بني عامر وحرة بني سليم **(الغرر)**: ـ كصُرَدٍ ـ جمع أغر وهو الشريف أو الكريم الأفعال.

مُحاولة عامر وأربد غدرَه ﷺ:

(ابن الطفيل عامر): بدل من ابن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. وفد عامر هذا، عليه ﷺ، وأخوه لأمه أربد بن قيس، يريدان الغدر به ﷺ، فقال عامر لأربد: إني شاغل عنك الرجل فاقتله، فجعل عامر يكلمه ﷺ، وأربد لا يصنع شيئاً، فقال عامر للنبيّ ﷺ: ما تجعل لي أن أدخل في أمرك، أتجعل لي الأمر من بعدك؟ قال: «**لا**» قال: تشركني معك فيه؟ قال: «**لا**» قال: وما تجعل لي؟ قال: «**أجعل لك أعنة الخيل**» قال: أو ليست لي؟ قال: «**ليست لك ولا**

لآبائك» فغضب عامر، فقال: والله لأملأنَّها عليك - يعني المدينة - خيلاً جُرْداً ورجالاً مُرْداً، ولأربطن بكل نخلة فرساً، فقال ﷺ: «**يأبى الله ذلك وأبناء قيلة**»، وقال: «**اللَّهم اكفنا شر عامر وأربد بِما شئت**».

ثم خرجا فقال عامر لأربد: والله لا أثق بك بعدها ولقد كنت عندي بمكانة، أوَ مَا شغلت عنك الرجل؟ فقال: لا تعجل عليَّ، فكلما علوته بالسيف رأيتك بيني وبينه، ولا أريد أن أقتلك. فسارا فلما كانا في بني سلول - وهم أقرب أحياء بني عامر - أصابت عامرا غدة كغدة البعير فقتلته، وحين أحس بالموت دعا بفرسه فركبه، وجعل يقول: أغدة كغدة البعير؟ وموت في بيت امرأة سلولية؟! فقدم أربد على أهله بموت عامر، ثم ذهب على جمل يبيعه، فأرسل الله قزعة من السماء فتفتحت عليه بصاعقة فقتلته وجملَه.

منافرة عامر لعلقمة بن علاثة:

وكان عامر سيد بني عامر، ونافر علقمة بن علاثة - لسبب يطول ذكره - إلى هرم بن قرطبة المري، بعد أن أتيا أبا سفيان بن حرب فأبى أن يحكم بينهما، فأتيا هرما فنهاهما فأبيا عليه، ثم لَمَّا لم يجد بُدّاً من ذلك وعدهما، وجعل لهما أجلاً، فلما انقضى الأجل، وكانت الليلة التي يريد الحكم صبيحتها، أمر هرم بنيه أن ينحروا ويطعموا، ليشغلوا الناس عن الحرب، ثم خلا بكل من الرجلين، ولم يعلم صاحبه، وأنَّبَهُ على أن ينافر ابن عمه، ويقول له: تنافر فلانا ومن أمره كذا وكذا، حتى لم يشك أنه مغلوب، وأنه منفر عليه صاحبه، فيناشده ويمت إليه، فيقول له: لا أقول بينكما إلى الحق، فلما أيقن كلٌّ منهما أنه مغلوب حكم بينهما بالسوية، فقال: ما أنتما إلا كفرسي رهان، أو كركبتي البعير الأزلم. ثم بعد ذلك أسلم هرم، وسأله عمر رضي الله عنه، لِمَ لَمْ تفضل أحدهما؟ فقال: لو فعلت لكانت حرب تبقى إلا اليوم، فقال عمر: لذا سدت يا هرم.

وولد عامر ليلة جبلة، فقيل فيه: سيسود هذا الغلام العربَ، ويزعمون أن

من وُلِدَ في الشدة ينجب. (**وجبلة هضبة كانت بها الحرب بين قيس وتَميم، وفي أيامها وُلِدَ رسول الله ﷺ**)، وكان عامر شاعراً مجيداً، وهو القائل:

وإني وإن كنت ابن سيد عامر وفارسها المشهور في كل موكب
فما سوَّدتني عامر عن وِراثة أبى الله أن أسمو بأم ولا أب
ولكنني أحمي حماها وأتقي أذاها وأرمي من رماها بمنكبي

وهو من العشرة الْمُقَبلي الظعن الذين أدركهم الإسلام، وقيل: بل كان أعور قصيرا، (**فيهم**): أي: بعث بئر معونة (**خفر**) به: غدره ونقض عهده (**أبا براء**) هو عامر بن مالك، أخو الطفيل، وهم خمسة: عامر ملاعب الأسنة، والطفيل فارس قرزل (وهي فرسه، ومعناه القيد) وربيعة المعترين ـ وهو أبو لبيد ـ وعبيدة الوضاح، ومعاوية معود الحكماء.

وهو الذي يقول:

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه ولو كانوا غضابا
أُعَوِّدُ مثلها الحكماء بعدي إذا ما الأمر في الحدثان نابا

ولذا سمي معود الحكماء، وسمي عامر ملاعب الأسنة، لأن أخاه الطفيل فارس قرزل، فَرَّ عنه يوم سوبان، (وهو من أيام جبلة) فجعل عامر يطعن يَميناً وشمالاً، ويقول: ما هذا إلا تلاعب الأسنة، قال الشاعر للطفيل:

فررت وأسلمت ابن أمك عامرا يلاعب أطراف الوشيج المزعزع

وقيل أربعة: أبو براء، والطفيل، وربيعة، وسلمى ـ أبو جبار بن سلمى الصحابي ـ وأمهم ليلى بنت عامر من بني عامر، وهي التي يعني لبيد بقوله بين يدي النعمان بن المنذر:

نحن بني أم البنين الأربعه الضاربون الهام تحت الخيضعه

وقال فيها ـ يعني الربيع بن زياد ـ:

مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه إن استه من برص ملمعه
فإنه يولج فيها أصبعه يدخله حتى يواري أشجعه

فرفع النعمان يده عن الطعام، فجعل الربيع يقول: كذب، أبيت اللعن، فقال النعمان:

قد قيل ما قيل إن صدقا وإن كذبا فما اعتذارك من قول إذا قيلا

وقيل: إنما قال لبيد: الأربعة، وهم خمسة، لأن أباه ربيعة كان قد مات.

وأهدى أبو براء هدية إلى النبيّ ﷺ فردها، وقال: «**لو قبلت هدية من مشرك لقبلت هدية هذا**»، **(وكلا البعثين)**: أي: بعث الرجيع وبعث بئر معونة.

الفرق بين السرية والبعث:

والفرق بين البعث والسرية أن البعث ما بعثه ﷺ، لا ليقاتل ـ كهذين البعثين ـ والسرية من بعثه ﷺ ليقاتل، كسرية عبيدة بن الحارث، وحمزة، وعبدالله بن جحش، وغيرهم من السرايا **(قد أرسلا ليرشدا في الدين)**.

❋ ❋ ❋

وعامر استنجد رعلا ذكوان عصية فأنجدوا ذا الْخسران
جرَّاء نَجل بنتهم طُعَيمَه وقد أتى ولَم تُعنه قومه

❖ **الشرح**: **(وعامر)** ابن الطفيل **(استنجد)**: استعان **(رعلا)** و **(ذكوان)** و **(عصية)**: ثلاث قُبَيِّلات من سليم، **(فأنجدوا)**: أعانوا **(ذا)** صاحب **(الْخسران)** هو عامر بن الطفيل.

يعني أن أبا براء قدم على النبيّ ﷺ، فعرض عليه النبِيُّ ﷺ الإسلامَ فلم يُسلم ولَم يبعد، وقال: يا محمد لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل

نجد، فدعوتهم إلى أمرك، رجوت أن يستجيبوا لك، فقال ﷺ: «**إني أخشى أهل نجد عليهم**»، قال أبو براء: أنا لهم جار.

استشهاد حرام بن ملحان رضي الله عنه:

فبعث ﷺ الْمنذرَ بن عمرو أخا بني ساعدة في أربعين أو سبعين - وهو الصحيح، كما في البخاري ومسلم - فساروا حتى نزلوا بئر معونة، فبعثوا حرام بن ملحان بكتاب النبيّ ﷺ، إلى عدو الله عامر بن الطفيل، فلما أتاه لم ينظر في الكتاب حتى عدا على الرجل فقتله، ثم استصرخ عليهم بني عامر فأبوا أن يجيبوه، وقالوا: لا نخفر أبا براء، فاستصرخ عليهم قبائل من سليم عصية ورعلا وذكوان فأجابوه إلى ذلك طلبا لثأر طعيمة بن عدي وكانوا أخواله وذلك معنى قوله: (**جراء**): أي: لأجل (**نجل بنتهم**) وهي فاختة بنت عباس أم (**طعيمة**) بن عدي، بدل من نجل، (**وقد أتى ولم تعنه قومه**)، وقادهم إليه أنس بن عباس، أخو فاختة، وفي ذلك يقول:

تركنا ابن ورقاء الخزاعي ثاويا ... بمعترك تسفي عليه الأعاصر
ذكرت أبا الزبان لما رأيته ... وأيقنت أني عند ذلك ثائر

وابن ورقاء الذي يذكر هو نافع بن بديل بن ورقاء، الذي يرثيه عبدالله بن رواحة بقوله:

رحم الله نافع بن بديل ... رحمة المبتغي ثواب الجهاد
صابرا صادق اللقاء إذا ما ... أكثر القوم قال قول السداد

وأسلم أنس بن عباس بعد ذلك.

استشهاد البعث رضي الله عنهم:

ثم خرجت هذه القبائل حتى غشوا القوم، فأحاطوا بهم في رحالهم،

فلما رأوهم أخذوا سيوفهم، فقاتلوهم حتى قُتلوا إلى آخرهم، وبقي كعب بن زيد أخو بني دينار بن النجار، فإنهم تركوه وبه رمق، فارتث من بين القتلى، فعاش حتى قُتل يوم الخندق شهيداً ﷺ.

وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ورجل آخر من الأنصار ـ قيل: هو المنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الْجلاح، وقيل الْحارث بن الصمة ـ فلم ينبئهما بِمصاب قومهما إلا الطيور تحوم حول العسكر، فقالا: إن لهذه الطيور لشأناً!، فأقبلا ينظران، فإذا القوم صرعى في دمائهم، والخيل التي أصابتهم عاكفة، فقال الأنصاري لعمرو بن أمية: ما ترى؟ قال: أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر، فقال الأنصاري: لكني ما كنت لأرغب عن موضع قُتل فيه المنذر بن عمرو بنفسي، ثم قاتل حتى قُتل ﷺ.

رجوع عمرو بن أمية الضمري ﷺ:

وأخذوا عمرو بن أمية أسيرا فلما أخبرهم أنه من مضر أخذه عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأعتقه عن رقبة زعم أنها على أمه، فخرج عمرو حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة، أقبل رجلان من بني عامر حتى نزلا معه في ظل هو فيه وكان مع العامريين عقد من رسول الله ﷺ ـ ولم يَعلم عمرو بالعقد ـ وسألهما: من أنتما؟ فقالا: من بني عامر، فأمهلهما حتى رقدا فقتلهما وهو يرى أنه أصاب بهما ثأرا فيما أصابت بنو عامر من أصحاب رسول الله ﷺ. فلما قدم عمرو، وأخبر رسول الله ﷺ خبره، قال ﷺ: «**لقد قتلت قتيلين لأدِيَنَّهما**»، ثم قال ﷺ: «**هذا عمل أبي براء قد كنت لهذا كارها متخوفا**»، فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه إخفار عامر إياه وما أصاب أصحابه ﷺ بسببه. قال حسان يحرض بني أبي براء على عامر:

بني أم البنين ألم يرعكم ... وأنتم من ذؤابة أهل نجد
تهكم عامر بأبي براء ... ليخفره وما خطأ كعمد
ألا أبلغ ربيعة ذا المساعي ... فما أحدثت في الحدثان بعدي

أبـوك أبـو الـحـروب أبـو بـراء وخـالـك مـاجـد حـكـم بـن سـعـد

فحمل ربيعة على عامر فطعنه فأشواه، ووقع عن فرسه، فقال: هذا عمل أبي براء، إنْ أنا مت فدمي لعمي فلا يتبعن به وإن أعش فسأرى رأيي. وقيل: إن حرام بن ملحان ارتث بين القوم يوم بئر معونة، فقال الضحاك بن سفيان الكلابي ـ وكان إذ ذاك مسلما يكتم إسلامه ـ لامرأة من قومه: هل لك في رجل إن صح كان نعم الراعي؟ فضمته إليها فعالجته، فسمعته يقول:

أتـت عـامـر تـرجـو الـهـوادة بـيـنـنـا وهـل عـامـر إلا عـدو مـداجـن

إلخ. . . فوثبوا عليه فقتلوه.

استشهاد عامر بن فهيرة ورفعه رضي الله عنه:

وقُتل يومئذ عامر بن فهيرة، قتله عامر بن الطفيل، وقيل: قتله جبار بن سلمى بن مالك بن جعفر، ابن عم عامر بن الطفيل، فلما طعنه قال: فُزت والله، ورُفع إلى السماء، فأسلم جبار لِما رأى مِن قتلِ عامر ورفْعِه. وقال ﷺ: «**إن الملائكة وارت جثته**».

ودعا ﷺ على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحا، يدعو على رعل وذكوان وعصية ولحيان، وعن أنس: أنزل الله فيهم قرآناً فقرأناه ثم نسخ بعدُ، ﴿**أن بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه**﴾. وكان الناظم ـ رحمه الله ـ سُئِلَ نظمَ بعث بئر معونة فلما نظمه نظم بعث الرجيع، ثُم نظم الغزوات.

❊ ❊ ❊

غزوة الغابة:

فـغـزوة الـغـابـة وهـي ذو قـرد خـرج فـي إثـر لـقـاحـه وجـد
ونـاشـهـم سـلـمـة بـن الأكـوع وهـو يـقـول: الـيـومُ يـومُ الـرضـع

وفــرض الْــهــادي لــه ســهــمــيــن لــسبقـه الْـخـيـل عـلـى الـرجـلـيـن

❖ **الشرح**: **(فغزوة الغابة)**: موضع بالحجاز قريب من المدينة، كانت لقاح النبيّ ﷺ عازبة به وكانت به ضيعة للزبير، ثم باعها ابنه عبدالله استعانة في قضاء دين الزبير **(وهي ذو قُرَدِ)** ـ كزُفَرٍ للقاموس، وبضمتين عند السهيلي ـ **(خرج)** ﷺ **(في إثر)** الشيء أي: بعده **(لقاحه)** ـ ككتاب ـ جمع لقوح للبون، أو الحديثة العهد بالنتاج **(وجد)**: أي: أسرع.

سلمة بن الأكوع رضي الله عنه:

(وناشهم): تناولهم **(سلمة بن الأكوع)** ـ وقيل ابن عمرو بن الأكوع ـ واسم الأكوع سنان بن عبدالله بن قشير بن خزيمة الأسلمي، يكنى أبا إياس، بايع تحت الشجرة، قيل إنه الذي كلَّمه الذئب، كان شجاعاً فاضلاً رامياً، روى عنه ابنه إياس ومولاه يزيد بن أبي عبيد، وقال إياس: ما كذب أبي قط، مات بالمدينة سنة أربع وسبعين. استلب يوم الغابة وحده قبل أن تلحق به الخيل من العدو ثلاثين بردة وثلاثين درقة، وقتل منهم بالنبل كثيراً، فكلما هربوا أدركهم، وكلما راموه فاتهم **(وهو يقول: اليوم يوم الرضع)**: جمع راضع، (وهو الذي رضع اللؤم من ثدي أمه، فصار سجية لا تفارقه، أو الذي يرضع ما بين أسنانه حرصاً على الشبع) وكان إذا رماهم يقول: خذها وأنا ابن الأكوع، واليوم يوم الرضع: أي: اللئام أي: يوم جبنهم.

فَرْضُهُ ﷺ سهمين لسلمة رضي الله عنه:

(وفرض): أعطى **(الهادي)**: النبيّ ﷺ **(له سهمين)**: حظين، تثنية سهم، وهو الحظ **(لسبقه)** أي: سلمة رضي الله عنه **(الخيل)**: أي: خيل الأعداء **(على الرجلين)**: أي: رجليه. يقول: لما رجع ﷺ من غزوة بني لحيان لم يقم بالمدينة إلا ليالي قلائل حتى أغار عيينة بن حصن ـ وقيل: حبيب بن عيينة، وقيل: عبدالرحمٰن بن عيينة ـ بن بدر، في خيل من غطفان ـ قيل أربعين ـ على لقاحه ﷺ بالغابة، وفيها رجل من غفار وامرأته، قيل: أبو

ذر، فقتلوا الرجل، وحملوا المرأة، واستاقوا الإبل، وعلى القول بأنه أبو ذر قَتلوا ابنه.

وكان سلمة بن الأكوع غدا يريد الغابة متوشحا قوسه ونبله، ومعه غلام لطلحة بن عبيدالله عنده فرس لطلحة يقوده، حتى إذا علا ثنية الوداع نظر إلى بعض خيولهم فأشرف على ناحية سلع، ثم صرخ: واصباحاه ثلاث مرات، أَسْمَعَ ما بين لابتيها، ثم خرج يشتد في إثر القوم حتى لحقهم، وكان إذا قال آخر النهار وأنا ابن الأكوع قالوا: أكويعنا أول النهار؟

وبلغه ﷺ صياح ابن الأكوع، فصرخ في المدينة: الفزع الفزَع، فكان أول من انتهى إليه ﷺ، من الفرسان المقداد بن عمرو، ثم عباد بن بشر، وسعد بن زيد الأشهلي، وعكاشة بن محصن، ومحرز بن نضلة، وأبو قتادة بن ربعي، وأبو عياش بن زيد بن الصامت، وأسيد بن حضير، فأَمَّرَهم عليهم سعد بن زيد، وقال له: «**اخرج في طلب القوم حتى ألحقك بالناس**»، وقيل: الذي أَمَّرَ عليهم المقداد، فخرج الفرسان حتى تلاحقوا بالناس، وأول من لحق منهم محرز بن نضلة الأسدي، وكان يقال له الأخرم، ويقال له قمير.

استشهاد قمير رضي الله عنه:

وحين الفزع جال فرس لِمحمد بن مسلمة في الحائط، إذ سمع صاهلة الْخيل، وكان فرسا صنيعا جاما، فقال نساء من بني عبدالأشهل - والفرس يجول بجذع نخل هو مربوط به -: يا قمير هل لك أن تركب هذا الفرس فإنه كما ترى ثم تلحق برسول الله ﷺ وبالمسلمين؟ قال: نعم، فأعطينَه إياه، فخرج عليه، فلم يلبث أن أدرك القوم، فوقف بين أيديهم، ثم قال لهم: قفوا يا معشر بني اللكيعة حتى يلحق بكم مَن وراءكم من المهاجرين والأنصار، فحمل عليه رجل منهم يقال له: أوبار فقتله، وجال الفرس، فلم يقدر عليه حتى وقف على أرية في بني عبدالأشهل.

ما فعل عكاشة هذا اليوم:

وحَمل عكاشة بن مِحصن على أوبار فقتله هو وابنه، وقَتل أبو قتادة حبيبَ بن عيينة بن حصن وغشاه ببرده، فمَرَّ عليه ﷺ وأصحابه، فاسترجع أصحابه، وقالوا: قُتِلَ أبو قتادة، فقال ﷺ: «**ليس بأبي قتادة ولكنه قتيل أبي قتادة وضع عليه بُرْدَهُ لتعرفوا أنه صاحبه**»، وقيل: إن قتيل أبي قتادة مسعدة الفزاري، وقيل: أيضاً امرأته، وحبيب بن عيينة إنَّما قتله الْمقداد هو وقرفة بن مالك بن حذيفة بن بدر ـ أمه أم قرفة فاطمة بنت زمعة بن بدر قتلها زيد بن حارثة بعد ذلك ـ وقيل: إن عكاشة أدرك أوباراً وابنه فانتظمهما برمح، وكانا على بعير، فقتلهما. فسار النبيّ ﷺ وتلاحق الناس حتى نزل بذي قرد، وأقام عليه يوما وليلة، وبعث إليه سعد بن عبادة بأحمال من تَمر وعشر جزائر.

واستنقذوا من ابن حصن عشرا   وقسم النبِيُّ فيهم جزرا

❖ **الشرح**: (**واستنقذوا**): أي: المسلمون: أي: استخلصوا (**من**) عيينة ـ أو ابنه حبيب أو ابنه عبدالرحمٰن، على الخلاف السابق ـ (**ابن حصن**).

بعض جفاء عيينة بن حصن:

وعيينة اسمه حذيفة، ولقب عيينة لشتر في عينه، وهو الذي قال فيه ﷺ: «**الأحمق المطاع**»، لأنه من الجرارين، تتبعه عشرة آلاف قناة، وقال فيه أيضاً: «**إن شر الناس من ودعه الناس اتقاء شره**»، وقال فيه أيضاً: «**إني أداريه لأني أخشى أن يفسد علي خلقاً كثيراً**»، وقال فيه: «**إنا لنبش في وجوه قوم وإن قلوبنا لتلعنهم**».

ودخل المسجد يوما ليبول وكشف ثيابه فبال فصاح به المسلمون، فقال ﷺ: «**لا تُزْرِمُوهُ**»، فأَمَرَ بِماء فَصُبَّ على البول، وكان أسلم ثم ارتد، وآمن بطليحة حين تنبأ، وأُخِذَ فأوتي به أبا بكر أسيراً، فمنَّ عليه، ولم يزل

مظهر الإسلام على جفوته، وحين أوتي به أبو بكر جعل الصبيان يقولون له: ويحك يا عدو الله ارتددت بعد إيمانك؟ فيقول: والله ما كنت آمنتُ.

ومن جفائه أنه دخل على النبيّ ﷺ بغير إذن، فلما دخل قال له ﷺ: «**أين الإذن؟**» قال: ما استأذنت على أحد من مضر قبلك، ثم التفت إلى عائشة، فقال: مَنْ هذه الحميراء التي معك يا محمد؟ قال: «**هي عائشة بنت أبي بكر**»، فقال: طلقها وأنزل لك عن أجمل منها: أُمِّ الْبَنِينَ بنت حذيفة بن بدر...وهذا من أمور كثيرة تذكر من جفائه.

ومنها أن عمرو بن معدي كرب نزل به ضيفا، فقال له عيينة: هل لك في الخمر نتنادم عليها؟ فقال عمرو: أو ليست محرمة في القرآن؟ فقال عيينة: إنما قال: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ فقلنا نحن: لا، فشربنا! ومن جفوته أنه دخل على عمر مع ابن أخيه الحر بن قيس، فقال: والله يا ابن الخطاب ما قسمت فينا بالعدل، ولا أعطيت بالجزل، فَهَمَّ به عمر ﷺ، فقال الحر: يا أمير المؤمنين: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾، فصفح عنه عمر ﷺ. (والحر هذا هو أبو عبدالله بن الحر القائل:

فإن تك أمي من نساء أفاءها ... جياد القنا والمرهفات الصفائح
فَتَبّاً لفضل الحر إن لم أنل به ... كرائم أولاد النساء الصرائح)

(عشرا) وكانت اللقاح عشرين، فاستنقذ الطلب عشراً، ونجا العدو بعشر، وقيل: استنقذوا جميعها **(وقسَّمَ النبيّ)** ﷺ **(فيهم جُزرَا)**: جمع جزور، كل مائة جزور، وهم خمسمائة أو سبعمائة.

❋ ❋ ❋

وأقبلت امرأة الغفاري ... قتيلِ نَهب إبل المختار
وهي على راحلة من ذي الإبل ... قد نذرت إهلاكها حين تصل

❖ **الشرح**: **(وأقبلت امرأة الغفاري)**: وهي امرأة أبي ذر الغفاري على قول مَن قال: إن الغفاري أبو ذر وإن المقتول ابنه، ولم يقل قائل: إن

القتيل أبو ذر، وكان أبو ذر أسلم بِمكة قديماً، واسمه جندب بن جنادة، وقيل في اسمه واسم أبيه غير هذا، وأمه رملة بنت ربيعة الغفارية، أسلمت هي وابنها أنيس وغيرهما من غفار على يد أبي ذر.

قصة إسلام أبي ذر رضي الله عنه:

وأول إسلام أبي ذر أنه لما بلغه مبعث النبيّ ﷺ قال لأخيه أنيس: اركب إلى هذا الوادي، فاعلم لي عِلْمَ هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء، واسمع من قوله، ثم ائتني، فانطلق الأخ حتى قدم عليه ﷺ وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذر، فقال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، ويقول كلاماً ليس بالشعر، فقال: ما شفيتني مما أردت.

فتزود وحمل شنة فيها ماء حتى قدم مكة فأتى المسجد، فالتمس النبيّ ﷺ ولا يعرفه، وكره أن يسأل عنه، حتى أدركه بعض الليل فاضطجع، فرآه علي فعرف أنه غريب، فلما رآه استتبعه، ولم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد، وظل ذلك اليوم لا يراه النبيّ ﷺ حتى أمسى، فعاد إلى مضجعه، فمر به علي أيضاً فقال: أما آنَ للرجل أن يعلم منزله؟ فأقامه فذهب به معه لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح، ففعل ما فعل أمس.

فلما كان اليوم الثالث غدا على مثل ذلك فقال له علي رضي الله عنه: ألا تحدثني ما الذي أقدمك؟ قال: إن أعطيتني عهدا وميثاقا لترشدني فعلت، ففعل علي، فأخبره خبره، فقال: إنه لحق، فهو رسول الله ﷺ فإذا أصبحت فاتبعني فإن رأيت شيئاً أخاف عليك منه قمت كأني أريق الماء أو كأني أصلح نعلي، فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي ففعل فانطلق يقفوه حتى دخل عليه ﷺ فسمع من قوله وأسلم مكانه، فقال له ﷺ: «**ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري**» ـ وفي رواية ـ: «**أخف عنا حتى نظهر فأتنا**» قال: والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم، فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا

رسول الله ﷺ، ثم قام القوم فضربوه حتى أضجعوه وأتى العباس فأكب عليه ثم قال: ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار، وهم في طريق تجارتكم إلى الشام؟ فأنقذه منهم، ثم عاد من الغد لمثلها، فضربوه وثاروا إليه، فأكب عليه العباس أيضاً.

ثم رجع أبو ذر إلى قومه، فأسلم أخوه الذي كان معه وأمه، وكثير من قومه، وتخلف عن بدر وأحد والخندق، ثم قدم وصحب النبيّ ﷺ إلى أن مات، وكان من أوعية العلم المبرزين في الزهد والورع وقول الحق، وقال فيه ﷺ: «**ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر**» وقال فيه أيضاً حين رآه بعدما تخلف عن غزوة تبوك يجول في السراب: «**كن أبا ذر**»، فقيل: هو أبو ذر، فقال: «**يرحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويُبعث وحده**». وسيأتي - إن شاء الله - بعض مناقبه وتمام حديثه في غزوة تبوك، **(قتيل نَهب)** غصب، نهب المال غصبه **(إبل المختار)**: أي: الذي قتله الذين غصبوا إبله ﷺ.

امرأة الغفاري ونذرها:

(وهي): أي: امرأة الغفاري - واسمها ليلى - **(على راحلة)**: ناقة **(من ذي الإبل قد نذرت إهلاكها)**: أي: نحرها **(حين تصل)** عليها، وحين جاءت على هذه الناقة قالت: يا رسول الله إني نذرت نحر هذه الناقة إن نجاني الله عليها، فتبسم ﷺ وقال: «**بئس ما جزيتيها أن حملك الله عليها ونجاك بها ثم تنحرينها إنه لا نذر في معصية ولا فيما لا تملكين إنما هي ناقة من إبلي فارجعي إلى أهلك على بركة الله**»، وقال ﷺ: «**لا نذر لأحد فيما لا يملك، ولا طلاقَ لأحد فيما لا يملك ولا عتق لأحد فيما لا يملك**» (واحتج بهذا الحديث بعض العلماء على أن لا طلاق إلا بعد النكاح ولو عين المطلقة).

وقال ﷺ، حين فرغوا من أمرهم: «**خير فرساننا اليوم أبو قتادة وخير رجالتنا اليوم سلمة بن الأكوع**».

ومما فعل بهم سلمة أنه حماهم من الماء، وخلفوا فرسين، فجاء بهما يسوقهما إلى النبيّ ﷺ، وقال: يا نبي الله قد حميت القوم من الماء وهم عطاش ولو سرحتني في مائة رجل لاستنقذت بقية السرح، وأخذت بأعناق القوم، فقال ﷺ: «**يا ابن الأكوع ملكت فأسجح**»، وقال: «**إنهم الآن ليُقْرَوْنَ في غطفان**»، فجاء رجل من غطفان، فقال: مروا الآن بفلان الغطفاني فنحر لهم جزورا، فلما أخذوا يكشطون جلدها رأوا غبرة وتركوها وخرجوا هراباً.

❋ ❋ ❋

ومَـرَّ فِـي طـريـقـه بـالْـمـالِـح	**بيسان ذي اللقب غير صالِح**
فـغـيَّـرَ اسْـمَـه وغـيَّـر الإلـه	**صـفـتَـه، وبـعـد ذلـك اشـتـراه**
طـلـحـة بـالـفـيـاض سَـمَّـاه الـنـبِـي	**إذ قـد تـصـدَّق بـه لـيـثـرب**

من معجزاته ﷺ:

❖ **الشرح**: (**ومر**) ﷺ (**في طريقه بالمالح بيسان**) بدل من بالمالح (**ذي اللقب غير صالح**). يعني أنه ﷺ مَرَّ ببئر في هذه الغزوة، فسأل عن اسمها؟ فقالوا: بيسان، وهو مالح، (**فغير**) ﷺ (**اسمه**) بأن قال: «**نعمان وهو طيب**»، (**وغير الإله صفته**): أي: صارت البئر كما قال ﷺ: «**أي اسمها نعمان وماؤها طيب**، (**وبعد ذلك اشتراه**): أي: نعمان (**طلحة**) بن عبيدالله، فتصدق بها على أهل المدينة، ونحر جزورا وأطعمها، فقال له ﷺ: «**أنت الفياض**»، فصار له لقبا، وكان ﷺ لا يجارى في الجود، ولذلك قال: (**بالفياض**): الكثير العطاء، مشتق من الوادي الفياض الكثير السيل (**سماه النبيّ**) ﷺ (**إذ قد تصدق به ليثرب**): أي: لأهل يثرب، وهي المدينة، وقال ﷺ أيضاً: «**من أحبَّ أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيدالله**»، وتقدم نسبه وبعض مناقبه في بدر، وتقدم أيضاً ثبوته في أحد، واتقاؤه النبل عنه ﷺ وأن له المقام المحمود يومئذ وشل النبل يده، وفي الحديث أنه قال حين أصاب النبل يده: حَسِّ،

فقال ﷺ: «**لو أنه قال بسم الله الرحمٰن الرحيم ـ** يعني مكان حس ـ **لدخل الجنة والناس ينظرون**».

وحَسِّ كلمة تقولها العرب عند وجود الألم، وليس بفعل ولا اسم ولا بمنزلة «**صه**» و«**مه**» و«**رويد**» لأنها أسماء سمي بها الفعل، وإنما حس صوت كالأنين الذي يخرجه المتألم نحو «**آه**»، ونحو قول الغراب: غاق.

وأمر هارون الرشيد بضرب بشار بن برد بالسياط، لحدث أحدثه فجعل إذا ضرب يقول: حس، فقيل للرشيد: ألا تسمع يا أمير المؤمنين عدو الله يقول: حس، ولم يحمد الله على دفع ما هو أعظم؟ فقال بشار بن برد: أثريد هو أحمد الله عليه؟!

استشهاد طلحة رضي الله عنه:

وطلحة هو أحد الستة أصحاب الشورى وجعل أمره إلى عثمان وشهد الجمل مع أمنا عائشة والزبير فذكره علي كلاما فانصرف ـ كما صنع بالزبير ـ ورآه مروان رافعاً يديه، وهو يقول: اللّٰهم إن كنت تعلم أنا لسنا على الحق في هذا الأمر فاقبضني إليك، فرماه وأصاب ركبته ـ وقيل: ثغرة نحره ـ فقال طلحة: دعوه إنَّما أرسله الله إلَيَّ.

ودُفن إلى جانب نهر، فرآه مولى له بعد ثلاث، وهو يشكو البرد والغرق وهو يقول: ألا تخرجونني من هذا الماء؟ فنبشوه فوجدوا جسده قد اخضر، وإذا ما يلي الأرض من جسده ولِحيته قد أكلته، فاشتروا له دارا من دور آل أبي بكر بعشرة آلاف درهم فدفنوه فيها وقُتل رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وستين سنة، وقيل غير ذلك.

فاستطرد بذكر الفياض مَن كان من الأجواد في الإسلام يسمى طلحة، فقال:

الطلحات:

فالطلحات خَمسة سوى العلم ... فطلحة الْجود ابن عمه الْخضم
وطلحة الْخير وطلحة الندى ... إلى الْحسين وابن عوف أسندا
وطلحة الدراهم العتيق ... جد أبيه بالعلا حقيق

❖ **الشرح**: **(فالطلحات خمسة سوى العلم)**: سيد القوم، والمراد به الفياض.

طلحة الْجود:

(فطلحة الجود): هو ابن عُمر ـ بضم العين عند محمد بن عبدالباقي الزرقاني ـ ابن عبيدالله الصحابي بن معمر بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، وعبيدالله الصحابي ابن عم طلحة بن عبيدالله، وذلك معنى قوله **(ابن عمه الخضم)** كخدب: السيد الحمول المعطاء. وعمر بن عبيدالله من الأجواد والشجعان، ولِي الولايات العظام، كثير المناقب والممادح منها قول الشاعر:

عليك سلام لا زيارة بيننا ... ولا وصل إلا أن يشاء ابن معمر

وأبوه عبيدالله من الصحابة، شهد الفتوحات مع ابن عامر، واستشهد بإصطخر، وهو ابن أربعين سنة، ومات عمر عند عبدالملك بدمشق، وأم طلحة الجود رملة بنت عبدالله بن خلف، أخت طلحة الطلحات، وأم أبيه عمر فاطمة بنت طلحة بن أبي طلحة العبدري.

طلحة الْخير وطلحة الندى:

(وطلحة الخير): هو ابن السبط الحسين بن علي، كرم الله وجهه **(وطلحة الندى)**: هو ابن عبدالله بن عوف، ابن أخي سيدنا عبدالرحمٰن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة، أمه فاطمة بنت مطيع

العدوية وكان من سراة قريش روي عنه الحديث، وكان هو وخارجة بن زيد بن ثابت في زمانِهما يُسْتَفْتَيَانِ، وينتهي الناس إلى قولهما، ويقسمان المواريث بين أهلها، ويكتبان المواثيق للناس بغير جُعْلٍ، وأبوه عبدالله بن عوف من مسلمة الفتح ولم يهاجر.

ورد عليهما باللف والنشر فقال **(إلى الحسين)** راجع إلى طلحة الخير، والصواب الحسن، لا الحسين لأن الحسن هو المنازع ليزيد بن معاوية في أم إسحاق بنت طلحة بن عبيدالله حين زوجها إسحاق بالمدينة لسيدنا الحسن، وزوجها عيسى ـ وليس بشقيقها ـ ليزيد، وجُهل السابق منهما، فأمر معاوية يزيد أن يعرض عنها ففعل، وبقيت في نفس يزيد على إسحاق موجدة، وكان معاوية خطبها عنده بالشام، فقال له: إن قدمتُ المدينة فابعث إليَّ رسولاً أزوجها، فلما قدم المدينة زوجها من الحسن، ثم أمر يزيد أميره على جيش الحرة مجرم بن عقبة بقتل إسحاق فلم يجده وهدم داره، وبقيت للحسن فأولدها طلحةَ الخير، ثم خلف عليها الحسين، فأولدها فاطمةَ زوجَ الحسن المثنى، وخلف عليها المطرف، ثم خلف على أم إسحاق عبدالله بن محمد بن عبدالرحمٰن بن أبي بكر فولدت له آمنة. (ومن قصة أم إسحاق استنبط الفقهاء مسألة ذات الوليين). **(وابن عوف)** راجع لطلحة الندى بن عبدالله بن عوف **(أسندا)**: أي: نسبا.

طلحة الدراهم:

(وطلحة الدراهم) هو ابن عبدالله بن عبدالرحمٰن بن أبي بكر ﷺ، وذلك معنى قوله: **(العتيق)**: هو أبو بكر، سمي بذلك لأنه عتيق من النار **(جد أبيه بالعلا)**: وهو العلو في المكارم **(حقيق)**: بكذا جدير به.

❊ ❊ ❊

خامسها طلحتها الْخزاعي ... أجودهم كُلاّ بلا نزاع

فِي سنة وهب ألف جاريه ... فأولدت عفاته جواريه

ألف غلام باسمه سَمى الإما ... أبناءهم لِمثلها فهيئما!

طلحة الخزاعي:

❖ **الشرح**: **(خامسها)**: أي: الطلحات **(طلحتها)**: أي: الطلحات: أي جماعتهم **(الخزاعي)**: وهو طلحة بن عبدالله بن خلف بن أسعد بن بياضة الخزاعي، حلفاء قريش، أبوه صحابي، وأمه صفية بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة العبدري، وهي أيضاً أم أخته رملة.

(أجودهم): أي: الطلحات، وسمي طلحة الطلحات لأنه أجودهم **(كلا)**: أي: جميعهم **(بلا نزاع)**: أي: منازعة: أي مخالفة: أي لا ينازعونه في الجود.

هذا كلام صاحب كتاب الغرر، وذكر حماد أن الناظم ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ كان يشفق على نفسه من تفضيله في الجود على ابن السبط.

وقوله: **(كلا)** يعني غير الفياض، فلا كلام عليه إذ ليسوا من أقرانه، وقيل سمي بالطلحات لطلحات جواريه التي أولدهن **(عفاته)**: أي: زواره، والعافي الزائر، **(في سنة)** واحدة **(وهب ألف جاريه فأولدت عفاته جواريه)**: جمع جارية **(ألف غلام باسمه)**: أي: طلحة الخزاعي **(سَمى الإماء)**: جمع أمة **(أبناءهم)** أي: العفاة **(لمثلها)**: أي: هذه الْهبة **(فهيئما)**: أي: عجبا لمثل هذه العطية في الكثرة والبركة، وفيه قيل:

رحـــم الله أعــظـــمــا دفــنــوهــا   بــسـجـسـتـان طـلـحـة الـطـلـحـات

يعني أن من الأجواد في الإسلام هؤلاء الستة المترادفة في الأسماء، وذكر أنسابَهم وألقابَهم الحسنة، وبقي عليه ما بينهم من القرابة من جهة الأمهات، إذ لم يذكر أمهاتِهم؛ أما طلحة الفياض فأمه الصعبة بنت الحضرمي، وهو جد لطلحة الخير من أم إسحاق، ولطلحة الدراهم من عائشة بنت طلحة، وكان عبدالله بن عبدالرحمٰن أبا عذرها، فولدت له أبا بكر وعمران وطلحة هذا، وعبدالرحمٰن ونفيسة ـ تزوجها الوليد بن عبدالملك ـ وأم عائشة وأخيها زكرياء: أم كلثوم بنت أبي بكر، وخلف عليها بعد طلحة بن عبيدالله عبدالرحمٰن الأحول بن عبدالله بن أبي ربيعة،

أخو الشاعر عمر، فولدت له، وأمُّ أمِّ كلثوم بنت أبي بكر حبيبةُ بنت خارجة بن زيد. ولطلحة الدراهم يقول الحزين الدؤلي:

فإن تك يا طلح أعطيتني ... عذافرة تستحق الضفارا
فما كان نفعك لي مرة ... ولا مرتين ولكن مرارا
أبوك الذي صدَّق المصطفى ... وسار مع المصطفى حيث سارا
وأمك بيضاء تيمية ... إذا انتسب الناس كانت نضارا

وكان لقيه يوماً، فقال له: ادخل السوق فاختر عشر قلائص، ففعل الحزين، فاشتراها له طلحة من أربابها.

وأم طلحة الجود تقدم قريبا أنها رملة بنت عبدالله بن خلف وأنها أخت طلحة الطلحات، وأمهما صفية بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة، كما تقدم قريباً أيضاً، ثم تزوج عائشة بنت طلحة - بعد عبدالله بن عبدالرحمٰن - مصعب بن الزبير، وهي وسكينة بنت الحسين عقيلتا قريش اللتان سأل مصعبٌ اللهَ أن يجمعهما له.

❊ ❊ ❊

وبعدها انتهبها الأولى انتهوا ... لغاية الْجهد وطيبة اجتووا
فخرجوا وشربوا ألبانَها ... ونبذوا إذ سَمنوا أمانَها
واقتص منهم النبِي أن مثَّلوا ... بعبده ومقلتيه سَملوا

قصة العرنيين:

❖ **الشرح**: **(وبعدها)**: أي: غزوة الغابة **(انتهبها)**: أي: أخذها واغتصبها أي لقاحه ﷺ **(الأولى)** الذين **(انتهوا)**: أي: بلغوا **(لغاية الجهد)**: المشقة **(وطيبة)** من أسماء المدينة **(اجتووا)**ها: كرهوها ولم توافقهم، وهم النفر الثمانية العكليون - كما في البخاري بسنده إلى أنس، أوالعرنيون أو منهما كما في غيره - وكانوا قدموا المدينة وأسلموا فاجتووا المدينة وقالوا:

يا رسول الله ابغ لنا رسلاً، فقال: «**اخرجوا إلى لقاح لنا بفيفاء الخيار من وراء الحمى**» ـ وفي رواية ـ: «**لو خرجتم إلى ذود لنا فشربتم من ألبانها وأبوالها**» فخرجوا فلما صحوا وسمنوا كفروا بعد إسلامهم، وقتلوا راعي رسول الله ﷺ يساراً، وساقوا الذود وهربوا محاربين.

وذلك معنى قوله (**فخرجوا وشربوا ألبانها**): أي: لقاحه ﷺ (**ونبذوا**): ألقوا ورموا (**إذ سمنوا أمانها**): أي: اللقاح، فبعث النبيّ ﷺ سرية في آثارهم أمر عليها سعيد بن زيد، وقيل بعث في آثارهم عشرين فارسا استعمل عليها كرز بن جابر الفهري، وهو الذي أغار على سرح المدينة قبل أن يسلم، فهداه الله للإسلام، واستشهد يوم الفتح ﷺ، وتقدم نسبه وخبره في غزوة بدر الأولى، فما ترجَّل النهار حتى أتوا بهم، فقطع أيديهم وأرجلهم، ثم أمر بمسامير فأحميت فكحلهم بها وطرحهم في الحرة يستسقون ولا يسقون حتى ماتوا، وأشار بقوله:

اقتصاصه ﷺ منهم:

(**واقتص**) افتعل من القصاص (**منهم النبيّ أن مثلوا**): نكلوا (**بعبده**) يسار (**ومقلتيه سلموا**): فقئوا عينيه. وكانت اللقاح خمس عشرة غزارا، فردوها إلى المدينة ففقد ﷺ منها لقحة تدعى «**الحنا**» فسأل عنها فقيل نحروها. وذكروا أن النبيّ ﷺ، نهى بعد ذلك عن المثلة للآية التي في سورة المائدة ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ. . .﴾ الآية، وقيل: نزلت قبل ذلك، وإنما فعله بهؤلاء قصاصاً لأنهم سملوا عيني الراعي وقطعوا يديه ورجليه.

فإن قيل: لِمَ تركهم يستسقون ولا يُسقون حتى ماتوا عطشاً؟ قلنا: عطشهم لأنهم عطشوا أهل بيت النبيّ ﷺ تلك الليلة، وروي أنه لما بقي هو وأهل بيته تلك الليلة بلا لبن ـ وكانوا يؤتون كل ليلة بقربتي لبن ـ قال: «**اللّهم عطش من عطش أهل بيت نبيك**».

قوله: (**بعبده**) انظر هل هو يسار الذي وقع في سهمه في غنائم

سليم، وأعتقه حين رآه يصلي أو هو يسار آخر؟ والنفر مثلوا بجماعة فيها عبده. هذا أو مثله كما في عيون الأثر.

❊ ❊ ❊

غزوة المريسيع:

ثُم الْمريسيع أو الْمصطلق كلاهما على الغزاة يُطلق
لَم ينفلت منهم أنيس وسبى غير رجال عشرة قد نَهبا
أعمارهم، وسُبيت جويريه ووُهِبَ السبْيُ لَها لتدريه

❖ **الشرح**: **(ثم المريسيع)**: ماء، أصله من رسعت العين إذا دمعت، **(أو المصطلق)**: لقب جد هذه القبيلة، واسمه خزيمة بن كعب بن خزاعة، **(كلاهما)**: الاسمين **(على)** هذه **(الغزاة)**: أي: الغزوة (فألقيت حركة الواو على ما قبلها، وأبدلت الواو ألفاً) **(يطلق)** أي: يصدق. يقول: ثم بعد غزوة الغابة، غزا بني المصطلق، سنة ست في شعبان، عند ابن إسحاق، وعند غيره سنة خمس لليلتين خلتا من شعبان قبل الخندق، ويؤيد هذا الثاني حديث الإفك عن عائشة أن رسول الله ﷺ، لما خطب على المنبر فقال: «**يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهل بيتي إلا خيراً ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهل بيتي إلا معي؟**» فقام سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله أنا أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من الخزرج إن أمرتنا فعلنا أمرك، فقام سعد بن عبادة ـ وهو سيد الخزرج، قالت عائشة: وكان رجلاً صالحاً قبل ذلك ولكن احتملته الحمية ـ فقال لسعد كذبت لعمر الله والله لا تقتله ولا تقدر على قتله، فقال أسيد بن حضير لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فتثاور الحيان حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله ﷺ على المنبر، فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا وسكت.

فعلى هذه الرواية هي قبل الخندق، لأن سعد بن معاذ ﷺ، تقدم أنه

جُرح في الخندق، ومات منه حين انقضاء حصار بني قريظة. والرجل الذي يعني ﷺ هو صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني، يكنى أبا عمرو، وكان يكون على ساقية العسكر يلتقط ما يسقط من متاع المسلمين فيأتيهم به، وروي في تخلفه سبب آخر: وهو أنه كان ثقيل النوم لا يستيقظ حتى يرتحل الناس، ويشهد لصحة هذا أن امرأة صفوان شكته إلى النبيّ ﷺ وذكرت له أشياء منها أنه لا يصلي الصبح، وقال صفوان: إني امرؤ ثقيل الرأس لا أستيقظ حتى تطلع الشمس، فقال عليه الصلاة والسلام: «**إذا استيقظت فصل**». وقتل صفوان هذا شهيداً في خلافة معاوية، واندقت رجله، فأخذها فقاتل بها حتى مات.

جويرية رضي الله عنها:

(**لم ينفلت**): لم ينج، ولم يفته (**منهم أنيس، وسبى**) الرجال: أي: أسرهم، والنساء والصبيان ملكهم، ويقال لهم السبي ولا يقال للرجال (**غير رجال عشرة قد نهبا أعمارهم**): أي: قتلهم (**وسبيت جويرية**): هي أمنا بنت قائد جيش بني المصطلق الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك بن خزيمة المصطلق، وكانت عند مسافع بن صفوان الخزاعي ـ قبل أن تسبى ـ وكان اسمها برة، فسماها رسول الله ﷺ جويرية كما فعل بغيرها ممن اسمها برة، وكانت وقعت في سهم ثابت بن قيس ثم جاءت تستعين في كتابتها، قالت عائشة وكانت مليحة جميلة: فوالله ما هي إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها.

(قال حماد: انظر ما كان عليه أزواجه ﷺ من الغيرة والعلم بموقع الجمال منه ﷺ)، كما روي أنه ﷺ خطب امرأة، فبعث عائشة لتنظر إليها، فلما رجعت إليه قالت: ما رأيت طائلاً فقال: «**بلى لقد رأيت خالا في خدها اقشعرت منه كل شعرة في جسدك**»

وأما نظره لجويرية حتى عرف من حسنها ما عرف، فإنها حينئذ مملوكة، ولو كانت حرة ما ملأ عينيه منها ـ لأنه لا يُكْرَه النظر إلى الإماء ـ

ويجوز أن يكون نظر إليها لكونه نوى نكاحها، وذلك مرخص فيه عند إرادة النكاح فقال لجويرية، حين جاءت تستعين في كتابتها: «**هل لك في غير ذلك أن أعتقك ثم أتزوجك؟**» فرضيت، فاشتراها النبيّ ﷺ وأعتقها فتزوجها، فجعل الناس يرسلون سبايا بني المصطلق، وكانوا مائة بيت - وقيل مائتا بيت - وأرسلوا كلهم، وذلك معنى قوله:

(**ووهب السبيَ لَها**) - بالبناء للفاعل -: أي: وهبه لها ﷺ، وبالبناء للمفعول: أي: وهبه لَها المسلمون لما كانت من أمهاتهم (**لتدريه**) تتميم لا غير. توفيت رضي الله عنها في شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين، في آخر خلافة معاوية.

وكان مع المسلمين في هذه الغزوة ثلاثون فرساً: عشرون للأنصار، وعشرة للمهاجرين، وغاب ﷺ ثمانية وعشرين يوماً عن المدينة، وقدمها لهلال رمضان.

❊ ❊ ❊

وأسلموا بعدُ وفيمن فُسِّقَا	**أرسله الهادي لَهم مُصَدِّقا**
إن جاءكم فاسق أنزل وهم	**خزاعة مصطلق جدٌّ لَّهم**

إسلام بني المصطلق:

❖ **الشرح**: (**وأسلموا**) أي: بنو المصطلق كلهم (**بعدُ**): أي: بعد أن أُسِرُوا وأعتقوا لصهارته ﷺ ثم بعد ذلك بعامين أو أزيد بعث إليهم الوليدَ بنَ عقبة بنِ أبي معيط مُصَّدِّقاً - بإدغام التاء في الصاد - أي ليأخذ منهم الصدقة، فخرجوا للقائه، فتوهم أنهم خرجوا لقتاله، ففر منهم راجعا، فهم النبيّ ﷺ بقتالهم حين أخبره الوليد بظنه، فأنزل الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾. الآية، وذلك معنى قوله:

(**وفيمن**): شخص، والمراد به الوليد بن عقبة (**فُسِّقَا**) - بالبناء للمفعول

ـ متعلق بأنزل: أي فَسَّقَهُ الله تعالى بقوله: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ﴾ . . . الآية **(أرسله الهادي)** ﷺ **(لهم)**: أي: بني المصطلق **(مصَّدِّقاً)** أي: ليأخذ منهم الصدقة، وجملة أرسله الهادي حالية، **(إن جاءكم فاسق أنزل وهم خزاعة مصطلق جد لهم)**: واسمه خزيمة بن كعب بن خزاعة، كما تقدم قريبا، قوله:

الوليد بن عقبة:

(وفيمن فسقا) هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، يكنى أبا وهب، وهو من فتيان بني أمية شعرا وسخاء وفصاحة، ومن سخائه ما أعان به لبيد بن ربيعة، وكانت للبيد ريح يطعم عند مهبها فهبت يوماً، والوليد في ناديه، فقال: هبت ريح أبي عقيل ـ يعني لبيداً ـ فأيكم يعينه؟ فأنا أعينه بمائة بكرة سوداء. وفي ذلك تقول بنت لبيد تشكر للوليد صنيعه:

إذا هبت رياح أبي عقيل ... دعونا عند هبتها الوليدا
طويل الباع أبيض عبشميا ... أعان على مروءته لبيدا
بأمثال الجبال كأن ركبا ... عليها من بني حام قعودا
أبا وهب جزاك الله خيرا ... نحرناها وأطعمنا الثر يدا
فَعُدْ إن الكريم له معاد ... وظني بابن عقبة أن يعودا

وروي: (وظني بابن أروى أن يعودا)، وأروى أمه، وهي بنت كريز ـ كزبير ـ بن حبيب بن عبد شمس، وأمها أم حكيم البيضاء توأمة عبدالله بن عبد المطلب، وأخوه لأمه سيدنا عثمان بن عفان ﷺ كان عنده يوماً فدخل الحكم بن أبي العاص ـ والحكم عم عثمان ـ فوجد الوليد جالساً مع عثمان على السرير، فأنزله عثمان عن الحكم، فأطرق الوليد حتى خرج الحكم، فرفع رأسه وقال:

رأيت لعم المرء زلفى قرابة ... دوين أخيه حادثا لم يكن قدما

فأملت عمرا أن أشيب وخالدا لكي يدعواني يوم مرحمة عما

فرق له عثمان وقال: اذهب فقد وليتك الكوفة، ويعني بعمرو وخالد ابني عثمان، فلم يزل على الكوفة إلى أن شكاه أهل الكوفة إلى عثمان بأنه شرب الخمر، وصلى بهم الصبح ثماني ركعات، ثم التفت إليهم وقال: أزيدكم؟ فعزله عثمان عن الكوفة، وجلده في الخمر، وهاب الناس جلده، فقام إليه علي فجلده أربعين جلدة بعصا في رأسها سيران، فقال لتدعني قريش جلاداً بعد ذا، واستعمل على الكوفة مكان الوليد سعيد بن أبي العاص فشكاه أهل الكوفة أيضاً إليه فقالوا: لا حاجة لنا في وليدك ولا في سعيدك وقالوا:

يا ويلنا قد ذهب الوليد وجاءنا من بعده سعيد
ينقص في المد ولا يزيد

وكان سعد بن أبي وقاص ﷺ على الكوفة قبل الوليد، فلما قدم عليه بالكتاب قال: لا ندري أَكِسْتَ بعدنا أم حمقنا؟ فقال الوليد: مهلاً يا أبا إسحاق إنه الملك يتغداه قوم، ويتعشاه آخرون، فقال سعد: ما زلتم به حتى جعلتموه ملكاً!. وسمع الوليد بحصار عثمان، فقدم المدينة، فلما كان بالبلاط لقي غلاما لعثمان يقال له نجاد، فأخبره بقتلِ عثمان ﷺ، فقال يبكيه:

طال ليلي وملني عوادي وتجافى عن الضلوع مهادي
يوم لاقيت بالبلاط نجادا ليتني مت قبل يوم نجاد

ومما قال فيه:

بني هاشم إنا وما كان بيننا كصدع الصفا لايرأب الدهر شاعبه
بني هاشم أمكيف للعذر عندنا وعند علي سيفه ونجائبه

إلخ، وقال أيضاً يؤنب معاوية:

ألا أبلغ معاوية بن صخر فإنك من أخي ثقة حليم

لـك الـخـيـرات فـاحـمـلـنـا عـلـيـهـا   فـإنــك طـالــب الـتـرة الـغـشـوم

ثم قدم معاوية الكوفة بعد ذلك فَلما صعد المنبر قال: أين أبو وهب؟ فقام إليه الوليد، فاستنشده الأبيات، فلما فرغ من إنشادها قال معاوية:

ومستعجل مما يرى من أناتنا   ولو زبنته الحرب لم يترمرم

أي: لو دفعته الحرب لم يتحرك، كأن معاوية يعرض بأن الوليد لا غناء عنده، فغضب الوليد فخرج من الكوفة إلى الرقة ومات بها.

❊ ❊ ❊

وأفزعت رِيحٌ خيارَ النات   فقال: لا بأس بِموت عات
فوجدوا كهف الْمنافقينا   رفاعةً يومئذ دفينا
وهو النفاق في الشيوخ لا الشباب   والْخير كل الخير في عصر الشباب

موت كهف الْمنافقين:

❖ **الشرح**: **(وأفزعت)**: أذعرت **(ريح خيار النات)**: أي: الناس، وخيارهم الصحابة، رضوان الله عليهم، **(فقال)** النبيّ ﷺ: **(لا بأس بموت عات)**: مجاوزِ الحدَّ متكبر، **(فوجدوا)**: أي: المسلمون **(كهف)** وزر وملجأ **(المنافقينا رفاعة)** بن زيد بن التابوت اليهودي القينقاعي، وكان كهف بني قينقاع.

يعني أنهم لما راحوا من ثاني يوم الواردة ـ الآتي ذكرها إن شاء الله تعالى ـ هبت عليهم ريح شديدة آذتهم وتخوفوها، فقال النبيّ ﷺ: «**لا تخافوها فإنها هبت لموت عظيم من عظماء الكفار**»، فلما قدموا المدينة، وجدوا رفاعة هذا قد مات. ومِمن كان معه على النفاق من أحبار بني قينقاع، مِمَّن أظهر الإسلام وهو منافقٌ: سعد بن حنيف، ونعمان بن أوفى بن عمرو، وأخوه عثمان بن أوفى، ورافع بن حرملة، وزيد بن اللصيت، وهو الذي قال حين ضلت ناقته ﷺ في غزوة تبوك: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء...الحديث، ويأتي إن شاء الله في غزوة تبوك. ولم

ينافق شاب من اليهود ولا من الأنصار إلا قيس بن عمرو بن سهل النجاري، وذلك معنى قوله:

مُعْظَمُ المنافقين من الشيوخ:

(وهو النفاق): و**(هو)**: ضمير الشأن، أو ضمير يعود على النفاق، والتقدير: وهو أي: النفاق **(في الشيوخ)** ـ بالضم والكسر ـ جمع شيخ، وهو من استبانت فيه السن أو من بلغ خمسين أو إحدى وخمسين إلى آخر العمر، أو إلى الثمانين **(لا الشباب)**: جمع شاب **(والخير كل الخير في عصر)**: مدة **(الشباب)** حداثة السن: أي: الفتاء.

❊ ❊ ❊

ووردت واردةُ العرمرم فافتتن الورَّادُ في المزدحم
واستصرخ الأنصارَ فارطٌ لَهم لطمه مَن ناله معروفُهم
واستصرخ المهاجرين الَّذ كسر عصا النبِي جهجاهُ عاملُ عمر

ما وقع بين الواردة:

❖ **الشرح**: **(ووردت واردة)**: قوم يردون الماء **(العرمرم)**: الجيش الكثير ـ وتقدم ـ **(فافتتن)**: اقتتل **(الوُرَّادُ)**: جمع وارد **(في المزدحم)**: موضع الازدحام، وهو التضايق على الماء.

(واستصرخ): استغاث **(الأنصار فارط)**: متقدم القوم إلى الماء، وفي الحديث: «**أنا فرطكم على الحوض**»، **(لهم لطمه)**: ضربه بالكف مبسوطة **(من ناله)**: أصابه **(معروفهم)**: ضد المنكر.

(واستصرخ المهاجرين الَّذ): بسكون الذال لغة في الذي **(كسر عصى النبيّ جهجاه)**: بدل من الذي **(عامل عمر)** ـ ويقال فيه جهجا بحذف الهاء ـ هو ابن مسعود بن سعد بن حرام الغفاري، روى عن النبيّ ﷺ: «**المؤمن يأكل في معىً واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء**»، وروي أنه صاحب قصة

هذا الحديث وقيل: بل صاحبها ثمامة بن أثال الحنفي وقيل غيرهما. وجهجاه هذا هو الذي جاء، وعثمان ﷺ يخطب، وبيده عصى النبيّ ﷺ، فأخذها منه، وكسرها على ركبته اليمنى فدخلت فيها شظية منها فبقي الجرح وأصابته الأكلة ـ وشُدَّتْ العصا وكانت مضبئة ـ ومات من تلك الأكلة. نسأل الله العافية، ونعوذ بالله من العقوبة.

يعني أنهم لما هزموا العدو أوردوا واردتهم، وكان في واردة المهاجرين جهجاه هذا، يقود فرس عمر بن الخطاب ﷺ، وكان رجلاً لعاباً فكسع الأنصاري، فغضب الأنصاري غضباً شديداً من كسعة جهجاه إياه ـ وجهجاه إنَّما كان يمازحه ـ فتداعيا، فقال الأنصاري ـ وهو سنان بن وبرة ـ: يا لَلأنصار، وقال المهاجري ـ وهو جهجاه ـ: يا للمهاجرين.

نَهْيه ﷺ عن دعوى الْجاهلية:

فخرج ﷺ فقال: «**ما بال دعوى الجاهلية؟**» ثم قال: «**ما شأنهم؟**» فأخبر بكسعة المهاجري للأنصاري، فقال ﷺ: «**دعوها فإنها خبيثة ـ** وفي رواية **ـ منتنة**» فأنكرها ﷺ لأنها من أخلاق الجاهلية، فجعل الله المؤمنين حزباً واحداً إخوة، فدعوتهم: يا لَلمسلمين.

حكم من دعا بدعوى الْجاهلية في الإسلام:

فمن دعا في الإسلام بدعوى الْجاهلية ففيه للفقهاء ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يجلد من استجاب لها بالسلاح خمسين سوطاً، اقتداء بأبي موسى الأشعري في جلده النابغة الجعدي خمسين سوطاً، حين سمع يا لَعامر، فأقبل يشتد بعصية له.

الثاني: أن فيها الجلد دون العشرة، لنهيه عليه الصلاة والسلام أن يجلد أحد فوق العشرة إلا في حد.

الثالث: اجتهاد الإمام في ذلك، إما بالوعيد أو بالسجن أو بالجلد.

فإن قيل: لَمْ يعاقب النبيّ ﷺ الرجلين حين دعيا بها، قلنا قد قال: «**دعوها فإنها منتنة**»، فقد أكد النهي، وبوصفه ﷺ لها بالإنتان وجب أن يؤدب حتى يشم نتنها، كما فعل أبو موسى بالجعدي. قوله: (**من ناله معروفهم**) هو من كلام ابن أُبَيٍّ وأصحابه حين قال: سمن كلبك يأكلك، وهذه الكلمة من جملة المنكر الذي قاله ابن أُبَيٍّ الآتي ذكره، إن شاء الله تعالى.

❁ ❁ ❁

وقـال فـيـهـا ابـن أُبَـيٍّ مـنـكـرا ... وعـاه زيـد مـوقـنـا ومـا امـتـرى

فـحـلـف الـفـاجـر مـا قـال الْـمـقـال ... وصـدقـتـه لـلـمـكـانـة رجـال

مقالة رئيس الْمنافقين الْمنكرة:

❖ **الشرح**: (**وقال فيها**): أي: مقالته الواردة، أو الغزوة (**ابن أُبَيٍّ**): تقدم ذكره (**منكرا**): ما ينكره السمع، وهو قوله: والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، يعني بالأعز نفسه، وبالأذل النبيَّ ﷺ حاشاه.

ثُم التفت إلى من حضر من قومه فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسَمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم.

إبلاغ زيدِ بن أرقم الْمقالةَ له ﷺ:

فسمع ذلك زيد بن أرقم، فمشى إلى النبيّ ﷺ فأخبره، وعنده عمر رضي الله عنه فقال: مُرْ به عباد بن بشر فليقتله، فقال النبيّ ﷺ: «**فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟ لا، ولكن أَذِّنْ بالرحيل**» - في ساعة لم يكن ﷺ يرحل فيها - فارتحل فيها الناس، وقد مشى ابن أبي إليه ﷺ، حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه، فحلف بالله ما قال: ما قال زيد ولا تكلم به، فقال من حضر عند النبيّ ﷺ من الأنصار:

عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه، ولم يحفظ ما قاله الرجل، حدبا على ابن أبي ودفعا عنه، **(وعاه)**: حفظه **(زيد)** بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك الأغر بن الحارث بن الخزرج، يكنى أبا عمرو، قيل: أول مشاهده هذه الغزوة، وشهد ما بعدها، وشهد صفينا مع علي، وتوفي سنة ثمان وستين بالكوفة **(موقنا)** حال مؤكدة لعاملها **(وما امترى)**: أي: ما شك فيها. **(فحلف الفاجر)**: عبدالله بن أبيٍّ، وهو الفاجر لنفاقه، والفاجر الآن لأنه حلف **(ما قال المقال وصدقته للمكانة)**: لأجل منزلته ورتبته عندهم **(رجال)**: جمع رجل.

كلام أُسَيدِ بن حضير ﷺ للنبيّ ﷺ:

فلما استقل رسول الله ﷺ وسار، لقيه أُسَيْد بن حُضَيْر، فحياه بتحية النبوءة، وسلم عليه، وقال: يا نبي الله والله لقد رحلت في ساعة منكرة ما كنتَ ترحل في مثلها، فقال ﷺ: «**أوَ ما بلغك ما قال صاحبكم؟**» قال: وأي أصحابنا يا رسول الله؟ ﷺ، قال: «**عبدالله بن أُبَيّ**» قال: وما قال؟ قال: «**زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل**»، قال: أنت والله تخرجه منها إن شِئْتَ، وهو والله الذليل وأنت العزيز، ثم قال: ارفق به يا رسول الله، فوالله لقد جاء الله بك، وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه، فإنه ليرى أنك سلبته ملكاً. ثم مشى ﷺ بالناس يومهم حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس، وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس.

طَلَبُ عبدِالله بنِ عبدِالله أن يتولى قتلَ أبيه:

وبلغ عبدَالله بنَ عبدِالله بنِ أُبَيٍّ ما كان من أمر أبيه، فأتى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، إنه بلغني أنك تريد قتل أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلا فمرني، فإني أحمل لك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها أبر مني لوالديه إني أخشى أن تأمر غيري فيقتله فأقتلَ مؤمناً بكافر فأدخل النار، فقال ﷺ: «**بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا**»، وجعل بعد

ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه الذين يعاتبونه، فقال النبيّ ﷺ لعمر، حين بلغه ذلك من شأنهم: «**كيف ترى يا عمر؟ أما والله لو قتلته يوم قلتَ لي اقتله لأرعدت له آنُفٌ لو أمرتها اليوم بقتله لقتلتْه**»، فقال عمر: قد والله علمت لأمرُ رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري.

❊ ❊ ❊

تصديقُ القرآنِ زيدَ بنَ أرقمَ:

فأنزل الله لئن رجعنا	**إلى المدينة ليخرجنا**
وعرك النبيُّ أذنَ الواعي	**زيدِ بنِ أرقم ذي الاستماع**
أن شهد الله على المنافقين	**بالكذب المحض وأولاه اليقين**

❖ **الشرح**: فأنزل الله: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾، (**وعرك**): دلك (**النبي**) ﷺ (**أذن الواعي**): الحافظ (**زيد بن أرقم ذي الاستماع**) لأجل (**أن شهد الله على المنافقين بالكذب المحض**): الخالص من الحق بقول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ (**وأولاه**) أعطاه (**اليقين**): التحقق. يعني أنه لما نزلت سورة المنافقين في تكذيبهم وتصديق زيد ـ فتبادر أبو بكر وعمر ليبشراه، فسبقه أبو بكر، فقال عمر: والله لا أبادرك بعدها أبداً ـ عرك ﷺ أذن زيد في صدقه في قول ابن أبي: لا تنفقوا على من عند رسول الله ﷺ، وقال: «**وفت أذنك**» ـ وفي رواية ـ: «**هذا الذي أوفى الله بأذنه**».

وفي هذه الغزوة قَتل أحدُ بني عمرو بن عوف ـ وهم القواقلة ـ هشامَ بن صبابة الليثي خطأً يظنه من العدو، وكان شعار المسلمين يا منصور أَمِتْ أمت، وقَتل يومئذ عليٌّ رجلين من العدو، يقال لأحدهما مالك، والثاني ابنه. وراية المهاجرين يومئذ بيد أبي بكر، وراية الأنصار بيد سعد بن عبادة، رضي الله عنهما.

ثم قدم مقيس بن صبابة من مكة يظهر الإسلام، فقال: يا رسول الله

جئتك مسلما، وجئت أطلب دية أخي، قُتل خطأ، فأمر له ﷺ بدية أخيه، فأقام غير كثير، فعدا على قاتل أخيه فقتله، ثم خرج إلى مكة مرتداً فقال:

شفى النفس أن قد بات بالقاع مسندا ... يضرج ثوبيه دماء الأخادع
وكانت هموم النفس من قبل قتله ... تلم فتحميني وطاء المضاجع

وقال:

جللته ضربة باتت لها وشل ... من ناقع الجوف يعلوه وينصرم
فقلت - والموت يغشاه أسرته - ... لا تأمنن بني بكر إذا ظلموا

فلما كان يوم الفتح قتله نميلة بن عبدالله الليثي، ابن عمه، لأنه من الذين عهد فيهم ﷺ أن يقتلوا، ولو وجدوا تحت أستار الكعبة.

❋ ❋ ❋

والإفك فِي قفولهم ونُقِلا ... أن التيمم بِها قد نزلا

❖ **الشرح**: **(والإفك)** - بالكسر - الكذب **(في قفولهم)**: رجوعهم من هذه الغزوة.

حديث الإفك:

روى البخاري، من طريق عروة بن الزبير، عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: كان ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها ﷺ، فأقرع بيننا، في غزوة بني المصطلق، فخرج فيها سهمي فخرجت معه ﷺ، بعد ما أنزل الحجابُ، وكنت أحمل في هودجي، وأنزل فيه، فسرنا حتى فرغ من غزوته، ودنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذن بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي، فلمست صدري، فإذا عقد لِي من جزع أظفار قد انقطع، فرجعت ألتمس عقدي فحبسني ابتغاؤه.

وأقبل الرهط الذين كانوا يُرَحِّلُونَ بي هودجي على بعيري الذي كنت أركب، وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يهبُلن ولم يغشهن اللحم - (وفي رواية لم يهبجهن اللحم، فيثقلن) - إنما يأكلن العلقة من الطعام - (والعُلقة بالضم: ما يتبلغ به من العيش، والتهبيج: انتفاخ الجسم من السمن، ومن آفة) - قالت: فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل فساروا، فوجدت العقد بعدما استمرَّ الجيش، فجئت منازلهم، وليس بها داع ولا مجيب، فأقمت في منزلي الذي كنت فيه، وظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إِلَيَّ، فبينما أنا جالسة في منزلهم إذ غلبتني عيني فنمت.

وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش، فأدلج فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رآني - وكان يراني قبل الحجاب - فاستيقظت باسترجاعه، فغطيت وجهي بجلبابي، فوالله ما كلمني ولا كلمته، ولا سمعت منه غير استرجاعه، حين أناخ راحلته فوطئ على ركبتها فانطلق يقود بي الراحلة، حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة وهم نُزُولٌ.

قالت: فهلك من هلك، وكان الذي تولى كِبْرَ الإفك عبدُ الله بن أُبَيٍّ، فقدمنا المدينة، فاشتكيت حين قدمت شهرا والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك، ويريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أعرف فيه حين أشتكي، إنما يدخل عليَّ ﷺ فيسلم ثم يقول: «**كيف تيكم؟**» ثم ينصرف فذلك يريبني، ولا أشعر بشيء، حتى خرجت حين نقهت فخرجت معي أم مسطح قِبَلَ المناصع، وكانت متبرزنا، فكنا لا نخرج إلا ليلاً، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريباً من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في البرية قِبَلَ الغائط وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا، فانطلقت أنا وأم مسطح - وهي بنت أبي رهم بن المطلب بن عند مناف وأمها بنت صخر بن عامر، خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب - فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي، حين فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها،

وقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت، أتَسُبِّينَ رجلاً شهد بدراً؟ فقالت: أو لم تسمعي ما قال؟ قلت: وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضا على مرضي.

فلما رجعت إلى بيتي، دخل عليَّ ﷺ مسلما، فقال: «**كيف تيكم**» فقلت: أتأذن لي أن آتي أبوي، وأنا أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، فأذن لي ﷺ، فجئت أبويَّ فقلت: يا أمّاه ما ذا يتحدث الناس؟ قالت: هوني عليك، فوالله ما كانت امرأة وضيئة عند رجل يحبها ـ ولها ضرائر ـ إلا أكثرن عليها، فقلت: سبحان الله ولقد تحدث الناس بهذا؟ فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا اكتحلت بنوم.

فدعا النبيّ ﷺ عليا وأسامة حين استبطأ الوحي يستشيرهما في فراق أهله، فأشار عليه أسامة بالذي يعلم من براءة أهله، فقال: أهلك يا رسول الله ﷺ ولا نعلم فيهم إلا خيرا، وأما علي فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك، فالنساء سواها كثيرٌ، وإن تسأل الجارية تصدقك، فدعا النبيّ ﷺ بريرة فقال: «**أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك؟**» قالت: والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها قط أمرا أغمصه غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله. قالت: فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبدالله بن أُبَيٍّ (بما تقدم في صدر الغزوة).

قالت: فمكثت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم قالت: وأصبح أبواي عندي، وقد بكيت ليلتين يظنان أن البكاء فالق كبدي، فبينما هما جالسان عندي، وأنا أبكي، فاستأذنت عليَّ امرأة من الأنصار، فأذنت لها، فجلست معي تبكي، فبينما نحن كذلك إذ دخل علينا ﷺ ثم جلس ولم يجلس عندي مذ قيل ما قيل قبلها، ولبث شهراً لا يوحى إليه في شأني بشيء، فتشهد ﷺ حين جلس ثم قال: «**أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تابَ الله عليه**»، فلما قضى ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه بقطرة، فقلت لأبي:

أجب عني رسول الله ﷺ فيما قال، قال: والله ما أدري ما أقول له، فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله ﷺ فقالت: والله ما أدري ما أقول له، فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن: والله لقد علمت أن قد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم: إني بريئة لا تصدقوني ولئن اعترفتُ لكم بأمر - والله يعلم أني بريئة منه - لتصدقُوني، والله لا أجد لي ولكم مثلا إلا قول أبي يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾، ثم تحولت فاضطجعت وأنا أعلم أني بريئة ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيا يتلى، ولشأني في نفسي كان أحقرَ من أن يتكلم الله فِيَّ، وأرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها.

نزول براءتِها رضي الله عنها:

قالت: فوالله ما رام مجلسه ﷺ، ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق، في اليوم الشاتي من ثقل الوحي الذي ينزل عليه، قالت: فلما سري عنه ﷺ، سُرِّيَ عنه وهو يضحك، فكان أول كلمة قالها: «**يا عائشة أمَّا الله فقد برَّأك**»، فقالت أمي: قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله، قالت: فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ...﴾ العشر الآيات كلها، فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح بن أثاثة، لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة، فأنزل الله ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢)﴾ فقال أبو بكر: والله إني أحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح بالنفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها عنه أبداً. وفي مسطح - واسمه عوف - يقول أبو بكر:

يا عوف ويحك هلا قلت عارفة   من الكلام ولم تبلغ به طمعا

وأدركتك حميا معشر أنف ولم تكن قاطعا يا عوف منقطعا
قد أنزل الله وحيا في براءتها وبين عوف وبين الله ما صنعا
فإن أعش أجزِ عوفا عن مقالته شر الجزاء إذا ألفيته تبعا

وأمر ﷺ حين نزلت براءة عائشة بالذين رموها بالإفك فجلدوا الحد، واختلف هل كان حسان منهم أم لا؟ ويدل على أنه ليس فيهم قوله في عائشة يعتذر لها:

حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
عقيلة أصل من لؤي بن غالب كرام المساعي مجدهم غير زائل
فإن كان ما قد قيل إني قلته فلا رفعت سوطي إلي أناملي

وأما قول الشاعر: لقد ذاق حسان الذي هو أهله... روي مكان حسان: لقد ذاق عبدالله ما كان أهله: أي: عبدالله بن أبي، وقيل منهم، ولذلك ضربه صفوان بن المعطل.

وفي ذلك يقول:

أمسى الجلابيب قد عزوا وقد كثروا وابن الفريعة أمسى بيضة البلد

والفريعة ـ كجهينة ـ أم حسان، إلى أن قال يعني النبيّ ﷺ:

قد ثكلت أمه من كنت واجده وبات منتشبا في برثن الأسد

فقال له ﷺ: «**أَشَوَّهتَ على قومي أن هداهم الله؟**» أي: أقبحت ذلك من فعلهم حين سميتهم بالجلابيب ـ وهم الغرباء (من أجل هجرتهم إلى الله ورسوله) ـ فأعطاه ﷺ سيرين بنت شمعون عن ضربة صفوان له، وهي أخت مارية أم إبراهيم ابنه ﷺ، فأولدها حسان عبدالرحمٰن ابنه الشاعر، وكان يفتخر بأنه ابن خالة إبراهيم ابن النبيّ ﷺ.

❊ ❊ ❊

نزول آية التيمم:

(ونقلا أن التيمم بها قد نزلا) على المشهور، وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنا بذات الجيش انقطع عقدي فأقام النبيّ ﷺ على التماسه، وأقام معه الناس، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر، ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبستِ الناس، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فعاتبني أبو بكر، وقال ما شاء الله أن يقول وجعل يطعن بيده في خاصرتي، ولا يمنعني من التحرك إلا أن رأسه ﷺ على فخذي، فنام إلى الصبح، فأنزل الله آية التيمم، فقال أسيد بن حضير ـ وهو أحد النقباء ـ: ما هذه بأول بركاتكم علينا يا آل أبي بكر. قالت: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته، وقيل: نزلت في غزوة أخرى.

وفي هذه الغزوة نهى عن العزل، أرادوا أن يستمتعوا ويعزلوا، فقال لهم ﷺ: «**لا عليكم أن لا تفعلوا ما كتب الله خلق نسمة هي كائنة إلى يوم القيامة إلا ستكون**».

❋ ❋ ❋

غزوة الحديبية:

ثُم الْحديبية ساق البدنا معتمرا وما بِحرب اعتنَى
ومِن سوى الْمخلفين استنفرا عرمرما وصُدَّ عن أم القرى

❖ **الشرح**: **(ثم الحديبية)** ـ كدويهية وقد تشدد الياء ـ بئر قرب مكة حرسها الله **(ساق البدنا)** جمع بدنة للذكر والأنثى وهي ما يهدى إلى البيت من الإبل والبقر ـ وهي ككتب وتسكن الدال ـ **(معتمرا)**: قاصدا العمرة، وهي الزيارة، والمطلقة زيارة بيت الله الحرام، **(وما بحرب اعتنى)**: به أي: اهتم. يقول: ثم بعد أن قدم من غزوة المريسيع أقام بالمدينة رمضان وشوالا، وخرج في ذي القعدة يوم الاثنين، زائراً للبيت ومعظماً له، لا يريد

قتالاً، وساق معه الهدي سبعين بدنة، عن كل عشرة بدنةٌ ـ وروي عن جابر: عن كل سبعة بدنة ـ واستعمل على المدينة نميلة بن عبدالله الليثي، وخرجت معه أم سلمة من نسائه، وأحرم من ذي الحليفة.

استنفاره ﷺ العربَ للخروج معه:

(ومن سُوى) ـ بالضم والكسر ـ أي: غير **(المخلفين)**: هم جهينة ومزينة، ومن كان حول المدينة من الأعراب، لأنهم تثاقلوا عنه ويرونه يستقبل عدوا كثيرا من قريش وثقيف وكنانة والقبائل المجاورة لمكة، ولم يتمكن إيمان هؤلاء يومئذ، فقالوا: لن يرجع محمد وأصحابه من هذه السفرة، ففضحهم الله تعالى بقوله ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ الآية، وأعلمَ الله نبيَّه بقولهم واعتذارهم، قبل أن يصل إليهم، فكان كما أخبر الله سبحانه، فقالوا شغلتنا أموالنا وأهلونا عنك فاستغفر لنا **(استنفرا)** استنصر وطلب النفير **(عرمرما)** أي: جيشاً كثيراً والأشهر أنه سبعمائة، وقيل غير ذلك، حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الخزاعي ثم الكعبي فقال: يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا ومعهم العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمور، وقد نزلوا بذي طوى، عاهدوا الله أن لا تدخلها عليهم أبدا عنوة، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموا إلى كراع الغميم. وخيل خالد مائتا فارس، خرجوا حتى نظروا إلى أصحابه ﷺ، فأمر ﷺ عباد بن بشر أن يتقدم في خيله، فأقام بإزائه يرابط، وصفَّ أصحابَه، وحانت صلاة العصر فصلى بأصحابه صلاة الخوف، وذلك قوله: **(وصُدَّ)**: أي: رد ومنع **(عن أم القرى)**: وهي مكة.

❊ ❊ ❊

وما انثنى بالْجيش حتى اقعنسست عـن مـكـة نـاقـتـه إذ حُـبِـسَـتْ

❖ **الشرح**: **(وما انثنى)**: انعطف **(بالجيش حتى اقعنسست)**: رجعت إلى خلف **(عن مكة)** حرسها الله وزادها شرفاً ـ تقدم ذكرها ـ **(ناقته)**: القصواء، وهي الجدعاء، والعضباء، (ولم تكن جدعاء ولا عضباء ولا

قصواء، وإنما هي ألقاب على المشهور) وهي التي أخذ من أبي بكر ﷺ بمكة فهاجر عليها، وكان أبى عن أخذها إلا بالثمن، وهي إذ ذاك رباعية، وكانت صهباء، قيل: إنها من إبل بني قشير.

خبر ناقته ﷺ:

فلما دخل ﷺ المدينة أراد كل من الأنصار النزول عليه فيقول: «**دعوها فإنها مأمورة**».. حتى بلغت موضع إرادته تعالى بركت، فطرح لها زمامها، ثم وثبت وبركت قريباً من مكانها الأول، وألقت جرانها بالأرض، وأرزمت فنزل عنها ﷺ، ثم لم تزل عنده، ولا يحمله حين نزول الوحي عليه غيرها ـ وربما بركت من ثقله ـ إلى أن قبض ﷺ، فامتنعت من الأكل والشرب جزعا عليه إلى أن ماتت، وروي أنَّها كانت تكلمه، وأن العشب يبادرها في المرعى، وتجتنبها الوحوش فيه، وتناديها إنكِ لِمُحَمَّدٍ.

وامتناع النبيّ ﷺ من أخذها إلا بثمن من أبي بكر ـ وقد أنفق عليه جل أمواله ويقبلها ـ لتكون الهجرة كلها خالصة لله. وكانت لا تسبق، فسبقها أعرابي يوماً على قعود، فشق ذلك على المسلمين، فقال النبيّ ﷺ: «**كان حقا على الله أن لا يرفع شيئاً من هذه الدنيا إلا وضعه**». وهل هي ناقة الأعرابي التي أهداها إليه، فكافأه بست بكرات فلم يرض، فقال: «**ألا تعجبون لهذا الأعرابي أهدى إلَيَّ ناقة أعرفها بعينها كما أعرف بعض أهلي ذهبت مني يوم رغابة وقد كافأته بست بكرات فسخط عليَّ**». وعلى الجدعاء تحشر فاطمة بنته ﷺ، كما في الحديث، وقوله: (**إذ حبست**): أي: حبسها حابس الفيل.

يعني أنه لما تلقاه بشر بن سفيان ـ ويقال فيه يسر بالمثناة التحتية وبالسين المهملة ـ وكان بعثه ﷺ عيناً، (ومنه أخذ جواز أن يسافر الرجل وحده إذا مست الحاجة إلى ذلك)، فتلقاه بعسفان بالكلام المتقدم، فقال ﷺ: «**يا ويح قريش أكلتهم الحرب ما ذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب فإنْ هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا وإن أظهرني الله عليهم**

دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش؟ فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة». يعني ﷺ الذبح، لأن به تنفرد السالفة، وهي صفحة العنق.

✍ تَجَنُّبُه ﷺ لقاءَ قريشٍ:

ثم قال: «**من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها؟**» فقام رجل من أسلم اسمه ناجية بن جندب ـ على الأرجح ـ فقال: أنا يا رسول الله فسلك بهم وعراً أجرل ـ أي: كثير الْجَرَل (والْجَرَل ـ محركة ـ الحجارة بين شعاب) ـ فلما خرجوا منه، وقد شق ذلك على المسلمين، وأفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي، قال النبيّ ﷺ: «**قولوا نستغفر الله ونتوب إليه**» فقالوا ذلك، فقال: «**والله إنَّها لَلْحِطَّة التي عرضت على بني إسرائيل فأبوا أن يقولوها**».

فلما رأت خيلُ خالد خروجَ المسلمين من هذه الطريق المخالفة لطريقهم، ركضوا راجعين إلى قريش، وخرج ﷺ حتى إذا سلك ثنية المرار، مهبط الحديبية من أسفل مكة، بركت به راحلته، فقال الناس: حَلْ حَلْ، فألحت ـ أي: تمادت في البروك ـ فقالوا: خلأت القصوى! فقال ﷺ: «**ما خلأت القصواء وما ذلك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل**»، ثم قال: «**والذي نفسي بيده لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها**» ـ يعني قريشاً ـ ثم زجرها فوثبت، فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يَتَبَرَّضُه الناس تبرضاً، فلم يلبث أن نزحوه وشكوا إليه ﷺ العطش فانتزع سهما من كنانته فأمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش بالرواء لهم، حتى صدروا عنه، وذلك قوله:

فاستنزل الناسَ ولا ماء لَهم	**فاستنبطوا بالسهم ما أعلهم**
وعلهم أيضاً بِهذي الغزوة	**ما كان من صبابة في ركوة**
وجَمعوا له بقايا الزاد	**فخُوِّلُوا منه سوى المعتاد**

وكم قليل غير ذاك كثرا وكم قليب بالمعين فَجَّرا

معجزته ﷺ بتكثير الماء:

❖ **الشرح**: (**فاستنزل**) ﷺ (**الناس**) أي: أمرهم بالنزول (**ولا ماء لهم**) أي: غير ذلك الثمد الذي أمرهم بالنزول به فنزحوه، ولم يغن عنهم شيئاً (**فاستنبطوا**): استخرجوا (**بالسهم**) الذي انتزعه من كنانته ﷺ فأعطاه رجلاً، قيل هو ناجية بن جندب الأسلمي ـ الذي سلك بهم الطريق ـ وكان اسمه ذكوان، فسماه ﷺ ناجية، لَمَّا نجا من قريش، وفي الرجز ما يقوي أنه هو:

يا أيها المائح دلوي دونكا إني رأيت الناس يحمدونكا

فقال:

قد علمت جارية يمانيه أني أنا المائح واسمي ناجيه

وروي عن البراء بن عازب أنه هو الذي نزل بسهمه ﷺ، (**ما أعلهم**): سقاهم بعد نهل.

(**وعلهم أيضاً بهذي الغزوة ما كان من صبابة**): بقية الماء (**في ركوة**): قربة بالية. أشار بهذا إلى حديث جابر ﷺ، قال: عطش الناس في الحديبية، ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة يريد أن يتوضأ منها فأقبل الناس نحوه فقال: «**ما لكم؟**» فقالوا: ليس لنا ماء نشرب منه ولا نتوضأ إلا ما كان في ركوتك، فوضع ﷺ يده فيها فجعل الماء يفور من بين أصابعه أمثال العيون، فشربنا وتوضأنا، فقيل لجابر: كم كنتم؟ فقال: لو كنا مائة ألف لكفانا.

❊ ❊ ❊

معجزة أخرى بتكثير الطعام:

(**وجمعوا له**) ﷺ (**بقايا**): جمع بقية (**الزاد فخَوَّلُوا منه**): أعطوا (**سِوى**) ـ بالضم، والكسر ـ أي غير (**المعتاد**) أي: المعهود من الكثرة، أشار بهذا إلى حديث إياس بن سلمة ابن الأكوع، لما رجع ﷺ من الحديبية

قال بعض أصحابه: يا رسول الله قد جهدنا وفي الناس ظهر فانحره لنا، لنأكل من لحومه وندهن من شحومه، ونحتذي من جلوده، فقال عمر ﷺ: لا تفعل يا رسول الله، فالناس إن يكن فيهم ظهر أمثل.

فقال ﷺ: «**ابسطو أنطاعَكم وعباءَكم**» ففعلوا ثم قال: «**من كان عنده بقية من زاد أو طعام فلينثره**»، ودعا لهم فقال: «**قربوا أوعيتكم**»، فأخذوا ما شاء الله، ثم قال: «**هل من وضوء؟**» فجاء رجل بإداوة فيها بقية من ماء، فأفرغها في قدح فتوضأوا كلُّهم.

(**وكم**) وكائن وكأين للتكثير (**قليل غير ذاك كثرا**): أي: كثيراً ما يكثر ﷺ القليل، كشاتي عبدالله بن مسعود وأم معبد، وغيرهما مما لا نقدر على ذكر ما سمعنا به منه، وأولى ما لم نسمع به (**وكم قليب**): بئر، أو العادية القديمة منها (**بالمعين**): الماء الكثير الجاري، قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ (**فجرا**) الماء أساله، كتكثيره ﷺ ماء وشل تبوك، الآتي ذكره، إن شاء الله.

❋ ❋ ❋

وبايعوه بيعة الرضوان ... إذ قيل قد عدوا على عثمان

وعقروا جَمله الثعلب إذْ ... أرسله تَحت الْخزاعي الْمُغِذ

بيعة الرضوان:

❖ **الشرح**: (**وبايعوه**): أي: أصحابه (**بيعة الرضوان**): أي: رضوان الله تعالى عنهم، الذي ذكره في كتابه العزيز ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾... الآية (**إذ قيل قد عدوا**): ظلموا (**على عثمان**) بن عفان ﷺ حين بعثه ﷺ إلى قريش، ليبلغهم عنه ما جاء له بعد ما دعا ﷺ عمر ليبلغه إليهم، فقال: يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي وما بِمكة من بني عدي من يمنعني، وقد علمت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها، ولكن أدلك على رجل أعز عليها مني، عثمان بن عفان؛ فدعاه ﷺ، فبعثه إلى أبي سفيان وعظماء قريش: أنه لم يأت لحرب، ولم يأت إلا زائراً لهذا

البيت، ومعظماً لحرمته، فخرج عثمان إلى مكة، فلقيه أبان بن سعيد حين دخل مكة، أو قبل أن يدخلها، فجعله بين يديه، ثم أجاره وهو يقول:

أقبل وأدبر لا تخف أحدا بنو سعيد أعزة الحرم

فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به، فقالوا له حين فرغ من رسالته ﷺ: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف، فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به ﷺ، فحبسوه عندهم، فبلغه ﷺ وأصحابه أن عثمان قُتِلَ، فقال ﷺ: «**لا نبرح حتى نناجز القوم**»، ودعاهم ﷺ إلى البيعة، فبايعوه تحت الشجرة ـ وهي سمرة، (قطعها عمر بعدُ) ـ على الموت، وقال جابر: بايعناه على أن لا نفر.

تَخَلُّفُ الْجِدِّ بنِ قيس عن البيعة:

ولم يتخلف أحد من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس ـ أحد بني سلمة ـ وكان جابر يقول: والله لكأني أنظر إليه لاصقا بجنب ناقته، قد ضبأ إليها يستتر بِها من الناس، وأول من بايعه سنان بن أبي سنان الأسدي، ابن أخي عكاشة بن محصن، وقيل: أبو سنان. لكن أبا سنان مات في حصار بني قريظة، ودفن في مقبرتهم. **(وعقروا)**: أي: قريش **(جمله الثعلب)** اسم جمله **(إذ أرسله تحت الخزاعي)** وهو خراش بن أمية بن الفضل الكعبي ـ وهو حالق رأس رسول الله ﷺ هذا اليوم، وشهد ما بعد هذه الغزوة ـ فلما قدم على قريش أرادوا قتله، فمنعته منهم الأحابيش، فقتلوا الجمل وآذوه.

وتوفي خراش بن أمية آخر خلافة معاوية. **(الْمغذ)**: المسرع في سيره.

❊ ❊ ❊

وكان مِمَّن بعثوه يسترد نبيَّنا مكرزَ عروةَ الْحرد

سفراء قريش إليه ﷺ:

❖ **الشرح**: **(وكان ممن بعثوه)** يعني قريشاً **(يسترد)**: يطلب أن يرده

عنهم خوف أن يقاتلهم، ويفتح بلدهم، وهم لا يريدون أن يدخلها عليهم عنوة، فتسمع بذلك العرب، (**نبينا**) ﷺ (**مِكرز**) تقدم ذكره في غزوة بدر وأحد، وأنه بفتح الميم وكسرها.

عروة بن مسعود رضي الله عنه:

(**عروة**) هو ابن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف، وأمه سبيعة بنت عبد شمس يكنى أبا مسعود أسلم بعد رجوع النبيّ ﷺ من الطائف وقبل دخوله المدينة، فسأل النبيّ ﷺ أن يبعثه إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام فقال له: «**إنهم قاتلوك**» فقال: أنا أحب إليهم من أبصارهم - وكان فيهم كذلك محببا مطاعا - فبعثه إليهم فلما دعاهم رموه بالنبل حتى قتلوه، فقيل له: ما ترى في دمك؟ قال: كرامة أكرمني الله بها وشهادة ساقها الله إلي، فليس فِيَّ إلا ما في الشهداء الذين قُتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم، فادفنوني معهم ففعلوا، وقال فيه ﷺ: «**إن مثله في قومه كمثل صاحب ياسين في قومه**» - واسمه خبيب بن مري - الذي قال لقومه ﴿اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ فقتلوه، ويحتمل أن يريد بصاحب ياسين إلياس وهو اليسع واسمه ياسين.

وفد ثقيف إليه ﷺ:

ثم أقامت ثقيف شهرا بعد قتل عروة، ثم ائتمروا بينهم لعلمهم أن لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب، لأن من حولهم قد أسلم وبايع، وأجمعوا أن يبعثوا إليه ﷺ عبد ياليل بن عمرو بن عمير، فأبى عليهم خوف أن يصنع به ما صنع بعروة إذا رجع فأرسلوا معه خمسة هو سادسهم: ثلاثة من الأحلاف - منهم عبد ياليل - وثلاثة من بني مالك منهم عثمان بن أبي العاص بن بشر بن دهمان، عم الحكم بن يزيد بن أبي العاص الشاعر الذي يقول:

ألا عللاني قبل نوح النوائح   وقبل نشوز النفس بين الجوانح

وقبل غد يا لهف نفسي على غد إذا راح أصحابي ولست برائح

فخرجوا فلما دنوا من المدينة لقوا المغيرة بن شعبة فاشتد ليبشر النبيّ ﷺ بقدومهم عليه، فلقيه أبو بكر فقال له: أقسمت عليك أن لاّ تسبقني إلى رسول الله ﷺ حتى أكون أنا أحدثه ففعل ذلك، فدخل أبو بكر عليه ﷺ فأخبره بقدومهم، ثم رجع المغيرة إلى أصحابه فروح معهم الظهر وعلمهم كيف يحيونه ﷺ فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية فضرب لهم ﷺ قبة بناحية مسجده. وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشي بينهم وبينه ﷺ حتى كتبوا كتابهم وخالد كاتبه، وكانوا قبل أن يسلموا لا يأكلون مما يأتيهم من عنده ﷺ حتى يأكل منه خالد.

هدمُ اللات:

وسألوا النبيّ ﷺ أن يدع لهم الطاغية - وهي اللات - لا يهدمها ثلاث سنين فأبى ﷺ، فما برحوا يسألونه حتى سألوه شهرا، فأبى أن يدعها شيئاً مسمى، وإنما يريدون بذلك - فيما يظهرون - أن يَسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم، ويكرهون أن يروعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام، فأبى رسول الله ﷺ، ثم سألوه أن يعفيهم من الصلاة وأن لا يكسروا أصنامهم بأيديهم، فقال النبيّ ﷺ: «**أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه**»، فأسلموا، وأمر عليهم عثمان بن أبي العاص لأنه تعلم القرآن، وكان أحرصهم على التفقه في الإسلام، فلما فرغوا من أمرهم وتوجهوا إلى بلادهم بعث معهم رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب، والمغيرة بن شعبة في هدم الطاغية، فخرجوا مع القوم حتى قدموا الطائف أراد المغيرة أن يقدم أبا سفيان فأبى، وقال: ادخل أنت على قومك. فلما دخل المغيرة علاها وجعل يضربها بالمعول، فقام قومه - بنو معتب - دونه خوف أن يرمى كما صنع بعروة، وقال المغيرة لأبي سفيان: إن شئت أضحكتك من ثقيف؟ فقال: بلى، فأخذ المعول وضربها ثم صاح وخر على وجهه فارتجت الطائف بالصياح سروراً

بأن اللات قد صرعت المغيرة وأقبلوا يقولون كيف رأيتها يا مغيرة دونكها إن استطعت، ألم تعلم أنها تهلك من عاداها؟! فقام المغيرة يضحك فقال: يا خبثاء! والله ما قصدت إلا أن أهزأ بكم، ثم أقبل عليها يهدمها حتى استأصلها، وأقبلت عجائز ثقيف حُسَّراً تبكي حولها، فأخذ أبو سفيان والمغيرة مال الطاغية الذي كانت محلاة به من الذهب والفضة والجزع فقدما به عليه ﷺ.

وكان أبو مليح بن عروة بن مسعود وقارب بن الأسود بن مسعود حين قتل عروة خرجا مفارقين ثقيفا فقدما عليه ﷺ فأسلما قبل وفد ثقيف، فقال لهما ﷺ: «**توليا من شئتما**» قالا: نتولى الله ورسوله، فقال لهما النبيّ ﷺ: «**وخالكما أبا سفيان بن حرب**»، قالا: وخالنا أبا سفيان بن حرب، فلما قدم أبو سفيان والمغيرة بمال الطاغية سأل أبو مليح رسول الله ﷺ أن يقضي عن أبيه عروة ديناً عليه من مالها فقال: «**نعم**»، فقال له قارب: وعن الأسود يا رسول الله فاقضه ـ وعروة والأسود أخوان لأب وأم ـ فقال ﷺ: «**إن الأسود مات مشركاً**» فقال قارب: لكن تصل به مسلماً ذا قرابة ـ يعني نفسه ـ فأمر ﷺ أن يقضى دين عروة والأسود من مال الطاغية، و(**الحرد**) العزيز المنيع.

❊ ❊ ❊

والحارثي المُتَألِّهُ الذي هو لهم برد أحمد بذي

❖ **الشرح**: (**والحارثي**) هو الحليس بن علقمة بن الريان بن عبد ياليل من بني الحارث بن عبد مناة من كنانة (**المتأله**) المعظم لأمر الله كالحج والعمرة، ونحو ذلك مما بقي من دين إبراهيم عليه السلام،وهو كالتنسك عندنا (**الذي هو لهم برد أحمد ﷺ بذي**) أي: مؤذ لهم بلسانه.

يعني أن ممن بعثوه ليرد عنهم الرسول ﷺ الحليس بن علقمة، فلما رآه رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «**هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدي في وجهه**»، فبعثوه. فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي بقلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع إلى قريش ولم يأت النبيّ ﷺ

إعظاما لما رأى، فقال لهم ما قال، فقالوا: اجلس فإنَّما أنت أعرابي لا علم عندك، فغضب وقال: يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم، ولا على هذا عاقدناكم أَيُصَدُّ عن بيت الله من جاء معظماً له؟ والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وما جاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد - وكان سيد الأحابيش - فقالوا: كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به. وهذه بذاءته لهم لأجل رده ﷺ.

❋ ❋ ❋

ولم تزل بينهم المراجعه حتى أتى سهيلهم فاسترجعه

❖ **الشرح**: **(ولم تزل بينهم المراجعه)**: أي: يسألهم أن يخلوه فيعتمر فيمنعوه **(حتى أتى سهيلهم فاسترجعه)** يعني بسهيلهم أي؛ سهيل قريش، وكان من ساداتهم، وتقدم نسبه وما تيسر من أخباره ومناقبه في غزوة بدر. يعني أنهم لم يزالوا يتراجعون الرسل بينهم حتى أتى سهيل فطلب منه أن يرجع إلى قابل، ويخرجون عنه ثلاثاً، حتى يطوف بالبيت، ومعه سلاح الراكب.

وأصح أحاديث هذا الصلح ما في البخاري أن بُديلا أتى قريشاً فقال: جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول كلاما فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا؟ فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء، وقال ذَوُو الرأي منهم: هات ما سمعته يقول، قال: سمعته يقول كذا وكذا، فقام عروة بن مسعود قال: أي قوم ألستم بالوالد؟ قالوا: بلى، قال: أولست بالولد؟ قالوا: بلى، قال: فهل تتهمونني؟ قالوا: لا، قال: ألستم تعلمون أني استنفرت لكم أهل عكاظ فلما بلحوا علي جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى، قال: فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آته، قالوا: ائته.

✍ حوار عروة بن مسعود معه ﷺ:

فأتاه فجعل يكلم النبيّ ﷺ فقال له ﷺ نحواً من قوله لبديل، فقال عروة: أي محمد أرأيت إن استأصلتَ أمرَ قومك هل سمعت أحدا من

العرب اجتاح قومه قبلك؟ وإن تكن الأخرى فإني والله لا أرى وجوها، وإني لأرى أوشابا من الناس خليقا أن يفروا عنك ويدعوك، فقال له أبو بكر: امصص بظر اللات أنحن نفر عنه وندعه؟ فقال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر، قال: أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك ـ وفي غير البخاري ولكن هذه بها ـ وجعل يكلم النبيّ ﷺ فكلما تكلم أخذ بلحيته ﷺ، والمغيرة بن شعبة قائم على رأسه ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحيته ﷺ ضرب يده بنصل السيف وقال له: أخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ، فرفع عروة رأسه فقال: من هذا؟ قالوا له: المغيرة بن شعبة، فقال له: أي غدر، ألستُ أسعى في غدرتك؟ ـ وكان المغيرة صحب قوما في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال ﷺ: «**أما الإسلام فأقبله وأما المال فلست منه في شيء**»، ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبيّ ﷺ بعينيه قال: والله ما تنخم النبيّ ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنه، وما يحدون إليه النظر تعظيما له.

فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على كسرى وقيصر والنجاشي وما رأيت ملكاً قط يعظمه قومه وأصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا ﷺ، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها. فقال رجل من بني كنانة: دعوني آته، فقالوا: إيته، فلما أشرف عليه ﷺ قال ﷺ: «**هذا فلان ابن فلان وهو من قوم يعظمون البدن، فابعثوها له**» فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك قال: سبحان الله، والله لا ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قلدت... إلى آخر كلامه المتقدم.

فقام منهم رجل يقال له مكرز بن حفص فقال: دعوني آته قالوا: ايته، فلما أشرف عليهم قال ﷺ: «**هذا مكرز وهو رجل فاجر**» فجعل يكلم النبيّ ﷺ فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو فقال ﷺ: «**سهل لكم من أمركم**» فقال سهيل: هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً.

فدعا ﷺ عليا فقال له: «**اكتب بسم الله الرحمٰن الرحيم**» قال سهيل: أما الرحمٰن ما أدري ما هو؟ ولكن اكتب: باسمك اللّٰهم كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتب إلا بسم الله الرحمٰن الرحيم، فقال ﷺ: «**اكتب باسمك اللّٰهم**، ثم قال: «**هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ﷺ**»، فقال سهيل: لو علمنا أنك رسول الله ﷺ ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبدالله، فقال ﷺ: «**والله إني لرسول الله وإن كذبتموني، اكتب محمد بن عبدالله**»، وأمره أن يمحوها، فقال: ما أنا بالذي أمحوه، أو قال: والله لا أمحوك أبدا، فمحاه ﷺ، وذلك قوله: «**لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله**» إلخ قال ﷺ: «**على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به**»، فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة، ولكن في العام المقبل. فكتب الكتاب.

والقوم الذين قتلهم المغيرة فوداهم عروة ثلاثة عشر من بني مالك من ثقيف، خرج معهم المغيرة إلى ملك غسان فأحسن جائزتهم وأغفل جائزته، فغار المغيرة لذلك، فلما كانوا في الطريق غدر بهم فقتلهم، وأخذ أموالهم فلحق بالنبي ﷺ وأسلم وودى عروة بني مالك ثلاث عشرة دية.

❁ ❁ ❁

لولا نبِي الرخمة الْموفق	**للرشد فِي آرائه لَمُزِّقُوا**
أسلم بعد عوده بالعظما	**أكثرُ مِمن كان قبلُ أسلما**

❖ **الشرح**: (**لولا**) مانعة جوابها وهو التمزيق هنا، ويجب رفع نبي الرحمة على الابتداء بعدها والواجب حذف خبره وسد جواب لولا وهو لمزقوا مسده، وتقديره يقبل الصلح (**الموفق**): المعطى التوفيق، وهو مصادفة الرشد، (**للرشد**) وهو الاستقامة على طريق الحق والهدى (**في آرائه**): جمع رأي، (**لمزقوا**): والتمزيق التخريق والتخريب.

يعني أنه لولا أن النبيّ ﷺ قَبِلَ الصلح من قريش لَمزقهم المسلمون،

ومزقوا من في مكة من المستضعفين المحبوسين، قال الله تعالى ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ. . .﴾ الآية. كما ظهر لعمر وغيره من المسلمين بعد كراهتهم هذا الصلح، ولو لَم يكن من فعله ﷺ ما قبلوه لعظمة عليهم صدِّهم عن البيت، ولَم يطوفوا به، ولرغبتهم في قتال قريش، حرصا على الشهادة وإعلاءً لكلمة الله.

إسلام كثير من الناس بعد الصلح:

(أسلم بعد عوده): رجوعه ومنه: العود أحمد أي: الابتداء بالمعروف محمود، والإعادة إليه أكسب للحمد (هذا مثل قاله أعرابي اسمه خداش بن حابس خطب بنت عم له فرده أبوها واسمها الرباب، فأضرب عنها زماناً، ثم أقبل حتى انتهى إلى حلتهم متغنيا بأبيات منها:

ألا ليت شعري يا رباب متى أرى   لنا منك نجحا أو شفاء فأشتفي

فسمعت ما قال فحفظته، وبعثت إليه أن قد عرفت حاجتك فاغد خاطبا، ثم قالت لأمها: هل أنكح إلا من أهوى، وألتحف إلا من أرضى؟ قالت: لا، قالت: فأنكحيني خداشا، قالت: مع قلة ماله؟ قالت: إذا جمع المال المسيء الفعال فقبحا للمال، فأصبح فسلم عليهم فقال: العود أحمد، والمرأة ترشد والورد يحمد) **(بالعظما)**: جمع عظيم، وأراد بهم الصحابة رضوان الله عليهم **(أكثر)**: فاعل أسلم **(ممن كان قبل أسلما)**.

❋ ❋ ❋

وفسروا بذلك الفتحَ الْمبين   وفيه إبقاء على الْمستضعفين
وأرسلوا جَمل عمرو بن هشام   هديا وإنكاء إلى البيت الْحرام

❖ **الشرح**: **(وفسروا بذلك)** الإسلام **(الفتح المبين)** وهو قوله تعالى﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ الآية، **(وفيه)**: أي: العود عن مكة ولم يدخلها **(إبقاء)** إحياء **(على المستضعفين)**، قال ابن عباس: أنا وأمي من المستضعفين. وممن أسلم في هذه الهدنة عبدُ الرحمٰن بن أبي بكر

وخالدُ بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة، وغيرهم من قريش، وبه فسر ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾، وقيل: مَن في أصلاب الكفار.

(وبعثوا جمل عمرو بن هشام): وهو أبو جهل **(هديا وإنكاء)**: إغاظة للعدو وتَهييجا لعداوتهم، وهذا الجمل اسمه العصيفير، بُرَتُه من فضة، سُلب من أبي جهل يوم قتل ببدر، ولم يزل عنده ﷺ يغزو عليه، ويضرب في لقاحه إلى أن أهداه هذا اليوم، ليغيظ به قريشاً، لأنهم إذا رأوه تذكروا سيدهم وقتْلَه يوم بدر، ورأوا جمل سيدهم يتصرف فيه قاتله كيف شاء، ويهديه إلى بيتهم، (وفي ذلك جواز الهدي بالذكر، وفعل العبادة مع إرادة غيرها من العادات، كإرادة رفع الحدث مع التبرد والنظافة).

* * *

ونَــحــروا وحــلــقــوا وحَــمــلــت — شعورَهم للبيت ريحٌ قد علت

تَحلُّلهم من إحرام العمرة:

❖ **الشرح**: **(ونحروا)**: أي: المسلمون بدنهم **(وحلقوا)** رؤوسهم **(وحملت شعورهم للبيت ريح قد علت)** جاوزت الحد ـ يريد شدة هبوبها ـ يعني أنهم لما فرغوا من الصلح وشأنه، أمرهم النبيّ ﷺ أن ينحروا ثم يحلقوا. وفي البخاري: «**فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لَمْ يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نَبِيَّ الله إن كنت تحب ذلك فاخرج، ثم لا تكلمْ أحدا منهم بكلمة، حتى تنحرَ بدنَك، وتدعوَ حالقَك فيحلقك. فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، فلما رأوه قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق لبعض حتى كاد يقتل بعضهم بعضا غَمّاً**». وقدمنا أن حالقه خراش بن أمية الخزاعي. وروي أنه قال: «**ما أشارت امرأة بالصواب إلا أم سلمة في هذه القصة**».

عُمَرُهُ ﷺ:

وفي حمل الريح العاصف شعورَهم للبيت دليل على تمام عمرتهم، ولذلك عُدَّتْ من عُمَرِهِ ﷺ الثلاث، وهي هذه وعمرة القضية في قابل - ويقال لها: عمرة القضاء لأنه قاضى عليها قريشاً لا لأنها قضاء للأولى لتمامها بما تقدم من النحر والحلق، وحمل الريح شعورَهم من الحل للحرم، ويقال لها أيضاً: عمرة القصاص، لأن فيها نزلت: ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌۚ﴾ - وعمرة الجعرانة عام حنين، والرابعة - على القول بها - قرنها بالحج في حجة الوداع، وفي هذا اليوم قال ﷺ: «**اللَّهم ارحم المحلقين**»، قالوا: والمقصرين، قال: «**اللَّهم ارحم المحلقين**»، قالوا: والمقصرين، قال: «**اللَّهم ارحم المحلقين**» قالوا: والمقصرين، قال: «**والمقصرين**» فدعا للمحلقين ثلاثاً، وللمقصرين مرة. ولم يقصر يومئذ إلا عثمان وأبو قتادة الأنصاري.

وفي تركهم للبدار دليل على أن وجوب الأمر ليس بالفور، وقيل: حملوا الأمر على غير الوجوب بقرينة، وهي أنهم رأوه لم يحلق ولم يقصر، فلما رأوه قد فعل، اعتقدوا وجوب الأمر وامتثلوه، وفيه أيضاً إباحة مشاورة النساء، وذلك أن نَهْيَ النبيّ ﷺ عن مشاورتهن إنما هو عندهم في أمر الولاية خاصة.

❊ ❊ ❊

وأغلظوا فِي الصلح حين أُبرِمَا ... ومنه رد من أتاه مسلما

وهم عليهم بعد ردهم وبال ... إذْ أخذوا الطرق على صُهْبِ السِّبَالْ

وانتدبوا لقوله فِي الندب ... سيدهم هذا مِحَشُّ حرب

شُروطُ قريش فِي الصلح:

❖ **الشرح**: (**وأغلظوا**): أي: شددوا يعني قريشاً (**في الصلح حين أُبرِمَا**): أي: أُحْكِمَ (**ومنه**) أي: الإغلاظ (**رد من أتاه**) أي: النبيّ ﷺ

(مسلما). **(وهم)** أي: من أسلم بعد **(عليهم)** أي: قريش **(بعد ردهم)**: أي: من أسلم منهم أيضاً **(وبال)**: أي: شدة وثقل **(إذ)** لأنهم **(أخذوا)**: منعوا وقطعوا **(الطرق)** جمع طريق **(على صهب السبال)** الأعداء، وإن لم يكونوا كذلك ـ وأعداؤهم قريش ـ والسبال جمع سبلة بالتحريك، وهي طرف ما على الشارب من الشعر.

(وانتدبوا): أي: قبلوا وسمعوا ندبه أي: دعاءه وحثه **(لقوله)** ﷺ **(في الندب)**: أي: الظريف النجيب **(سيدهم)** وهو أبو بصير **(هذا مِحش)** ـ بكسر الميم ـ موقد **(حرب)**.

يعني أن قريشاً أغلظوا على المسلمين في هذا الصلح، وذلك لأنه ﷺ حين بركت ناقته قال: «**والله لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها**».

ومن الإغلاظ أنهم اشترطوا عليه أن من أتاه من قريش مسلماً يرده إليهم، ومن أتاهم ممن معه ﷺ لا يردونه، ولا إغلاظ في هذه لأنه لا يصنع شيئاً بِمن ارتد عن دينه ورغب عنه إلى غيره. فبينماهم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل يرسف في قيوده وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلَيَّ، وقال المسلمون: سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟ فقال ﷺ: «**إنا لم نقض الكتاب بعدُ**»، قال: فوالله لا أصالحك إذن على شيء أبدا، قال ﷺ: «**فأجزه لي**» قال: ما أنا بمجيزه لك، قال: «**بلى فافعل**» قال: ما أنا بفاعل، قال مكرز: قد أجزناه لك. قال أبو جندل: يا معشر المسلمين أأرد إلى الْمشركين وقد جئت مسلماً؟ ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عذب في الله عذاباً شديداً.

سؤالُ عمرَ رضي الله عنه عن وجه الصلح؟:

قال عمر: فأتيت النبيّ ﷺ فقلت: ألست نبي الله؟ قال: «**بلى**» قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: «**بلى**» قلت: فلِمَ نعطي الدنية

من ديننا إذا؟ قال: «**إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري**» قلت: أو لست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «**بلى، أفأخبرتك أنك تأتيه العام؟**» قلت: لا، قال: «**فإنك آتيه ومطوف به**».

قال: فأتيت أبا بكر فقلت: أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال: بلى، فقلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلِمَ نعطي الدنية من ديننا إذن؟ قال: أيها الرجل إنه لرسول الله ﷺ، وليس يعصي ربه، وهو ناصره فاستمسك بغرزه إنه على الحق، قلت: أو ليس كان يحدثنا أننا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به، فعجبت لذلك عجباً شديداً من وفاق جواب أبي بكر جواب رسول الله ﷺ حرفاً بحرف ولم يكن سمعه، ثم قال أبو بكر: يا عمر الزم غرزه، أشهد أنه رسول الله ﷺ.

ما نزل فِي النساء المهاجرات:

ثم جاء نسوة منهن: أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، فجاء في طلبها أخواها: الوليد وعمارة، فأراد ﷺ أن يردها للعهد، فقالت: يا رسول الله أتردني على المشركين يحلون مني ما حرم الله ويفتنونني عن ديني؟ فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ﴾ الآيات، فلم يردها. وتزوجها زيد بن حارثة فقُتل عنها، ثم خلف عليها الزبير فولدت له زينب، ثم خلف عليها عبدالرحمٰن بن عوف، فولدت له: محمدا وإبراهيم وإسماعيل وحميدا، وكلهم روى الحديث.

وطلق عمر امرأتين كانتا زوجتين له (إحداهُما: أم كلثوم ـ واسْمها مليكة بنت جرول الخزاعية أم ابنيه: عبيدالله وزيد الأصغر، فتزوجها أبو جهم بن حذيفة العدوي فولدت له عبدالله بن أبي جهم الأكبر ـ والأخرى: قريبة بنت أبي أمية، فتزوجها معاوية)، وهما على شركهما لَمَّا سمع: ﴿وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾. وفي البخاري: ولا نعلم امرأة من المسلمين ارتدت إلى الكفار.

أبو بصير رضي الله عنه:

وممن خرج من قريش إليه ﷺ أبو بصير، واسمه عبيد ـ وقيل عتبة ـ بن أُسيد (بضم الهمزة) بن حارثة الثقفي، حليف بني زهرة، قدم عليه ﷺ بعد أن قدم المدينة فبعث فيه أزهر بن عبد عوف والأخنس بن شريق رجلين: أحدهما من بني عامر بن لؤي اسمه جحيش بن جابر والآخر مولى لبني زهرة، فرده ﷺ معهما، فلما كانوا بذي الحليفة نزلوا يتغدون بتمر كان عندهم، فسل العامري سيفه، فقال: لأضربن بسيفي هذا يوماً في الأوس والخزرج إلى الليل، فقال أبو بصير: أرنيه يا جحيش، فناوله إياه فأبان به رأسه، ففرَّ صاحبُه هاربا نحو المدينة فدخل على رسول الله ﷺ وهو في المسجد فلما رآه ﷺ قال: «**لقد رأى هذا ذعرا**» ثم قال: «**مالك ويلك؟**» فقال: قتل صاحبي، وإني لمقتول، فلم يلبث أن طلع أبو بصير متوشحا السيف، فلما رآه ﷺ قال: «**ويل أُمِّهِ مسعر حرب لو كان معه أحد**» ـ وفي رواية ـ «**لو وجد رجالا**» فقال أبو بصير: قد أوفى الله ذمتك رددتني إليهم فخفت أن أفتن عن ديني ويعبث بي، وقيل: إنه أتاه بسلب الرجل فقال: خَمِّسْهُ يا رسول الله، فقال: «**إن خَمَّسْتُه لم أوف بالعهد، ولكن شأنك به وامض حيث شئت**».

فلما سمع قوله علم أنه سيرده، فخرج ومعه خمسة رجال كانوا هاجروا معه، حتى أتى العيص وذا المروة بالساحل ـ وهي بلاد جهينة ـ فأقام بها يقطع الطريق على قريش، ويزداد ممن أسلم وإياه.

يعني بقوله: **(وانتدبوا لقوله)**: أي: انتدب المستضعفون بمكة، لَمَّا سمعوا قوله ﷺ في أبي بصير: «**محش حرب لو وجد رجالا**»، فخرج أبو جندل في سبعين راكبا من أهل مكة، كانوا محبوسين، حتى بلغوا أبا بصير، فجعلوا لا يمر بهم أحد من قريش إلا قتلوه، ولا عير إلا اقتطعوها والبلاد ممر تجارتهم، وانضم إليهم من غفار وأسلم وجهينة وطوائف العرب.. إلى أن بلغوا ثلاثمائة، وكان أبو بصير يؤمهم، حتى قدم أبو جندل فقدموه، لأنه قرشي، فلم يبرحوا يصلي بهم أبو جندل ويقتطعون على قريش أشد

الاقتطاع، وذلك قوله: (**وهم عليهم بعد ردهم وبال..**) حتى بعثوا إليه أن يصرفهم إليه ﷺ وذلك قوله:

واستعطفوا خير الورى بالرحم ... في صرفهم إليه عن أرضهم

❖ **الشرح**: (**واستعطفوا**): استمالوا واستشفعوا (**خير الورى**) ﷺ (**بالرحم**) ـ ككتف وبالكسر ـ أي القرابة (**في صرفهم**): أي: أبي بصير وأصحابه (**إليه**) ﷺ (**عن أرضهم**): أي: قريش أي: بعثوا إليه ﷺ: إنا قد أسقطنا هذا الشرط من شروطنا التي اشترطنا عليك... وسألوه بالأرحام أن يؤويهم إليه.

كتابه ﷺ إلى أبي بصير رضي الله عنه:

وكتب ﷺ إلى أبي جندل وأبي بصير أن يقدما إليه ومن معهما، فوافى كتابُه أبَا بصير يجود بنفسه فأخذ الكتاب وقرأه وسُرَّ به ووضعه على صدره إلى أن مات رضي الله عنه، فدفنه أبو جندل هناك، وبنى عليه مسجدا، وكان ﷺ يقول لأبي بصير، حين رده مع الرجلين وهو يقول: أَأُرَدُّ إلى المشركين يفتنونني عن ديني؟: «**سيجعل الله لك ولِمن معك من المسلمين فرجا ومخرجا**» وقالها أيضاً لأبي جندل رضي الله عنه حين ذهب به أبوه ينتره بتلابيبه ويضرب في وجهه بغصن شوك، فقام إليه عمر وأدنى منه قائم السيف، وقال: يا أبا جندل إنما هم المشركون دم أحدهم دم كلب، يغريه بقتل أبيه، فلما لم يفعل قال عمر رضي الله عنه: ضن الرجل بأبيه!

أبو جندل رضي الله عنه:

واسم أبي جندل العاص ـ وتقدم نسبه في نسب أبيه في غزوة بدر ـ وأمه وأخويه: عبدالله وعتبة، فاختة بنت عامر بن نوفل بن عبد مناف، وأخوه عبدالله هاجر إلى الحبشة ثم حبسه أبوه فخرج معه إلى بدر، وهو يكتم إسلامه، فلما ترآءى الْجمعان فَرَّ من أبيه إلى المسلمين وشهد معهم بدرا، واستشهد يوم اليمامة وهو ابن بضع وثلاثين سنة.

وأبو جندل هو الذي شرب الخمر متأولا بقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾ . . . الآية، ثم أشفق من الذنب فقال: هلكت، وكان شربها معه ضرار بن الخطاب، وضرار بن الأزور الأسدي، فبلغ ذلك عمر فبعث إليه: إن الذي زيَّن لك الخطيئة هو الذي حظر عليك التوبة، ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ . . . الآية، فكتب عمر إلى أبي عبيدة أن يجلدهم، فلما أراد جلدهم قالوا: دعنا نلق العدو فإن نحن قُتلنا فذلك و إلا حددتُمونا، فقتل ابن الأزور، وحُدَّ الآخران. وقيل في وقتِ قتْلِ ابن الأزور غيرُ هذا، وابن الأزور هو قاتل مالك بن نويرة بأمر خالد بن الوليد، وفيه قيل:

نعم القتيل إذا الرياح تناوحت خلف البيوت قتلت يا ابن الأزور
أدعوته بالله ثُم غدرته لو هو دعاك بذمة لم يغدر

وقدم أبو جندل عليه ﷺ بعد موت أبي بصير مع ناس من أصحابه، ورجع سائرهم إلى أهليهم، وأول مشاهدهم الفتح، واستشهد مع أبيه سهيل بالشام في خلافة عمر رضي الله عنه.

وروي أن قريشاً يومئذ بعثوا أربعين رجلاً أو خمسين أو ثَمانين من كنانة وغيرهم، ليطوفوا بالمسلمين حتى يأخذوا منهم أخذاً فيأتون به قريشاً، فأُخِذُوا فأُوتِيَ بهم النبيّ ﷺ، فعفا عنهم وخلى سبيلهم ـ بعد أن رموا في عسكره بالحجارة والنبل ـ فسُمُّوا العتقاء، وإليهم ينسب عبدالرحمٰن بن القاسم العتقي الفقيه.

وأقام ﷺ بالحديبية شهراً ونصفاً ـ وقيل عشرين ليلة، وقيل بضع عشرة ليلة ـ وأصابهم يوم الحديبية مطر لم يبل أسافل نعالهم، فنادى منادي رسول الله ﷺ: **«أن صلوا في رحالكم»**.

❋ ❋ ❋

وسـورة الـفـتـح لـدى الـقـفـول   أنـزلَـهـا الله عـلـى الـرسـول

نزول سورة الفتح:

❖ **الشرح: (وسورة الفتح)**: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ **(لدى القفول)**: الرجوع، ومنه القافلة تفاؤلاً **(أنزلها الله على الرسول)** ﷺ. يعني أنه لَمَّا انصرف من الحديبية، وكان بين مكة والمدينة ـ وهو إلى مكة أقرب ـ نزلت عليه سورة إنا فتحنا، واختلف في الفتح المبين، فقيل صلح الحديبية لأنه مقدمة لفتوح كثيرة ولأن الذين أسلموا سنة الصلح يعدلون الذين أسلموا قبلها، وقيل: فتح مكة وخيبر، نزلت ـ (بجبل على بريد من مكة يقال له ضجنان كسكران) ـ ردا على من قال من المسلمين: ما هذا بفتح، ولقد صدنا عدونا عن البيت وصد هدينا، ورد رسول الله ﷺ رجلين قد أسلما إلى المشركين كانا قد خرجا إليه.

فبلغ قولُهم رسولَ الله ﷺ فقال: «**بئس الكلام، بل هو أعظم الفتوح قد رضي المشركون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم وسألوكم القضية يرغبون إليكم في الأمان وقد رأوا منكم ما كرهوا وأظهركم الله عليهم وردكم سالمين مأجورين فهو أعظم الفتوح**»، وقال: «**أنسيتم يوم أحد إذ تصعدون ولا تلوون على أحد، وأنا أدعوكم في أخراكم؟ أنسيتم يوم الأحزاب**: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠﴾؟» فقالوا: صدق الله ورسوله ﷺ، فهو أعظم الفتوح، والله يا نبي الله ما فكرنا فيما فكرت فيه، ولأنت بالله وأمره أعلم منا.

❊ ❊ ❊

غزوة خيبر:

ثُـم لِـخـيـبـر ورشـح الـنـبِـي   حـيـدرةَ وبـالـعـقـاب قـد حُـبِـي

❖ **الشرح: (ثم لخيبر)**: قرية لليهود سميت باسم رجل من العماليق

نزلها وهو خيبر بن قانية بن مهلايل. يعني ثم بعد الحديبية، بشهر ذي الحجة وبعض المحرم، غزا قاصدا خيبر لبقاء شهر وأيام من السنة السادسة، واستخلف على المدينة نميلة بن عبدالله الليثي، وكان الله وعده خيبر وهو بالحديبية.

دعاؤه ﷺ لمّا أشرف على خيبر:

فخرج حتى أشرف على خيبر قال لأصحابه: «**قفوا**»، ثم قال: «**اللّهم رب السماوات وما أظللن ورب الأرضين وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين ورب البحار وما جرين فإنا نسألك من خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها أقدموا بسم الله الرحمٰن الرحيم**»، وكان يقولها لكل قرية دخلها.

وعن أنس: كان ﷺ إذا غزا قوماً لم يغر عليهم حتى يصبح فإن سمع فيهم أذانا أمسك وإن لم يسمعه أغار، فنزلنا خيبر فبات النبيّ ﷺ حتى أصبح ولم يسمع أذانا فركب وركبنا معه، وركبت خلف أبي طلحة، وإن قدمي لتمس قدم رسول الله ﷺ، ـ وفي رواية ركبتي ـ واستقبلنا عمال خيبر غادين بالمساحي والمكاتل، فلما رأونا قالوا: محمد والخميس، فأدبروا هرابا، فقال ﷺ: «**الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين**».

وكان ﷺ حين خرج نزل بواد يقال له الرجيع بين غطفان وخيبر، ليحول بينهم وبين غطفان أن يمدوهم وكانوا مظاهرين لهم على رسول الله ﷺ فلما سمعت غطفان بذلك خرجوا ليظاهروا يهود على رسول الله ﷺ حتى إذا ساروا سمعوا خلفهم في أموالهم وأهليهم حسا، ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم، فرجعوا على أعقابهم، وأقاموا على أموالهم وأهليهم، وخلوا بينهم وبين رسول الله ﷺ.

إعطاؤه ﷺ الراية لعلي ﷺ:

(ورشح): قدم **(النبيّ ﷺ حيدرة)**: أي: علي ﷺ **(وبالعقاب)**: اسم رايته ﷺ **(قد حُبِي)** بكذا ـ مبنياً للمفعول ـ خص به وأعطيه، يقول: لما رشح ﷺ علياً أعطاه رايته.

❊ ❊ ❊

ففاز بالفتح وكان ترسا ... بباب حصن لا يزاح إذ رسا

❖ **الشرح**: **(ففاز)** علي ﷺ **(بالفتح)**: أي: ظفر بالنصر، وهو هنا فتح خيبر بعد أن دفعها إلى أبي بكر فجهد ولم يكن فَتْحٌ ثم دفعها إلى عمر فجهد ولم يكن فَتْحٌ، فجاءه ﷺ رجل من الأنصار ـ هو محمد بن مسلمة ـ فقال: قُتل أخي محمود، فقال ﷺ: «**لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبانه يفتح الله على يديه**»، فبات الناس يتفكرون أيهم يُعطاها، ولا يظنون أنه علي، لِمَا به من الرمد.

فلما أصبح دعاه ﷺ فدفعها إليه، فقال: يا رسول الله إني أرمد، لا أرى موضع قدمي، فتفل ﷺ في عينيه فبرئ من حينه، ولم يرمد بعد ذلك، كرم الله وجهه. وكان يلبس الثوب الخفيف في شدة البرد فلا يبالي بالبرد، فسئل عن ذلك فقال: دعا لي ﷺ يوم خيبر حين رمدت عيناي أن يشفيني الله وأن يجنبني الحر والبرد.

فأخذ الراية وانطلق يأنح بها ـ وفي رواية: يؤج ـ (ويأنح من الأنيح، وهو علو النفس، يقال: فرس أنوح، ومنه حديث الأعرابية: كان أبي على طمرة أنوح، تسقى لبن اللقوح، ورأى عمر رجلا يأنح ببطنه فقال: ما هذا؟ فقال: بركة من الله فقال عمر: بل هو عذاب عذبك الله به، ويؤج من الأجيج، وهو السرعة، يقال: أجت الناقة تؤج أسرعت)، فقال عليٌّ ﷺ: على ما أقاتلهم يا رسول الله؟ قال: «**على أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإذ فعلوا ذلك فقد حقنوا دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**».

فمضى لذلك الوجه فما تتامَّ آخر الناس حتى فتح الله على أوليائه، فتدنى رسول الله ﷺ الأموال - أي يأخذ الأدنى فالأدنى - يأخذها مالاً مالاً، ويفتحها حصناً حصناً، وأول حصونهم فتحا حصن ناعم، ثم الغموص - حصن بني أبي الحقيق - ومنه سبيت صفية أمنا.

خبر أمنا صفية رضي الله عنها:

وكانت صفية عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق فقتل، واصطفاها ﷺ لنفسه، وقيل: إنها صارت لدحية الكلبي، فقال له ﷺ: «**خذ رأسا غيرها**»، وقيل: اشتراها منه بسبعة أرؤس غيرها، وقيل إنها لَمَّا صارت لدحية الكلبي جاءت امرأة من اليهود - لعلها عمتها - إلى رسول الله ﷺ فقالت له ﷺ: يا محمد إن صفية سيدتنا وبنت سيدنا، ولا تصلح إلا لك، فاشتراها ﷺ منه. وتقدمت لها في حياة أبيها رؤيا تبشر فيها بالنبي ﷺ - أوردناها في مقتل أبيها - وكانت تقول: ما رأيت قط أحسن خلقاً من النبيّ ﷺ لقد رأيته ركب بي من خيبر حين أفاء الله عليه، على ناقته ليلا، فجعلت أنعس فيضرب رأسي مؤخرة الرحل، فيمسني بيده ويقول: «**يا هذه مهلا يا بنت حيي**»، حتى إذا جاء الصهباء قال: «**أما أني أعتذر إليك يا صفية مما صنعت بقومك إنهم قالوا لي كذا وقالوا لي كذا**»، وفي طريقهما عثرت بِهما الناقة، فسقطا وانكشفت، فبادرهما أبو طلحة، فقال له النبيّ ﷺ: «**عليك المرأة**»، قال: فألقيت ردائي على وجهي ويَمَّمْتُها حتى ألقيت عليها ثوباً.

و اشتكت إليه ﷺ، ما تلقاه من أزواجه يقلن: قالت الإسرائيلية وفعلت الإسرائيلية، فقال لها: «**قو لي لهن: أبي هارون وعمي موسى وزوجي محمد ﷺ**»، وكان النبيّ ﷺ وضعها عند أم سليم حتى اعتدت - ويعارضه بناؤه بها في الطريق - فتزوجها وجعل عتقها صداقها، وأولم عليها بطعام معروف، وتوفيت رضي الله عنها عام خمسين في خلافة معاوية رضي الله عنه، ومناقبها لا تحصى، رضي الله عنها.

✍ تَتَرُّسُ عليّ بباب الحصن:

(وكان ترسا): أي: اتخذ ترسا **(بباب حصن)**: دار عظيمة **(لا يزاح)**: لا ينحى ولا يزال، ولا يذهب به **(إذ رسا)**: أي: ثبت في مكان، وعن أبي رافع مولاه ﷺ ـ وهو الذي كان يحدث عن إسلام العباس أنه قديم، ومقتل أبي لهب، وهو زوج سلمى قابلة إبراهيم بن النبيّ ﷺ، وقابلة بني فاطمة كلهم ـ قال أبو رافع: ضرب يهودي عليا فطرح ترسه من يده، فتناول باب حصن وترس به، فلما فتح وفرغ من القتال ألقاه، فقام إليه سبعة أنا ثامنهم فجهدنا على أن نقلبه ولم نقلبه.

❊ ❊ ❊

وغل قاتل سليل مسلمة   لصنوه محمد وأسلمه

❖ **الشرح**: **(وغل)**: فلانا جعله في الغل أي: أوثقه **(قاتل سليل)**: أي: محمود بن **(مسلمة)** بن خالد بن عدي بن مجدعة الأوسي **(لصنوه)**: شقيقه محمد بن مسلمة، من أكابر الصحابة وشجعان الأوس، وهو الذي انتدب لكعب بن الأشرف حين قال له ﷺ: **«من لي بابن الأشرف فقد آذى الله ورسوله»**.

❊ ❊ ❊

✍ مقتل كعب بن الأشرف:

وكان كعب آذى المسلمين وشبب بنسائهم، وممن شبب به أم الفضل زوج العباس رضي الله عنه، فقال محمد بن مسلمة: أنا له يا رسول الله، فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما يعلق به نفسه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال له: **«لِمَ تركت الطعام والشراب؟»** قال: قلتُ لك قولاً لا أدري هل أوفين به أم لا؟ قال: **«إنّما عليك الجهد»** قال: يا رسول الله إنه لا بد لنا أن نَتَقَوَّلَ ـ يريد الكذب ـ قال: **«قولوا ما بدا لكم فأنتم في حل من ذلك»**.

فاجتمع هو وسلكان بن سلامة بن وقش ـ وهو أخو كعب من

الرضاعة ـ وعباد بن بشر والحارث بن أوس بن معاذ ـ ابن أخي سعد بن معاذ ـ وهم من بني عبد الأشهل، ومحمد بن مسلمة من بني مجدعة، ولكنه حليف بني عبد الأشهل، وأبو عبس بن جبر.

ثم قدموا سلكان إلى ابن الأشرف، فتحدث معه ساعة فناشده الشعر ـ وكان سلكان يقول الشعر ـ ثم قال: ويحك يا ابن الأشرف إني قد جئتك لحاجة أريد أن أذكرها لك فاكتم عني، قال: أفعل، قال: كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء، عادتنا العرب، ورمتنا عن قوس واحدة، وانقطعت عنا السبل حتى جاع العيال وجهدت الأنفس، فقال كعب: أنا ابن الأشرف! أما والله لقد كنت أخبرتك يا أبا نائلة ـ وهي كنية سلكان ـ أن الأمر سيصير إلى ما أقول، فقال: إني أريد أن تبيعنا ونرهن لك ونوثق لك ونحسن لك في ذلك، قال: أترهنوني نساءكم؟ قال: كيف نرهن لك نساءنا وأنت أشب أهل يثرب وأعطرهم؟ قال: أترهنون أبناءكم؟ قال: أردت أن تفضحنا.. إن معي أصحابا على مثل رأيي، وقد أردت أن آتيك بهم، ونرهن لك من الحلقة ما فيه وفاء طعامك ـ أراد ألا ينكر السلاح إذا جاؤوا به ـ قال: إن في الحلقة لوفاء، فرجع سلكان إلى أصحابه فأخبرهم خبره، وأمرهم أن يأخذوا السلاح، واجتمعوا عند النبيّ ﷺ وذهب معهم إلى بقيع الغرقد، ثم وجههم وقال: «**انطلقوا بسم الله اللّهم أعنهم عليه**»، ورجع إلى بيته.

وانتهوا إلى حصن كعب في ليلة مقمرة فهتف به أبو نائلة ـ وكان عدو الله حديث عهد بعرس ـ فوثب في ملحفة، فأخذت امرأته بناحيتها وقالت: إنك امرؤ محارب، وإن أهل الحرب لا ينزلون في مثل هذه الساعة، قال: أبو نائلة، لو وجدني نائماً ما أيقظني، فقالت: والله إني لأسمع صوتا يقطر منه الدم، قال: لو دعي الكريم إلى طعنة لأجاب، فنزل فتحدث معهم ساعة وقالوا له: هل لك يا ابن الأشرف أن تمشي معنا إلى شعب العجوز، فنتحدث به بقية ليلتنا؟ فقال: إن شئتم.

فخرجوا يتماشون فمشوا ساعة، ثم إن أبا نائلة شام يده في فود رأسه ثم شم يده فقال: ما رأيت كالليلة طيباً أعطر، ثم مشى ساعة، ثم إن أبا

نائلة أعاد لمثلها حتى اطمأن، ثم عاد لمثلها فأخذ بفود رأسه فقال: اضربوا عدو الله، فضربوه فاختلفت عليه أسيافهم ولم تغن شيئاً.

قال محمد بن مسلمة: فذكرت مغولاً في سيفي فأخذته، وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار، قال: فوضعت المغول في ثنته فتحاملت عليه حتى بلغت عانته، فوقع عدو الله - وقد أصيب الحارث بن أوس بجرح في رأسه ورجله، أصابه بعض أسيافنا - فخرجنا وقد أبطأ علينا صاحبنا ونزفه الدم، فوقفنا له ساعة يتبع آثارنا، فاحتملنا فجئنا به رسول الله ﷺ، وهو قائم يصلي آخر الليل، فسلمنا عليه وأخبرناه بمقتل عدو الله، وتفل على جرح صاحبنا فبرئ، من حينه، فرجعنا إلى أهلنا فأصبحنا، وقد خافت يهود لوقعتنا بعدو الله فليس بها يهودي إلا وهو يخاف على نفسه. وفي ذلك يقول عباد بن بشر قصيدته التي أولها:

صرخت به فلم يعرض لصوتي ... وأوفى طالعاً من رأس خدر
وجاء برأسه نفر كرام ... هم ناهيك من صدق وبر

وقوله: وجاء برأسه نفر كرام... قيل إنهم حملوا رأسه في مخلاة وهو أول رأس دخل المدينة، وقيل: أول رأس دخلها رأس أبي عزة وتقدم خبره، **(وأسلمه)**: أعطاه له.

❋ ❋ ❋

مقتل مِزحَبِ اليهودي:

وغال مرحباً وقَدَّ حجرا ... من يابس الصخر به تَمغفرا

❖ **الشرح**: **(وغال)**: قتل **(مرحبا)** بطل يهود خيبر، وقيل: إنه الذي قتل محمود بن مسلمة، ألقى عليه رحى من فوق حصن ناعم، وقيل: إن الذي قتل مرحباً محمدُ بن مسلمة. خرج مرحب وقد جمع سلاحه يرتجز يقول:

قد علمت خيبر أني مرحب   شاكي السلاح بطل مجرب

ويقول: من يبارزني؟ فأجابه كعب بن مالك:

قد علمت خيبر أني كعب   مفرج الغما جريء صعب

فقال ﷺ: «**من لهذا؟**» فقال محمد بن مسلمة: أنا والله الموتور الثائر، قتل أخي بالأمس، قال: «**فقم إليه اللّهم أعنه عليه**» فضربه محمد حتى قتله، ثم خرج من بعد مرحب أخوه ياسر وهو يقول: من يبارزني؟ فقام إليه الزبير، فقالت أمه صفية: يقتل ابني يا رسول الله؟ فقال: «**ابنك يقتله إن شاء الله**» فالتقيا فقتله الزبير. وفي الحديث الصحيح أن عليا هو قاتل مرحب كما في النظم، وحين جاء يرتجز أجابه علي بقوله:

أنا الذي سمتني أمي حيدره   كليث غابة كريه المنظره
أضرب بالسيف رؤوس الكفره   أكيلهم بالصاع كيل السندره

(والسندرة): شجرة يصنع منها مكاييل عظام، وحيدرة: من أسماء الأسد، وقيل: إن اسم علي في الكتب المتقدمة أسد، وقيل: ولدته أمه ـ وأبوه غائب ـ فسمته باسم أبيها، فلما قدم أبوه سماه عليا، وقيل: حيدرة الممتلئ لحماً مع عِظَمِ بطن وكذلك كان علي ﷺ) (**وقَدَّ**)هُ استأصله قطعا، لأن سيفه ﷺ ثبت في أضراس مرحب (**حجرا من يابس الصخر**): الحجر الصلب الذي تجرب عليه السيوف (**به تَمغفرا**) أي: جعله مغفراً ـ كمنبر ـ وهو ما يجعله المتسلح من الدرع تحت القلنسوة.

ومعنى البيتين أن علياً كرم الله وجهه لما دفع إليه ﷺ الراية وتفل في عينيه وهرول بالراية، أخذ قاتل محمود بن مسلمة، ودفعه إلى أخيه محمد. ويزاد في آخر حديث: «**لأدفعن الراية لرجل غدا لا يفر، ويُمكنه الله من قاتل أخيك**». وبارزه مرحب كما تقدم.

وفتح جميع حصون خيبر إلا الوطيح والسلالم، فاحتصن بهما من بقي من أهل خيبر، حتى صالحوا رسول الله ﷺ على أن يقرهم لعمارة الأرض

ولهم النصف مما تثمر به، فقال ﷺ: «**نقركم ما شئنا**» ثم أجلاهم عمر رضي الله عنه ـ كما تقدم في الخندق ـ (واختلف العلماء في هذين الحصنين هل كانا عنوة أو مصالحة)؟.

❋ ❋ ❋

وعـامـر بـن الأكـوع اسـتـنـشـده ... خـيـرُ الـورى وقـال إذ أنـشـده:
«والـلَّـهِ لـولا الـلَّـهُ مـا اهـتـديـنـا ... ولا تـصـدقـنـا ولا صـلـيـنـا»

استنشاده ﷺ عامرَ بنَ الأكوع:

❖ **الشرح**: (**وعامر بن الأكوع استنشده**): بأن قال له بعد ما خرجوا من المدينة: «**انزل يا ابن الأكوع وخذ لنا من هناتك**» (**خير الورى وقال إذ أنشده: والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا**) ومما يقول ـ وهو يحدو بهم ـ:

إنـا إذا قـوم بـغـوا عـلـيـنـا ... وإن أرادوا فـتـنـة أبـيـنـا
فـأنـزلـن سـكـيـنـة عـلـيـنـا ... وثـبـت الأقـدام إن لاقـيـنـا
فـاغـفـر فـداء لـك مـا اقـتـفـيـنـا

❋ ❋ ❋

وإذ تـرحـم لـلانـشـاد عـلـيـه ... هـلـك مـن رجـوع سـيـفـه إلـيـه
واسـتـشـعـر الـفـاروقُ أن يُـسْـتَـشْـهَـدَا ... وأخـبـر الـهـادي بـه بـادي بـدا

❖ **الشرح**: (**وإذ ترحم**) ﷺ أي قال: «**يرحمك الله أو ربك**»، وفي رواية، «**يغفر الله لك ذنبك**» (**للانشاد عليه هلك**) أي: مات (**من رجوع سيفه إليه**) لأنه لما جعل يقاتل رجع عليه سيفه فكَلَمَه كَلْماً شديدا فمات منه. وقد شك المسلمون فيه، وقالوا: قتله سلاحه، فسمع ذلك أخوه ـ أوابن أخيه، لأن سلمة قيل هو ابن الأكوع، فيكون أخاه، وقيل: ابن عمرو بن الأكوع فيكون ابن أخيه ـ فسأل رسول الله ﷺ؟ فقال: «**إنه شهيد**»، وروي: «**بل يؤتى أجره مرتين**»، فصلى عليه ﷺ، والمسلمون لأنه تأخر موته عن المعركة.

(**واستشعر**): أي: فطن (**الفاروق**) سيدنا عمر ﷺ، لأنه فرّق بين الحق والباطل، وأظهر الإسلام بِمَكة، ففرَق بين الكفر والإيمان (**أن يستشهدا**) أي: يَموت شهيداً بترحم النبيّ ﷺ أي: فطن عمر أن النبيّ ﷺ رأى عامرا يستشهد في هذه الغزوة بترحمه عليه، (**وأخبر**) عمر (**الهادي**) ﷺ (**به**) أي: استشهاده (**بادي بدا**) أي: أول كل شيء، فقال: وجبت والله، يا رسول الله لو متعتنا به.

❊ ❊ ❊

وقُـتِـلَـتْ تـسـعـون مـن يـهـودا   واسْـتُـشْـهِـدَتْ (يَـهْ) ولا مـزيـدا

❖ **الشرح**: (**وقتلت تسعون من يهودا**) من أشهرهم: مرحب، وياسر، وكنانة بن أبي الحقيق، وأخوه، وأسير والحارث أبو زينب.

الشهداء ﷺ:

(**واستشهدت يَهْ**): أي: خمسة عشر (**ولا مزيداً**): ثلاثة من بني أسد بن خزيمة، ومن قريش بالحلف ـ حلفاء بني عبد شمس ـ وهم: ربيعة بن أكثم، شهد بدراً وما بعدها، وثقف ـ وقيل: ثقيف ـ بن عمرو شهد بدراً وقيل: قتل بأحد ـ وتقدم ذلك، والمشهور أنه قتل هذا اليوم ـ ورفاعة بن مسروح، ومن بني أسد بن عبد العزى: عبدالله بن الهبيب بن أُهيب، وهو من بني سعد بن ليث ـ حليف بني أسد وابن أختهم، وقيل قتل بأحد ـ ومن الأنصار: اثنان من بني سلمة أحدهما: بشر بن البراء، ومن بني زريق مسعود بن سعد، ومن بني مجدعة: محمود بن مسلمة، ومن بني عمرو بن عوف أبو ضياح بن ثابت، والحارث بن حاطب، وعروة بن مرة بن سراقة، وثابت بن أثلة، وأنيف بن حبيب، وأوس بن قتادة، ومن أسلم: عامر بن الأكوع ـ المتقدم الذكر ـ وعمارة بن عقبة الغفاري، ومسعود بن ربيعة القارئ ـ حليف بني زهرة ـ والأسود الراعي واسمه: يسار، وأسلم هذا اليوم.

استشهاد يسار الراعي رضي الله عنه:

جاء يسار إلى النبيّ ﷺ، وهو يحاصر حصنا من حصون خيبر، فقال: يا رسول الله اعرض عليَّ الإسلام، فعرضه ﷺ عليه فأسلم، وقال: ما أصنع بهذه الغنم فإنها عندي أمانة لرجل من أهل خيبر؟ فقال: «**اضرب في وجوهها فإنَّها سترجع إلى ربها**»، فأخذ الأسود حفنة من تراب فرمى بها في أوجه الغنم فأقبلت كأن سائقا يسوقها إلى أن دخلت الحصن على ربها. فقاتل رضي الله عنه معه ﷺ، فأصابه حجر فقتله فجيء به إليه ﷺ مسجى فأعرض عنه، فقيل له: لِمَ أعرضت عنه؟ قال: «**إن معه حينئذ زوجتيه من الحور العين تنفضان عنه التراب وتقولان ترَّب الله من ترَّب وجهك وقتل مَن قتلك**».

❁ ❁ ❁

ومر راجعا على وادي القرى ... فشاطرت يهوده خير الورى
وأهلكوا غلامه ذا الشمله ... أغلها فهي عليه شعله

مروره ﷺ بوادي القرى:

❖ **الشرح**: **(ومر راجعا على وادي القرى)**: قرية من قرى اليهود بين المدينة وخيبر، وصارت بعدُ من عمل المدينة، ولم يترجم له لأنه لم يذكر في الغزوات، ولا في السرايا، لأنه ﷺ حضره، وتذيل به هذه الغزوة.

وأتى عبدُالملك بنُ مروان يزيدَ بن معاوية فقال: إن أمير المؤمنين معاوية كان ابتاع بعض اليهود أرضا بوادي القرى وأحيى إليها أرضا، وليست لك بذلك المال عناية، فقد ضاع، وقلت غلته فأقطعنيه فإنه لا خطر له، فقال يزيد: إنا لا نبخل بكثير ولا نخدع عن صغير، فقال: يا أمير المؤمنين غلته كذا، قال: هو لك، فلما ولى قال يزيد: هذا الذي يقال: إنه يلي بعدنا، فإن يكن ذلك حقاً فقد صانعناه، وإن يكن باطلا فقد وصلناه.

(فشاطرت): قاسمت، والشطر النصف، وهو أيضاً الجهة قال تعالى:

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ **(يهوده خير الورى)** والمعنى: أنه ﷺ، مر راجعاً من خيبر إلى المدينة بيهود وادي القرى، فدعاهم إلى الإسلام فامتنعوا، وحاصرهم ليالي، حتى عاملهم بمثل ما عامل عليه أهل خيبر.

(وأهلكوا): أي: قتلوا **(غلامه)** ﷺ، واسمه مِدْعَمٌ، وكان يحط رحله ﷺ، فأصابه سمه غرب أي، لا يدرى راميه فقتله **(ذا الشمله)**: كساء دون القطيفة يشتمل فيه **(أغلها)**: أخذها غلولا، وهو الأخذ من الغنيمة قبل أن تقسم **(فهي عليه شعله)**: ما اشتعلت فيه النار من الحطب، فقال المسلمون حين قتل: هنيئا له الجنة، فقال ﷺ: «**كلّا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذ من مغانم خيبر لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا**» فلما سمعوا ذلك جعل الرجل يأتي بشراك، والرجل يأتي بشراكين، فقال ﷺ: «**شراك من نار وشراكان من نار**»، وقيل: أخذها ﷺ وقسمها بين من قاتل عليها، وأصاب المسلمون أثاثا ومتاعا.

❋ ❋ ❋

غزوة مؤتة:

ثُم إلى الروم النبيُ استنفرا — لِمؤتة جيشا عليه أمَّرا

زيدَ بنَ حارثة ثُم جعفرا — وابنَ رواحة فلأيا انبرى

❖ **الشرح**: **(ثم إلى الروم)**: جيل قيصر، وهم بنو روم بن عيصو بن سيدنا إسحاق ويقال لهم: بنو الأصفر، وهو الأصفر بن روم، أو لأن جيلاً آخر غلبهم فوطئ نساءهم، فجئن بأولاد صفر **(النبي ﷺ استنفرا)**: أي: طلب نفيرا ووجهه **(لمؤتة)**: ـ بالضم مهموز الواو ـ قرية من أرض البلقاء من الشام ـ تعمل بها السيوف ـ وبلا همز ضرب من الجنون، وهو الهمز، ومن دعائه عليه السلام: «**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه**»، **(جيشا عليه أمرا)**: أي: جعله أميراً.

❋ ❋ ❋

زيد بن حارثة وأسامة ﵄:

(زيدَ بن حارثة) بن شرحبيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان الكلبي، من كلب بن وبرة، سَمَّى رسول الله ﷺ زيد الحب وأسامة ابنه الحب بن الحب، ومحمد بن أسامة صحابي، وحارثة صحابي أيضاً.

وكان زيد أصابه سباء في الجاهلية: خرجت به أمه سعدى بنت ثعلبة - من طيئ - لتُزِيرَهُ أهلها، فأصابته خيل من بني القين، فباعوه بسوق من أسواق العرب، وهو ابن ثمانية أعوام، ثم كان من حديثه أنِ اشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد بأربع مائة درهم، ثم وهبته له ﷺ بعد ذلك، وتتبع أهله خبره، وكان أبوه يقول:

أحن إلى زيد ولم أدر ما فعل ... أحي فيرجى أم أتى دونه الأجل
فوالله ما أدري وإن كنت سائلا ... أغالك بعدي السهل أم غالك الجبل

إلى أن قال:

حياتي وإن تأتي عليَّ منيتي ... وكل امرئ فَانٍ وإن غره الأمل
سأوصي به قيسا وعمرا كليهما ... وأوصي يزيدا ثم أوصي به جبل

وقوله: وأوصي يزيدا هو ابن عم زيد وأخوه لأمه، ويعني بجبل جبلة بن حارثة أخا زيد، وكان أسن منه، سئل جبلة أكبر هو أم زيد؟ فقال: زيد أكبر مني وأنا ولدت قبله، يريد أنه أفضل منه لسبقه إلى الإسلام. ووقع مثل هذا لسعيد بن يربوع المخزومي، سأله النبيّ ﷺ: «**أنا أكبر أم أنت؟**» فقال: بأبي أنت وأمي، أنت أكبر مني وأخْيَرُ، وأنا أقدم منك، (وسعيد من مسلمة الفتح، وعاش قبل إسلامه ستين سنة وبعده ستين سنة). فلما سمع زيد قول أبيه قال - بحيث تسمعه الركبان -:

أحن إلى أهلي وإن كنت نائيا ... فإني قعيد البيت عند المشاعر
فكفوا عن الوجد الذي قد شجاكم ... ولا تُعْمِلُواْ في الأرض نصَّ الأباعر

فإني بحمد الله في خير أسرة كرام معد كابر بعد كابر

فبلغ قوله أباه، فجاء هو وعمه كعب حتى وقفا عليه ﷺ بمكة، وذلك قبل الإسلام، فقالا له: يا ابن عبد المطلب يا ابن سيد قومه أنتم جيران الله، وتفكون العاني وتطعمون الجائع، وقد جئناك في ابن لنا عندك لتحسن إلينا في فدائه فقال: «**أو غير ذلك؟**» فقالا: وما هو؟ قال: «**أَدْعُوهُ فأُخَيِّرُه فإن اختاركما فذلك، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحدا**» فقالا له: قد زدت على النصف فادعه، فإن اختارك فهو لك، فدعاه ﷺ فقال له: «**من هذان؟**» فقال: هذا أبي حارثة، وهذا عمي كعب بن شرحبيل، فقال: «**قد خيرتك إن شئت ذهبت معهما، وإن شئت أقمت معي**» فقال: بل أقيم معك، فقال أبوه: ويحك يا زيد أتختار العبودية على أبيك وأمك وبلدك وقومك؟ فقال: إني رأيت من هذا الرجل شيئاً وما أنا بالذي أفارقه أبدا. فعند ذلك أخذ رسول الله ﷺ بيده وطاف به على ملأ من قريش، فقال: «**اشهدوا أن هذا ابني وارثاً وموروثاً**»، فطابت نفس أبيه عند ذلك، وكان يدعى زيد بن محمد حتى أنزل الله ﷻ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾ وكان ﷺ أسن منه بعشرين سنة أو أكثر، وزوجه مولاته أم أيْمن فولدت أسامة ـ ولَمْ أجد من يذكر له ابنا غيره ـ وأخوه لأمه أيمن بن أم أيمن، وكان يقول ﷺ: «**أم أيمن أمي بعد أمي**» واسمها بركة، وهي لعبدالله بن عبد المطلب، وقيل لآمنة بنت وهب.

وزيد هو أول رجل أسلم، وكان أبيضَ وأسامةُ أسودَ، فمر بهما قوم من بني مدلج، وهما مضطجعان وقد خرجت أقدامهما فقال المدلجيون: مَن هذه الأقدام التي بعضها من بعض؟ فسر النبيّ ﷺ بذلك. وتوفي النبيّ ﷺ وأسامة ابن تسع عشرة سنة، وهو أمير آخر جيش جهزه ﷺ، وفيه قال: «**أسامة أحب الناس إلي ما حاشا فاطمة**» وفي رواية «**ما حاشا فاطمة ولا غيرها**». وفرض له عمر رضي الله عنه خمسة آلاف، ولابنه عبدالله ألفين، فقال: أكثرت عني أسامة وشهدت ما لم يشهد فقال عمر: أسامة أحب إلى رسول الله ﷺ منك، وأبوه أحب إليه من أبيك.

وولد ابنه محمد بن أسامة على عهد رسول الله ﷺ، وعثر يوما فدَمِي وجهه فمص ﷺ دمه ودخل يعقوب بن محمد بن أسامة المسجد يوما يجر ثيابه، وعبدالله بن عمر جالس في المسجد، فغضب وقال: من هذا؟ فقيل: يعقوب بن محمد بن أسامة، فطأطأ رأسه، ونقر بيده الأرض، ثم قال: لو رآه ﷺ لأحبه، ودخل يوما الحجاج بن أيمن ابن أم أيمن المسجد، وفيه عبدالله بن عمر أيضاً، فلم يتمم الحجاج ركوعه ولا سجوده، فقال عبدالله: أعد، فلما ولى الحجاج قال عبدالله: من هذا؟ قيل: الحجاج بن أيمن ابن أم أيمن، فقال: لو رآه ﷺ لأحبه.

وكان ﷺ يقول لزيد: «**أنت أخونا ومولانا**»، وبعث ﷺ بعثا فأمر عليه أسامة، فطعن بعض الناس في إمارته، فقال ﷺ: «**إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه قبل، وأيم الله إن كان لخليقا بالإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلَيَّ، وإن هذا لمن أحب الناس إلَيَّ بعده**»، وحين أهم قريشاً شأن المخزومية التي سرقت، قالوا: من يجترئ على رسول الله ﷺ يكلمه فيها إلا أسامة؟ فكلمه أسامة، فقال النبيّ ﷺ: «**إن بني إسرائيل كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه لو كانت فاطمة لقطعت يدها**»، تُوفِّيَ أسامة سنة بضع وخمسين، ويكنى أبا زيد، ويكنى زيد أبا أسامة.

وكان زيد اكترى بغلاً من رجل من الطائف، واشترط عليه المكري أن ينزله حيث شاء فمال به إلى خربة، فقال: انزل، فإذا في الخربة قتلى كثيرة، فلما أراد أن يقتله قال: دعني أصل ركعتين، قال: صلَّى مَنْ قبلك، فلم تنفعهم صلاتهم شيئاً، قال: فلما صليت أتاني ليقتلني، قال: قلت: يا أرحم الراحمين، فسمع قائلا يقول: لا تقتله، فهاب ذلك.

فخرج يطلب فلم ير شيئاً، فرجع إلي ليقتلني فناديت: يا أرحم الراحمين، ففعل ذلك ثلاثا فإذا أنا بفارس بيده حربة حديد في رأسها شعلة من نار، فطعنه بها فأنفذها من ظهره فوقع ميتا، ثم قال: لما دعوتَ المرة الأولى يا أرحم الراحمين كنتُ في السماء السابعة، وفي الثانية في سماء

الدنيا وفي الثالثة أتيتك، ونزلت فيه ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ الآيات، فإنعام الله عليه بالإيمان، وإنعامه ﷺ بالعتق، ولما نزلت ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾ امتثلها زيد فقال: أنا ابن حارثة، وشرفه الله تعالى بأن سماه في القرآن وذكره سبحانه في الذكر الحكيم حتى صار اسمه قرآنا يتلى بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ الآيات! فقد نوه به غاية التنويه فكان في هذا تأنيس له وعوض من أُبُوَّةِ سيدنا محمد ﷺ.

ألا ترى قول أُبَيٍّ بن كعب حين قال له ﷺ: «**إن الله تعالى أمرني أن أقرأ عليك سورة كذا**» فبكى أُبَيٌّ فقال: أوَ ذكرت هنالك؟ وكان بكاؤه من الفرح حين أُخْبِرَ أن الله تعالى ذكره، فكيف بمن صار اسمه قرآناً يتلى مخلدا لا يبيد، يتلوه أهل الدنيا إذا قرأوا القرآن، وأهل الجنة كذلك؟

جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه:

(**ثم جعفرا**) بن أبي طالب، (واسم أبي طالب عبد مناف) بن عبد المطلب، (واسم عبد المطلب شيبة) بن هاشم (واسم هاشم عمرو) وسمي هاشما لأنه أول من هشم الثريد بمكة، قال عبدالله بن الزبعرى - وكان هجاً قصياً فخافتهم سهم، فأوثقوه بالكعبة، وقيل على أبي قبيس، فجعل يستغيث فلم يغثه إلا بنو عبد مناف، فمدحهم بأشعار كثيرة منها -:

كانت قريش بيضة فتفقأت ... فالْمُحُّ خالصه لعبد مناف
الخالطين فقيرَهم بغنيهم ... والظاعنين لرحلة الأصياف
والرائشين وليس يوجد رائش ... والقائلين: هلم للأضياف
عمرو العلا هشم الثريد لقومه ... قوم بِمكة مسنتين عجاف

ابن عبد مناف (واسمه المغيرة) بن قصي (واسمه زيد) وسُمي قصيا لأن أمه فاطمة بنت سعد بن سهل الْخثعمية لَما طلقها كلاب - أو مات عنها - أقصته: أي: أبعدته إلى بني عذرة، إذ تزوجت منهم ربيعة بن حرام، فلما شب وقع بينه وبين فتى من الحي شيء، فقال له: إنما أنت ملصق فينا،

فدخل على أمه فسألها، فقالت له: نعم، ولكن أنت من أكرم الكرام، جيران البيت الحرام فارتحل إلى مكة ثم أخذ المفاتيح من خزاعة وجمع قريشاً فسمي مجمعاً. قال حذافة بن غانم:

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا   به جمع الله القبائل من فهر

وفي عبد مناف يقول مطرود بن كعب:

إن المغيرات وأبناءها   من خير أحياء وأموات

يريد بني المغيرة. وأم جعفر فاطمة بنت أسد، وهي إحدى الفواطم اللاتي قال النبيّ ﷺ لعلي في ثوب الحرير: «**قسمه بين الفواطم الثلاث**» - هذه، وبنته ﷺ، وفاطمة بنت حمزة -.

وأولادها أربعة ولها ابنتان أم هانئ وجمانة - وتقدمت كيفية ولادتها لهم - وكان ﷺ يقول لجعفر: «**أشبهت خلقي وخلقي**»، وهو من الخمسة المشبهين بالنبيّ ﷺ، قال بعضهم:

بخمسة شبه المختار من مضر   يا حسن ما خولوا من شبهه الْحَسن
بجعفر وابن عم المصطفى قثم   وسائب وأبي سفيان والْحسن

وكان ﷺ قديم الإسلام، هاجر مع زوجه أسماء بنت عميس إلى الحبشة، وولدت بها محمداً وعوناً، ويوم وَلَدَتْ عبدَالله وُلِدَ فيه للنجاشي وَلَدُ، فسأل جعفراً ما ذا سميت ابنك يا جعفر؟ لنسمي به ابننا، فسماه عبدالله، وأرضعته أسماء بلبن ابنها عبدالله فكانا يتواصلان لتلك الأخوة، وكان النجاشي أسلم على يد جعفر. وقدم جعفر من الحبشة على النبيّ ﷺ حين فتح خيبر، فقال: «**لا أدري بأيهما أنا أشد فرحا أبقدوم جعفر أم بفتح خيبر؟**» وعانقه النبيّ ﷺ، وقبل بين عينيه. (واحتج سفيان الثوري بهذا الحديث على مالك قال: عانق من هو خير مني من هو خير منك، يعني النبيَّ ﷺ وجعفراً).

وكان أبو هريرة ﷺ يقول: ما احتذى النعال، ولا ركب المطايا، ولا

وطئ التراب ـ بعد رسول الله ﷺ ـ أفضل من جعفر، ويقول: جعفر خيرهم للمساكين، يذهب بنا إلى بيته فيطعمنا فإذا لم يكن عنده شيء أخرج لنا عكة ليس فيها شيء فيشقها فنلعقها، وقال عبدالله بن جعفر: كنت إذا منعني عليٌّ شيئاً أقول له: بحق جعفر عليك إلا تعطيني فيعطينيه، وسمع ﷺ فاطمة تبكي جعفرا تقول: واعماه! فقال: «**على مثل جعفر فلتبك البواكي**». وهو أول من عرقب فرسا في سبيل الله، وذلك يوم مؤتة، كان على فرس شقراء، فنزل عنها وعرقبها، ووقف باللواء في يمينه فقطعت، فأخذه بيساره فقطعت، فاحتضنه إلى أن قتل، ووجد به تسعون جرحاً، وقيل: خمسون، فقال ﷺ: «**أبدله الله جناحين من يديه يطير بهما في الجنة حيث شاء**» وقال ﷺ: «**دخلت الجنة البارحة فرأيت جعفر بن أبي طالب يطير مع الملائكة وجناحاه مضرجان بالدم**»، وعن سعيد بن المسيب قال: قال رسول الله ﷺ: «**مُثِّلَ لي جعفر وزيد وعبدالله في خيمة من در فوق أسرة، ورأيت زيداً وعبدالله وفي أعناقهما صدود ورأيت جعفرا مستقيما فقيل لي إنهما حين غشيهما الموت أعرضا، ومضى جعفر لم يعرض**».

الأطعمة عند العرب:

وأمر ﷺ أن يصنع لآل جعفر طعام، فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم (وهذا هو الأصل في طعام التعزية، وتسميه العرب الوضيمة، كما تسمي طعام العرس الوليمة، وطعام القادم النقيعة، وطعام الباني الوكيزة، وطعام الولادة الخرس، وطعام المولود العقيقة، وهي اثنا عشر).

والطعام الذي صنع لآل جعفر، قال عبدالله ابنه: عمدت سلمى مولاة النبيّ ﷺ إلى شعير فطحنته ثم آدمته بزيت، وجعلت عليه فلفلاً، فأكلتُ منه، وحبسني النبيّ ﷺ وأخوي في بيته ثلاثة أيام. ومن شعر حسان بن ثابت في بني هاشم:

وما زال في الإسلام من آل هاشم ... دعائم عز لا ترام ومفخر

بهاليل منهم جعفر وابن أمه ... علي ومنهم أحمد المتخير

بـهـم تـفـرج الـلأواء فـي كـل مـأزق　　عَمَاس إذا ما ضاق بالـنـاس مـصـدر

وليس جناحاه كما يسبق إلى الوهم أنهما مثل جناحي الطائر وريشه، لأن الصورة الآدمية أشرف الصور وأكملها.

❁ ❁ ❁

بكاء ابن رواحة ﷺ خوفاً من آية:

(وابن رواحة) هو سيدنا عبدالله ـ فتقدم نسبه وبعض مناقبه في الخندق ـ **(فلأيا)** أي: بُطْأً **(انبرى)**: أي: مشى، لأنه ﷺ تلكأ في المسير، وقال: والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة بكم ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ فلست أدري كيف لي بالصدور بعد الورود؟. فقيل: إن الخطاب في الآية متوجه إلى الكفار، واحْتُجَّ له بقراءة ابن عباس، «**وإن منهم إلا واردها**»، وقيل: الورود الإشراف عليها ومعاينتها، وقيل: الورود هنا المرور على الصراط، وقيل: إن عبدالله بعد أن تلكأ قال: إن كانت زوجتي فهي طالق، وإن كان عبدي فهو حر لوجه الله، وإن كان مالي فهو صدقة على المسلمين، فأخذ سلاحه وسار. فقال لهم المسلمون: صحبكم الله وردكم إلينا سالمين، فقال عبدالله بن رواحة:

لـكـنـنـي أسـأل الـرحـمٰـن مـغـفـرة　　وطـعـنـة ذات فـرغ تـقـذف الـزبـدا
أو طـعـنـة بـيـدي حـران مـجـهـزة　　بـحـربـة تـقـذف الأحـشـاء والـكـبـدا

ثم مضوا حتى نزلوا معانا من أرض الشام، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآرب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وانضم إليهم من لخم وجذام وبهراء وبلي مائة ألف، عليهم رجل من بلي اسمه مالك بن رافلة. فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين ينظرون في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا، فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي.

فشجعهم عبدالله بن رواحة وقال: يا قوم والله إن الذي تكرهون لَلَّذي جئتم تطلبون: الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، وما نقاتلهم إلا لهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطَلِقُوا فإنما هي إحدى الحسنيين: إما الظهور، وإما الشهادة.

ثم مضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها المشارف، ثم دنا العدو، وانحاز المسلمون إلى قرية مؤتة فالتقى الناس عندها، فتهيأ لهم المسلمون، فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عذرة، يقال له قطبة بن قتادة، وعلى ميسرتهم رجلا من الأنصار يقال له عبادة بن مالك، فقاتلوا حتى قتل زيد، ثم جعفر، ثم أخذ الراية عبدُالله بن رواحة، وهو على فرسه، وتقدم ثم نزل فأتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال: شد به صلبك فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت، فأخذه من يده فانتهس منه نهسة، ثم سمع الحطمة في ناحية الناس فقال: وأنت في الدنيا؟! ثم ألقاه، وأخذ سيفه فتقدم وقاتل حتى قتل، وكان حين أخذ الراية استنزل نفسه فتردد بعض التردد، ثم قال:

أقسمت يا نفس لتنزلنه ... إن أجلب الناس وشدوا الرنه
فطالما قد كنت مطمئنه ... ما لي أراك تكرهين الجنه؟
هل أنت إلا نطفة في شنه؟

تَأَمُّرُ خالدِ بنِ الوليد رضي الله عنه:

ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم فقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم، فقالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فأخذ الراية، ودافع القوم وحاسى بهم. (بالمهملة وهي من الحسي وهي الناحية، وبالمعجمة ومعناه حاجز بينهم حتى انصرف الناس) واختلف فيمن كانت عليه الهزيمة، والأصح انحياز كل فئة عن الأخرى من غير هزيمة، لأن المسلمين قالوا يا رسول الله: نحن الفرارون، قال ﷺ: «**بل أنتم الكرارون العكارون وأنا فئتكم**». وشعر قطبة بن قتادة العذري

صاحب الميمنة يدل على أنهم ظفروا وغنموا، وهو قوله ـ بعد ما ذكر في شعره أنه قتل مالك بن رافلة البلوي الذي على العرب ـ:

وسقنا نساء بني عمه غداة رَقُوقَيْنِ سوق النعم

وكان العدو مائتي ألف من الروم، وخمسين ألفاً من العرب، وقيل: كله مائة ألف وخمسون ألفاً، ولم يبلغ جيش المسلمين ثلاثة آلاف.

❊ ❊ ❊

ورُفِعَتْ للهاشِمي الْمعركه فعاين الذي أتوا وأدركه

مشاهدته ﷺ للمعركة:

❖ **الشرح**: (**ورفعت للهاشمي** ﷺ **الْمَعرَكه**) ـ وتضم الراء ـ موضع القتال (**وعاين**) الشيء: أبصره (**الذي أتوا**): أي: فعلوا، أي: نظر رسول الله ﷺ الأمر الذي فعلوا (**وأدركه**): تحققه، وأتى به بعدَ (**وعاين**) تأكيداً، لأن الإنسان قد يرى شيئاً ولم يتحققه، والإدراك التحقيق.

يريد أنه ﷺ أطلعه الله على خبر أصحابه في ذلك اليوم، فأخبر به أصحابه ﷺ بالمدينة قبل ورود الخبر بأيام، وقال: «**إن الله رفع لي الأرض حتى رأيت معركتهم**» ثم قدم يعلى بن أمية ـ ويقال له: ابن مُنْيَةَ وهي جدته لأبيه، وأمية أبُوه، وهو ينسب إليهما ـ بخبر مؤتة، فقال له ﷺ: «**إن شئتَ أخبرتني وإن شئتَ أخبرتُك**» قال: فأخبرني يا رسول الله ﷺ فأخبره ﷺ خبرهم كله ووصفه له،فقال يعلى: والذي بعثك بالحق ما تركتَ من حديثهم حرفا لم تذكره، وإن أمرهم لكما ذكرت. وفي رواية: «**لقد رفعوا لي في الجنة فيما يرى النائم على سُرُرٍ من ذهب، فرأيت في سرير عبدالله ازورارا عن سريري صاحبيه، فقلت: عم هذا؟ فقيل: مضيا، وتردد بعض التردد، ثم مضى**» رضي الله عنه.

وكان زيد بن أرقم يحدث يقول: كنت يتيما لعبدالله بن رواحة، فخرج

في سفره ذلك مردفي على حقيبة رحله، فوالله إنه ليسير ليلة إذ سمعته ينشد:

إذا أديتني وحملت رحلي مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك فانعمي وخلاك ذم ولا أرجع إلى أهلي ورائي
وجاء المسلمون وغادروني بأرض الشام مشتهي الثواء

(في أبيات)، فلما سمعتها بكيت، فخفقني بالدرة وقال: ما عليك يا لُكَعُ أن يرزقني الله الشهادة، وترجع بين شقي الرحل؟ وقال في سفره ذلك يرتجز:

يا زيد زيد اليعملات الذبل تطاول الليل عليك فانزل

ويحكى أن امرأته وجدته ليلة مع جارية له، فوجِدت عليه، فأنكر أنه كان يلم بها، فقال: أتعلمين أن الجنب لا يقرأ القرآن فإن أنا قرأت القرآن رضيت؟ قالت: نعم، فأنشأ يقول:

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة شداد ملائكة الإله مقربينا

فقالت: كذبت عيني وصدقت والله، فأضحك بها النبيّ ﷺ وأصحابه.

وقال وهو آخذ بزمام ناقته ﷺ حين دخل مكة في عمرة القصاص:

خلوا بني الكفار عن سبيله فاليوم نضربكم على تأويله
كما ضربناكم على تنزيله ضربا يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله

ويروى هذا منه لعمار بن ياسر، قاله يوم قتل.

❋ ❋ ❋

ثُم إلى الفتح الْخزاعي ذمر عشرة آلاف فعز وانتصر
وهو الذي تَهلَّلَت لنصره سحابة ومِن بليغ شعره:
«يا رب إنِّي ناشد محمدا حلف أبينا وأبيه الأتلدا»

❖ **الشرح**: **(ثم إلى الفتح الخزاعي)**: وهو عمرو بن سالم بن كلثوم الكعبي، **(ذمر)**: أغرى وحث **(عشرة آلاف)** من المسلمين **(فعز)**: غلب **(وانتصر)**: أي: انتقم.

(وهو الذي تهللت): وهلَّتْ واستهلت السحاب اشتد انصبابُها **(لنصره)** على الأعداء: أي: إعانته **(سحابة)**: قطعة من الغيم، سميت بذلك لأنها تسحب الماء أي: تجره **(ومن بليغ)**: أي: فصيح **(شعره: يارب إني ناشد)**: أي: طالب **(محمدا ﷺ حلف أبينا وأبيه الأتلدا)**: الأقدم.

يقول: ثم بعد مؤتة ذمر عمرو بن سالم الخزاعي إلى فتح مكة شرفها الله عشرة آلاف من المسلمين فعرضهم عنان من السحاب فقال ﷺ: «**إن هذه السحابة لتستهل لنصر بني كعب**» وحين قدم وقف على النبيّ ﷺ في المسجد فقال هذا الرجز الذي هذا البيت أوله، وبعده:

قد كنتَ والدا وكنا ولدا ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا أيدا وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا أبيض مثل البدر يسمو صعدا
إن سيم خسفا وجهه تربدا في فيلق كالبحر يجري مزبدا
إن قريشاً أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وجعلوا لي في كداء رصدا وزعموا أن لست أدعو أحدا
وهم أقل وأذل عددا هم بيتونا بالوتير هجدا
وقتلونا ركعا وسجدا

فقال ﷺ: «**نُصرتَ يا عمرو بن سالم**» ـ وفي رواية ـ: «**لا نصرني الله**

إن لم أنصرك». وهل قوله: أسلمنا من السلم ـ لأنهم إذ ذاك لم يكونوا مسلمين ـ أو من الإسلام لقوله: وقتلونا ركعاً وسجداً، فدل على أنهم فيهم مَن صلى لله فقُتِلَ؟

سببُ استنصارِ خزاعةَ به ﷺ:

وسبب استنصار عمرو بن سالم النبيَّ ﷺ أن خزاعة كانت في جاهليتها عيبة نصح النبيّ ﷺ ثم لَما كان صلح الحديبية كتبوا في كتابهم: فمن شاء فليدخل في عقد النبيّ ﷺ، ومن شاء فليدخل في عقد قريش، فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد ﷺ، وعهده، وتواثبت بنو بكر بن كنانة وقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم.

وكانت خزاعة قبل الإسلام قتلوا رجلا من بني الحضرمي تَجر إلى أرضهم وأخذوا ماله ـ وحِلفُ الحضرمي إلى الأسود بن رزن الديلي ـ فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه، فعدت خزاعة على سلمى وكلثوم وذؤيب، بني الأسود بن رزن ـ وهم أشرف كنانة ـ فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم. فحجز الإسلام بينهم وتشاغل الناس بأمره فلما كانت هدنة صلح الحديبية اغتنمها بنو الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، وأرادوا أن يصيبوا من خزاعة ثأر بني الأسود، فخرج نوفل بن معاوية في بني الديل حتى بَيَّتَ خزاعة على ماء لهم بأسفل مكة يقال له: الوتير، فأصابوا منهم رجالا، ومدت قريش بني بكر بالسلاح، وقاتل معهم رجال منهم خفية، منهم صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى، ومكرز بن حفص، حتى حازوا خزاعة إلى الحرم. فقالت بنو بكر: يا نوفل إنا قد دخلنا الحرم إلهك إلهكَ.. فقال كلمة عظيمة: لا إله اليوم، يا بني بكر أصيبوا ثأركم، فدخلت خزاعة في دار بديل بن ورقاء ومن معه في مكة، فتظاهرت قريش وبنو بكر على خزاعة، ونقضوا العهد. فخرج عمرو بن سالم إليه ﷺ فغزا قريشاً بهذا السبب في شهر رمضان سنة ثمان، فلما بلغ الكديد أفطر، وكان بديل بن ورقاء مع عمرو بن سالم، وكانوا أربعين، وقيل: بديل في قوم غير قوم عمرو بن سالم، وقال ﷺ: «**كأنكم بأبي سفيان قد جاء ليشد العقد ويزيد**

في المدة». فرجع بديل وعمرو بن سالم إلى مكة، فلما كانوا بعسفان لقوا أبا سفيان وقد بعثته قريش للذي قال النبيّ ﷺ، فقال: من أين أقبلت يا بديل؟ قال: سرت في خزاعة بهذا الساحل في بطن هذا الوادي، قال: ألم تأت محمداً؟ قال: لا. فلما رجع بديل إلى مكة قال أبو سفيان: إن كان أتى محمداً فسيعلف راحلته نوى المدينة، فأتى مبرك راحلته ففَتَّ بعرها، فإذا فيه النوى، فقال: أقسم بالله لقد أتى بديل محمداً، ثم خرج حتى قدم المدينة، كما سيأتي إن شاء الله، في شرح: «**وخاب**... إلخ».

❋ ❋ ❋

لدعوة النبِي أُخِّرَ الْخبر عن مكة فلم يُوَرِّ بل جهر

❖ **الشرح**: (**لدعوة النبيّ**): ﷺ التي هي قوله: «**اللَّهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها**» (**أخر**): أي: منع (**الخبر عن مكة فلم يور**): من ورى عن كذا تورية إذ أراده وأظهر غيره (**بل جهر**): أظهر أمره، يعني أنه النبيّ ﷺ أمرهم بالتجهيز وأمر أهله أن يجهزوه، فدخل أبو بكر على ابنته، وهي تغربل حنطة، وتصنع من جهازه ﷺ، فقال: أي بنيتي أمرك رسول الله ﷺ بتجهيزه؟ قالت: نعم، فقال: فأين ترينه يريد؟ قالت: والله لا أدري، فتجهز أبو بكر، ثم أعلن ﷺ بالخبر لهم، وما غزا ﷺ غزوة إلا ورى فيها غير هذه وتبوك.

❋ ❋ ❋

وخاب صخر إذ أتى يرأب ما أثناه غدرُ قومه فانفصما

مَجيء أبي سفيان إليه ﷺ:

❖ **الشرح**: (**وخاب**): أي: لم ينل مطلوبه (**صخر**) أبو سفيان بن حرب (**إذا أتى يرأب**): أي: يصلح (**ما**) أي: الذي (**أثناه**): أي: أفسده (**غدر**): ضد الوفاء (**قومه**) قريش لخزاعة (**فانفصما**): أي: انقطع وانكسر. يعني أن أبا سفيان حين جاء ليصلح ما أفسده غدر قريش ونقضهم العهد

الذي بينهم وبين النبيّ ﷺ لم يجد مما يطلب شيئاً، دخل على ابنته أم حبيبة، رضي الله عنها، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه، فقال: يا بنيتي لا أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني؟ قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت مشرك نجس، قال: والله لقد أصابكِ بعدي شر.

ثم خرج إلى رسول الله ﷺ فكلمه فلم يرد عليه شيئاً، ثم ذهب إلى أبي بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله ﷺ، فقال: ما أنا بفاعل، ثم أتى عمر فكلمه فقال: أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ! فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به، ثم دخل على علي وعنده فاطمة - والحسن غلام يدب بين يديها رضي الله عنهم - فقال: يا علي إنك أَمَسُّ القوم بي رحما، وقد جئتك في حاجة فلا أرجعن خائبا كما جئتُ، فاشفع لي إلى محمد، فقال: ويحك يا أبا سفيان والله لقد عزم ﷺ على أمر ما أستطيع أن أكلمه فيه، فالتفت إلى فاطمة فقال: يا بنت محمد هل لك أن تأمري ابنك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر؟ فقالت: والله ما يبلغ بنيي ذلك أن يجير بين الناس، وما يجير أحد على رسول الله ﷺ، قال: يا أبا الحسن إني أرى الأمور قد اشتدت فانصحني، قال: والله ما أجد لك شيئاً يغني عنك ولكنك سيد كنانة فقم وأجر بين الناس ثم الحق بأرضك قال: أترى ذلك يغني شيئاً؟ قال: والله ما أظنه يغني عنك شيئاً، ولكني لا أجد لك شيئاً غير ذلك، فقام أبو سفيان في المسجد فقال: أيها الناس إني قد أجرت بين الناس، ثم ركب بعيره فانطلق. فلما قدم على قريش قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمدا فوالله ما رد علي شيئاً، ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجد خيرا، ثم عمر فوجدته أدنى - وفي رواية: أعدى - العدو، ثم جئت عليا فوجدته ألين القوم وقد أشار إلي بشيء صنعته فوالله ما أدري هل يغني عني شيئاً أم لا قالوا: وبم أمرك؟ قال: أمرني أن أجير بين الناس ففعلت، قالوا: فهل أجاز ذلك محمد؟ قال: لا، قالوا: ويلك، والله ما زاد الرجل على أن لعب بك، قال: والله ما وجدت غير ذلك. ثم أمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز فتجهزوا.

وحـاطـب نَـجـل أبِـي بـلـتـعـة أرسـل إذ زحـوفـه شـرعـت
إلـى قـريـش رقـعـةً مـع مـره فـأودعـتـهـا قـرنَـهـا تـلـك الْـمـره
وأخـبـر الْـهـادي بـه فـأرسـلا مـن جـاءه كـرهـا بِـهـا وامـتـثـلا

قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه:

❖ **الشرح**: **(وحاطب نجل أبي بلتعة)**: واسم أبي بلتعة عمرو بن راشد بن معاذ اللخمي ـ وقيل: من مذحج ـ وقيل: إن حاطباً حليف الزبير بن العوام، والأصح أنه حليف عبدالله بن زهير بن حميد بن الحارث بن أسد بن عبد العزى، (أسر عبدالله بن زهير يوم بدر، وقتل يوم أحد كافرا ويقال فيه عبيدالله وهو جد الحميدي شيخ البخاري) وشهد حاطب ومولاه سعد بن خولى بدرا وما بعدها، وقيل: إن سعدا قتل يوم أحد. واشتكاه رجل إليه ﷺ بقوله: ليدخلن حاطب النار فقال ﷺ: «**كذبت لا يدخل النار من شهد بدرا والحديبية**» وكان حاطب شهدهما وحديثه عنه ﷺ: «**من رآني بعد موتِي فكأنَّما رآنِي فِي حياتِي ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله في الآمنين يوم القيامة**».

بعثه رضي الله عنه النبيُّ ﷺ إلى المقوقس، فقال المقوقس: أخبرني عن صاحبك أليس هو نبيا؟ قال: قلت: بلى، فقال: ما له ما دعا على قومه لما أخرجوه من بلدته؟ قال حاطب: فعيسى ابن مريم ما له ما دعا على قومه لما أخذوه وأرادوا صلبه بأن يهلكهم الله؟ قال: أحسنت، حكيم جاء من عند حكيم، وأهدى معه إليه ﷺ ثلاث جوار مارية أم إبراهيم عليه السلام وسيرين أم عبدالرحمٰن بن حسان بن ثابت ـ وتقدمتا ـ وأخرى أعطاها لأبي جهم، وعبدا خصيا يقال له: مابون، ودُلْدُلاً **(بغلته ﷺ)** ـ واختلف فيها أذكرا كانت أم أنثى؟ وعاشت إلى زمن معاوية، وسقطت أضراسها، وكان يهش لها الشعير ـ وثيابا وطرفا من طرفهم، منها قدح من قوارير كان ﷺ يشرب فيه. وشهد الله لحاطب بالإيمان بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ...﴾ الآية، وتوفي رضي الله عنه عام ثلاثين.

(أرسل إذ زحوفه شرعت إلى قريش رقعة): أي: كتابا **(مع مره)** - بتثليث الميم - أي: امرأة **(فأودعتها قرنها تلك المره)**: وقرن المرأة ذؤابتها، وهذه المرأة اسمها سارة قينة صيفي بن أبي صيفي بن هاشم، جاءت إليه ﷺ تسأله، فقال لها: «**أجئت مهاجرة؟**» قالت: لا، قال: «**أجئت مسلمة؟**» قالت: لا، قال: «**فما جئت له؟**» قالت: أنتم الأصل ولا مواسي غيركم، فقال لها ﷺ: «**أين شباب مكة؟**» قالت ما طلب مني شيئاً بعد وقعة بدر، وأعطاها ﷺ نفقة وثيابا، وأرسل معها حاطب الكتاب.

إخباره ﷺ بكتاب حاطب:

(وأخبر الهادي بها) أي: الرقعة **(فأرسلا من جاءه كرها بها فامتثلا)**: ذلك دعا النبيّ ﷺ عليا والزبيرَ والمقدادَ وقال: «**انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بِها ظعينة ومعها كتاب فخذوه منها**».

قال علي: فانطلقنا تعدو بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة فإذ نحن بالظعينة فقلنا لها: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي كتاب، ففتشنا رحلها فما وجدنا شيئاً، فقلت: ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذب جبريل، والله لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب،فلما رأت الجد قالت: أعرضوا عني فحلته من قرنها، فجاءوا به النبيّ ﷺ فقال لحاطب: «**من كتب هذا الكتاب؟**» قال: أنا يا رسول الله، فقال: «**ما حملك على ما صنعتَ؟**» فقال: يا رسول الله لا تعجل علي، فوالله ما كفرت منذ أسلمت، وما فعلت ذلك ارتدادا عن الإسلام، ولا رغبة عنه، ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع عشيرته، وكنت ملصقا فيهم، وأهلي بين ظهرانيهم فخشيت عليهم، فأردت أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي، وما فعلته كفرا ولا ارتدادا، ولا أرضى بالكفر بعد الإسلام، فقال ﷺ: «**لقد صدقكم**»، قال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق؟ فقال ﷺ: «**إنه شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**». وزود ﷺ هؤلاء ماء فلما حلوا السقاء ليشربوا وجدوا لبنا أطيب ما يكون.

وأقبلت جنود صفوة الأمم أمامه حتى انتهوا إلى الحرم
وضُرِبَتْ له هناك قُبَّة أرضى بِها اللهَ وأرضى حزبَه

❖ **الشرح**: (**وأقبلت جنود**) جمع جند للعسكر (**صفوة**) الشيء ـ مثلثة ـ ما صفا منه (**الأمم**): جمع أمة، وصفوة الأمم النبيّ ﷺ، وليست هذه الكلمة من أسمائه ﷺ، بل وصفه بها، واسمه المصطفى ﷺ وفي الحديث: «**إن الله اصطفى العرب من الناس، واصطفى قريشاً من العرب واصطفى بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم**»، (**أمامه حتى انتهوا إلى الحرم**): وهو مكة.

(**وضربت له هناك قُبَّة أرضى بها الله وأرضى حزبه**): طائفته وجنده وقومه الذين على رأيه وكل ذلك محتمل، إذ يصح أن يكون أراد بحزبه قريشاً لأنه ﷺ أرضاهم ذلك اليوم بأفعاله الكريمة وأقواله الحميدة، كقوله لهم: «**اليوم يوم المرحمة..**»، ويصح أن يريد بحزبه الأنصار، لأنهم قومه الذين على رأيه بقوله لهم: «**المحيا محياكم..**» ويصح أن يريد بحزبه جنوده: وهم المهاجرون والأنصار، أرضى المهاجرين بعفوه عن قريش ـ وقد شفع فيهم عثمان وعبدالرحمان بن عوف ـ والأنصارَ بقوله: «**المحيا محياكم..**» المتقدم، ويحتمل عود الضمير في بحزبه على الله تعالى.

واحترم الحرم إذ هو الحرم مُحرم مُؤَمَّنٌ مِمن هجم

❖ **الشرح**: (**واحترم ﷺ الحرم**) بقوله عليه السلام: «**مكة حرم لَم تحل لأحد قبلي ولا تَحِلُّ لأحد بعدي وإنما أحلت لي ساعة من نهار**»، وإنما حرمها عليه السلام جملة.

تجديد عمرَ لأنصاب الحرم:

ثم بعد ذلك بعث عمر ﷺ أربعة من أكابر قريش يحدون الحرم، وهم: سعيد بن يربوع المخزومي ـ أحد بني عامر بن مخزوم ـ، وحويطب بن عبد العزى ـ أحد بني عامر بن لؤي، (وهما من المؤلفة

قلوبهم، ومن الذين عاشوا مائة وعشرين سنة، ستين في الجاهلية وستين في الإسلام)، وأزهر بن عبد عوف - عم عبدالرحمٰن بن عوف - ومخرمة بن نوفل الزهريان، **(إذ هو الحرم محرم مؤمن ممن هجم)**: وهجم عليه دخل بلا إذن أو بغتة.

يعني أنه ﷺ خرج يريد مكة بعد رد أبي سفيان وأخذ الكتاب من الظعينة وقبول الاعتذار من حاطب، وجنودُه أمامه، لعشر مضين من رمضان، وهو صائم والناس صيام معه، فلما بلغ الكديد أفطر، واستخلف على المدينة أبا رُهم كلثوم بن الحصين الغفاري رضي الله عنه (وهو الذي نحر يوم أحد فبصق عليه ﷺ فبرئ من حينه)، وقيل: استخلف عليها ابن أم مكتوم رضي الله عنه.

وخرج ﷺ في عشرة آلاف: ألف منهم من سليم، وقيل تسعمائة، وأمر عليهم الضحاك بن سفيان الكلابي، وكان يوزن بمائة، فبلغوا به ألفا، وفي ذلك يقول العباس بن مرداس:

تحت اللواء مع الضحاك يقدمنا ... كما مشى الليث في غاباته الخدر

وقال فيه أيضاً:

فجئنا بألف من سليم عليهم ... لبوسهم من نسج داوود رائع

إلى أن قال:

ضربنا مع الضحاك لا يستفزنا ... قراع الأعادي منهم والوقائع

أمام رسول الله يخفق فوقنا ... لواء كخذروف السحابة لامع

إلى أن قال:

فإن تبتغ الكفار غير ملومة ... فإني وزير للنبي وتابع

دعانا إليه خير وفد علمتهم ... خزيمة والْمَرَّار منهم وواسع

وهؤلاء الثلاثة هم وفد سليم الذين وفدوا على النبيّ ﷺ فأسلموا، ودعوا أهلهم إلى الإسلام فأسلموا.

وحـــيـــن حـــل بـــإزاء الْـــحـــرم أمـــر أن يُـــوقـــد كـــلُّ مـــســـلـــم
نـــاراً فـــأبـــصـــر أبـــوســـفـــيـــانـــا وكـــان يـــرتـــقـــبـــه الـــنـــيـــرانـــا
فـــارتـــاع، فـــانـــسـلَّ إذن عـــم الـنـبِـي فـــالـــتـــقـــيـــا فـــجـــا بـــه عـــن كـــثـــب
وهـــددتـــه إذ رأتـــه الْـــحـــنـــفـــا قـــبـل وصـولـه لـنـادي الْـمـصـطـفـى

إرهاب العدو بكثرة النيران:

❖ **الشرح**: **(وحين حل)**: نزل رسول الله ﷺ **(بإزاء)**: مقابل **(الحرم)** بموضع يسمى مر الظهران **(أمر)** ﷺ **(أن يوقد كل مسلم ناراً)** لتراها قريش، فأوقدوا عشرة آلاف نار.

(فأبصر أبو سفيانا) بالألف الزائدة لإطلاق القافية **(وكان يرتقبه)**: أي: النبيّ ﷺ **(فارتاع)**: فزع.

مَجِيء العباس بأبي سفيان إليه ﷺ:

(فانسلَّ) خرج **(إذن عم النبيّ)** ﷺ، وهو العباس، قال العباس رضي الله عنه: فجلست على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء، فخرجت عليها حتى جئت الأراك، لعلي أجد بعض الحطابة، أو صاحب لبن، أو ذا حاجة يأتي أهلَ مكة فيخبرهم بِمكان رسول الله ﷺ ليخرجوا إليه ويستأمنوه، قال: فوالله إني لأسير عليها إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء، وهما يتراجعان وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكراً، فقال بديل بن ورقاء: هذه خزاعة حمشتها الحرب، قال أبو سفيان: خزاعة أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها، قال: فعرفت صوته فقلت: يا أبا حنظلة! فعرف صوتي، فقال: أبو الفضل؟ قال: قلت: نعم، قال: ما لك؟ فداك أبي وأمي، قال: قلت: هذا رسول الله ﷺ في الناس، واصباح قريش والله، قال: فما الحيلة فداك أبي وأمي؟ قال: قلت: والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فأستأمنه لك، فركب خلفي، ورجع صاحبه.

(فالتقيا): أي: العباس وأبو سفيان **(فجا به عن كثب)** قرب، وكان كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا: عم رسول الله ﷺ على بغلته حتى مررت بنار عمر بن الخطاب ﷺ ـ وكان ليلتئذ على الحرس ـ فقال: من هذا؟ فقام إلَيَّ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال: أبو سفيان عدو الله، الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد، ثم خرج يشتد نحو رسول الله ﷺ، فركضت البغلة فسبقته بما تسبق به الدابة البطيئة الرجل البطيء، قال: فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله ﷺ، ودخل عليه عمر، فقال: يا رسول الله هذا أبو سفيان أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعني أضربْ عنقه، قال: قلت: يا رسول الله إني قد أجرته، ثم جلست إلى رسول الله ﷺ، فأخذت برأسه فقلت: والله لا يناجيه الليلة دوني رجل. فلما أكثر عمر في شأنه قلت: مهلا يا عمر فوالله لو كان من بني عدي بن كعب ما قلت هذا، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف، فقال: مهلاً يا عباس، لإسلامك يوم أسلمت أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك أحب إلى رسول الله ﷺ. وهذا معنى قوله: **(وهددته إذ رأته الحنفا)** الصحابة ﷺ **(قبل وصوله)**: أي: أبو سفيان **(لنادي)**: جمع **(المصطفى)** ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: «**اذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فأتني به**»، فبات عندي فلما أصبح غدوت به على رسول الله ﷺ، فلما رآه ﷺ قال: «**ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟**» قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، لقد علمت أن لو كان مع الله إله غيره لأغنى عنا شيئاً بعد، قال: «**ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ﷺ؟**» قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً، فقال له العباس: ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، قبل أن تضرب عنقك، فشهد شهادة الحق فأسلم.

قال العباس: قلت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً، قال: «**نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق**

عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن». فلما ذهب لينصرف قال لي رسول الله ﷺ: **«احبسه بِمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها»** قال: فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادي حيث أمرني رسول الله ﷺ أن أحبسه، قال: ومرت القبائل على راياتها، كلما مرت به قبيلة قال يا عباس: من هذه؟ فأقول: سليم، فيقول: ما لي ولسليم، ثم تمر به القبيلة فيقول: من هذه؟ فأقول: هذه مزينة، فيقول: ما لي ولمزينة؟ حتى نفدت القبائل، حتى مر به رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء، فيهم المهاجرون والأنصار، لا يرى منهم إلا الحدق، قال: يا عباس مَن هؤلاء؟ قال: قلت: رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار، قال: ما لأحد بهؤلاء قِبَلٌ ولا طاقة، والله لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً، قال: قلت: يا أبا سفيان إنها النبوة، قال: فنعم إذن، فقلت: النجاءَ إلى قومك.

إنذار أبي سفيان قريشاً:

فذهب مسرعاً حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش هذا محمد ﷺ جاءكم فيما لا قِبَلَ لكم به فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن فقامت إليه هند بنت عتبة فأخذت بشاربه فقالت: اقتلوا الحميت الدسم الأحمس، قبح من طليعة قوم، قال: ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم، فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به، ومن دخل داري فهو آمن، قالوا: قاتلك الله وما تغني عنا الدار؟ ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، فتفرقت الناس إلى دورهم وإلى المسجد. (والحميت: زق السمن، والأحمس الذي لا خير عنده). وروي أن أبا سفيان حين أصبح في قبة العباس رأى الناس وقد ثاروا إلى طهورهم، فقال أبو سفيان: يا أبا الفضل ما للناس أُمِرُواْ فِيَّ بشيء؟ قال: لا، ولكنهم قاموا إلى الصلاة، فأمره العباس فتطهر، ثم انطلق به إلى رسول الله ﷺ، فلما دخل ﷺ في الصلاة وكبر فكبر الناس بتكبيره وركع فركعوا ورفع فرفعوا، قال أبو سفيان: ما رأيت كاليوم طاعةَ قوم جمعهم من هاهنا وهاهنا، ولا فارس الأكارم، ولا الروم ذوات القرون.. بأطوع منهم له! فعرض عليه ﷺ الإسلام فقال:

كيف أصنع بالعزى؟ فسمعه عمر من وراء القبة فقال: تخرأ عليها، فقال: ويحك يا عمر إنك رجل فاحش، دعني وابن عمي فإياه أكلم.

ولما قالت له هند ما قالت، سل سيفه وقال: والله لتسلمن أو لأضربن عنقك، ثم أسلمت رضي الله عنها قبل انقضاء عدتها وبايعت، وأقرهما ﷺ على نكاحهما، وكذلك أقر حكيم بن حزام على زينب بنت العوام، وكانت أسلمت قبله (وفيه حجة للشافعي على أن لا فرق في أيهما أسلم أولا، وفرق مالك بين ذلك).

وممن كان يدعو عليه ﷺ أبو سفيان حتى نزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية، فحسن إسلامه وفقئت عيناه في سبيل الله، الأولى يوم الطائف، والأخرى يوم اليرموك، تحت لواء ابنه يزيد. قال سعيد بن المسيب عن أبيه قال: خفيت الأصوات يوم اليرموك إلا صوتا ينادي: يا نصر الله اقترب، فنظرت فإذا هو صوت أبي سفيان تحت لواء ابنه يزيد.

وكان أبو سفيان تولى بعد بدر رئاسة قريش ومحاربته ﷺ، ولما أسلم كان يمازح النبيّ ﷺ ويقول: تركتك وتركتك العرب ولم تنتطح عنزان، فجعل النبيّ ﷺ يضحك ويقول: «**أنت تقول هذا يا أبا حنظلة**».

وأقبل النبيّ ﷺ يوم الفتح من المسجد على أبي سفيان وهو يقول في نفسه: ليت شعري بم غلبتني؟ فضرب بين كتفيه فقال: «**بالله غلبتك يا أبا حنظلة**»! فقال: أشهد أنك رسول الله، وفيه قال ﷺ: «**الصيد كله في جوف الفرا**»، وقيل: الذي قالها فيه أبو سفيان بن الحارث، وتوفي في خلافة عثمان، رضي الله عنهما، وتوفيت هند في خلافة أبي بكر، رضي الله عنهما.

***

وزعم ابن قيس أن سَيُخفِدَا ... رجالَهم خلتَّه وأنشدا:

إن يُقبلوا اليوم فما لِي عله ... هذا سلاح كامل وألَّه

استعداد حماس بن قيس للقتال:

❖ **الشرح**: **(وزعم)**: ظن وقال بلا دليل حماس **(بن قيس)** بن خالد البكري **(أن سيحفدا)**: يخدم، ومنه حفدة الرجل أي: خدامه وأعوانه وأولاده وأولاد أولاده وأولاد إخوته ـ لأنهم يخدمونه ـ جمع حافد، ويجمع أيضاً على حُفَّدٍ ـ كرُكَّع ـ **(رجالهم)** يعني المسلمين **(خلته)**: صديقته يعني بها زوجته **(وأنشدا: إن يقبلوا اليوم فمالي عله هذا سلاح كامل وأله:)** الحربة العريضة النصل، جمعها ألٌّ بالفتح.

❃ ❃ ❃

وشهد الْمأزق فيه حُطما	**رمز (يَبِ) من قومه وانْهزما**
وجاء واستغلق بابه البتول	**فاستفهمته أين ما كنت تقول؟**
فقال والفزع زعفر دمه:	**إنك لو شهدت يوم الْخندمه**
إذ فر صفوان وفر عكرمه	**واستقبلتنا بالسيوف الْمسلمه**
يقطعن كل ساعد وجُمجمه	**لَم تنطقي باللوم أدنَى كلمه**

❖ **الشرح**: **(وشهد)**: حضر **(المأزق)**: ـ كمجلس ـ الضيق، واستعاره لموضع مقاتلة المسلمين والكفار **(فيه حطما)** ـ بالبناء للمجهول ـ كسر، أو خاص باليابس، ومعناه هنا قُتل **(رمز)**: عدد **(يَبِ)** اثنا عشر، وقيل: ثمانية وعشرون **(من قومه)** وهم المشركون **(وانهزما وجاء واستغلق)**: أي: طلب غلق **(بابه البتول)** وصف للنساء محمود، وقد تقدم. ولعل هذه المرأة أسلمت لوصفه إياها به، **(فاستفهمته أين ما كنت تقول؟ فقال والفزع)**: أي: الذعر **(زعفر دمه)**: أي: جعله كلون الزعفران، ويعتري ذلك الإنسان عند شدة الذعر **(إنك لو شهدت يوم الخندمه)**: جبل بمكة مشهور (قيل للعباس إذ أسره أبو اليسر يوم بدر ﵄: لو وضعته في كفك لوسعته، قال: ما هو إلا أن ظهر في عيني كالخندمة، وأبو اليسر ﵁ قصير).

نسب صفوان بن أمية رضي الله عنه:

(إذ فر صفوان) بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الْجُمحي - واسم جمح تيم - بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي، (تسابق هو وأخوه زيد فجمح تيم، فسمي جمحاً، وسهم زيد فسمي سهماً) وأم صفوان صفية بنت معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، وبه تكنى، وفر صفوان هذا حين دخل ﷺ مكة من الإسلام، ثم رجع وأسلم يوم حنين، وتقدم خبره في بدر، **(وفر عكرمة)** بن أبي جهل، وتقدمت ترجمته في غزوة بدر أيضاً **(واستقبلتنا بالسيوف المسلمه)**: أي. المسلمون **(يقطعن كل ساعد وجمجمه لم تنطقي باللوم أدنى كلمه)**. يعني أن حماس بن قيس كان يشحذ سيفه وسلاحه فتقول له امرأته: لماذا تعد سلاحك؟ فيقول: لمحمد وأصحابه، وتقول: لا أرى محمداً وأصحابه يقوم لهم شيء، فيقول: أرجو أن أخدمك منهم، ويقول: إن يقبلوا.. إلخ.

دخول خالد بن الوليد مكة من كداء:

فلما دخل خالد بن الوليد مكة من كداء، ومعه قبائل العرب: كأسلم، ومزينة، وجهينة، وغيرهم من قبائل العرب جمع صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو جيشاً لقتال خالد فقتلت منهم اثنا عشر، وقيل: أربعة وعشرون من قريش، وأربعة من هذيل فانهزموا، واستشهد من المسلمين مسلمة بن الميلاء الجهني، وكرز بن جابر، وخنيس بن خالد الخزاعي - أخو أم معبد - وكان كرز، وخنيس شذا عن جيش خالد، فقتلهما المشركون؛ قتلوا خنيساً قبل كرز فجعله كرز بين رجليه وهو يقول:

قد علمت صفراء من بني فهرْ نقية الوجه نقية الصدرْ
لأضربن اليوم عن أبي صخرْ

يعني خنيساً - وكان يكنى بأبي صخر - (ونقلت كسرة لام الاسم إلى

عينه في الأشطار الثلاثة، وذلك على مذهب العرب في الوقف إذا كان الاسم مرفوعاً أو مخفوضاً لا إن كان منصوباً).

وانهزم حماس فدخل بيته وقال لامرأته: اغلقي علي بابي، فقالت له: أين ما كنت تقول: إنك تخدمني منهم؟ فقال:

إنك لو شهدت يوم الخندمه   إذ فر صفوان وفر عكرمه
وابو يزيد قائم كالْمُؤْتِمَه   واستقبلتنا بالسيوف المسلمه
لهم نهيت حولنا وهمهمه   ضربا فلا تسمع إلا غمغمه
يقطعن كل ساعد وجمجمه   لم تنطقي باللوم أدنى كلمه

(أبو يزيد: هو سهيل بن عمرو، والمؤتِمة: المرأة ذات أيتام، والمسلمة: المسلمون، والنهيت: صوت الصدر، وأكثر ما يوصف به الأسد قال ابن الأسلت:

كأنهم أسد لدى أشبل   ينهتن في غيل وأجراع

والهمهمة: الكلام الخفي وكل صوت فيه بحة، والغمغمة: الأصوات غير المفهومة من اختلاطها).

❋ ❋ ❋

وفاز من لاذ به واسترحَمه   يومئذ إذ هو يوم الْمرحَمه
كابن أبي سرح وزير الْخلفا   وناخس البكر ببنت الْمصطفى

❖ **الشرح**: (**وفاز**): أي: ظفر (**من لاذ**): استتر وتحصن (**به ﷺ واسترحمه**): طلب منه رحمته (**يومئذ**): أي: يوم الفتح (**إذ هو يوم المرحمه**) وصفه به ﷺ ردا لقول سعد بن عبادة: اليوم يوم الملحمة، اليوم أذل الله فيه قريشاً، فقال ﷺ: «**اليوم يوم المرحمة اليوم أعز الله فيه قريشاً**». وكانت قريش اشتكت إليه سعداً، واستغاثت به منه، ومن ذلك قول ضرار بن الخطاب:

يا نبي الهدى إليك لجا حـ ـي قريش ولات حين لجاء
حين ضاقت عليهم سعة الأر ض وعاداهم إله السماء

إلى قوله:

إن سعدا يريد قاصمة الظهـ ـر بأهل الحجون والبطحاء
وغر الصدر لا يهم بشيء غير سفك الدما وسبي النساء

عبدالله بن أبي سرح رضي الله عنه:

(كابن أبي سرح): هو عبدالله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث بن حبيب بن مالك بن الحسل بن عامر بن لؤي، أمه من الأشعريين، وابنه عياض حُمِلَ عنه الحديثُ. وكان عبدالله فارس بني عامر والمقدم فيهم أسلم وهاجر، وكان يكتب الوحي له ﷺ، ثم ارتد ولحق بمكة وقريش، فلما كان يوم الفتح فر إلى عثمان، وكان أخاه من الرضاع - أرضعت أمُّهُ الأشعريةُ عثمان - فغيبه إلى أن اطمأن الناس، فأتى به النبيّ ﷺ فاستأمنه له، فسكت طويلا، ثم قال: «**نعم**» فلما انصرف عثمانُ، قال ﷺ لمن حوله: «**ما صمت إلا ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه**»، فقال له رجل من الأنصار: هلا أومأت إلي يا رسول الله؟ قال: «**ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين**». وحسن إسلام عبدالله وعرف فضله وجهاده، وكان من كرماء قريش وعقلائهم ونجبائهم، ولاه عمر وكان على ميمنة عمرو بن العاص حين افتتح مصر، ثم ولاه عثمان وافتتح إفريقية عام سبع وعشرين، وذاك قوله:

(وزير الخلفا). فلما خالف محمد بن أبي بكر على عثمان اعتزل الفتنة، ودعا الله عز وجل أن يقبضه ويجعل وفاته بإثر صلاة الصبح، وكان يسلم تسليمتين تسليمة عن يمينه وتسليمة عن يساره فسلم الأولى، وذهب ليسلم الثانية فقبضت روحه، وتوفي رضي الله عنه بعسفان، ويكنى أبا يحيى، وهو القائل في حصار عثمان رضي الله عنهما:

أرى الأمر لا يزداد إلا تفاقما وأنصارنا بالمكتين قليل
وأسلمنا أهل المدينة والهدى إلى أهل مصر والذليل ذليل

هبار بن الأسود رضي الله عنه:

(وناخس): والنخس الغرز بعود ونحوه في مؤخر الدابة، أو جنبها لتنفر، أو لتزيد في السير **(البكر)** الجمل من قبل أن يبزل **(ببنت المصطفى ﷺ)**: وهي زينب رضي الله عنها .

وناخس البكر بها هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي، أمه فاختة بنت عامر بن قرط بن سلمة بن قشير، أخت ضباعة القائلة:

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله

وفر هبار يوم بدر فجعل أخوه زمعة بن الأسود يقول: أقبل حار إذ فر عني هبار، يعني ابنه الحارث، فقتل، ثم لَمَّا رد أبو العاص زينب إليه ﷺ بالعهد الذي عهد إليه، عرض لها هبار في سفهاء قريش فنخسوا بها الجمل فسقطت على صخرة، فألقت جنينها وأهراقت الدماء، ولم يزل بها مرضها ذلك حتى ماتت رضي الله عنها سنة ثمان وذلك قوله:

❋ ❋ ❋

فهلكت لنخسه وألقت ذا بطنها والبرحَ منه لاقت
بِحرقه أمر ثُم رجعا لقتله والنارَ عنه دفعا
وبعد ما أشفى على الإحراق تداركته رخمة الْخلاق
فحقن الله بالاسلام دمه ....

ما وقع لزينب رضي الله عنها :

❖ **الشرح**: **(فهلكت لنخسه وألقت ذا بطنها)**: أي: جنينها **(والبرح)**:

الشدة والشر (**منه لاقت**) وقيل الناخس القيدي ـ أخو بني عبد بن قصي ـ ثم أسلم هبار بعد أن قال النبيّ ﷺ لأصحابه: «**إن وجدتم هبارا فاجعلوه بين حزمتي حطب فأحرقوه بالنار**»، ثم قال: «**لا ينبغي لأحد أن يعذب بعذاب الله تعالى إن وجدتموه فاقتلوه**» ـ وفي رواية ـ: «**لا يعذب بالنار إلا رب النار**». وذلك هو معنى قوله: (**بحرقه**): أي: هبار (**أمر**) ﷺ (**ثم رجعا لقتله والنار عنه دفعا**). (**وبعد ما أشفى**): أي: أشرف (**على الإحراق تداركته رحمة الحلاق فحقن**): الدم أنقذه من القتل (**الله بالإسلام دمه**).

❊ ❊ ❊

....	سبحانه مِن راحم ما أرحَمه
أحنَى وأرأف من الأم بنا	وهكذا رسوله كان لنا
يدخلنا الْجنة إلا من شرد	عنه وعن تَهليله أبَى وصد
يقرب بالذراع أو بالباع	للمدنِي بشبر أو ذراع
ومن أتى يَمشي أتاه هروله	فضاعف الأجر له وأجزله
يضاعف الأجر لسبعمائة	ففوق يوجر بِحسن النية
من لطفه أن صحائف الذنوب	وهي عظيمة تُرَوِّعُ القلوب
لا تزن التهليل فِي بطاقه	كأنَّها الظفر فِي الدقاقه

سعة رحمة الله تعالى:

❖ الشرح: (**سبحانه من راحم ما أرحمه أحنى**): أي: أعطف (**وأرأف**): أي: أرحم (**من الأم بنا وهكذا رسوله كان لنا يدخلنا الجنة إلا من شرد عنه**): للكفر ـ أعاذنا الله منه ـ (**وعن تهليله**): قول لا إلٰه إلا الله (**أبى**): امتنع (**وصد**): أعرض (**يقرب بالذراع أو بالباع**): ما بين اليدين (**للمدني بشبر أو ذراع ومن أتى يمشي أتاه هروله**): بين العَدْوِ والمشي (**فضاعف الأجر له وأجزله**): كثره. (**يضاعف الأجر لسبع مائة ففوق يوجر بحسن النية**) قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾...،

وفي الحديث حاكيا عن ربه تعالى: «**يا محمد هي خمس صلوات بكل يوم وليلة فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة وإن عملها كتبت له عشراً**». (**من لطفه أن صحائف الذنوب وهي عظيمة تروع القلوب لا تزن التهليل في بطاقة**): الصحيفة الصغيرة (**كأنها الظفر في الدقاقه**): أي: الرقة والصغر.

❊ ❊ ❊

بسبه من سبه أَنَّسَهُ	**نبينا أن عيروه نَخسه**
صلى عليه الله ما أحلمه	**عن سيء الحوب وما أكرمه**

تأنيسه ﷺ لهبار:

❖ **الشرح**: (**بسبه**): أي: هبار (**من سبه أنَّسَه**): ضد أوحشه (**نبينا ﷺ إذ عيروه**): أي: عابوه، ولا يقال: عير بالأمر، بل عيره الأمر، ويعني بضمير الجمع الصحابة ﷺ (**نخسه**)، يعني أن هباراً لما أسلم بالفتح وأمَّنَه النبيّ ﷺ قدم مهاجراً، فجعل المسلمون يسبونه بنخسه بزينب، وشكا ذلك إليه ﷺ فقال له: «**سُبَّ مَن سبك منهم يا هبار**»، فأقبل عليهم ليسبهم، فتفرقوا عنه خوفاً منه، وكان هبار سباباً في الجاهلية.

وابنه إسماعيل بن هبار من فتيان المدينة جَلَداً وفُتوةً قتله مصعب بن عبدالرحمٰن بن عوف ومعاذ بن عبيدالله بن معمر وعتبة بن جعونة بن شعوب الليثي ـ حليف العباس بن عبد المطلب ـ غيلة، أتوه ليلاً فصاحوا به، فخرج إليهم فاستشفعوه في حاجة، فمضى معهم فقتلوه، فأصبح في خراب لبني زهرة يسمى حش بني زهرة، أدبار مسجده ﷺ، فاستعدت بنو أسد عليهم السلطان فحبس لهم الثلاثة في السجن، وركبوا إلى معاوية ـ وفيهم عبدالله بن الزبير ـ فقال لهم معاوية: احلفوا على واحد من الثلاثة، فقال ابن الزبير: نحلف عليهم كلهم، فأبى معاوية، وأبت بنو أسد أن يحلفوا على واحد، فحملهم معاوية إلى مكة، فاستحلف كل واحد منهم خمسين يميناً عن نفسه، ثم جلد كل

واحد مائة سوط، وسجنهم سنة ثم خلَّى سبيلهم. وقال الشاعر:

فلن أجيب بليل داعيا أبدا أخشى الغرور كما غُرَّ ابنُ هبار
قد بات جارهم في الحش منعفرا بئس الهدية لابن العم والجار

ثم فسد الذي بين مصعب ومعاذ، فولي مصعبٌ شرطةَ مروان بن الحكم بالمدينة في زمن معاوية، وكان يتمنى أن يجد إلى معاذ سبيلاً، فأتاه رجل ـ أيام الحج ـ من أهل المشرق يستعديه على معاذ، فقال: إني رجل من الحجاج قدمت بمتاع لي فبعته من رجل من قريش يقال له معاذ بن عبيدالله فقال لي: اتبعني إلى منزلي فذهبت معه فحبسني بحقي، ثم خرج إلي فكسر أنفي، وإذا أنفه يدمى، فقال مصعب للحراس: عليَّ بِمُعَاذٍ، فأتوه به ـ وكان مهاجراً له ـ فلما رآه استحيى منه فنكس رأسه، ثم قال ـ وهو منكس رأسه ـ: يا معاذ أفي حق الله أن تبتاع من رجل غريب بضاعته فتمطله بثمنها وتكسر أنفه؟ فنكس معاذ رأسه فقال: أفي حق الله أنطلقُ به إلى منزلي لأفيه حقه فيناديني من وراء الباب: أتريد أن تقتلني كما قتلت ابن هبار؟ فغضب مصعب وقال للحاج ـ وقد رفع رأسه إليه ـ: أقلتها له؟ قال: نعم، قال: قم لا أقام الله رجليك، أتعمد إلى رجل من قريش فتأتيه بالباطل، ثم تنكر أن ينالك بخدش؟ قد أهدرت ما أصابك! ثم أقبل على معاذ فأخذ بيده وقال: ارتفع إلي هاهنا فرفعه إلى جانبه على مجلسه، فكان سببا للصلح بينهما!

❋ ❋ ❋

وكأبي سفيان وابن عمته وكابن عمه وأهل بكته

❖ **الشرح**: **(وكأبي سفيان)**: أي: وفاز من لاذ به كابن أبي سرح، وهبار، وأبي سفيان بن حرب، وما عطف عليه ـ وتقدم نسب أبي سفيان ونسب أمه ـ وله من الولد: يزيد، ومعاوية وعتبة وعنبسة ومحمد وعمرو وحنظلة ونسوة منهن: أمنا أم حبيبة رضي الله عنها.

عبدالله بن أبي أمية وأبو سفيان بن الحارث:

(وابن عمته) هو عبدالله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم، أمه عاتكة بنت عبد المطلب إحدى عواتك أبي أمية الأربع، **(وكابن عمه)** هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، أمه عزيزة بنت قيس بن طريف من بني الحارث بن فهر وله يقول حسان:

وإن امرأ كانت سمية أمه ... وسمراء معذور إذا بلغ الجهد

كان عبدالله وأبو سفيان هذان شديدي الخلاف للنبي ﷺ والمسلمين بِمكة وبعد الهجرة، لكن احتضنتهما السعادة. جعلنا الله ممن سبقت له العناية من الله بها بفضله. قال:

رب شخص تسوقه الأقدار ... للمعالي وما لديه اختيار
غافلا والسعادة احتضنته ... وهو منها مستوحش نفار

أما أبو سفيان فكان أخاه من إرضاع حليمة لهما، ولا يكاد يفارقه، وهو أقرب بني هاشم إليه، إلى أن جاءه الوحي، فكان أبعد الناس منه، وأبغضهم له، وكان يهجوه، ويذب عنه حسان.

وأما عبدالله بن أمية فهو القائل للنبي ﷺ - وكان واقفا على ملأ من قريش يدعوهم إلى الإسلام، فخرج معه عبدالله كالمشيع له -: يا هذا والله لن نؤمن بك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً... إلى آخر كلامه، ثم قال: والله لا أومن بك لو أتيت بهذا كله.

فلما خرج ﷺ يريد قريشاً لقياه بالأبواء - بين السقيا والعرج - فأعرض عنهما فاستشفعت أمنا أم سلمة لأخيها، فقال ﷺ: **«ابن عمتي وصهري الذي قال لي بِمكة ما قال»** ثم قالت: لا يكن ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك، وروي أن أبا سفيان قال: والله لتقبلن إسلامي أو لآخذن بيد ابني هذا ولنذهبن في الأرض، وكان معه ابنه جعفر، وقال علي لأبي سفيان: إيت رسول الله ﷺ من قبل وجهه وقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف عليه

السلام: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه قولاً، ففعل ذلك أبو سفيان ﷺ، فقال ﷺ: «﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾» الآية، فقبل منهم الإسلام، وأنشده أبو سفيان معتذراً:

لعمرك إني يوم أحمل رايتي لتغلب خيلُ اللات خيلَ محمد
لكالمدلج الحيران أظلم ليله فهذا أواني حين أهدى فأهتدي
هداني هاد غير نفسي فدلني على الله من طردته كل مطرد

فضرب ﷺ صدره وقال: «**أنت طردتني كل مطرد**»! وكان أبو سفيان أصح الناس إيماناً، وألزمهم له ﷺ، وما رفع رأسه إليه منذ أسلم حياء منه، وكان ﷺ يحبه ويشهد له بالجنة، ويقول: «**أرجو أن يكون خلفاً من حمزة**»، وتوفي ﷺ في خلافة عمر ﷺ من ثؤلول حلقه الحلاق من رأسه فقطع الثؤلول مع الشعر، فنزف منه الدم، فلما حضرته الوفاة قال: لا تبكوا علي فإني لم أنتطق بخطيئة منذ أسلمت. وأما عبدالله فلزم النبيّ ﷺ إلى أن استشهد بالطائف ﷺ.

(وأهل بكته) هذا تعميم بعد تخصيص، وبكة لغة في مكة، قال ﷺ يومئذ: «**ما تروني فاعلا بكم؟**» فقالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**».

❋ ❋ ❋

واختلفوا فيها فقيل: أُمِّنَتْ وقيل: عنوة وكرها أُخِذَتْ

الخلاف في شأن مكة:

❖ **الشرح**: **(واختلفوا)**: أي: العلماء **(فيها)**: أي: مكة **(فقيل: أمنت)**، وهو قول الشافعي مستدلاً بقوله ﷺ: «**من دخل دار أبي سفيان فهو آمن..**» الحديث، وعليه فلأهلها بيع دورهم وإكراؤها، لأن الأمان كالصلح، فمن أُمِّنَ فقد حرم دمه وعياله وماله **(وقيل: عنوة وكرها أخذت)** وعليه أكثر العلماء و**(عنوة)**: قهرا، لأنها إنما أخذت بالخيل والركاب، وعليه فلا يجوز

لأهلها ما ذُكِرَ، بل دورهم مناخ من سبق إليها، كما روي عن أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكان عمر يأمر بنزع أبواب دور مكة إذا قدم الحاج.

وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى عامله بمكة أن ينهى أهلها عن إكراء دورها إذا قدم الحاج فإن ذلك لا يحل لهم، وكانت دورها تدعى السوائب كما قيل، وهذا منتزع من أصلين: أحدهما قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ قال ابن عباس وابن عمر: الحرم كله مسجد، والأصل الثاني أن النبيّ ﷺ، دخلها عنوة غير أنه مَنَّ على أهلها بأنفسهم وأموالهم ولم يغنم صامتاً ولا ناطقاً.

❋ ❋ ❋

وأخبر النبيَّ بارئُ النسم بقولِهم: يسكن بعدها الْحرم
وبالذي قالوه إذ لَم يرهقا تداركته رحمةٌ فأشفقا

إخباره ﷺ بكلام الأنصار رضي الله عنهم:

❖ **الشرح**: **(وأخبر النبيّ ﷺ بارئ)**: أي: خالق، والبارئ من أسمائه تعالى **(النسم)**: جمع نسمة للإنسان، **(بقولهم)**: أي: الأنصار - وإن لم يذكروا في الكلام للعلم أنهم القائلون ذلك ضنا منهم - **(يسكن ﷺ بعدها)**: أي: غزوة الفتح **(الحرم)** مكة - زادها الله شرفاً -. يعني أنه لما اطمأن الناس قام ﷺ إلى الكعبة وعليها ثلاثمائة وستون صنما - قد شد لهم إبليس أقدامها بالرصاص - فجاء ومعه قضيب، فجعل يهوي به إلى كل صنم منها فيخر لوجهه فيقول: «﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾» حتى مر بجميعها ثم جلس على الصفا حيث ينظر إلى البيت فرفع يديه يذكر الله بما شاء، والأنصار تحته يقول بعضهم لبعض: أما الرجل فقد أدركته رغبة في قرابته ورأفة في عشيرته.

فنزل الوحي، وكان إذا نزل لم يخف - فليس أحد يرفع رأسه إلى رسول الله ﷺ، حتى يقضى - فرفع رأسه ﷺ ثم قال: «**يا معشر الأنصار**

قلتم: **أما الرجل فأدركته رغبة في قرابته ورأفة بعشيرته؟»** قالوا: نعم، قال: **«فما اسمي إذاً؟ إني عبدالله ورسوله هاجرت إلى الله وإليكم فالمحيا محياكم والممات مماتكم»**، فأقبلوا إليه يبكون، ويقولون: والله ما قلنا ذلك إلا ضنا بالله ورسوله، قال: «**فإن الله ورسوله يعذرانكم ويصدقانكم**» وذلك قوله: (**وبالذي قالوه إذ لم يرهقا**): قريشاً، بأن لم يغنم ناطقا ولا صامتا ومَنَّ عليهم بأنفسهم، (**تداركته رحمة**) في عشيرته (**فأشفقا**) عليهم.

❋ ❋ ❋

وبالذي قالوه فِي المؤذن وبالذي به فَضالة عُنِي

إخباره ﷺ بكلام قريش:

❖ **الشرح**: (**وبالذي قالوه**) يعني قريشاً (**في المؤذن**) وهو بلال بن رباح رضي الله عنه: أي وأخبر اللهُ النبيَّ ﷺ بالذي قالوه في بلال حين دخل ﷺ الكعبة، وأمر بلالاً أن يؤذن، وأذن على ظهرها، فقال عتاب بن أسيد: أكرم الله أسيداً أن لا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه ـ وكان أسيد مات قبل ذلك على الكفر ـ وقال الحارث بن هشام: أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته وقال أبو سفيان: لا أقول شيئاً لو تكلمت لأخبرته عني هذه الحصباء فخرج عليهم النبيّ ﷺ فقال: «**قد سمعت ما قلتم**» فأخبرهم به، فأسلموا وحسن إسلامهم. وكان الحارث قيل له: أَلا ترى ما يصنع محمد من كسر آلهتنا ونداء هذا العبد الأسود على ظهر الكعبة؟ فقال: إن كان الله يكرهه فسيغيره ثم لما حسن إسلامه لم يزل مجاهدا حتى استشهد بالشام.

بلال بن رباح رضي الله عنه:

تنبيه: وأم بلال حمامة، وكان عبداً لأمية بن خلف، فأسلم مع أبي بكر، وزيد بن حارثة، قبل الناس، كما في مسلم من حديث عمرو بن عنبسة حين عرض عليه ﷺ الإسلام فقال: من معك على هذا الأمر؟ فقال:

«**حران وعبد**» يعني بالعبد بلالاً، ثم لم يزل بلال يعذبه أمية لعنه الله حتى أنه يضجعه في الرمضاء ويطرح صخرة تحت رأسه وأخرى فوقه ويقول له: لا تزال كذلك أو تكفر بإله محمد، وبلال يقول: أحد أَحد، فمر به ورقة بن نوفل كذلك فنهاه عن تعذيبه، وقال: والله لئن قتلتموه لأتخذن قبره حناناً.

فكلم أبو بكر فيه أمية فقال: أعطني نسطاسا مكانه وشأنك به، ففعل أبو بكر ﵁، فأعتقه وتصدر بتأذين النبيّ ﷺ، وكان نسطاس عبداً لأبي بكر ﵁، كثير الخراج إلا أنه امتنع لأبي بكر من الإسلام، فباعه لأمية ـ وهما على ملة إذ ذاك ـ ثم أسر نسطاس يوم بدر بعد أن أعتقه أمية ثم أسلم بعد قتل أمية بن خلف، وتقدم ذلك.

ثم لم يزل بلال مع أبي بكر إلى أن بعث الجنود إلى الشام فكلم أبا بكر ـ وكان حبسه عن الجنود ليؤذن له ويقيم معه بالمدينة ـ فقال: يا خليفة رسول الله ﷺ، إن كنت أعتقتني لله فإن نفسي تتوق إلى الجهاد في سبيل الله، فلم يزل يجاهد في الشام، وبعث إليه عمر حين دون الدواوين إلى من يجعل ديوانه؟ فقال: لا أرغب عن موضع جعلني فيه رسول الله ﷺ، وكان ﷺ آخى بينه وبين أبي رويحة الخثعمي، ثم بعدها كل من يأتي من الحبشة يجعل إلى خثعم، ثم قدم بلال ﵁ المدينة من الشام فأذن يوماً، فضج أهل المدينة بالبكاء من تذكر النبيّ ﷺ. ولما سار عمر إلى الشام وكان بالجابية وشاور المسلمين في قسم ما فتح من البلاد وتركه حتى يجاهد فيه حبل الحَبَلة ـ كما فعل بمصر ـ فقال معاذ: إن قسمتها لم يكن لِمن يأتي من المسلمين شيء، فأخذ بقوله، ولح عليه جماعة منهم بلال في القسم، فقال: الله اكفني بلالاً وذويه، فما حال الحول ومنهم عين تطرف.

ولاية عتاب على مكة:

وأما عتاب فكانت له رؤيا النبيّ ﷺ لوالده أسيد، وهي: «**أنه رآه في**

النوم واليا على مكة مسلما»، فولى النبيّ ﷺ عتابا على مكة، وهو ابن إحدى وعشرين سنة، وأرزقه درهما كل يوم، وكان يقول: أجاع الله كبد من جاع على درهم، وقال عند موته: والله ما اكتسبت في ولايتي كلها إلا قميصا معقدا كسوته لغلامي كيسان، وهو الذي تزوج جويرية بنت أبي جهل ـ حين أراد علي أن يتزوجها فلم يرض ﷺ ذلك، وأخذ منه عدم جواز الزواج على بنات الأنبياء، بخلاف التسري لأن عليا ﷺ قد تسرى ـ وأولدها ابنه عبدالرحمٰن القائل يوم الجمل (وفيه قتل):

أنـا ابـن عـتـاب وسـيـفـي ولـول والـمـوت عـنـد الـجـمـل الـمـجـلـل

وقطعت يده فطارت بها عقاب وطرحتها باليمامة، فعرفت بخاتمه.

مُحاولة فَضالةَ غدره ﷺ:

(وبالذي به فضالة) بن عمير بن الملوح البكري **(عني)** ـ بالبناء للمفعول، وقيل: كرضي ـ: اهتم، يعني أنه ﷺ أخبر أيضاً بأن فضالة أراد قتله وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلما دنا منه قال ﷺ: «**أفضالة؟**» قال: نعم، قال له: «**ما كنت تحدث به نفسك؟**» قال: لا شيء... كنت أذكر الله، فضحك ﷺ ثم قال: «**استغفر الله**»، ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه، وكان يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى صار أحب الناس إلَيَّ، قال: فرجعت إلى أهلي فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها.

قالت هلمَّ إلى الحديث فقلت: لا يـأبـى عـلـيـك الله والإسـلام
لـو مـا رأيـت مـحـمـدا وقـبـيـلـه بـالـفـتـح يـوم تَـكَـسُّـر الأصـنـام
لـرأيـت ديـنَ الله أضـحـى بـيـنـا والـشـركَ يـغـشـى وجـهَـهُ الإظـلام

❋ ❋ ❋

وأخـذ الـمـفـتـاح ثُـم رده عـن رغـم قـومـه الـذيـن عـنـده

مفتاح الكعبة الشريفة:

❖ **الشرح**: **(وأخذ)** ﷺ يوم الفتح **(المفتاح)**: أي: مفتاح البيت **(ثم رده)** لعثمان بن طلحة **(عن رغم)** - بالتثليث - الكره **(قومه)** كالعباس وعلي وغيرهما من بني هاشم **(الذين عنده)**: أي: معه ﷺ، وتطاول العباس ليدفعه إليه، وقال علي: اجمع لنا الحجابة مع السقاية فقال: «**أين عثمان بن طلحة؟**» فدعي له فقال: «**هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء**».

وروي عن عثمان بن طلحة أنه قال: كنا نفتح البيت في الجاهلية يومي الاثنين والخميس، فأقبل ﷺ يوما يريد أن يدخل الكعبة مع الناس فغلظت عليه ونلت منه وحلم عني ثم قال: «**يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئتُ**» فقلت: لقد هلكت قريش يومئذ وذلت، فقال: «**بل عمرت وعزت يومئذ**» ودخل الكعبة، فوقعت كلمته مني موقعا، ظننت يومئذ أن الأمر سيصير إلى ما قال.

فلما قضى طوافه يوم الفتح دعا عثمان فأخذ منه المفتاح ففُتِحَتْ له الكعبة فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم أخرجها، ثم وقف على باب الكعبة فقال: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ألا كل ترة أودم أو مال يُدَّعى فهو تحت قدميَّ هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة مائة من الإبل أربعون منها في بطونها أولادها يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظُّمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب**» ثم تلا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ...﴾ الآية، ثم قال: «**يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم.. إلخ؟**»، ثم لما دفع المفتاح إلى عثمان قال: «**خذوها يا بني عبد الدار تالدة خالدة لا ينزعها منكم إلا ظالِم يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف**»، قال عثمان: فلما وليت ناداني فرجعت إليه، فقال: «**ألَم يكن الذي قلتُ لك؟**» فتذكرت قوله لي قبل الهجرة بِمكة فقلت: بلى أشهد أنك رسول الله.

ثم بعث ﷺ تميم بن أسد فجدد أنصاب الحرم وحانت الظهر فأذن بلال على ظهر الكعبة فقال ﷺ: «**لا تغزى قريش بعد اليوم**» - يعني على الكفر - ووقف على الحزورة فقال: «**والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلَيَّ، ولولا أني أُخرِجْتُ منك ما خرجت**».

ومن شعر الفتح قول ابن الزبعرى:

منع الرقاد بلابل وهموم ... والليل مختلج الرواق بهيم

مما أتاني أن أحمد لامني ... فيه فبت كأنني محموم

إلى أن قال:

أيام تأمرني بأغوى خطة ... سهم وتأمرني بها مخزوم

القصيدة المشهورة. ومنه قول حسان:

عفت ذات الأصابع فالجواء ... إلى عذراء منزلها خلاء

ويروى أن حسان قال بعض هذه القصيدة في الجاهلية، وبعضها في الإسلام، ويؤيده ما روي أنه مَرَّ بفتية يشربون الخمر - في الإسلام - فنهاهم، فقالوا: والله لقد أردنا تركها فيزينها لنا قولك:

ونشربُها فتتركنا ملوكا ... وأسدا لا ينهنهنا اللقاء

فقال: والله لقد قلتها في الجاهلية، وما شربتها منذ أسلمت.

❋ ❋ ❋

غزوة حنين:

ثُم إلى وادي حنين انحدر ... عن مكة من الألوف اثنا عشر

فوجدوا هوازنا تأهبوا ... لَهم بكل مَخرم وألبوا

❖ **الشرح**: (**ثم إلى وادي حنين**) وتسمى غزوة أوطاس: وهو واد

بأرض هوازن، كانت به الوقعة أو بعضها، حيث اجتمع فلالهم، وحنين ـ كزبير ـ: موضع بين مكة والطائف، سمي بحنين بن قانية، وهو رجل ينسب إليه الموضع، وتسمى أيضاً غزوة هوازن (**انحدر عن مكة من الألوف اثنا عشر**): العشرة الذين فتحوا مكة معه، وألفان من أهل مكة، منهم من لم يسلم كصفوان بن أمية وغيره، وجيش هوازن سبعمائة.

وحين أراد ﷺ المسير من مكة إلى هوازن استعمل على مكة عتاب بن أسيد، وذُكر له أن عند صفوان دروعا، فأرسل إليه أن: «**أعرنا سلاحك هذا يا ابن أمية نلق به عدونا غداً**»، فقال: أغصبا يا محمد؟ قال: «**بل عارية وهي مضمونة حتى نؤديها إليك**»، فقال: ليس بهذا بأس، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح، فسأله النبيّ ﷺ أن يكفيهم حملها ففعل.

استعداد هوازن للقتال:

(**فوجدوا هوازنا تأهبوا**): تهيأوا، وهوازن هو ابن منصور بن خصفة بن قيس عيلان، أبو قبائل منها: سعد بن بكر بن هوازن ـ أهل إرضاعه ﷺ ـ وثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن، وجشم ونصر وصعصعة بنو معاوية بن بكر بن هوازن، واجتمع هؤلاء لحرب النبيّ ﷺ إلا كعباً وكلاباً ابني ربيعة بن عامر بن صعصعة، وبعض بني هلال، وفي جشم دريد بن الصمة شيخ كبير ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب وكان شجاعاً مجرباً، وفي ثقيف سيدان: قارب بن الأسود بن مسعود بن معتب في الأحلاف، وذو الخمار سبيع بن الحارث في بني مالك ـ وقارب أسلم بعد، ووفد عليه ﷺ في خبر عمه عروة، مع أبي مليح بن عروة ـ وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النصري (من نصر بالمهملة بن معاوية) فلما أجمع المسير إلى رسول الله ﷺ حط مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم.

معارضة دريد لِخطة مالك:

فلما نزل بأوطاس اجتمع إليه الناس، وفيهم دريد بن الصمة، فلما نزل قال: بأي واد أنتم؟ قالوا: بأوطاس، قال: نعم مجال الخيل لا حزن

ضرس ولا سهل دهس، ما لي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء؟ قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، قال: أين مالك؟ قيل له: هذا مالك، فقال: يا مالك إنك أصبحت رئيس قومك، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام، مالي أسمع رغاء البعير.. ـ إلى آخر الكلام ـ ؟ قال: سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم، قال: ولِم؟ قال: أردت أن أجعل مع كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم. قال الراوي: فأنقض به، ثم قال: رأي راعي ضأن والله وهل يرد المنهزم شيء؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فُضحت في أهلك ومالك، ثم قال: ما فعلت كلاب وكعب؟ قالوا: لَم يشهدها منهم أحد، قال: غاب الحد والجد لو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب وكلاب، و لوددت أنكم فعلتم كما فعلت كعب وكلاب، فمن شهدها من عامر؟ قالوا: عمرو بن عامر وعوف بن عامر، قال: ذانك الجذعان من عامر لا ينفعان ولا يضران، يا مالك إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئاً، ارفعهم إلى ممتنع بلادهم وعُليا قومهم، ثم الْقَ الصباء على متون الخيل، فإن كانت لك لحق بك من وراءك وإن كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك. (قوله: راعي ضأن يجهله به، وقوله: فأنقض به: رد لسانه في حلقه فصوت تحقيراً له، من الإنقاض، وهو تسكين صغار الإبل، وجد لص عجوزاً من العرب تعقل جملها فاقتعده، وترك لها قعوداً كان عنده فقال:

رب عجوز من نمير شهبره ... علمتها الإنقاض بعد القرقرة

والقرقرة صوت البزل). ثم قال مالك بن عوف: والله لا أطيعك، إنك قد كبرت وكبر عقلك، والله لتطيعنَّنِي يا معشر هوازن أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري ـ وكره أن يكون لدريد فيها ذكر أو رأي ـ قالوا: أطعناك، فقال دريد: هذا يوم لم أشهده ولم يفتني!

يا ليتني فيها جذع ... أخب فيها وأضع
أقود وطفاء الزمع ... كأنَّها شاة صدع

ثم قال مالك للناس: إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم، ثم شدوا شدة رجل واحد، وبعث عيوناً له من رجاله فأتوه وقد تفرقت أوصالهم، قال: ويلكم ما شأنكم؟ قالوا: رأينا رجالاً بيضاً على خيل بلق، والله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى، فما رده ذلك عن وجهه أن مضى لما يريد.

فلما سمع بهم ﷺ بعث إليهم عبدالله بن أبي حَدْرَدٍ، وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ثم يأتيه بخبرهم، **(لهم)**: أي: له ﷺ وأصحابه **(بكل مخرم)**: طريق في غلظ **(وألبوا)**: اجتمعوا، والألب: الاجتماع والتدبير على العدو من حيث لا يعلم، يعني أنهم وجدوا هوازن تهيأوا لهم في الطريق مجتمعين معدين.

❊ ❊ ❊

وبينما الْجيش إليهم ينحدر	**بغلس شدوا عليه وهو غر**
فاستنفروا بِهم لذلك الركاب	**وأدبرت تخدي بِهم غلب الرقاب**
واستنزلوا وادرعوا وهي تَمُرْ	**مر جهام بالبهاليل نفر**
فاقتحموا عنها وآبوا للنبِي	**وزحزحوا عنه زحوف العرب**

مكيدة هوازن للمسلمين:

❖ **الشرح**: **(وبينما الجيش إليهم)**: أي: هوازن **(ينحدر)**: ينحط، الانحدار الانحطاط **(بغلس)**: ظلمة آخر الليل **(شدوا)**: أي: هوازن؛ أي حملوا على الجيش **(عليه وهو غر)**: أي: غافل.

روي عن جابر رضي الله عنه أنه قال: لما استقبلنا وادي حنين انحدرنا في واد من أودية تهامة أجوف ذي خطوط إنَّما ننحدر فيه انحداراً، في عماية الصبح، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي، فكمنوا لنا في شعابه وأحنائه ومضايقه قد أجمعوا و تهيأوا وأعدوا، فوالله ما راعنا، ونحن منحطون، إلا الكتائب قد شدوا علينا شدة رجل واحد، وانشمر الناس راجعين لا يلوي أحد على أحد، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين، ثم قال: «**أيها الناس**

هلمَّ إلَيَّ أنا رسول الله، أنا محمد بن عبدالله» فانطلق الناس، إلا أنه بقي مع رسول الله ﷺ نفر من المهاجرين، والأنصار، وأهل بيته. وممن ثبت معه من المهاجرين: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

(فاستنفروا): أي: هوازن **(بهم)**: أي: المسلمين **(لذلك الركاب)**: الإبل، واحدتها راحلة، **(وأدبرت)**: ولت ورجعت **(تخدي)**: تسرع بهم أي: المسلمين **(غلب الرقاب)**: غلاظها أي واستنفرت هوازن الإبل بالمسلمين، فأدبرت تسرع بهم إلى حيث شاءت.

وفي ذلك يقول بعض هوازن:

يا شدة ما شددنا غير كاذبة   على سخينة لولا الليل والحرم

(واستنزلوا وادرعوا): أي: لبسوا دروع الحديد **(وهي)**: أي: الإبل **(تَمُرُّ)** بهم **(مر جهام)**: السحاب التي أهرقت ماءها **(بالبهاليل)**: جمع بهلول للسيد الجامع كل خير **(نفر)** متقدمة، وصف للإبل أي فعلوا ذلك، وهي باقية على نفورها بهم. يعني لما نفرت بهم الإبل ودعوا نزال نَزال، لبسوا دروعهم وأخذوا أسلحتهم، وهي تسير بهم ﷺ سيراً كسير الجهام.

(فاقتحموا): رموا بأنفسهم **(عنها وآبوا)**: رجعوا **(للنبي وزحزحوا)**: دفعوا **(عنه زحوف)**: جمع زحف للجيش **(العرب)** وأراد بسخينة قريشاً، وكانوا يعيرون بهذا الاسم.

نداء العباس لأهل بيعة الرضوان رضي الله عنهم:

وعن كثير بن العباس عن أبيه قال: إني لمع رسول الله ﷺ آخذ بحكَمة بغلته البيضاء، وقد شجرتها بها ـ وكنت امْرَأً جسيما جهير الصوت ـ ورسول الله ﷺ يقول حين رأى ما رأى من الناس:

«أنا النبيّ لا كذب   أنا ابن عبد المطلب»

فلم ير الناس يلوون على شيء قال: **«يا عباس اصرخ: يا معشر**

الأنصار يا معشر أصحاب السمرة»، فأجابوا: لبيك لبيك... فيذهب الرجل ليثني بعيره فلا يقدر على ذلك، فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه، ويأخذ ترسه وسيفه ويقتحم عن بعيره ويخلي سبيله فيؤم الصوت حتى ينتهي إليه ﷺ، حتى اجتمع منهم إليه مائة استقبلوا الناس فاقتتلوا، فكانت الدعوة أول ما كانت: يا للأنصار، ثم خلصت أخيرا: يا للخزرج، وكانوا صبرا عند الحرب.

وفي آخر حديث جابر المتقدم قال: وفي هوازن رجل على جملٍ له أحمر بيده راية سوداء على رمح طويل أمام هوازن، وهوازن خلفه إذا أُدْرِكَ طعن برمحه وإذا فاته الناس رفع رمحه لِمن وراءه فاتبعوه، فبينما هو كذلك إذ أهوى إليه عليٌّ ورجل من الأنصار يريدانه، فأتى عليٌّ من خلفه، فضرب عرقوبي جمله، فوقع على عجزه، ووثب الأنصاري فضربه ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه فانجعف على رحله، واجتلد الناس.

فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله ﷺ. (ويعني جابر بالأنصاري نفسه).



مقالات أهل الجفاء:

ولما نفرت الإبل بالمسلمين تكلم بعض جفاة أهل مكة بما في أنفسهم من الضغن، قال بعضهم: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر ـ وأسندوها لأبي سفيان، حتى قالوا: إن الأزلام معه في كنانته ـ وقال جبلة بن الحنبل: ألا بطل السحر اليوم! فقال له صفوان ابن أمية ـ وكان أخاه لأمه، وكان بعدُ مشركا ـ: اسكت فض الله فاك، فوالله لَأَنْ يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن.

❊ ❊ ❊

فأرسل الله جنود الفرج　　　وقُبضة الترب أتت بالفلج

❖ **الشرح**: (**فأرسل الله جنود الفرج**) وجنود الفرج الملائكة (**وقُبْضة الترب**) ـ بضم القاف ـ ما حوته الكف من الحصباء، (ولو أراد المصدر لكان بفتح القاف) (**قضت**): حكمت (**بالفلج**): الظفر والفوز. وفي آخر حديث كثير عن أبيه العباس: نظر ﷺ إلى مجتلد القوم فقال: «**الآن حمي الوطيس**»، ثم أخذ حصيات في يده فرمى بها في وجوه الكفار، ثم قال: «**انهزموا ورب محمد**» قال: فما زلت أرى حَدَّهُمْ كليلاً وأمرَهم مدبراً. وكان النبيّ ﷺ على بغلته البيضاء، واسمها فضة ـ وهي التي أهداها إليه فروة بن نفاثة ـ فأشار بيده إلى الأرض ليأخذ منها الحفنة، فرمت البغلة بنفسها إلى الأرض حتى قبض ﷺ القبضة، فرمى بها وجوه العدو فقال: «**شاهت الوجوه**» فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه ترابا من تلك القبضة، فولوا مدبرين.

وقال جبير بن مطعم: لقد رأيت قبل هزيمة القوم، والناس يقتتلون، مثل البجاد الأسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم، فنظرت فإذا نمل أسود مبثوث، قد ملأ الوادي ـ لم أشك أنها الملائكة ـ ولم يكن إلا هزيمة القوم. فأرى الله الملائكة للهوازني الذي كان طليعة لمالك بن عوف رجالا بيضا على خيل بلق، ترهيبا للعدو، وأراهم جبيراً على صورة النمل المبثوث إشعاراً بكثرة عددهم، إذ النمل لا يستطاع عدها، مع أن النملة يضرب بِها المثل في القوة، فيقال: أقوى من النملة، لأنها تحمل ما هو أكبر من جرمها بأضعاف.

(وقد قال رجل لبعض الملوك: جعل الله قوتك قوة النملة، فأُنْكِرَ عليه، فقال: ليس في الحيوان ما يحمل أكبر منه إلا النملة، وقد أهلك الله أمة من الأمم بالنمل وهم جرهم).

ولما انهزمت هوازن استحر القتل من ثقيف في بني مالك ـ قتل منهم سبعون رجلاً ـ واستحر أيضاً في بني نصر بن معاوية، ثم في بني رئاب ـ قبيلة مالك بن عوف ـ فذُكِرَ ذلك للنبيّ ﷺ فقال: «**اللّهم اجبر مصيبتهم**»، ولعل ذلك بعد أن أسلموا، لأنه ﷺ، لا يدعو للمشركين، بل يدعو عليهم كما ثبت.

ووقف مالك بن عوف لما انهزمت هوازن على ثنية من الثنايا، حتى مضى ضعفاء أصحابه وتتامَّ آخرهم، ثم هرب فتحصن في حصن ثقيف، ثم أسلم بعدُ، وألفه النبيّ ﷺ.

مقتل دريد بن الصمة:

وقُتل دريد بن الصمة كافرا، ويروى أن الذي قتله من الأنصار، وأنه قال: ضربته بسيفي فلم يغن شيئاً، فناولني سيفه، وقال: اضربني بهذا وارفع عن العظام، واخفض عن الدماغ.. فإنني كذلك كنت أضرب الرجال، ورأيت بين رجليه مثل كركرة البعير من طول ركوب الخيل، وقيل: إن الذي قتله ربيعة بن رفيع السلمي، وإن دريداً قال له لَما علمه الضرب: إذا أتيت أمك فقل لها: إني قتلت دريد بن الصمة، فرب يوم والله منعتُ فيه نساءك، فلما رجع ربيعة إلى أمه وأخبرها الخبر قالت: والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثا، وقيل قاتله الزبير بن العوام. وقالت عمرة بنته تبكيه:

قالوا قتلنا دريدا قلت قد صدقوا ... فظل دمعي على السربال ينهمر
لولا الذي قهر الأقوام كلهم ... رأت سليم وكعب كيف تأتمر

وفرار من كان معه ﷺ يومئذ، أعقبه رجوعهم إليه بسرعة وقتالهم معه، حتى كان الفتح، وفي ذلك نزلت: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ كما نزلت فيمن تولى يوم أحد: ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾.. الآية.

وقال النبيّ ﷺ هذا اليوم: «**من قتل قتيلا فله سلبه**»، وقَتل أبو طلحة عشرين فأخذ أسلابهم، قال الناظم في الكلام على أبي طلحة:

بيده يوم حنين قصما ... عشرين والبز النفيس غنما

وقتل قتادة بن النعمان رجلاً فكأنه اشتغل عن سلبه، فأتاه رجل من المسلمين فأخذ سيفه، ثم طلبه قتادة، فأتى به المسلم رسول الله ﷺ فقال:

يا رسول الله هذا سيفه، ولكن أعطنيه، فقال أبو بكر: لا ها الله، أَيُعْمَدُ إلى أسد من أسد الله يقاتل في سبيل الله فيعطى نفلُه غيرَه، قال قتادة: واشتريت من ثمنه نخلا، وكان أول مال تأثلته.

❋ ❋ ❋

وثبتت مع النبيّ طائفة	**من أهل بيته ومِمن آلفه**
عُمَرَ ذي الخلال شيبةَ أبي	**سفيان وابنِه وعمّه الأبي**
حيدرةٍ أسامةٍ أيمنِه	**ثُم أبي الفضل وفضلِ ابنِه**

بعض من ثبت معه ﷺ:

❖ **الشرح**: (**وثبتت مع النبيّ طائفة**): والطائفة من الشيء قطعة منه، من الواحد فصاعدا إلى الألف (**من أهل بيته**): وهم هنا بنو عبد المطلب ومواليهم (**وممن آلفه**): صحبه من غيرهم من مهاجري قريش كأبي بكر وعمر، وهو قوله (**عمر ذي الخلال**): هو أبو بكر رضي الله عنهما .

شيبة بن عثمان رضي الله عنه:

(**شيبة**): هو ابن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبدالدار، أمه أم جميل بنت عمير، أخت مصعب بن عمير بن هاشم بن عبدالدار، ولم يذكر شيبة على أنه من المهاجرين، لأنه لم يهاجر إذ ذاك بعد ولم يسلم قبل ذلك، لكن تصدر بحسن الإسلام وهو ممن نزل فيهم ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ...﴾ الآية، وكان يحدث عن إسلامه، ويقول: ما رأيت أعجب مما كنا فيه من لزوم ما مضى عليه آباؤنا من الضلالات، لما كان يوم الفتح دخل ﷺ مكة عنوة، قلت: أسير مع قريش إلى هوازن بحنين، فعسى إن اختلطوا أن أصيب من محمد غرة فأثأر منه فأكون أنا الذي قمت بثأر قريش كلها وأقول: لو لَم يبق من العرب والعجم أحد إلا اتبع محمداً ما اتبعته أبداً، وكنت مرصداً لما خرجت له، لا يزداد الأمر في نفسي إلا قوة، فلما اختلط الناس، اقتحم النبيّ ﷺ عن

بغلته، وأصلتُ السيف فدنوت أريد ما أريد منه، ورفعتُ سيفي حتى كدت أسوره، فرفع لي شواظ من نار كالبرق، يكاد يمحشني، فوضعت يدي على بصري خوفا عليه، والتفت إلي رسول الله ﷺ فناداني: «**يا شيب ادن مني**» فدنوت منه فمسح صدري ثم قال: «**اللّهم أعذه من الشيطان**» قال: فوالله لهو ساعتئذٍ أحب إلي من سمعي ومن بصري ونفسي، وأذهب الله ما كان بي، ثم قال: «**يا شيب ادن فقاتل**»، فتقدمت أمامه أضرب بسيفي، والله يعلم أني أحب أن أقيَه بنفسي كلَّ شيء ولو لقيت أبي تلك الساعة، لو كان حيا، لأوقعت فيه السيف، فجعلت ألزمه فيمن لزمه حتى تراجع المسلمون، فكروا كرة رجل واحد وقربت بغلته ﷺ، فاستوى عليها، فخرج في إثرهم حتى تفرقوا في كل وجه، ورجع إلى معسكره، فدخل خباءه، فدخلت عليه، وما دخلت عليه إلا حبا لرؤية وجهه وسرورا به، فقال: «**يا شيب الذي أراد الله بك خير مما أردت بنفسك**» ثم حدثني بكل ما أضمرت في نفسي مما لم أكن أذكره لأحد قط، فقلت: فإني أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأنك رسوله، فقلت: له استغفر لي، قال: «**غفر الله لك**». ودفع إليه وإلى ابن عمه عثمان بن طلحة مفاتيح الكعبة وقال: «**خذوها..**» وإلى شيبة تنسب الحجبة، لأن بنيه حجبة الكعبة إلى الآن، ومات شيبة في زمن معاوية، رضي الله عنهما، وخلف عدة بنين، منهم عبدالله الأصغر، ويقال له الأعجم، وكان ضربه خالد بن عبدالله القسري في إمارته للوليد بن عبدالملك على مكة، فركب الأعجم إلى الوليد فتظلم من خالد فأقاد منه، وفي ذلك يقول الفرزدق:

لعمري لقد سار ابن شيبة سيرة... إلخ.

(أبي سفيان): هو ابن الحارث بن عبد المطلب، وتقدمت ترجمته في غزوة الفتح **(وابنه)**: هو جعفر الذي أسلم مع أبيه كما تقدم ومات في خلافة معاوية، وأم ولد أبي سفيان جمانة بنت أبي طالب **(وعمه)** أي: عم جعفر بن أبي سفيان وهو نوفل بن الحارث ـ قدم الكلام عليه في غزوة بدر ـ **(الأبي)**: أي: عن الضيم، **(حيدرة أسامة)**: هو ابن زيد بن حارثة رضي الله عنهما ـ وتقدم الكلام عليهما في مؤتة ـ **(أيمنه)**: أي: أيمن أسامة، أضافه إليه

للأخوة، وهو أيْمن بن عبيد الأنصاري الخزرجي، أمه وأم أسامة أم أيْمن بركة مولاة النبيّ ﷺ، واستشهد ﷺ بعد أن ثبت **(ثم أبي الفضل)**: يعني العباس **(وفضل ابنه)**: أي: ابن العباس، ﷺ، واستشهد الفضل بإجنادين بعد أن حضر غسل النبيّ ﷺ، وأدخله قبره، ولم يعقب إلا أم كلثوم، أم موسى بن أبي موسى الأشعري.

وأردف النبيّ ﷺ الفضل في حجة الوداع، فجاءت امرأة تستأذن النبيّ ﷺ في حجها عن أبيها ـ وكانت وضيئة ـ فجعل النبيّ ﷺ يصرف وجه الفضل عنها، والفضل أكبر ولد العباس، ولذلك كني به أبوه وهو من أبهى قريش، ولذا قيل من أراد البهاء والسخاء والفقه فليأت دار العباس، فالجمال للفضل، والسخاء لعبيدالله، والفقه لعبدالله.

❊ ❊ ❊

وَوَقَـفَ الـسَّـبْـيَ إلـى أن رجـعـا مـن طـائـف لـعـل أن يُـسْـتَـرْجَـعَـا

الغنائم والسبي:

❖ **الشرح**: **(ووقف)**: حبس بلا قسم **(السبي)**: وهو هنا سبي هوازن، وهو ستة آلاف رأس **(إلى أن رجعا)** ﷺ **(من طائف)** أي: من غزوة طائف ـ وسيأتي إن شاء الله الكلام عليها، وعلى لفظتها ـ **(لعل أن يسترجعا)** السبي: أي: يرد بفداء رقابهم.

يعني أنه ﷺ لما فتح هوازن، وسبى نساءهم وأبناءهم، وغنم أموالهم، أمر بجمع تلك الغنائم والسبايا فجمعت في حظائر يستظلون بها من الشمس عند الجعرانة، إلى أن رجع من غزوة الطائف، فبدأ بقسم الأموال وهي أربعة وعشرون ألفاً من الإبل، وأكثر من أربعين ألفاً من الغنم، وأربعة آلاف أوقية فضة، فأعطى ﷺ المؤلفة قلوبهم أول الناس.

عطاؤه ﷺ للمؤلفة قلوبهم:

فأعطى أبا سفيان بن حرب أربعين أوقية ومائة من الإبل، فقال: وابني يزيد؟ فقال: «**أعطوه أربعين أوقية ومائة من الإبل**» فقال: وابني معاوية؟ قال: «**أعطوه أربعين أوقية ومائة من الإبل**» وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل، ثم سأله مائة أخرى فأعطاه إياها، وأعطى النضر بن الحارث بن كلدة مائة من الإبل، وأعطى أسيد بن حارثة الثقفي مائة من الإبل، وأعطى العلاء بن حارثة الثقفي خمسين بعيرا، وأعطى مخرمة بن نوفل خمسين بعيرا، وأعطى ابن مخرمة خمسين بعيرا، وأعطى الحارث بن هشام مائة من الإبل، وسعيد بن يربوع خمسين من الإبل، وصفوان بن أمية مائة من الإبل، وأعطى قيس بن عدي مائة من الإبل، وعثمان بن وهب خمسين من الإبل، وأعطى سهيل بن عمرو مائة من الإبل، وحويطب بن عبد العزى مائة من الإبل، وأعطى هشام بن عمرو العامري خمسين من الإبل، والأقرع بن حابس مائة منها، ثم سأله مائة أخرى فأعطاه إياها، وعيينة بن حصن مائة من الإبل، والعباس بن مرداس أربعين من الإبل، فسخطها، فقال في ذلك:

أتجعل نهبي ونهب العبيـ ... ـد بين عيينة والأقرع
فما كان حصن ولا حابس ... يفوقان مرداس في مجمع
وما كنت دون امرئ منهم ... ومن تخفض اليوم لا يرفع
وقد كنت في الحرب ذا تدرأ ... فلم أعط شيئاً ولم أمنع

(والعبيد فرسه) فأعطاه ﷺ مائة، ثم قال له ﷺ: «**أأنت القائل: أتجعل نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة؟**» فقال أبو بكر: أشهد أنك كما قال تعالى ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ ولكنه قال: بين عيينة والأقرع فقال ﷺ: «**هما سواء**» فضحك أبو بكر رضي الله عنه، وأعطى ما أعطى كله من الخمس على أثبت الأقاويل، ثم فرق الأموال على الناس على أعدل قسمة، لكل رجل أربعة من الإبل، وأربعون شاة، ولكل فارس اثنا عشر بعيرا ومائة وعشرون

شاة، وإن كان له أكثر من فرس واحد لم يقسم له وتأنّى بالسبي (**لعل**) أي: رجاء أن يأتي أهله فيستردونه.

قدوم وفد هوازن:

فأتى وفدهم وقد قُسم السبي، وفيهم زهير بن صرد - وهو رأسهم - وفيهم أبو برقان وهو عم رسول الله ﷺ من الرضاعة، فأنشده زهير:

امنن علينا رسول الله في كرم ... فإنك المرء نرجوه وننتظر
يا خير طفل ومولود ومنتخب ... في العالمين إذا ما حُصِّل البشر
امنن على بيضة قد عاقها قدر ... مشتت شملها في دهرها غير

إلى أن قال:

امنن على نسوة قد كنت ترضعها ... إذ فوك تَملأه من محضها الدرر
إذ أنت طفل صغير كنت ترضعها ... وإذ يزينك ما تأتي وما تذر
لا تجعلنا كمن شالت نعامته ... واستبق منا فإنا معشر زهر

فلما سمع ﷺ هذا الشعر قال: «**ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم**»، وقالت قريش: ما كان لنا فهو لله ولرسوله، وقالت الأنصار: ما كان لنا فهو لله ولرسوله، وفي رواية أنه قال لهم: «**أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟**» فقالوا: ما كنا نعدل بالأحساب شيئاً.

فقال: «**أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم وسأسأل لكم الناس**» فقالت المهاجرون والأنصار: ما كان لنا فهو لله ولرسوله، وقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا، وقال عيينة بن حصن: أما أنا وبنو فزارة فلا، وقال العباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا، فقالت بنو سليم: ما كان لنا فهو لله ولرسوله، فقال العباس: وهنتموني.

فقال ﷺ: «**إن هؤلاء القوم جاؤوا مسلمين، وقد كنت استأنيت بسبيهم، وقد خيرتهم فلم يعدلوا بالأبناء والنساء شيئاً، فمن كان عنده من**

الأبناء والنساء شيء فطابت نفسه بأن يرده فليفعل ذلك ومن أبى فليرد عليهم وليكن ذلك قرضاً علينا بست فرائض من أول ما يفيء الله علينا» قالوا: رضينا وسلمنا، فردوا عليهم نساءهم وأبناءهم، ولم يتخلف أحد منهم غير عيينة بن حصن، فإنه أبى أن يرد عجوزاً صارت إليه، فقيل له: ما حاجتك إليها؟ والله ما فوها ببارد ولا ثديها بناهد، ولا بطنها بوالد، ولا زوجها بواجد ولا درها بماكد! ثم ردها. وكان النبيّ ﷺ قد كسا السبي قبطية قِبطية.

قدوم الشيماء بنت الحارث عليه ﷺ:

وقدمت عليه الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى، أخته من الرضاع، فقالت: يا رسول الله أنا أختك من الرضاع، قال: **«وما علامة ذلك؟»** قالت: عضة عضضتنيها في ظهري، وأنا متوركتك، فعرف العلامة، فبسط لها رداءه، وأجلسها عليه، وخيرها، وقال: **«إن أحببت فعندي محببة مكرمة وإن شئت أن أمتعك وترجعي إلى قومك»** قالت: بل تُمتعني وتردني إلى قومي، فأعطاها ﷺ ثلاثة أعبد وجارية ونعما وشاء. أسلمت الشيماء وأسلم أبوها، ولم نجد لإسلام حليمة ما يعتمد عليه، وجزم به القاضي عياض في الشفاء، والله أعلم. وأشار الناظم لهذه العطايا وغيرها مما لا يحصى:

❋ ❋ ❋

أعطى عطايا شهدت بالكرم ... يومئذ له ولم تُجمجم
وكيف لا ومستمد سيبه ... من سيب رب ذي عناية به

سخاؤه ﷺ:

❖ **الشرح**: **(أعطى)** ﷺ **(عطايا شهدت بالكرم يومئذ)**: أي: يوم حنين **(له ولَم تُجمجم)** التجمجم: أن لا يبين المتكلم كلامه. **(وكيف لا)** يكون كذلك **(ومستمد)** مأخذ **(سيبه)**: ـ بالفتح ـ عطائه، وبالكسر: مجرى الماء **(من سيب)**: عطاء **(رب ذي عناية به)**.

أعطى عطايا أخجلت دُلْحَ الدِّيَم   إذْ ملأت رحب الفضا من النعم
زهاء ألفي ناقة منها وما   ملأ بين جبلين غنما
لرجل وبَلْهَ ما لِحِلَقِهْ   منها ومن رقيقه وورقه

❖ **الشرح**: (**أعطى عطايا أخجلت**): أدهشت (**دلح**): جمع دلوح للسحابة الكثيرة الماء (**الديم**) جمع ديمة للمطر الدائم في لين (**إذ ملأت رحب**): واسع (**الفضا**): ما اتسع من الأرض، وفيه إضافة الصفة للموصوف أي الفضاء الرحب (**من النعم**) أي: الإبل.

(**زهاء**): قدر (**ألفي ناقة منها**) أي: العطايا، وقدمنا كيف فرقها على المؤلفين، (**وما ملأ بين جبلين غنماً لرجل**): وهو صفوان بن أمية، فطربت نفسه وهش، وقال: أشهد أن لا تسمح بهذا إلا نفس نبيّ، فأسلم وكان مشركاً أعطاه ﷺ الأمان، يسير في الأرض أربعة أشهر، (**وبله**): اسم فعل بمعنى دع (**ما**) الذي أعطى (**لحلقه**): بالتحريك، جمع حلقة للقوم أي: جماعته من بني هاشم وبني المطلب، (**منها**): أي: العطايا (**ومن رقيقه وورقه**): فضته.

❋ ❋ ❋

منها أفاد العمَّ ما ناء به   فهال منه عمه عن ثوبه

❖ **الشرح**: (**منها أفاد**): أعطى (**العم**) يعني به العباس (**ما**) الذي (**ناء به**): ناء به الحمل أثقله، وناء بالحمل نهض بمشقة وجهد (**فهال**): صب (**منه عمه عن ثوبه**): أي: ومن هذه العطايا ما أعطى لعمه العباس من الفضة والذهب حتى أراد أن يقوم به فلم يستطع واستحمل النبيَّ ﷺ فلم يفعل، فجعل العباس يهيل عن ثوبه من المال حتى استطاع حمله.

والمشهور أن هذا كان بالمدينة حين ورد مال البحرين على النبيّ ﷺ، فجاءه العباس فقال: إني فديت نفسي يوم بدر وابني أخوي عقيلاً ونوفلاً، فأعطاه النبيّ ﷺ، حتى غلبه النهوض مع قوته رضي الله عنه. أي: شهدت له العطايا بالكرم العظيم والشرف الصميم، قال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾

وقال: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝﴾ وأعطاه الله الكوثر والشفاعة الكبرى والإمامة الفضلى حتى تمنى الأنبياء أن يكونوا من أمته، واختار العبودية حين خيره الله بين أن يكون نبياً عبداً أو نبياً ملكاً.

❊ ❊ ❊

ووكل الأنصارَ خير العالَمين ... لدينهم إذ ألف الْمؤلفين
فوجدوا عليه أن منعهم ... فأرسل النبِيُّ من جمعهم
وقال قولا كالفريد الْمؤنق ... عن نظمه ضعف سلك منطقي

موجدة الأنصار ورضاهم به ﷺ نصيباً:

❖ **الشرح**: **(ووكل)**: ترك، قيل للنبيّ ﷺ: أتعطي هؤلاء وتدع جعيلا؟ قال: «**نعم نعطي هؤلاء ونكل جعيلاً إلى دينه**» **(الأنصار خير العالمين لدينهم إذ آلف)**: دارى **(المؤلفين)**: أي: المؤلفة قلوبهم. **(فوجدوا عليه)**: أدركوا من الموجدة، وهي السخط **(أن منعهم)** من العطايا **(فأرسل النبيّ من جمعهم)**: وهو سعد بن عبادة ﷺ. **(وقال قولاً كالفريد)**: الشذر يفصل بين اللؤلؤ والذهب **(المونق)**: المعجب **(عن نظمه)**: أي: نظم قوله ﷺ: **(ضعف سلك منطقي)**.

أشار في هذه الأبيات إلى ما روي عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: لما أعطى ﷺ ما أعطى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب ـ ولم يكن في الأنصار منها شيء ـ وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم حتى كثرت مقالاتهم، وحتى قال قائلهم: لقي والله رسول الله ﷺ قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله، إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لِمَا صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمته في قومك، وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحي من الأنصار منها شيء، قال: «**فأين أنت من ذلك يا سعد؟**» فقال: ما أنا إلا رجل من قومي، قال: «**فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة**» قال: فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا، وجاء آخرون فردهم. فلما اجتمعوا

له، قال له سعد: قد اجتمع هذا الحي من الأنصار، فأتاهم النبيّ ﷺ: «فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: **يا معشر الأنصار ما قالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها علي في أنفسكم؟ ألم آتكم ضلالا فهداكم الله بي وعالة فأغناكم الله بي وأعداء فألف الله بين قلوبكم بي؟**» قالوا: بلى الله ورسوله أمن وأفضل، ثم قال: «**ألا تجيبونني يا معشر الأنصار؟** قالوا: بما ذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ولرسوله المن والفضل.

قال: «**أما والله لو شئتم لقلتم ولصدقتم: أتيتنا مكذبا فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريدا فآويناك، وعائلا فأغنيناك، أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعوا برسول الله ﷺ إلى رحالكم؟ فوالذي نفسي بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ولو سلك الناس شعبا وسلك الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار اللّهم ارحم الأنصار وأبناءَ الأنصار وأبناءَ أبناء الأنصار**»، قال فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله ﷺ، قسماً وحظاً، ثم انصرف رسول الله ﷺ، وتفرقوا».

❋ ❋ ❋

وأدرك الفل بأوطاس السري	**عم أبي موسى الشجاع الأشعري**
وغال تسع إخوة مبارزه	**وفر عاشر لدى المبارزه**
وإذ توى دوخهم حفيده	**وجاء بالفل وهم عبيده**

❖ **الشرح**: **(وأدرك الفل)**: أي: القوم المنهزمين **(بأوطاس)**: واد بديار هوازن، ربما سميت به هذه الغزوة **(السري)**: السيد الشريف ذو المروءة **(عم أبي موسى الشجاع الأشعري)**: وهو سيدنا أبو عامر الأشعري ﷺ، وقيل ابن عمه:، وأبو موسى هو سيدنا عبدالله بن قيس الأشعري صاحب رسول الله ﷺ.

قدوم الأشعريين عليه ﷺ:

قدم الأشعريون هؤلاء والنبي ﷺ يفتح خيبر مع جعفر وأهل الحبشة، ولم يكن الأشعريون هاجروها، لكنهم قصدوا النبيّ ﷺ من أرضهم فانكسرت بهم السفينة، ورمى بهم بعضها إلى الحبشة، فوجدوا جعفرا وقومه فاصطحبوهم إليه ﷺ. ولم يزل أبو موسى ملازماً له إلى أن توفي ﷺ ولازم أمهات المؤمنين والخلفاء بعده وعمل لهم، وروى عن أمهات المؤمنين رضي الله عنه وعنهن، وتزوج أم كلثوم بنت الفضل بن العباس، وولدت له ابنه موسى المكنى به، وتزوجت بعده **(وغال)**: قتل **(تسع إخوة مبارزة وفر عاشر لدى المبارزة وإذ توى)**: مات أبو عامر **(دوخهم)**: ذللهم وقهرهم **(حفيده)** ابن أخيه، وهو أبو موسى، وهذا على القول بأن أبا عامر عم أبي موسى، وهو المشهور، ولذا اعتبره الناظم، **(وجاء)** أبو موسى **(بالفل وهم عبيده)**.

بَعْثُهُ ﷺ أبا عامر إلى أوطاس:

يقول: لما انهزمت هوازن عسكر بعضهم بأوطاس، وبعث ﷺ في إثرهم أبا عامر الأشعري فأدركهم فناوشوه القتال، فقيل إنه رُمي بسهم فقُتل، فأخذ الراية أبو موسى فقاتلهم ففتح الله عليه، وهزمهم الله، ويزعمون أن سلمة بن دريد هو الذي قتل أبا عامر، وقيل: بل قتل أبو عامر منهم تسعة يبارزونه واحداً بعد واحد ثم برز العاشر منهم معمما بعمامة صفراء، فضرب أبا عامر فقتله. واستخلف أبو عامر أبا موسى ففتح الله عليه، فقتل قاتل أبي عامر، وقال ﷺ: «**اللَّهم اغفر لأبي عامر واجعله من أعلى أمتي في الجنة**» ودعا أيضاً لأبي موسى، وقُتِلَ من المسلمين يومئذ ـ غير أبي عامر ـ يزيد بن زمعة بن الأسود، جمح به فرس له يقال له: الجماح ـ ويزيد من مهاجرة الحبشة الهجرة الثانية ـ وأيْمن ابن أم أيْمن، وسراقة بن الحارث، ورُقَيْمُ بن ثعلبة بن يزيد بن لوذان. ومن شعر حنين قول العباس بن مرداس:

ما بال عينيك فيها عائر سهر　　مثل الحماطة أغضى فوقها الشفر

عـيـن تـأوبـهـا مـن شـجـوهـا أرق　　فـالـمـاء يـغـمـرهـا طـورا ويـنـحـدر
وأذكـر بـلاء سـلـيـم فـي مـواطـنـهـا　　وفـي سـلـيـم لأهـل الـفـخـر مـفـتـخـر
قـوم هـم نـصـروا الـرحـمٰن واتـبـعـوا　　دين الرسول وأمر الناس مشتجر...

وعنها يجيب حسان ﷺ بقوله:

ما بـال عـيـنـك مـنـهـا الـمـاء يـنـحـدر　　......................

إلى أن قال:

وجـدا بـشـيـمـاء إذ شـيـمـاء بُـهْـكْـنَـةٌ　　هـيـفـاء لا ذنـن فـيـهـا ولا خـور..
على ما ترعى سليم ـ وهي نازحة ـ　　قـدام قـوم هـمُ آووا وهـم نـصـروا؟

❊ ❊ ❊

غزوة الطائف:

فـلـثـقـيـف وهـي فـي حـصـيـن　　مـن طـائـف أقـبـل مـن حـنـيـن
فـسـألـوه الـكـف عـن قـطـع الـكـرم　　بـالله والـرحـم فـارتـادوا الـكـرم
فـهـابَـه والْـمـنـجـنـيـق ضـربـا　　وسُـئِـلَ الـدعـا عـلـيـهـم فـأبـى

❖ **الشرح**: **(فلثقيف)** ـ كأمير ـ قيس بن منبه بن بكر بن هوازن، وسمي ثقيفا لأنه أتى سخيلة مولاة عامر بن الظرب، فأراد أن يحملها ويسوق غنمها، فقالت: ألا أدلك على خير لك من هذا؟ إيت سيدي وتزوج بنته، فإنه لا يَمنعك من ذلك، فأتاه فزوجه بنته، فلما رآه الناس أثقف منه ـ أي أذكى ـ سموه ثقيفاً، وهم قبيلتان: الأحلاف وبنو مالك **(وهي)**: أي: ثقيف، أنث الضمير العائد إلى ثقيف باعتبار القبيلة **(في حصين)**: أي في حصن حصين أي منيع.

التعريف بالطائف:

(من طائف): بلاد ثقيف، سميت بذلك لأنها طافت على الماء في

الطوفان، أو لأن جبريل طاف بها على البيت، أو لأنها كانت في الشام فنقلها الله تعالى إلى الحجاز بدعوة إبراهيم عليه السلام ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾... الآية. قال في الأنساب:

فقَدَّ جبريلُ من الشام لهم أومن سواه طائفا فقَاتَهم

وقيل: هي جنة أصحاب الجنة ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾﴾ وقُرئ طيف من ربك، أو لأن رجلاً من العرب أصاب دما في حضرموت، فهرب إلى أهل وج، وحالف مسعود بن معتب، وكان له مال عظيم، فقال لهم: ألا أبني لكم طوفا يكون ردءاً بينكم وبين العرب؟ قالوا: نعم، فبناه **(أقبل من حنين)** رتب الطائف على حنين بالفاء لاتصالها بها، أي أقبل إلى ثقيف من حنين، والحال أن ثقيفا في حصن من الطائف احتصنوا به حين انهزموا من حنين، وكانوا أصلحوه قبل أن يخرجوا إلى حنين، وأدخلوا نفقة سنة، فلما أتوه منهزمين أغلقوه عليهم، فأتاهم رسول الله ﷺ، فحاصرهم وأمر بتقطيع أعنابهم، فوقع الناس يقطعونها وذلك قوله:

(فسألوه الكف عن قطع الكرم): العنب، وفي الحديث: «**لا تسموا العنب الكرم فإنما الكرم الرجل المسلم**»، **(بالله والرحم فارتادوا)**: طلبوا، الارتياد في الأصل طلب الكلأ، أي طلبوا منه ﷺ **(الكرم)**: ضد اللؤم فوجدوه، قال ﷺ: «**تركناه لله وللرحم**» لما سألوه أن يدعها لله وللرحم، بعد أن حاصرهم ثمانية عشر يوماً، وقيل: خمسة عشر يوماً، وقيل: بضعاً وعشرين، وقيل: أربعين، وهو مقصر في صلاته بين قبتين ضربتا له هناك ـ وذلك الموضع مسجد الطائف اليوم ـ وفي القبتين أمنا أم سلمة وأمنا زينب، وهو يرميهم بالمنجنيق، وذلك أول ما رُمِيَ به في الإسلام، وذلك قوله:

ضَرْبُه ﷺ حصونَهم بالمنجنيق:

(فهابه والمنجنيق ضرباً) قدم عليه به الطفيل بن عمرو الدوسي (وكان

بعثه النبيّ ﷺ إلى ذي الكفين ليهدمه، وهو صنم عمرو بن حممة الدوسي فأوقد النار في جوفه وجعل يقول:

يا ذا الكفين لسنا من عبا دكا   ميلادنا أقدم من ميلا دكا
إني حشوت النار في فؤادكا

فرجع إلى النبيّ ﷺ في كثير من قومه دوس، فوجدوه محاصرا الطائف، وأتوه بالمنجنيق والدبابة، وهي من آلات الحروب، يدخل فيها الرجال فيدبون فيها إلى الأسوار فينقبونها).

فلم يزل يرميهم بالمنجنيق حتى إذا كان يوم الشدخة عند جدار الطائف دخل نفر من أصحابه ﷺ، تحت دبابة، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليخرقوه، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار، فخرجوا من تحتها فرمتهم ثقيف بالنبل رمياً شديداً كأنه رجل جراد، فقتلوا منهم اثني عشر رجلاً.

وكان النبيّ ﷺ أمر عمرَ فأذن بالرحيل، فضج الناس من ذلك فقالوا: نرحل ولم يفتح علينا الطائف! فقال ﷺ: «**فاغدوا على القتال**» فغدوا عليه فأصيب من أصيب، فلما أصبحوا» قال ﷺ: «**إنا قافلون غدا إن شاء الله تعالى**»، فسر الناس بذلك، فجعلوا يرحلون، والنبي ﷺ، يضحك، فقال لهم: «**قولوا: لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده**»، فلما ارتحلوا واستقلوا قال: «**قولوا آئبون تائبون عابدون لربنا حامدون**».

امتناعه ﷺ من الدعاء على ثقيف:

(**وسئل الدعا عليهم فأبى**) قالوا: يا رسول الله، ادع على ثقيف، فقال: «**اللّهم اهد ثقيفا وايت بهم مسلمين**». وهذا من حلمه ﷺ، ولا يغضب ولا يحمي إلا في الله تعالى، لأن ثقيفا من أول من آذاه، ولقي منهم يوم بني عبد ياليل ما لقي، سألته أمنا عائشة: هل مر عليك يوم كان

أشد عليك من يوم أحد؟ فقال: «**لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال فلم يُجِبْنِي إلى ما أردت فانطلقت على وجهي وأنا مهموم فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملَك الجبال فسلم عليَّ فقال: يا محمد ذلك لك فيما شئتَ، إن شئتَ أن أطبق عليهم الأخشبين**»، فقال النبيّ ﷺ: «**بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابِهم من يعبدالله ولا يشرك به شيئاً**». فمن سمع هذا علم أنه ﷺ أهل للنبوءة والرسالة، وحمل عبئهما، ومناجاة الْملِك الْحق لا إلٰه إلا هو، سبحانه عما يقول ضلَّالُ عبيده.

❋ ❋ ❋

ونوفل استشاره فِي أمره ... فقال: هم كثعلب فِي جحره

استشارته ﷺ نوفلاً في شأنهم:

❖ **الشرح**: **(ونوفل)**: هو ابن معاوية الدئلي الذي غدر خزاعة في الجاهلية ـ وعد من المؤلفة قلوبهم ـ **(استشاره)** ﷺ **(في أمره)** هل يرجع عنهم أم لا؟ فقال له نوفل: **(هم كثعلب في جحره)** إن أقمت عليه أخذته وإن تركته لن يضرك. ثم أمر مناديا ينادي: «**أيُما عبد خرج إلينا فهو حر**»، فخرج منهم بضعة عشر عبدا نزلوا ببكرة، منهم أبو بكرة، وبذلك سمي، فدفع النبيّ ﷺ كلَّ رجل منهم إلى رجل من المسلمين يأمنه، فشق ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة، ثم لما أسلمت ثقيف كلموا فيهم النبيّ ﷺ فقال: «**أولئك عتقاء الله**».

ولم يؤذن له ﷺ في فتح الطائف، فلما قدم وفدهم وأسلموا، ولى عليهم ﷺ عثمان بن أبي العاص ـ كما تقدم ـ فلما قبض ﷺ قام فيهم خطيباً فقال: يا معشر ثقيف لا تكونوا آخر العرب إسلاماً وأولهم ارتداداً، فلم يرتد منهم أحد.

شهداء الطائف:

واستشهد بالطائف من الشدخة المذكورة سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية، وعرفطة بن جناب حليف لهم، وعبدالله بن أبي بكر، جرح فيها، ثم مات منها بعد النبيّ ﷺ، وعبدالله بن أبي أمية، وعبدالله بن عامر بن ربيعة العنزي، حليف آل الخطاب، والسائب وعبدالله ابنا الحارث بن قيس بن عدي السهمي، وغيرهم من المهاجرين والأنصار.

❋ ❋ ❋

غزوة تبوك:

ثُم لروم في تبوك استنفرا ... لام ألوف عام عسر اعترى

ومعهم لِحربه أَلَّبَ له ... غسان لَخم وجذام عامله

❖ **الشرح**: **(ثم لروم)** ـ تقدم الكلام عليها ـ **(في تبوك)**: أرض بين الشام والمدينة بها بعض من الروم وسائرهم بالشام، وبهذه الأرض سميت الغزوة، وسميت الأرض تبوك لقول النبيّ ﷺ: «**ما زلتم تبوكونها؟**» يعني ثلاثة من المنافقين سبقوا إلى وشل نهى النبيّ ﷺ أن يُسبق إليه، فسبق إليه ذلك النفر فلعنهم ودعا عليهم، ودعا في الماء فكثر غاية إلى الآن، **(استنفرا)**: أي: أخذ للحرب **(لام ألوف)**: أي: رمز لام، وهي ثلاثون من ألوف، وفيهم من الخيل عشرة آلاف فرس **(عام عسر اعترى)**: أصاب وطرأ **(ومعهم)**: أي: مع الروم **(لِحَرْبِهِ أَلَّبَ)**: اجتمع، والألب الاجتماع للحرب، قال الطرماح: وقد أجلبوا طرا عليَّ وألبوا... إلخ، وقال حسان:

والناس ألب علينا فيك ليس لنا ... إلا السيوفَ وأطرافَ القنا وزرُ

(له غسان لخم وجذام عامله): قبائل من بني سبإ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وهم الذين أشأموا من ولد سبإ، وتيامن غيرهم، وكانوا

في كنف الروم تحت حكم قيصر، منهم الملوك الغسانية كآل جفنة، ومن لخم ملوك الحيرة لكسرى، وهم المناذرة، وليس لجذام ولا عاملة ملوك، ولا لعاملة طائل ذكر، ومن جذام نبي الله شعيب ﷺ، قال ﷺ لوفدهم: «**مرحبا بأهل شعيب وأصهار موسى**». يعني أن النبيّ ﷺ استنفر ثلاثين ألفا ممن أسلم من العرب، ومن المهاجرين والأنصار إلى روم تبوك ومن معهم من قبائل سبإ، وكان ذلك عام عسر ـ لجدب أصاب البلاد وحر الزمان وأوان طيب الثمار ـ على المستنفرين.

وما غزا النبيّ ﷺ غزوة إلا ورَّى فيها إلا هذه ـ لبعد المسافة وشدة الحر ـ وغزوةَ الفتح، فدعا الله أن يأخذ عنهم العيون والأخبار حتى يبغتهم بِها.

وهذه الغزوة وقعت في رجب سنة تسع، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم، قال ﷺ ذات يوم، وهو في جهازه للجد بن قيس: «**يا جدُّ هل لك العام في جلاد بني الأصفر؟**» فقال: يا رسول الله أو تأذن لي ولا تفتني؟ فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل أشد عجباً بالنساء مني، أخشى إن رأيت نساءهم أن لا أصبر، فأعرض عنه النبيّ ﷺ وقال: «**قد أذنت لك**»، ونزلت فيه ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ. . .﴾ الآية، وقال قوم من المنافقين لبعضهم: لا تنفروا في الحر، فأنزل الله فيهم ﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ. . .﴾ الآية.

❊ ❊ ❊

وحض الاغنيا على الْحُمْلان ونكصوا دون مدى عثمان

حثه ﷺ الأغنياء على الإنفاق:

❖ **الشرح: (وحض): حث (الاغنيا على الحملان)**: الحمل، وبالضم: ما يُحمل عليه من الدواب ـ ويحتملان هنا ـ أي حضهم أن يحملوا الفقراء الذين ليس عندهم ما يركبون من ظهر، ولا يجدون ما يكرونه، ولا ما يشترون به، وحضهم أن يعطوهم رؤوس الدواب يركبونها،

ويحملون عليها أزوادَهم، **(ونكصوا)**: تأخروا، والنكوص عن الأمر التأخر عنه والرجوع **(دون مدى عثمان)**: ومداه غايته.

يعني أنه ﷺ حض أهل الغنى حين جد في سفره إلى تبوك على الحملان والنفقة في سبيل الله، فأنفق رجال من أهل الغنى واحتسبوا، لكن لم يبلغوا ما أنفق عثمان بن عفان ﷺ فإنه حمل على ستمائة بعير وأربعمائة فرس، وأهدى مالاً لرسول الله ﷺ يضعه حيث شاء، فجعل ﷺ يقلبه ويقول: **«لا يبالي ابن عفان ما فعل بعد هذا اليوم»**.

قال البصيري:

حفر البئر جهز الجيش أهدى الْـ ـهدي لما أن صده الأعداء

وممن انتدب لأمره ﷺ يامين بن عمرو بن كعب النَّضَريُّ، وهو ابن عم عمرو بن جحاش بن كعب الذي انتدب لقول اليهود: مَنْ رجل يلقي عليه صخرة فيريحنا منه؟ ـ كما تقدم ـ ولقي يامين أبا ليلى المازني وعبدالله بن معقل بن يسار فأعطاهما ناضحاً له وزودهما.

❊ ❊ ❊

وقعد الباكون والْمعذرون وعسكرت وربت الْمنافقون

الباكون للتخلف عنه ﷺ:

❖ **الشرح**: **(وقعد الباكون)** الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ الآية، قيل: هم بنو مقرن ـ كمحدث ـ السبعة: منهم النعمان أمير جيش نهاوند، واستشهد بها بعد أن أبلى بلاءً حسناً، واستخلف سويداً، وكان الفتح على يديه، ونعيم، وسنان، ومعقل، وعقيل، وعبدالله، وعبدالرحمٰن، هاجروا سبعتهم إلى المدينة، وأمَّرَهُمْ الأمراءُ بعد ذلك، وفتحوا فتوحات كثيرة، (ولا تعرف سبعة إخوة هاجروا إلى المدينة غيرهم، ولا ستة هاجروا إلى الحبشة غير بني الحارث المستهزئ: معمر، والحارث، وسعيد، والسائب، وبشر، وأبو قيس،

وسابعهم أخوهم من أمهم رجل من تميم اسمه سعيد، واختلف في أخيهم الحجاج، فقيل: هاجر الحبشة، لكن المشهور أنه أسر يوم بدر كافراً، ثم أسلم بعد) وقيل: الباكون ليسوا ببني مقرن، وإنما هم سبعة من الصحابة بين المهاجرين والأنصار، منهم العرباض بن سارية، وأبو ليلى، وابن معقل ـ اللذان حمل يامين بن عمرو ـ وجبار بن صخر، وعمرو بن الحمام بن الجموح ـ أخو عمير المستشهد يوم بدر ـ وغيرهم.

المعذرون والمنافقون:

(و) أما (**المعذرون**): فهم الذين نزلت فيهم: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ ثم نزلت فيهم: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ وهم اثنان وثمانون رجلاً، استأذنوا رسول الله ﷺ في التخلف عن الغزو، فلم يأذن لهم فتخلفوا، فلما قدم ﷺ المدينة أتوه وحلفوا فصفح عنهم، ووكل سرائرهم إلى الله تعالى، فلم يعذرهم الله ولا رسوله (**وعسكرت**) اجتمعت (**وربت**): أقامت (**المنافقون**) عسكر بهم عبدالله بن أُبَيٍّ، مع حلفائه من اليهود على ثنية الوداع، وليس عسكره بأقل العسكرين. وبدأ الناظم بالباكين لأن تخلفهم كان لعذر، قال فيهم ﷺ مرجعه من تبوك: «**إن بالمدينة لأقواماً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا وهم معكم**» قالوا: وهم يا رسول الله بالمدينة؟ قال: «**نعم حبسهم العذر**».

❊ ❊ ❊

وقعد الثلاثة الذينا	**تاب عليهم ربُّهُم يقينا**
كعب بن مالك مرارة الربيع	**وابن أمية هلال الرفيع**

الثلاثة المخلفون ﷺ:

❖ **الشرح**: (**وقعد الثلاثة الذين تاب عليهم ربهم يقيناً كعب بن مالك**) ـ تقدمت ترجمته في غزوة أحد ـ (**مرارة**) بن (**الربيع**) من بني عمرو بن

عوف، **(وابن أمية هلال الرفيع)** من بني واقف بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس، وفي حديث كعب الآتي ـ إن شاء الله تعالى ـ شهد مرارة وهلال بدرا، وفي التوبة عليهم نزلت: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ الآية، أي: خلفوا عمن تخلف واعتذر إليه ﷺ، وقبل منه ووكل سره إلى الله تعالى، ففضحه لأجل تخلفه عن الغزو.

حديث كعب بن مالك رضي الله عنه:

وهو ما رواه البخاري من طريق عبدالرحمٰن بن كعب ـ وكان قائد كعب من بنيه حين كف بصره ـ قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن قصة تبوك، قال كعبٌ: لَم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في تبوك، غير أني تخلفت عن بدر، ولم يعاتب أحدا تخلف عنها ـ إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ـ ولقد شهدت معه ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهدَ بدر، وإن كانت بدر أذكرَ في الناس منها.

كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة ـ يعني تبوك ـ حين غزاها ﷺ في حر شديد، واستقبل سفرا بعيدا، ومفاوز وعدوا كثيرا، فجَلَّى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد، والمسلمون معه كثير لا يجمعهم كتاب حافظ ـ يعني الديوان ـ فتجهز ﷺ حين طابت الثمار والظلال، والمسلمون معه، فطفقت أغدوا لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئاً، فأقول في نفسي: أنا قادر عليه، ولم يزل يتمادى بي ذلك حتى اشتد بالناس الجد ولم أقض شيئاً من جهازي، فقلت: أتجهز بعده بيوم أو يومين ثم ألحقهم.

فغدوت بعد أن انفصلوا لأتجهز، ولم أقض شيئاً ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئاً، حتى أسرعوا وتفارط الغزو، وهممت أن أرتحل فأدركهم، وليتنِي، فعلت فلم يقدر لي ذلك، وكنت إذا خرجت في الناس

بعد خروجه ﷺ أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه النفاق، أو رجلا عذره الله من الضعفاء.

ولم يذكرني النبيّ ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال ـ وهو جالس في القوم ـ: «**ما فعل كعب؟**» فقال رجل من بني سلمة: حبسه برداه ونظره في عطفيه، فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرا، فسكت ﷺ، فلما بلغني أنه توجه قافلا، حضرني همي، وطفقت أتذكر الكذب وأقول: بِما ذا أخرج من سخطه؟ واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل: إن رسول الله ﷺ قد أظل قادماً، زاح عني الباطل، وعرفت أني لن أخرج منه أبدا بشيء فيه كذب فأجمعت صدقه، وكان إذا قدم بدأ بالمسجد وصلى فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاء المخلفون يعتذرون إليه ويحلفون له، فقبل منهم النبيّ ﷺ علانيتهم، وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله تعالى، فجئته فلما سلمت عليه تبسم تَبَسُّمَ المغضب، ثم قال: «**تعال**» فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: «**ما خَلَّفَكَ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟**» فقلت: بلى، إني ـ والله ـ لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً، ولكني ـ والله ـ قد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عفو الله، لا والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك.

فقال ﷺ: «**أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك**»، فقمت، فسار رجال من بني سلمة فاتبعوني، فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بِما اعتذر إليه المخلفون، قد كان كافيك في ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك، فما زالوا يؤنبونني حتى هممت أن أرجع فأُكَذِّبَ نفسي، ثُم قلت: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم، رجلان قالا مثل ما قلت، وقيل لهما مثل ما قيل لك، فقلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية

الواقفي، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً، فمضيت حين ذكروهما لي.

ونهى ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة، فاجتنبنا الناس، وتغيروا لنا حتى تنكرت الأرض في نفسي، فما هي التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة.

فأما صاحباي فاستكانا وقعداً في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشبَّ القوم وأجلدَهم، فكنت أخرج وأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحد، فآتي رسول الله ﷺ في مجلسه بعد الصلاة فأسلم عليه، وأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام علي؟ ثم أصلِّي قريباً منه، فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل علي، وإذا التفت نحوه أعرض عني، حتى إذا طال ذلك من جفوة الناس لي، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة، وهو ابن عمي وأحب الناس إلَيَّ، فسلمت عليه، فوالله مارد علي السلام، فقلت: يا أبا قتادة هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت، فعدت له فنشدته، فسكت، فعدت له فنشدته، فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي فوليت حتى تسورت الجدار.

قال: فبينما أنا أمشي بسوق المدينة إذا بنبطي من أنباط أهل الشام، ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة، يقول: من يدلني على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له، حتى إذا جاءني دفع إلي كتاباً من ملك غسان، فإذا فيه: أما بعد فقد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا بضيعة، فالحق بنا نواسك، فقلت ـ لَما قرأته ـ: وهذا أيضاً من البلاء، فتيممت بها التنور فسجرتها بها.

حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسولُ رَسولِ الله ﷺ يأتيني فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: بل اعتزلها ولا تقربها، وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر، فجاءت امرأة هلال رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن هلالا شيخ

ضائع ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: «**لا، ولكن لا يقربك**» قالت: إنه - والله - ما به حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا.

فقال لي بعض أهلي: لو استأذنته في امرأتك كما أذن لامرأة هلال أن تخدمه؟ فقلت: والله لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ وما يدريني ماذا يقول فيَّ إذا استأذنته فيها، وأنا رجل شاب؟

فلبثت بعد ذلك عشر ليال، حتى كملت لنا خمسون ليلة، من حين نهى عن كلامنا، فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى، قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بِما رحبت، سمعت صوت صارخ، أوفى على جبل سلع، بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر، قال: فخررت ساجدا، فعرفت أن قد جاء فرج.

نزول توبتهم رضي الله عنهم:

وآذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا، حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشرونني، وذهب قِبَلَ صاحِبَيَّ مبشرون، وركض إلي رجل فرساً، وسعى ساع من أسلم، فأوفى على ذروة جبل، وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني يبشرني نزعت له ثوبَيَّ فكسوته إياهما ببشراه، والله لا أملك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت إلى رسول الله ﷺ فتلقاني الناس فوجا فوجاً يُهَنُّونِي بالتوبة يقولون: لتهنك توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام إلي طلحة بن عبيدالله يهرول حتى صافحني وهنَّانِي، والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة، قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور: «**أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك**»، قلت: أمن عندك أم من عند الله؟ قال: «**بل من عند الله**» وكان إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف

ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت: إن من توبتي أن أنسلخ من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله ﷺ قال: «**أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك**»، قلت: أمسك سهمي الذي بخيبر، وقلت: إنَّما نجاني الله بالصدق، وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقا ما بقيت، وما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومنا هذا كذبا، وإني لأرجو أن يحفظني الله منه فيما بقيت، فأنزل الله على رسوله ﷺ ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾، إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ فوالله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله ﷺ وأن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله قال لهم حين نزول الوحي شر ما قال لأحد، فأرجأ ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه.

❊ ❊ ❊

وأبـــوا خـيـــثـــمـــة وذر   قـد لَـحـقـا وجـاء أرض الْـحـجـر

إبطاء أبي خيثمة ﷺ في الخروج:

❖ **الشرح: (وأبوا خيثمة وذر)** أحسن وأجاد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تثنية صدر الكنية وتعاطف عجزها، وهي كنية أبي خيثمة وأبي ذر، وأبو خيثمة من بني سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، ويسمى سالم الحبلى لعظم بطنه ـ والنسبة إليه حُبْلَوي وحُبُليٌّ بضمتين، فرقا بينه وبين النسبة إلى الأنثى ـ ويقال لبني سالم: بنو الحبلى، منهم عبدالله بن عبدالله بن أبيٍّ بن سلول، وأبوه عبدالله المنافق كان هو سيد الخزرج والأوس في الجاهلية، ما اتفقوا على رجل قبله.

كان من خبر أبي خيثمة أنه رجع ـ بعد ما سار رسول الله ﷺ أياماً ـ إلى أهله في يوم حار، فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه، قد

رشت كل منهما عريشَها، وبردت له فيه ماء، وهيَّأَتْ له فيه طعاماً، فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له، فقال: رسول الله ﷺ في الضح والريح والحر وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام مُهَيَّأٍ وامرأة حسناء.. ما هذا بالنصف! ثم قال: والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ فهيئا لي زادا، ففعلتا، ثم قدم ناضحه فارتحل، ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك، وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمحي في الطريق يطلب رسول الله ﷺ فترافقا حتى دنيا من تبوك، قال أبو خيثمة لعمير بن وهب: إن لي ذنبا فلا عليك أن تتخلف عني حتى آتي رسول الله ﷺ ففعل، فلما دنا من النبيّ ﷺ وهو نازل بتبوك، قال الناس هذا راكب على الطريق مقبلاً، فقال ﷺ: «**كن أبا خيثمة**»، فقالوا: هو والله أبو خيثمة، فأناخ فأقبل فسلم عليه ﷺ، فقال له ﷺ: «**أولى لك يا أبا خيثمة**»، فأخبر رسول الله ﷺ خبره، فقال له ﷺ خيراً ودعا له بالخير.

قصة أبي ذر الغفاري رضي الله عنه:

وأما أبو ذر فتقدم نسبه وبعض الكلام عليه في غزوة الغابة، وكان من خبره أنه حين مضى رسول الله ﷺ جعل يتخلف عنه الرجل فيقولون: تخلف عنا فلان فيقول: «**دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وإن يكن غير ذلك فقد أراحكم الله منه**».

وكان أبو ذر تلوم على بعير له فلما أبطأ عليه أخذ متاعه وحمله على ظهره، فخرج يتبع أثره ﷺ ماشيا، ونزل ﷺ في بعض منازله فنظر ناظر من المسلمين فقال: يا رسول الله إن هذا رجل يمشي على الطريق وحده، فقال ﷺ: «**كن أبا ذر**»، فلما تأمله القوم قالوا: هذا والله أبو ذر، فقال ﷺ: «**رحم الله أبا ذر يَمشي وحده ويَموت وحده ويبعث وحده**».

فلما نفاه عثمان إلى الربذة، لأجل أنه كان يزهد الناس في دنياهم، أصابه بها قدر الله، ولم يكن معه إلا امرأته وغلامه، فأوصاهما أن اغسلاني

وكفناني ثم ضعاني على قارعة الطريق، فأول ركب يمر بكما فقولا له: هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ، فأعينونا على دفنه.

فلما مات فعلا ذلك به، وأقبل عبدالله بن مسعود، في رهط من أهل العرق عمارا، فلم يرعهم إلا الجنازة على الطريق، قد كادت الإبل تطأها، وقام إليهم الغلام، وقال: هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ فأعينونا على دفنه، فاستهل عبدالله بن مسعود يبكي ويقول: صدق رسول الله ﷺ تمشي وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك، ثم نزل هو وأصحابه فدفنوه.

وذكر أن عبدالله بن مسعود مات آخر يومه ذلك، والأصح أنه مات بعد ذلك بالمدينة مريضا، لكن في خلافة عثمان، وقيل: إن عثمان لم ينف أبا ذر إلى الربذة، بل استأذنه أبو ذر في الخروج إليها، فأذن له، ولو صح أنه نفاه كان ذلك عدلاً من سيدنا عثمان إصلاحاً لدنيا رعيته وآخرتها.

ومن تزهيد أبي ذر للناس في الدنيا أنه لما ثبت عندهم حديث «**إن من الأمراء...**» الحديث قال عمر: من يأخذها بخاتَمها؟ - يعني الخلافة - قال أبو ذر: من أسلت الله خده، وأرغم أنفه. ومناقب أبي ذر لا تحصى ولا تحصر (**قد لحقا**) به ﷺ، (و) الحال أن النبيّ ﷺ، (**جاء**): بلغ أرض الحجر، فاعل جاء ضمير يعود عليه ﷺ، والحجر بلاد ثمود وديارهم، مر بها النبيّ ﷺ فسجى ثوبه على وجهه وحث راحلته ثُمَّ قال: «**لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون خوف أن يصيبكم ما أصابَهم**».

❋ ❋ ❋

فـذب عـن مـيـاهـه وأمـرا	**ألا يَـمُـرَّ أحـد لِـمـا يـرى**
فـعـقـه الْـمـخـنـوق فـوق مـذهـبـه	**ومَـنْ وُفُـودُ طـيـئٍ أتـتـه بـه**
فـأصـبـح الـنـاس ولا مـاء لَـهـم	**فـأرسـل الله سـحـابـة تـؤم**

مروره ﷺ بديار ثمود:

❖ **الشرح**: (**فذب**): دفع ومنع (**عن مياهه**): جمع ماء - أصله

موَهٌ، تحرك ما قبل الواو فقلبت ألفا، وأبدلت الهاء همزة، وجمع على فِعَالٍ، فعادت الهاء فقلبت الواو ياء لمجانسة الكسرة - **(وأمرا أن لا يمر أحد لِما يرى)** من اختطاف الجن لهم، قال: «**لا تشربوا من مائها شيئاً ولا تتوضأوا منه للصلاة وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل ولا تأكلوا منه شيئاً ولا يخرجن أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له**»، ففعل الناس إلا رجلين أشار لهما بقوله:

خبر اللذين خالفا نَهيه ﷺ:

(فعقه): ضد بره، أي: خالفه **(المخنوق فوق مذهبه)**: موضع قضاء حاجة الإنسان، وهو رجل من بني ساعدة، خرج ليقضي حاجته فخُنِقَ على مذهبه، وعقه أيضاً رجل من بني ساعدة، خرج في طلب بعيره، فاحتملته الريح حتى وضعته بجبلي طيئ - واسمهما: أجأ وسلمى - وهو قوله: **(ومن وفود طيئ أتته به)** فأُخْبِرَ بِهما رسولُ الله ﷺ، فقال: «**ألم أنهكم أن يخرج واحد منكم إلا ومعه صاحبه**» فدعا للذي خنق فوق مذهبه فشفي، وأما الآخر فأهدته طيئ لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة. فأصبح الناس وليس معهم ماء، فشكَوا ذلك لرسول الله ﷺ، فأرسل الله سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس، واحتملوا حاجتهم من الماء، وذلك هو معنى قوله: **(فأصبح الناس ولا ماء لهم فأرسل الله سحابة تؤم)**: تؤمهم أي: تقصد المسلمين.

على تَخَلُّفِ بِطَيْبَةَ علي ... خص بسهمين: بسهمه العلي
وسهم جبريل وكان حضرا ... وبذلَه به النبِيَّ أمرا

❖ **الشرح: (على)**: أي: مع **(تخلف)** عن غزوة تبوك **(ب)** عند **(طيبة)** المدينة **(علي)**: أي علي بن أبي طالب ؓ، خلفه النبيّ ﷺ عندما أراد الخروج على أهله، فقال المنافقون: ما خلفه إلا استثقالاً وتخفيفاً منه، فأخذ عليٌّ سلاحه، فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف فقال: يا نبي الله زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك استثقلتني وتخففت مني، فقال ﷺ: «**كذبوا ولكنني خلفتك لِما تركت ورائي فارجع فاخلفني في**

أهلي وأهلك أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بِمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» فرجع علي إلى المدينة، **(خص)** عن الناس: أي: أوثر بسهمين من الغنائم: **(بسهمه)** أي: علي رضي الله عنه **(العلي)**: العظيم.

إعطاء عليّ رضي الله عنه سهمَ جبريل:

(وسهم جبريل وكان حضرا) القتال **(وبذله)**: إعطاءه علياً **(به النبيّ)** ﷺ، **(أمرا)** أي: أمر جبريل النبيّ ﷺ ببذله لعلي. يعني أنه لما شرع المسلمون في قسم الغنائم أتى جبريلُ النبيَّ ﷺ فقال: **«هل تعلمون فارساً فعل كذا وكذا يوم كذا وكذا وكان في الميمنة يوم كذا وفي الميسرة يوم كذا»** ـ أو كيف ما قال جبريل عليه السلام ـ قال النبيّ ﷺ: **«نعم»** فقال جبريل: **«ذلك أنا وسهمي لعلي»** فأسهم له النبيّ ﷺ، وأعطاه سهم جبريل، وهل خلَّف النبيّ ﷺ علياً على جميع المدينة أو على أهليهما خاصة كما قال: **«فاخلفني في أهلي وأهلك»** وخلف على المدينة محمدَ بن مسلمة، وقيل سباع بن عرفطة؟

* * *

وقال إذ أضل راحلته مُجرمُهم ما قال فابتهته
ونزلت يومئذ فِي مَخشن وصحبه كنا نَخوض فاعتن

مقالة المنافق زيد بن اللصيت:

❖ **الشرح: (وقال إذ أضل)** بعيره، وضل عنه: ذهب عنه وفقده **(راحلته)**: ناقته **(مجرمهم)** هو زيد بن اللصيت اليهودي، من أحبار يهود بني قينقاع الذين تعودوا الإسلام بألسنتهم، وأضمروا النفاق، فلإظهارهم الإسلامَ لَم يطردوا مع قومهم عن المدينة، وقوله: **(مجرمهم)** أي: مجرم المسلمين أهل الجيش **(ما قال فابتهته)**: أوقعه قوله في حيرة لا يدري بما ذا يجيب. يشير إلى أنه ﷺ ضلت ناقته يوما في سفره إلى تبوك، فقال زيد بن اللصيت: يزعم محمد ﷺ، أنه نبي يأتيه الخبر من السماء، وهو لا يدري

أين ناقته؟ فقال ﷺ: «**إن رجلاً يقول** ـ وذكر مقالته ـ **وإني والله لا أعلم إلا ما علمني الله وقد دلني الله عليها، وهي في الوادي في شعب كذا وكذا، قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتوني بِها**»، فذهبوا فوجدوها كما قال ﷺ.

(وفي زيد بن اللصيت وأصحابه، من منافقي اليهود، من أحبار بني قينقاع، نزل صدر سورة البقرة).

ما نزل في مَخشن ووديعة بن ثابت:

(**ونزلت يومئذ**): يعني من أيام تبوك (**في مخشن**) هو ابن حُمَيِّرٍ ـ بالتصغير والياء مشددة ـ الأشجعي، حليف بني سلمة (**وصحبه**) قوم من المنافقين، منهم وديعة بن ثابت ـ من كبار المنافقين ـ أحد بني عمرو بن عوف، قال قائل منهم، والنبي ﷺ، يسير إلى تبوك ـ وهو وديعة ـ: يحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً، والله لكأني بكم غداً مُقَرَّنِينَ في الحبال، قاله إرجافاً وترهيباً للمسلمين، وقال مخشن: والله لوددت أن يضرب كل منا مائة جلدة، وأنا أترقب أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه.

فقال ﷺ لعمار بن ياسر: «**أدرك القوم فإنهم قد احترقوا، فاسألهم عن ما قالوا، فإن أنكروا فقل بلى قلتم كذا وكذا**»، فانطلق إليهم عمار، فقال لهم ذلك، فأتوا رسول الله ﷺ، يعتذرون إليه، فقال وديعة: إنّما كنا نخوض ونلعب. فأنزل الله: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ﴾ إلى قوله ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾. الآية، وهي المراد بقوله (**كنا نخوض فاعتن**) بمعرفة ما اشتمل عليه هذا النظم، وقال مخشن: يا رسول الله قعد بي اسمي واسم أبي، فكان هو الذي عفا الله عنه في هذه الآية ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾، فتسمى عبدالرحمٰن، وسأل الله أن يُميته شهيدا لا يعلم

بمكانه، فقتل يوم اليمامة شهيداً، ولم ير له أثر، وقيل في اسمه: مخشي بن أبي مخشي.

وفاة ذي البجادين رضي الله عنه:

وفي هذه الغزوة مات عبدالله ذو البجادين المزني رضي الله عنه، قال عبدالله بن مسعود: قمت من جوف الليل، وأنا مع رسول الله ﷺ، في غزوة تبوك، فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر فاتبعتها أنظر إليها، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، وإذا عبدالله ذو البجادين المزني قد مات، وإذا هم قد حفروا له، ورسول الله ﷺ في حفرته، وأبو بكر وعمر يدليانه إليه، وهو يقول: «**أدليا إلي أخاكم**»، فأدلياه إليه، فلما هيأه لشقه قال: «**اللّهم إني قد أمسيت راضيا عنه فارض عنه**»، فقلت: يا ليتني كنت صاحب الحفرة.

ذكر مسجد الضرار:

وفي هذه الغزوة أيضاً وقع أمر مسجد الضرار، وهو مسجد بناه اثنا عشر رجلا من المنافقين، منهم وديعة المذكور بالمقالة ـ المذكورة قريباً ـ وخذام بن خالد بن عبيد بن زيد، أحد بني عمرو بن عوف، وثعلبة بن حاطب، ومعتب بن قشير، وقد نفى عن ثعلبةَ ومعتبِ بن قشير بعضُ العلماء النفاقَ ـ وهو مشبهٌ ـ لشهودهما بدرا، وبدر لَم يشهدها منافق، ومن أهل مسجد الضرار أبو حبيبة بن الأزعر الضُّبَيْعِيُّ، وعباد بن حنيف، وجارية بن عامر وابناه: مجمع وزيد ـ وقيل: لا يصح عن مجمع النفاق ـ وبجاد بن عثمان، ونبتل بن الحارث، وهو القائل: إنَّما محمد أذن من حدثه شيئاً صدقه، فأنزل الله فيهم ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ...﴾ الآية، وكل أهل مسجد الضرار من الأوس، فلما بنوه أتوا النبيَّ ﷺ وهو يتجهز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه، فقال: «**إني على جناح سفر وحال شغل ـ أو** كما قال ﷺ ـ **ولو قدمنا إن شاء الله لأتيناكم فصلينا لكم فيه**».

أمره ﷺ بحرق المسجد:

فلما نزل بذي أوان ـ بلد بينه وبين المدينة ساعة من نَّهار ـ قافلاً من تبوك أتاه خبر مسجد الضرار، فدعا مالك بن الدخشم ـ كقنفذ ـ ومعن بن عدي، أخا بني العجلان، فقال لهما: «**انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وأحرقاه**»، فخرجا مسرعين حتى أتيا بني سالم رهط مالك بن الدخشم، فقال مالك لمعن: أنظرني حتى أخرج إليك بنار من أهلي، فدخل إلى أهله فأخذ سعفاً من النخل فأشعل فيه نارا، ثم خرجا يشتدان حتى دخلاه فحرقاه، وهدماه وتفرق عنه أهله وكانوا فيه ونزل فيه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ . . .﴾ الآيات، ومن حارب الله ورسوله في الآية هو أبو عامر الفاسق، وتقدم خبره.

وفي هذه الغزوة اجتمع إلى النبيّ ﷺ يُحْنَةُ بن رؤبة، صاحب أيلة ـ بفتح الهمزة ـ وهو يُحْنَةُ ويقال فيه: يُحَنَّا ـ بضم التحتية وفتح المهملة وتشديد النون ـ بن رؤبة، بضم الراء وسكون الواو وبعدها موحدة، وأكيدر ـ كأحيمر ـ بن عبدالملك الكندي، صاحب دومة.

وكان بعث إليه خالد بن الوليد في أربعمائة فارس، وقال له: «**إنك ستجده يصيد البقر**» ـ في خبر يطول ـ فأسره وقتل أخاه حساناً، وأتى به النبيّ ﷺ، فدعاه هو ويُحْنَةُ إلى الإسلام فأبيا، وأقرا بالجزية، فقاضاهما النبيّ ﷺ على دومة وأيلة وتبوك وتيماء، وأتاه أهل أذرح ـ كأذرع ـ بذال معجمة وحاء مهملة، وجرباء: ـ بجيم مفتوحة، وباء موحدة، مقصورا وممدودا ـ قرية بالشام، فأعطوه الجزية أيضاً. ثم انصرف النبيّ ﷺ من تبوك بعد أن أقام بِها بضع عشرة ليلة، وقيل عشرين ليلة، يصلي بها ركعتين، ولم يلق كيدا.

وفي هذه الغزوة قال ﷺ: «**إذا وقع الطاعون بأرض قوم فلا تقدموا عليه**»، والشام لم تزل معروفة بكثرة الطاعون، فلما قدم تبوك غازياً بلغه أن الطاعون في جهة مقصده فكان ذلك سببا في رجوعه.

تتمة:

قال حماد - رَحِمَهُ اللَّهُ -: بعث الله النبيّ ﷺ بشيراً لنا، ونذيرا للجاحدين، عند تمام الأربعين على الصحيح، وقيل على رأسها، فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة، يدعو إلى توحيد الله تعالى، فأسري به وفرضت الصلاة، وهي أول الشرائع فرضاً قبل الهجرة بسنة وقيل بخمس سنين، فعلى الأول مدة دعائه إلى مجرد التوحيد، اثنا عشر سنة، وعلى الثاني ثمان سنين، ثم أذن له في الهجرة والجهاد بنزول قوله تعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ...﴾ الآية: أي: أن يُقَاتِلُوا، وهي أول آية نزلت في الجهاد، وقيل أول آية نزلت فيه ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ...﴾ الآية. فهاجر ﷺ إلى المدينة، فأقام بها عشر سنين، فكانت مدة عمره ﷺ ثلاثا وستين سنة، ولا عبرة بالقول بستين فقط، ولا بالقول بخمس وستين، لأن الأول لَم يعتبر الكسور، والثاني اعتبر التي ولد فيها، والتي قبض فيها ﷺ، وفي تلك العشر جميع الغزوات والسرايا والبعوث والوفود والكتب إلى الملوك، وغير ذلك من أصول الدين والشرائع.

أحداث السنة الأولى:

أما السنة الأولى: ففيها جعلت صلاة الحضر أربعا، وكانت ركعتين، بعد قدوم النبيّ ﷺ، بشهر، وفيها صلى الجمعة حين ارتحل من قباء إلى المدينة - صلاها في طريقه ببني سالم - وهي أول جمعة صلاها، وأول خطبة خطبها في الإسلام، وفيها بنى مسجده ومساكنه ومسجد قباء، وفيها بدء الأذان، وفيها المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، بعد مقدمه بثمانية أشهر، وفيها أسلم عبدالله بن سلام، ومات أسعد بن زرارة، وأعرس النبيّ ﷺ، بعائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وبعث حمزة في ثلاثين من المهاجرين، يعترضون عير قريش، في رمضان، وبعث عبيدة بن الْحارث في ستين رجلاً من الْمهاجرين، يعترضون أيضاً عير قريش، وغزوة الأبواء، وغزوة ودان، في صفر.

أحداث السنة الثانية:

وفي السنة الثانية: غزوة بواط، وطلبُ كرز بن جابر، وغزوة العشيرة، وسرية عبدالله بن جحش إلى نخلة، وبدر الكبرى، ووفاة رقية بنته ﷺ، وسرية عميرة بن عدي، وسرية سالم بن عمير، وغزوة بني قينقاع، وغزوة السويق، وقرقرة الكدر، وتحويل القبلة، وفرض صوم شهر رمضان، في شعبان على رأس ستة عشر شهراً، وفرضت زكاة الفطر، قبل العيد بيومين، ووفاة عثمان بن مظعون بعد مقدمه من الحبشة، وفيها ضحى ﷺ بكبشين أحدهما عن أمته، والآخر عن محمد وآل محمد ﷺ، وفيها مولد عبدالله بن الزبير، ومولد النعمان بن بشير، وأعرس علي بفاطمة، رضي الله عنهما.

أحداث السنة الثالثة:

وفي الثالثة: سرية محمد بن مسلمة لكعب بن الأشرف، وغزوة غطفان، وغزوة بني سليم، وسرية زيد بن حارثة إلى القرقرة، وغزوة أحد، وغزوة حمراء الأسد، وسرية أبي سلمة إلى قطن، وسرية عبدالله بن أنيس إلى سفيان بن خالد، وبعث بئر معونة والرجيع، وتزويجه ﷺ بحفصةَ بنت عمر، وتزويجه بزينب بنت خزيمة، وتزويج عثمان أم كلثوم، ومولد الحسن، وتحريم الخمر، وقيل في الرابعة.

أحداث السنة الرابعة:

وفي السنة الرابعة: تحريم الخمر، وغزوة بني النضير، وبدر الموعد، وذات الرقاع، وصلاة الخوف، ورجمه ﷺ اليهودي واليهودية، ومولد الحسين، ووفاة زينب بنت خزيمة، وتزويجه ﷺ بأمِّ سلمة وبزينبَ بنت جحش - على الأصح - ونزول الحجاب.

أحداث السنة الخامسة:

وفي السنة الخامسة: غزوة دومة الجندل، وغزوة المريسيع، وقصة

الإفك ـ وقيل السادسة، وهو المشهور ـ وغزوة الخندق، وبني قريظة، وتزوجه ﷺ، بريحانة بنت يزيد النضرية، وبجويرية بنت الحارث، وسرية عبدالله بن عتيك إلى أبي رافع، وسرية محمد بن مسلمة إلى الأقطار، وفيها زلزلت المدينة فقال ﷺ: «**إن الله سيعتبكم فاعتبوه**»، وفيها سابق بين الخيل.

أحداث السنة السادسة:

وفي السنة السادسة: غزوة بني لحيان، وغزوة الغابة، وسرية عكاشة إلى الغمر، ومحمد بن مسلمة إلى ذي القصة، فأصيبوا، وبَعْثُ أبي عبيدة إلى ذي القصة، فهربوا، وسرية زيد بن حارثة إلى بني سليم، وسريته إلى العيص، وسريته إلى حسمى، وسريته إلى وادي القرى، وسريته إلى أم قرفة، وسرية عبدالرحمٰن بن عوف إلى دومة الجندل، وعلي إلى بني سعد بن بكر، وابن عتيك إلى أبي رافع، على قول (وقد تقدم في الخامسة)، وسرية عمرو بن أمية الضمري وسلمة بن أسلم إلى قتل أبي سفيان بمكة، وعمرة الحديبية، وبيعة الرضوان، وفيها قُحط الناس، فاستسقى لهم رسول الله ﷺ، فسقوا في رمضان.

أحداث السنة السابعة:

وفي السنة السابعة: فتح خيبر، وسرية عمر إلى تربة، وسرية أبي بكر إلى بني كلاب، أو فزارة، وبُشَيْر بن سعد إلى بني مرة، وغالب الليثي إلى الْمنقعة، وبشير بن سعد إلى يُمن وجبار، وعمرة القضاء، وسرية ابن أبي العوجاء إلى بني سليم، وسرية غالب إلى فدك، وتزويجه ﷺ بأم حبيبة، وصفية، وميمونة، رضي الله عنهن، وقدوم جعفر من الحبشة وأبي موسى ومن معه، وإسلام عمران بن حصين، وأبي هريرة، رضي الله عنهما، وبعثه ﷺ الرسل إلى الملوك واتخاذ الخاتم لختم الكتاب وتحريم الْحُمُر الأهلية والنهي عن متعة النساء.

أحداث السنة الثامنة:

وفي السنة الثامنة: قدم خالد بن الوليد، وعثمان بن طلحة، وعمرو بن العاص فأسلموا، وسرية شجاع بن وهب إلى بني عامر، وكعب بن عمرو إلى ذات أطلاح، وغزوة مؤتة، والفتح، وسرية خالد بن الوليد إلى العزى، وعمرو بن العاص إلى سواع، وسعد بن زيد الأشهلي إلى مناة في رمضان، وسرية خالد بن الوليد إلى بني جذيْمة، وغزوة حنين، وسرية الطفيل بن عمرو إلى ذي الكفين، وغزوة الطائف، وسرية عيينة بن حصن إلى بني تَميم، وسرية قطبة بن عامر إلى خثعم، وبعث الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق، واتخاذ المنبر، والْخطبة عليه، وحنين الْجذع - وهو أول منبر عُمِلَ في الإسلام - وفيها وفاة زينب بنت رسول الله ﷺ، وفيها وهبت سودة ليلتها لعائشة، حين أراد ﷺ طلاقها.

أحداث السنة التاسعة:

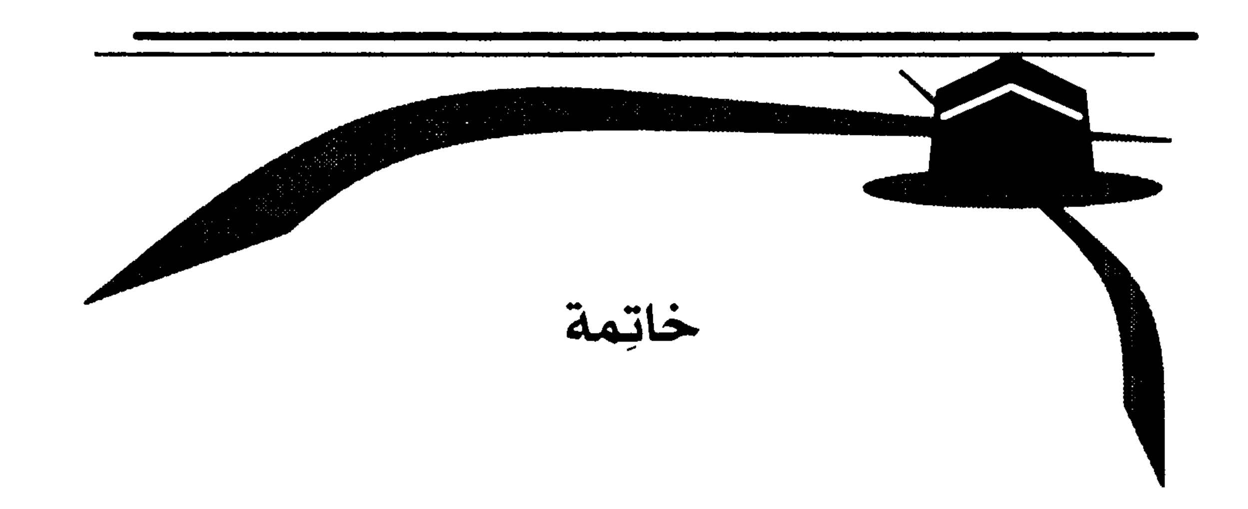
وفي السنة التاسعة: إيلاؤه ﷺ من نسائه، وسرية الضحاك إلى بني كلاب، وعلقمة إلى الحبشة، وعلي إلى القارس، وعكاشة إلى الجناب، وغزوة تبوك، وهدم مسجد الضرار، وقدوم الوفود، ولعان عويمر العجلاني امرأته، وموت عبدالله بن أبي، وحج أبي بكر بالناس، وتبعه علي بسورة براءة، وموت أم كلثوم بنته ﷺ، وموت النجاشي.

أحداث السنة العاشرة:

وفي السنة العاشرة: سرية خالد بن الوليد إلى بني عبدالْمدان بنجران، وعلي إلى اليمن، وحجة الوداع، ونزول ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ونزول ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ الآية - وكانوا لا يفعلونه قبل ذلك - وموت إبراهيم ابن النبيّ ﷺ. ثُم كانت مصيبة المسلمين - وفي العرب إذ ذاك حداثة عهد بكفر - فتسارع

بنو حنيفة، وكثير من الأعراب إلى الارتداد، فانتدب إليهم خليفة رسول الله ﷺ، سيدنا أبو بكر رضي الله عنه مشمراً عن ساعد الجد، شاهراً سيف الجد، فاستثبطه الصحابة عن قتال مانعي الزكاة، فحلف ليقاتلنهم ما منعوه عقالا مما كانوا يؤدونه إليه ﷺ، فسل عليهم سيف الله خالد بن الوليد، حتى نظم في سلك الإسلام كل من هو عنه شارد (وكان يقال الخلفاء ثلاثة: أبو بكر في قتال أهل الردة، وعمر بن عبدالعزيز في رد مظالم بني أمية، والمتوكل في رد أهل البدع) فلم يزل خالد يقاتل أهل الردة ويفتحهم حياً بعد حي وبلداً بعد بلد، إلى أن وصل لليمامة، وأهلها بنو حنيفة، وكانوا أولي بأس شديد وشدة ـ قيل: هم المرادون بقول الله تعالى: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ. . .﴾ الآية، فقاتلهم حتى فتح الله على يديه، بعد أن أصيب كثير من المسلمين، قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ ولهذه الآية سُمي أبو بكر إمام الشاكرين.



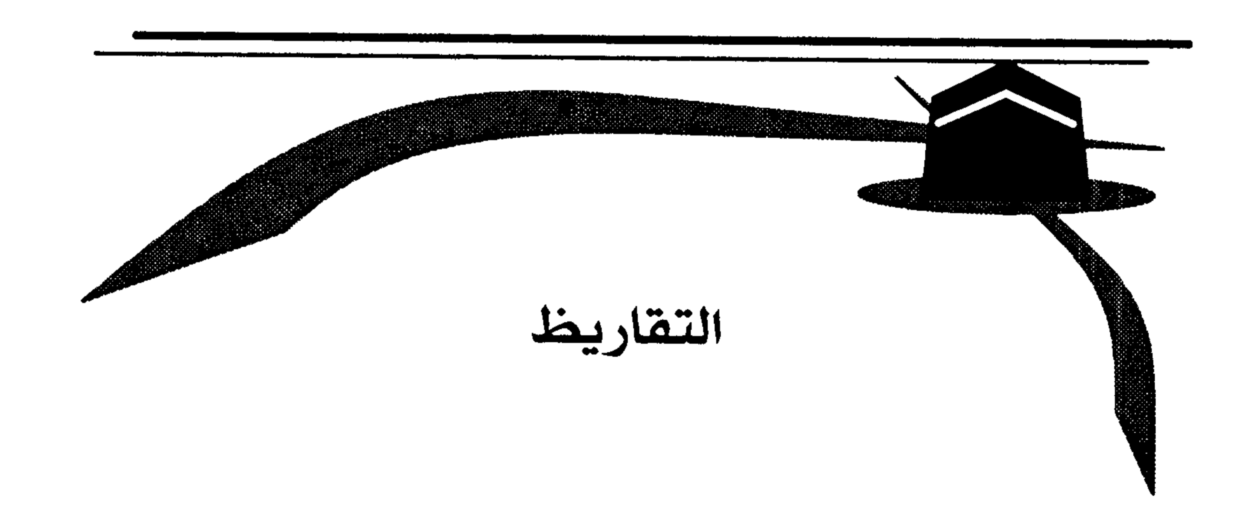


خاتِمة

انتهى بحمد الله تعالى وعونه، وصلى الله على درة الكون، وياقوتة الأكوان، محمد بن عبدالله بن عبد المطلب، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وسلم تسليماً، صلاة يَمحو بِها عنا كل خطيئة، ويقضي لنا بِها كل حاجة دنيوية وأخروية، تدوم بدوام ملك الله.

وكان الفراغ منه بعد ظهر يوم الثلاثاء لِخمس خلون من ذي القعدة، عام أربع وثَمانين وثلاثِمائة وألف، من الهجرة النبوية، أرجو من الله تعالى، وأسأله أن يكون خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون سبباً في رضاه عنا وعن والدينا وجميع إخواننا وأصدقائنا وعن المسلمين والمسلمات، بجاه كل ذي جاه عند الله تعالى، آمين يا رب العالَمين.



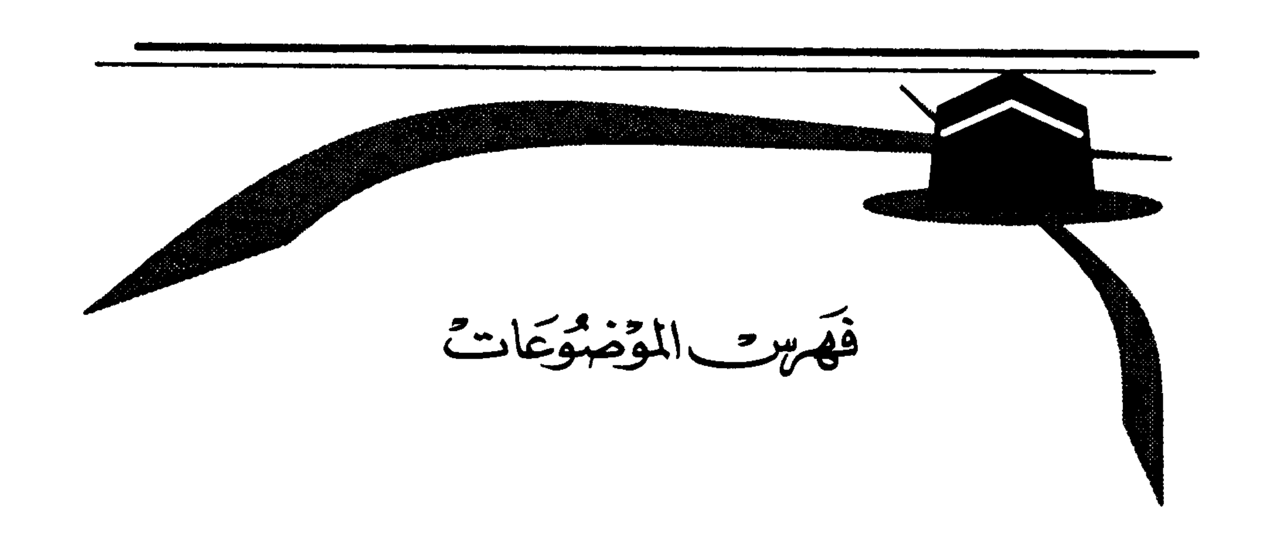


التقاريظ

انتهى على يد مؤلفه العالِم العلامة والحبر الفهامة، وحيد دهره، وفريد عصره، صاحب التصانيف المفيدة، وحل النوازل العويصة، ألا وهو الشيخ محمد، المعروف بالشيخ بَبَّاه ـ بباء موحدة، بعدها أخرى مشددة، وبعد هذه ألف، وبعد الألف هاء ساكنة ـ ابن الشيخ محمد حامد بن عبدالله بن آلاَّ الحسني الأعمراشي، لا خبا مصباح سريرته ولا كور لَيَسُ الظلام على بصيرته، نسأل الله أن يمتعنا به دهوراً طوالاً، آمين يا رب العالمين.

وهذه الأبيات لشيخنا وأستاذنا محمذ بن محنض بابه، الْمعروف بـ: سيلوم ابن الْمزروف، صاحب التآليف الشهيرة في الصفة والأنساب والسيرة...وكلها في الْجناب النبوي، فقد خدمه بعد البدوي، جزاهم الإله كُلا وجزى صاحب ذا النثر الجزاء المنجزا.

وقد أزال خَلتي وعِلتي	مع نقع غلتي مزيلُ الْخلة
وَا أسفي على تَأَخُرِ الظفر	بجذوة منها ظلام الْجهل فر
مُزيلِ خلة الْجهول مثلي	ببدر علم في ليالي الْجهل
شرحِ لنظم الْمجلسي البدوي	للغزوات قَيِّمِ النهجِ سَوِي
للشيخ بَبَّاه سلالة الشيوخ	ذوي الفهوم والْحلوم والرسوخ
كالشيخ باب كعبة الطلاب بابْ	لباب علم الشرع مجتني اللباب
لا زال ذاك البيت ذا امتلاء	من الْمحامد وذا اعتلاء
وفاز بَبَّاه بعيش أرغد	اليوم مع أرغد عيش في غد



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

